

لجنة نشر التراث الصوفي

اللمع للأبي نصر السراج الطوسي

حقه ، وقدم له ، وخرج أحاديثه

الدكتور عبد الجليل محمود طه عبد الباقي سرور

١٣٨٠ - ١٩٦٠

مكتبة الطبع والنشر
دار الكتب الحديثة بمصر
مكتبة إشتي بغداد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لجنة نشر التراث الصوفي

باسمك اللهم وبمحمدك ، ولا إله إلا أنت ، ولا إله غيرك ، لا نستطيع أن نحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك .

إليك سبحانه يصدق الكلام الطيب ، والعمل الصالح ترضه وتباركه ، وليس أطيب من كلم بشرق بحبك ، ويتعطر بذكرك ، ويدور حول رضاك وهداك .

وليس أزكى من عمل ، يقصد به وجهك ، ويستهدف به عزة هذه الأمة التي ارتضيتها لدينك ، واخترتها لقرآنك ، وباركتها بنبيك ، ولا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

ولهذا وضعنا المنهج العلمي ، لنشر الأصول الصوفية القديمة ، تلك الأصول التي أضاعت أفق الحياة الإسلامية في أزهى عصورها ، وصنعت الأخلاق الإسلامية في أنبل عهودها ، وصاغت لأمتنا في وثبتها الأولى ، فلسفتها الروحية ، وآفاقها المثالية ، وخطوطها العريضة ، في المعرفة والتربية ، ومناهجها في السلوك والمجاهدة ، ومعارضها في الحب والمناجاة ، وما إلى الحب والمناجاة ، من قربى إلى الله ، ووسيلة إلى هداه ورضاه .

وإننا لنستهدف من نشر هذه الأصول الصوفية ، أن تكون زاداً طيباً صالحاً مباركاً ، يتمثل في نهضتنا عزماً أيماً ، وإيماناً قوياً ، وخلقاً مثالياً ، ونوحيداً نقياً .

فإذا عاد إلى القلب الإسلامى ، نوره القرآنى ، وخلقه المحمدى ، وعزمه الإلهى ،
عاد من جديد إلى الحياة ، ليقودها سعيدة مطمئنة إلى الله .

ولقد قدمنا من قبل لقراءتنا ، كتاب « الرعاية لحقوق الله » للإمام الحارث
المحاسبي ، وكتاب « التعرف لمذهب أهل التصوف » لتاج العلماء العارف
الكلاباذى .

وإننا ليسعدنا اليوم أن نقدم لقراءتنا فى العالمين العربى والإسلامى ، أكبر
موسوعة صوفية عرفها التاريخ .

نقدم كتاب « اللع » لأبى نصر السراج الطوسى ، أعظم مؤرخ صوفى ،
فى تاريخنا قديمه وحديثه .

نقدمه محرراً محققاً ، بعد أن استكملنا النقص الكبير الذى كان فى طبعته
الأوربية التى قام بها المستشرق « نيكلسون »^(١) .

كما قمنا بضبط أعلامه ، ونخرج أحاديثه ، والتقديم له والتعقيب عليه .

وبعد ، فإننا نوجه الشكر خالصاً موفوراً للأساتذة الأصدقاء الذين ساهموا
بعلمهم فى إخراج هذا الكتاب .

(١) كان فى طبعة نيكلسون قسم مفقود ، ابتداء من (باب فى ذكر أبى الحسن
النورى رحمه الله ، ثم أبواب : ذكر أبى حمزة الصوفى . ذكر جماعات المشايخ الذين
رموهم بالكفر . ذكر أبى بكر على بن الحسن . ذكر محمد بن موسى القرغانى .
بيان ما قاله الواسطى) وقد أثبتنا هذا القسم المفقود .
وهذا ينشر كتاب اللع كاملاً لأول مرة فى التاريخ .

نشكر فضيلة الأستاذ العالم المحدث السيد محمد الحافظ التيجاني ، فقد تولى فضيلته تخريج أحاديث « كتاب الدع » بما عرف عنه من علم وأمانة ، فأضاف عملاً صالحاً نافعا مباركاً بإذن الله .

ونشكر الأستاذ السيد محمد عيد الشافعي الذي بذل جهداً مشكوراً في جمع المصادر الخاصة بتاريخ السراج الطوسي مؤلف « كتاب الدع » .
ونشكر الصفوة المختارة من العلماء والأدباء ورجال الفكر ، الذين انتهات علينا كتبهم مشجعة ومقدرة لعملنا .

وإننا لنصرع إلى الله الكبير المتعال ، أن يتقبل عملنا ، وأن يباركه ، ويمن عليه بالتوفيق والسداد ، ويمدنا بعزم من لدنه لنواصل جهادنا في نشر الأصول الصوفية الكبرى .

وما توفيقنا إلا بالله ، عليه توكلنا ، وإليه ما نخط أقدامنا ، وصلوات الله على المصطفى ، الذي أرسل هادياً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وصراجاً منيراً

ط عبد الباقي سرور دكتور عبد الحليم محمود

الجمعة { ٢٨ محرم عام ١٣٨٠ هـ
٢٢ يوليو عام ١٩٦٠ م

كِتَابُ اللَّمَعِ

وَمَكَانَتُهُ مِنَ التَّصَوُّفِ الْإِسْلَامِيِّ

مدرستان صوفيتان ، اعتصمتا بالكتاب والسنة ، واتخذتا من سيد المرسلين إماماً وقدوة ، وجعلتا من أشواق الحب الإلهي ، ومن إلهامات الروح القرآني ، ومن مثاليات الخلق الحمدي ، منهجا في المعرفة ، وطريقا في السلوك ، وممرجا للوصول ، قدمتا للعالمين ، أروع وأقوى روحانية إيمانية معتصمة مهتدية ، قدمتا التصوف الإسلامي مشرقا مبينا ، فيه هدى ، وفيه نور ، يرسم الطريق المستقيم المضيء ، طريق المحبتين المتبتلين ، الذين أحالوا الكون ، محاريب المناجاة والطاعات ، وجعلوا من مشاهد صفحات ناطقات ملهات ، الطريق المضيء الصاعد إلى رضوان الله وقربه ، وأنسه وحبه ، وهداه وعلمه وفيضه .

مدرستان هما قلب التصوف ولسانه وبيانه ، وإلهما الفتوى والفيصل في مناهجه وقواعده ، وسلوكه ومعارجه .

مدرستان تميزتا بالمعرفة الكاملة الصادقة ، النابعة من الكتاب والسنة ، لم تنفرق بهما السبل ، ولم ينجح بهما الأذواق والأشواق ، قلما يمتزقا أبدا ، بالسبحات الفلسفية ، والشطحات المترنمة ، والكلمات القامضة ، التي تسربت إلى الأفق الصوفي ، وحاولت أن تنفس إليه ، وأن تستر بأشواقه وأذواقه .

أما المدرسة الأولى ، فهي مدرسة الإمام أبو القاسم الجنيد ببغداد ، وهي مدرسة اتخذت من المساجد منابر لدعوتها ، وجعلت من حلقاتها معاهد لتخريج الرجال . .

للرجال الذين تموج بهم كتب الأصول الصوفية ، كأعلام نضىء كلماتهم الطريق وترسمه ونحده .

والمدرسة الثانية ، هى مدرسة الإمام أبو نصر السراج الطوسى بنيسابور ، وهى مدرسة اتخذت من الكتب منابر لبيان دعوتها ، وشرح رسالتها ، ونشر علومها وأذواقها ومعارفها ومعارجها .

وجعلت من صفحات هذه للكتب معاهد لتخريج الفحول من الرجال ، وخزائن خالدة ، تحفظ للأجيال ، هذا التراث المضىء العظيم .

وصاحب اللمع ، أبو نصر السراج الطوسى ، هو بحق ، أكبر المؤلفين الصوفيين وأستاذهم جميعا بلا استثناء .

اقتفى أثره المجبورى فى كتابه « كشف المحجوب »^(١) ، وتلذذ عليه ، أبو عبد الرحمن السلمى ، صاحب الطبقات^(٢) ، وعلى السلمى ، تلذذ عبد الكريم ابن هوازن أبو القاسم القشبرى ، صاحب الرسالة القشيرية^(٣) .

فؤلف اللمع إذن ، قد أجمت مدرسته الأقلام الكبيرة التى حفظت لنا ، ورسمت أمامنا ، مناهج الطريق وصانته وحجته من الدخيل والغريب .

كما احتضنت هذه المدرسة وحفظت لنا أيضاً ، تراث الجنيد وتلاميذه ورجاله .

فأصبحت مدرسة السراج وحدها عبر التاريخ المحجة التى يلوذ بها ، ويهتدى بنورها ، عباد الرحمن الذين استهدفوا وجهه سبحانه ، وصمدوا بقلوبهم وبعزماهم إلى الأفق الأعلى ، مع الملائكة الأعلى ، لا يستكفون عن عبادة ربهم ، ولا يفترون عن ذكره وحده .

(١) طى بن عثمان الجلابى المجبورى توفى عام ٤٦٥ هـ

(٢) توفى السلمى عام ٤١٢ هـ

(٣) توفى القشبرى عام ٤٦٥ هـ

قوتهم طاعة ، وحياتهم عبادة ، ومناجاتهم حب ، ووجودهم قرب ، وذوقهم علم ، وبساطهم أنس ، وخلقهم قرآن .

إنهم أمناء الله جل وعز في أرضه ، وخزنة أسرارہ وعلمه ، وصفوته من خلقه ، كما يقول السراج الطوسى في اللمع .

إنها مدرسة المعرفة الصوفية النقية ، حمل اللواء فيها السراج ، والقشيري ، والمجويري ، والسلمى ، والسكلاباذي^(١) .

المدرسة التي حاربت في عنف وفي قسوة ، كل انحراف فلسفى ، أو شطط ذوقى ، تسرب إلى جوهر التصوف الإسلامى .

يقول المستشرق « نيكلسون »^(٢) :

« . . . ولهذا نجد أوائل المؤلفين في التصوف يرددون الإنذار والتحذير من الوقوع في وحدة الوجود ، ويكررون القول : بأن الله تعالى مخالف للحوادث مخالفة تامة ، وأن أى اتصال به يوصف بأنه اتحاد بذاته كفر وضلال » .

ولا جدال في أن التصوف الإسلامى ، منذ فجره الأول ، قد ابتلى كما ابتليت الممارف الإسلامية كافة ، بالدخلاء الأذعياء سلوكا وقولا .

ولهذا نجد أئمة التصوف ، منذ القرن الثالث الهجرى ، وهم يحذرون وينذرون ، وكان أكبر المنذرين وأسبقهم الإمام السراج الطوسى .

يقول السراج في مقدمته لكتاب اللمع^(٣) :

« . . . وأعلم أن في زمننا هذا قد كثر الخائضون في علوم هذه الطائفة ، وقد كثر أيضاً المتشبهون بأهل التصوف والمشيرون إليها ، والجهيئون عنها وعن

(١) صاحب التعرف لمذهب أهل التصوف

(٢) في التصوف الإسلامى ص ١٠١

(٣) اللمع ص ١٩ طبع دار الكتب الحديثة

مسائلها ، وكل واحد منهم يضيف إلى نفسه كتاباً قد زخره ، وكلاماً ألفه ، وليس بمستحسن منهم ذلك ؛ لأن الأوائل والمشايخ الذين تكلموا فى هذه المسائل وأشاروا إلى هذه الإشارات ، ونطقوا بهذه الحكم ، إنما تكلموا بعد قطع العلائق ، وإماتة النفوس بالجهادات والرياضات والمنازلات والوجد والاحتراق ، والمبادرة والاشتياق إلى قطع كل علاقة قطعهم عن الله عز وجل طرفة عين ، وقاموا بشرط العلم ، ثم عملوا به ، ثم تحققوا فى العمل فجمعوا بين العلم والحقيقة والعمل .

وإذن فانحاضون فى علوم التصوف ومسائله ، والمتشبهون الدخلاء المحجبون ، قد كثروا فى الأفق الصوفى ، منذ القرون الأولى فى الإسلام .

والسراج يحذر منهم ويشير إليهم ، ثم يضع قاعدة ذهبية للتصوف والصوفية .

إنهم علماء قاموا بشرط العلم ، ثم عملوا به ، ثم تحققوا فى العمل ، فجمعوا بذلك بين العلم ، والحقيقة والعمل .

ولهذا كان الصوفية عبر التاريخ ، نماذج للجلال الخلقى والروحي ، ونماذج للكمال التعبدى والإيمانى ، ونماذج عالية سامقة ، فى أفق العلم والمعرفة .

وكا يقول « ماسنيون » :

« إن رجال المعرفة الصوفية فى الإسلام ، كانوا دائماً النماذج التى تقدم لنا الصورة الحية للمفكرين الكبار فى الإسلام » .

ويقول شاعر الإسلام « محمد إقبال » :

« إن الإسلام عند الصوفية يأخذ طابعا من الجمال والكمال ، والإنسانية العالية والأخوة العالمية ، لا تجده فى إسلام الفقهاء أو المتكلمين » .

وكتاب « اللمع » هو الكتاب الأم ، فى تاريخ التصوف الإسلامى ، وقد اجتمعت له خصائص ما نحسبها توافرت لغيره من كتب الحياة الروحية الإسلامية .

فهو أقدم مرجع صوفى إسلامى ، وهو فوق هذا أكبر هذه المراجع وأوثقها وأغزرها مادة ، وأناقها جوهرأ ولفظا .

ومن مادته الخصلة اقتبس كافة من أرخ للتصوف ، وعلى ضوء مناهجه وأبوابه وقواعده ، جرت الأقلام التى قدمت لنا عبر التاريخ علوم الطريق ورجاله . وهو كتاب تاريخ ، ومدرسة علم ، وطريق ذوق ، وإشعاع يرشد السالكين ، ويعلم العلماء ، أو كما يقول « نيكلسون » : « هو مدرسة عليا لتخريج الفحول من المتصوفة الصادقين » .

وكتاب « اللمع » قد استهدف فى كل حرف فيه ، غاية قصد إليها ، وحرص عليها .

وهى رسم المبادئ الصوفية النقية ، تلك المبادئ التى تعبر عن روح القرآن ، وجوهر السنة .

المبادئ الخلقية والإيمانية التى تعلمت لفعل الرسول صلوات الله وسلامه عليه وهديه .

المبادئ التى تحيط بكل شئ فى الحياة ، فتطلق فيه النور ، وتطلق فيه الروح ، وتطلق فيه الحب ، وتعمق فيه الأحساس المقدس ، الإحساس بالقرب من الله ، قرب ذوق ووجدان ، ومشاهدة ذوق ووجدان . . . فإن لم تكن تراه فإنه براك .

المبادئ التى تتحقق فيها كلمات الله التى صورت الأمة الإسلامية بأنها خير أمة أخرجت للناس .

فإذا صور السراج فى « اللمع » تلك المبادئ فأحسن تصويرها ، وأبدع رسمها ، وأشاع الروح والحياة فى أنفها ، مدعاً لها بالأدلة القرآنية والنبوية والعلمية والدوقية ، عمد إلى أدق وأنبى ما فى كتابه .

عمد إلى بيان كامل ، وحصر شامل ، للأخطاء التى وقع فيها السالكون للطريق ، إما عن سوء نية ، أو عن حسن قصد .

وهنا يتفوق السراج على نفسه ، فهو عالم نفسانى ، وهو حكيم ربانى ، وهو مبصر ببصيرة علوية يتسلل بها إلى خفايا الصدور ، وخفقات القلوب ، كما يتسلل إلى دقائق المعرفة ، ورقائق الذوق ، فيكشف عن أخطاء العابدين ، كما يكشف عن عقد الذاكرين ، وتلبسات المحبين ، ووسوسة الزاهدين ، وهى أخطر عقبات الطريق ومزالقه .

فيجول لنا بذلك كله وجه التصوف الإسلامى ، كما جاء به القرآن ، وكما صورهُ الرسول وهديه ، وكما عاشه رجاله وأعلامه ، وهم الصفوة من خلق الله ، والخيرة من عباده ، وخزائن العلم والمعرفة ، علم الشريعة ، وذوق الحقيقة ، وفيض العطاء الربانى ، الذى تقلد عليه من اصطفى الله من عباده .

ذلك هو « كتاب اللمع » أو بمعنى أدق ، ذلك بعض ما نوى به ونشر ، ليدل على « اللمع » فكل تقديم « لللمع » لا ينهض بحقه ، ولا يفي بقدره ، ولا يصور علمه وذوقه .

إنه جامعة لتخريج الفحول والأئمة الكبار ، جامعة لا يعرف قدرها ، إلا من تذوق منهجها وعاش فى صفحاتها وتلك رسالتك أيها القارىء الكريم .

التعريفُ بصاحبِ اللُّمَعِ

أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي ، الملقب : بطاؤوس الفقراء .
توفي سنة ٣٧٨ هـ .

يقول عنه صاحب النفحات :

« . . . هو عبد الله بن علي بن محمد بن يحيى الصوفي الزاهد ، صاحب
« كتاب اللمع » في التصوف ، وقد تكون له مؤلفات أخرى لم تصل إلينا .
سمع جعفر الخلدي ، وأبا بكر محمد بن داود الدقي ، وأحمد بن محمد الساجج » .
ويقول صاحب تذكرة الحفاظ :

« . . . أبو نصر السراج عبد الله بن علي الطوسي الزاهد شيخ الصوفية ،
وصاحب « كتاب اللمع » في التصوف ، روى عنه جعفر الخلدي ، وأبي بكر
محمد بن داود الدقي . . . قال « الذهبي » كان المنظور إليه في ناحيته ، في الفتوة
ولسان القوم ، مع الاستظهار بعلوم الشريعة » .
ويقول العلامة السخاوي :

« . . . كان على طريقة أهل السنة . قال : خرجت مع أبي عبد الله
الروزباري ، فلتقي - انبلياً - راهب بصور ، فنفذ بنا إلى ديره ، وقلنا له :
ما الذي حبسك ها هنا ؟ قال : أسرتني حلاوة قول الناس : يا راهب ،
وتوفي في رجب عام ٣٧٨ هـ ^(١) » .

ويقول العلامة المستشرق « نيكلسون » :

« . . . ليس لدينا إلا القليل عن تاريخ حياة المراج ، فإن مؤلفي التصوف القديم مروا عليه في سكوت ، وأول ما ورد ذكره حسب علمي ، في ملحق لتذكرة الأولياء ، كما عرض لذكره عرضا قصيرا ، أبو المحاسن الذهبي في تاريخ الإسلام ، وأبو الفلاح في شذرات الذهب ، وغيره من المؤلفين في سفينة الأولياء . »

ثم يقول : « ومن المعجيب أن يغفل مؤلفو التصوف القديم شأنه ، فلم يؤلفوا عنه أسفارا تحوى لنا تاريخه وتراجمه وأحواله ، مع أنه كان فريد عصره ، راسخ القدم في علوم القوم ، وشيخا لمذهبهم في الزهادة والتصوف . »

وكم كنت أتمنى لو سبق وجودي إلى عصره الذهبي أو الذي يليه لأزرم خطاه ، وأتبع آثاره وأخباره وأحواله ، فأميط اللثام عن مستور لو كشف لعبق عبيره ، وطيب شذا عرفه الأنام .

على أنى لو أتبع لى أن أكون أحد معاصريه المؤلفين ما أظننى واقفا عند هذا الحد من النعت والتعريف ، ولعمري ما كنت إلا جاهدا نفسى لكشف النقاب عن حياة وأعمال هذا الإمام الجليل ، عسى أن أكون قد افتتحت مدرسة عليا لتخريج الفحول من الزهاد المتصوفة من أهل الرقعة الفقراء المخلصين .

وتروى لنا كتب السير الفارسية ، أن السراج كان يلقب بطاووس الفقراء ، كما تروى كما يقول المجويزى في « كشف المحجوب » : « أن أبا نصر السراج وفد في رمضان إلى بغداد ، فأفرد له غرفة خاصة في جامع « الشونيزية » وأعطى رئاسة الدراويش ، وأنه كان في صلاة التراويح يحتم القرآن خمس مرات ، وكان الخادم يحضر له رغيفا كل ليلة ، فيضعه في غرفته ، وفي يوم العيد ، وكان السراج قد رحل ، وجد الخادم الثلاثين رغيفا دون أن تمس . »

وتروى لنا قصة أخرى ، أنه خلال محادثاته في التصوف أخذ الحال فقذف بنفسه في نار موقدة ، وهو يدعو الله ، فلم تلتفح له وجها ، ولم تحرق له ثوبا .

وكتاب اللمع كما يقول « نيكلسون » يعطى صورة ناطقة عن السراج الرحالة ، الذي نجول في أرجاء الإمبراطورية الإسلامية ، وتنقل بين القاهرة وبغداد ودمشق والرملة ودمياط والبصرة وتبريز ونيسابور ، سالكا طريق القوم ، ناشراً لعلومهم ومعارفهم مجدا في الاجتماع بأعلام التصوف الإسلامي في عصره الذهبي ، ضاربا المثل الأعلى لمنهجهم بنفسه سلوكا وذوقا وفتوة .

ويقول أبو عبد الرحمن السلمي في طبقاته :

« . . . كان أبو نصر من أولاد الزهاد ، وكان المنظور إليه في ناحية الفتوة ولسان القوم ، مع الاستظهار بعلم الشريعة ، وهو فقيه مشايخهم اليوم ، ومات أبوه ساجداً » .

توفي رضوان الله عليه في رجب سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة هجرية « أكتوبر سنة ٩٨٨ م » .

كتاب الجمع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

كتب إلينا أبو القاسم علي بن الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي ، وأبو إسماعيل بن علي بن باتكين الجوهري ، وأبو عبد الله محمد ابن عبد الواحد بن أحمد بن التوكل على الله ، وأبو المنجي عبد الله بن عمر بن علي ابن زيد بن الليثي ، وغيرهم من بغداد . وكتب إلينا أم الفضل كريمة ابنة عبد الوهاب بن علي بن الخضر القرشي من دمشق . كلهم عن أبي الوقت عبد الأول بن عيسى بن شقيب بن إسحاق السجزي الصوفي المروئي الماليني ، قال : أنبأنا أبو نصر أحمد بن أبي نصر الكوفاني قراءة عليه في شهر سنة خمس وستين وأربعمائة ، قال : أنبأنا أبو محمد الحسن بن محمد الحنبوشي قراءة عليه ، قال : أنبأنا أبو نصر عبد الله بن علي الطوسي السراج ، قال :

الحمد لله الذي خلق الخلق بقدرته ، ودلهم على معرفته بآثار صنعته وشواهد ربوبيته ، واختار منهم صفوة من عبادِهِ وخيرة من خلقه ، خص منهم من شاء بما شاء كيف شاء ، وقسم لهم من العلم به والفهم عنه بما قسم ، وحكم لهم في ذلك بما حكم ، وجعلهم ، فيما منح لهم من الهداية والتوفيق ، متفاوتين كتفاوتهم في الأخلاق والأرزاق والآجال والأعمال ، فلا علمٌ معلوم ولا شيء مفهوم إلا وذلك موجود في كتاب الله عز وجل ، أو مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو فُتِحَ على قلوب أولياء الله ، لينهل من هلك عن بيئته ويحيا من حي عن بيئته ، وإن الله لسميعٌ عليم .

والصلاة على المقدم المعظم المكرّم من أنبيائه شمس الأولياء وقر الأصفياء :
محمد عبده ورسوله وعلى آله وسلم كثيراً .

أما بعد : فإنني قد استخرتُ الله تعالى وجمعت أبواباً في معنى ما ذهب إليه أهل التصوف ، وتكلّم مشايخهم المتقدمون في معاني علومهم وعُمدة أصولهم وأساس مذهبهم وأخبارهم وأشعارهم ومسائلهم وأجوبتهم ومقاماتهم وأحوالهم ، وما انفردوا بها من الإشارات اللطيفة والعبارات الفصيحة ، والألفاظ المشككة الصحيحة على أصولهم ، وحقائقهم ومواجيدهم وفصولهم .

وذكرتُ من كل فصل طرّفاً ، ومن كل أصل طرّفاً ونقفاً ، ومن كل باب لُحفاً ، على حسب ما سنع به الحال ، ومكّن منه الوقت ، وجاد به الحق جلّ ذكره ؛ مقتدياً بالأُسوة والقُدوة والبيان والحُجّة .

فينظر الناظر فيه عند تيقظ وتنبّه وحضور قلب وفراغ نفس ، بحسن التوقّف والتفكّر والتأمّل والتدبّر ، بخلوص النية وطهارة القلب وصحة القصد ، متقرباً إلى الله تعالى ذكره ، وشاكراً له على ما منحه من تسديده وتوفيقه وهدايته إلى موالاة هذه المصابة^(١) ، ومناوأة من بسط لسانه فيها بالوقية فيهم والإنكار عليهم وعلى سلفهم الماضين ، رحمة الله ورضوانه عليهم أجمعين ؛ لأنهم المصابة القليل عدّها ، العظيم عند الله قدرها وخطرُها .

وينبغي للعاقل في عصرنا هذا أن يعرف شيئاً من أصول هذه المصابة ونقصودهم^(٢) ، وطريقة أهل الصحة والفضل منهم ، حتى يميّز بينهم وبين المتشبهين بهم^(٣) ، والمتلبسين بلبسهم ، والمتسمّين باسمهم . حتى لا يفلط ولا يأنم ؛ لأن هذه

(١) يقصد أهل التصوف .

(٢) جمع قصد بمعنى الاتجاهات والنوايا

(٣) أن ادعاء التصوف قديم وها هو ذا المؤلف التوفي في القرن الرابع الهجري يحذر من الهرجين باسم التصوف ، أما في عصرنا الحاضر قد أصبح ادعاء التصوف أمراً عادياً ولعلنا بنشر هذا الكتاب نساهم في إعطاء الفكرة الصحيحة عنه حتى لا يراه الناس طيلاً وزمراً ويبارق وأساطير وجزى الله المؤلف خير الجزاء .

العناية أخص الصوفية ، هم أبناء الله ، جل وعز ، في أرضه ، وخزنة أسرارهِ وعِلْمهِ ، وصنوفهُ من خلقهِ ؛ فهم عباده المُخلصون ، وأولياؤه المتقون ، وأحبّاءهُ الصادقون ، والصلحون ؛ منهم الأخيار والسابقون ، والأبرار والمقرَّبون ، والبِدَلَاءُ والصدِّيقون ؛ هم الذين أياها الله بحرفته قلوبهم ، (وزين) بخدمة جوارحهم ، والمهّج بذكره ألسنتهم ، وطهر بمراتبه أسرارهم ؛ سبق لهم منه الحسنى بحسن الرعاية ودوام العناية ، فوجهم بطح الولاية ، وألبسهم حُلَّ الهداية ، وأقبل بقلوبهم عليه تعطفاً ، وجسمهم بين يديه تلقّياً ، فاستنوا به عما سواه ، وآثروه على ما دونه ، واقطعوا إليه ، وتركوا عليه ، وحكوا بآيائه ، ورضوا بقضائِهِ ، وصبروا على بلائِهِ ، وفارقوا فيه الأوطان ، وحجروا في الإخوان ، وتركوا من أجله الأنساب ، وقطعوا فيه العلائق ، وهربوا من الخلائق ، مستأنسين به مستوحشين مما سواه : (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)^(١) الآية : (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ)^(٢) الآية : (قُلِ اتَّقُوا اللَّهَ فِيهِ وَاسْلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى)^(٣) الآية .

واعلم أن في زماننا هذا قد كثّر الخاضعون في علوم هذه الطائفة ، وقد كثّر أيضاً للتشبهون بأهل التصوف والشيوخ إليها والمحييون عنها وعن مسائلها ، وكل واحد منهم يضيف إلى نفسه كتاباً قد زخره ، وكلاماً ألقه ، وليس بمستحسن منهم ذلك ، لأن الأوائل وللشايخ الذين تكلموا في هذه المسائل وأشاروا إلى هذه الإشارات ونطقوا بهذهما الحكم ، إنما تكلموا بعد قطع العلائق ، وإماتة النفوس بالمجاهلات والرياضات والمنازلات والوجد والاحترق ، والمبادرة والاشتياق إلى قطع

(١) البقرة : ٤

(٢) نكته الآية : ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات يؤذن الله ذلك هو

الفضل الكبير . فاطر : ٣٢ .

(٣) نكته الآية : آله خير أمة أخرجت للناس (النحل : ٥٩) .

كل علاقة قطعتم عن الله عز وجل طرفة عين ، وقاموا بشرط العلم ، ثم عملوا به ،
ثم تحققوا في العمل فجمعوا بين العلم والحقيقة والعمل .

قال أبو نصر رحمه الله : وقد حذفتُ الأسانيد عن كثير مما ذكرت في هذا
الكتاب ، واقتصرت على متون الأخبار والحكايات والآثار للاختصار ، فما أصبَتْ
من ذلك فبناية الله عز وجل ، والحمد لله على ذلك ، وما أخطأتُ في ذلك ووقع
فيه شيء من الزيادة والنقصان فهو لازم لى ، وأنا أستغفر الله من ذلك ، وإنما
ذكرتُ في كتابي هذا أجوبة هؤلاء المتقدمين وأفاضلهم لأن لى فيها غنية عن
تكلفى كتكلف المتأخرين فى زماننا هذا إذا تسكلموا فى هذه المعانى بكلام
أو أجابوا عنها بجواب أو أضافوا ذلك إلى أنفسهم وهم متمرون عن حقائقهم
وأحوالهم .

وكل من أخذ من كلام المتقدمين الذين وصفناهم معنى من معانيهم التى هى
أحوالهم ووجودهم ومستنبطاتهم ، وحلاها من عنده بحلية غير ذلك ، أو كساها
عبارة أخرى ، أو أضافها إلى نفسه حتى يشار إليه بذلك ، أو يطلب بذلك جأها
عند العامة ، أو يريد أن يصرف بذلك وجوه الناس إليه لجر منفعة أو لدفع
مضرة ؛ فإنه عز وجل خضمه فى ذلك وهو حسيبه ، لأنه قد ترك الأمانة وعمل
بالخيانة ، وهذه أعظم [وأكبر من] الخيانة التى فى أسباب الدنيا : (وأن الله
لا يهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ)^(١) ، وبالله التوفيق .

باب البيان من علم التصوف ، ومذهب الصوفية ، ومنزلتهم من أولى العلم القاعين بالقسط

قال الشيخ أبو نصر : سألت سائلاً عن البيان عن علم التصوف ، ومذهب الصوفية ، وزعم أن الناس اختلفوا في ذلك : فمنهم من يخلو في تفضيله ورفعته فوق مرتبته ، ومنهم من يُخرجه عن حدّ المقول والتحصيل ، ومنهم من يرى أن ذلك ضربٌ من اللهو واللعب وقلة المبالاة بالجلل ، ومنهم من ينسب ذلك إلى التقوى والتقشف ولبس الصوف والتكلب في تنوّق^(١) الكلام واللباس وغير ذلك ، ومنهم من يُسرف في الطعن وقُبْح المقال فيهم حتى ينسبهم إلى الزندقة والضلالة ؛ فسألت أن أشرح له من ذلك ما صحّ عندي من أصول مذهبهم المويّد المنوط بمتابعة كتاب الله عز وجل ، والافتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتخلق بأخلاق الصحابة والتابعين ، والتأدّب بأداب عباد الله الصالحين ، وأُقيّد ذلك بالكتاب والأثر بالحجة ، ليحق الحق ويبطل الباطل ، ويُعرّف الجدل من المزل ، والصحيح من السقيم ، ويرتب كل نوع منه في موضعه إذ كان ذلك علماً من علوم الدين ، فأقول وبالله التوفيق .

إن الله تبارك وتعالى ، أحكم أساس الدين ، وأزال الشبهة عن قلوب المؤمنين بما أمرهم به من الاعتصام بكتابه ، والتمسك بما وصل إليهم من خطابه ، إذ يقول جلّ جلاله : « وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا^(٢) » الآية وقال عز وجل : « وَتَمَآوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى » ثم ذكر الله تعالى أفضل المؤمنين درجةً وأعلام في

(١) ترتيبه ونفسقه

(٢) تكملة الآية : « واذكروا نعمه الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ، آل عمران : ١٠٥ »

الدين رتبة فذكروهم بعد ملائكته وشهد على شهادتهم له بالوحدانية بعد ما بدأ بنفسه
 وثنى بملائكته فقال عز وجل : «شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم
 قائماً بالقسط»^(١) ورؤى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «العلماء ورثة الأنبياء» .
 وعندى ، والله أعلم ، أن أولى العلم القائمين بالقسط الذين هم ورثة الأنبياء ، هم
 المعتصمون بكتاب الله تعالى ، المجتهدون فى متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 المقتدون بالصحابة والتابعين ، السالكون سبيل أوليائه المتقين وعباده الصالحين ،
 هم ثلاثة أصناف : أصحاب الحديث ، والفقهاء ، والصوفية ، فهؤلاء هم الأصناف الثلاثة
 من أولى العلم القائمين بالقسط الذين هم ورثة الأنبياء ، وكذلك أنواع العلوم كثيرة :
 فلم الدين من ذلك ثلاثة علوم : علم القرآن ، وعلم الشئ والبيان ، وعلم حقائق الإيمان ،
 وهى العلوم المتداولة بين هؤلاء الأصناف الثلاثة وجملة علوم الدين لا تخرج عن ثلاث :
 آيات من كتاب الله عز وجل ، أو خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو حكمة
 مستنبطة خطرت على قلب ولى من أولياء الله تعالى .

وأصل ذلك حديث الإيمان حيث سأل جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه
 وسلم عن أصول ثلاثة : عن الإسلام والإيمان ، والإحسان الظاهر والباطن ، والحقيقة ،
 فالإسلام ظاهر ، والإيمان ظاهر وباطن ، والإحسان حقيقة للظاهر والباطن ، وهو قول
 للنبي صلى الله عليه وسلم : الأحسان ، أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه
 يراك ، وصدقه على ذلك جبريل ، والعلم مقرون بالعمل ، والعمل مقرون بالإخلاص ،
 والإخلاص أن يريد العبد بعلمه وعمله وجه الله تعالى ؛ وهؤلاء الأصناف الثلاثة فى
 العلم والعمل متفاوتون ، وفى مقاصدهم ودرجاتهم متفاوتون ، وقد ذكر الله تعالى
 تفاضلهم ودرجاتهم فقال عز وجل : «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»^(٢) ، وقال :
 «وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ عَمَلٌ»^(٣) . وقال : «انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ

(١) سورة آل عمران ١ : ١٨

(٢) سورة المائدة : ١١

(٣) الأحقاف . ٤٩

- ٢ « قَلَى بَعْضُ^(١) » ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الناس أَكْفَاءُ متساوون كأشنان المشط^(٢) » ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالعلم والثَّقَى .
- فكل من أشكل عليه أصلٌ من أصول الدين وفروعه وحقوقه وحفائقه وحدوده وأحكامه ظاهراً وباطناً فلا بد له من الرجوع إلى هؤلاء الأصناف الثلاثة : أصحاب الحديث ، والفقهاء ، والصوفية ؛ وكل صنف من هؤلاء مترسم بنوع من العلم والعمل والحقيقة والحال ، ولكل صنف منهم في معناه علم ، وعمل ، ومقام ومقال ، وفهم ، ومكان ، ووقفه ، وبيان علمه من علمه وجهله من جهله ، ولا يبلغ أحد إلى كمال يحوى جميع العلوم والأعمال والأحوال ، وكل واحد فقامه حيث وقفه الله تعالى ومحلّه حيث حبسه الله عز وجل ، وأنا أبين لك من ذلك إن شاء الله تعالى على حسب الطاقة أن كل صنف من هؤلاء بأى نوع من العلم والعمل ترسموا وبأى حال تفاضلوا ، وأيّهم أعلى طبقة بما لا يدفعه عقلك ويحيط به فهمك إن شاء الله تعالى .

باب في نمت طبقات أصحاب الحديث ، ورسمهم في النقل

ومعرفة الحديث ، وتخصيصهم بعله

قال الشيخ رحمه الله : فأما أصحاب الحديث فإنهم تعلقوا بظاهر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : هذا أساس الدين لأن الله تعالى يقول : « وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا » فلما خوطبوا بذلك جوتوا^(١) البلاد ، وطلبوا رِوَاة الحديث ، فلزموم حتى تعلقوا عنهم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجمعوا ما رَوَى عن الصحابة والتابعين ، وضبطوا ما وصل إليهم من سيرهم وآثارهم ومذاهبهم واختلافهم في أحكامهم وأقوالهم وأفعالهم وأخلاقهم وأحوالهم ، ومحموا رواياتهم بسماع الأذن وحفظ القلب والضبط من أصول الثقات عن الثقات المدول عن المدول ، فأنقنوا ذلك ، وعرفوا أما كن الرواة في النقل والضبط ، ودونوا أسماءهم وسكناتهم وموالدهم ووفاتهم ، وأرخوا ذلك حتى عرفوا أن كل رجل من هؤلاء كم من حديث رواه ؟ وعن رواه ؟ وعن نقل إليه ؟ ومن أخطأ منهم في النقل ؟ ومن غلط منهم في زيادة حرف أو نقصان لفظة ، ومن تمعد منهم في ذلك ، ومن سومح له بملطة أو هفوة ، حتى عرفوا أسماء المتهمين منهم بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعرفوا من تصح عنه الرواية ومن لا تصح ، ومن انفرد منهم بحديث لا يرويه غيره ، أو انفرد بلفظة ليست عند غيره ، فحفظوا أن كل حديث من ذلك كم من نفس رواه ؟ وما العلة في ناقله ؟ حتى جمعوا الأبواب ، وبنوا السنن ، وميزوا ما يدخل في الصحيح وما يختلف في صحته ، وما كان في روايته رجل ضعيف ، ووقفوا على رواية المقلين والمكثرين ، وضموا أحاديث أئمة الأمصار ، وطبقات الرواة : التابع من المتبوع ، والكبير من الصغير ،

وأحاط علمهم بكل اختلاف الرواة، وزيلاتهم وقصصاتهم، وأما كنهم، في رواية السنن والآثار، إذ كان ذلك أساس الدين.

وهم في ذلك متفاضلون حتى يستحق أحدهم زيادة علمه وإتقائه وحفظه قبول الشهادة على العلماء في المدل والتجريح، والرد والقبول؛ وتكون شهادته مقبولة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال وقيل وأمر ونهى ونذب ودعا؛ قال الله تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا» أي عدولاً «لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا»^(١)، يقال: إنهم أصحاب الحديث: يشهدون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى الصحابة والتابعين فيما قالوا وفعلوا ويكون الرسول عليكم شهيداً فيما شهدوا عليه من أقواله وأفعاله وأحواله وأخلاقه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: من كذب على متصدأً فليتبوأ مقعده من النار، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «نصر الله وجه امرئ سمع مني حديثاً فبلغه» الحديث. يقال: إنه لا يكون واحد من أصحاب الحديث إلا وفي وجهه نضرة لموضع دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولأصحاب الحديث في معاني علومهم ورسومهم مصنفات ولم أمة مشهورون [كل منهم] قد أجمع أهل عصره على إمامته، لفضل علمه وزيادة عقله وفهمه ودينه وأمانته؛ وشرح ذلك بطول، وفيما ذكرت كفاية لمن علم وبالله التوفيق.

باب ذكر طبقات الفقهاء .

وتخصيصهم بما تسموا به من أنواع العلوم

قال الشيخ أبو نصر رحمه الله : وأما طبقات الفقهاء فإنهم فضلوا على أصحاب الحديث [بقبول علوم أصحاب الحديث] والاتفاق معهم في معاني علومهم ورسومهم .

ثم خُصّوا بالفهم والاستنباط في فقه الحديث والتعمق بدقيق النظر في ترتيب الأحكام وحدود الدين وأصول الشرع ، فبينوا ذلك ، وميزوا الناسخ من المنسوخ ، والأصول من الفروع ، والخصوص من العموم ، بالكتاب والسنة والإجماع والقياس .

وبينوا للخلق في أحكام دينهم من القرآن والأثر ما نسخ حكمه وبقي كتابته ، وما نسخ كتابته وبقي حكمه ؛ وما كان لفظه عاماً والمراد به خاص ، أو كان لفظه خاصاً والمراد به عام ، أو كان خطاب جماعة والمراد به واحد ، أو خطاب واحد والمراد به جماعة ، وتكلموا بالاحتجاجات العقلية على المخالفين ، واستدلوا بالبراهين البينة على أهل الضلالة نصرمة للدين ، وتمسكوا بنص الكتاب ، أو نص السنة ، أو قياس على النص ، أو إجماع الأمة ، وناظروا من خالفهم برسم النظر ، وجادلوا من جادلهم بأدب الجدل ، وعارضوا خصمهم بالمعارضات ، واعترضوا عليهم برد الاعتراضات واطراد العلل في المعلومات ، فوضعوا كل شيء في مواضعه ، ورتبوا كل حد في مراتبه ، وفرقوا بين المقايسة والمشاكلة والمجانسة والمقارنة ، وميزوا في الأوامر والنواهي ما كان منه حتماً وما كان منه ندباً ، وما كان منه ترغيباً وترهيباً ، وما كان [منه] محثوفاً عليه ومدعواً إليه ، فبينوا المشكل ، وحلوا المقد وأوضحوا الطرق ، وأزالوا الشبهات ، وفرعوا على الأصول ، وشرحوا المُجْتَمَل ، وبسطوا المجموع ، وأخفوا

حدود الدين بالاحتياط ، حتى لا يقلد العالم عالماً ، ولا الجاهل جاهلاً ، ولا الخالص خاصاً ، ولا العام عاماً في ظاهر الأحكام وحدود الشريعة .

بهم يحفظ على المسلمين حدودهم ، وقد ذكروا الله تعالى في كتابه فقال عز وجل : « فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ » الآية ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين » .
 وللفقهاء في معاني علومهم ورسومهم أيضاً مصنفات ، ولهم أئمة مشهورون ، قد أجمع أهل عصرهم على إمامتهم ، لزيادة علمهم وفهمهم ودينهم وأمانتهم ، وشرح ذلك يطول ، والماقل يستدل بالقليل على الكثير ، وبالله التوفيق .

باب ذكر الصوفية ، وطبقاتهم

وما ترسموا به من العلم والعمل ، وما خصوا به من الفضائل ، وحسن الشائل

قال الشيخ أبو نصر رحمه الله : ثم إن طبقات الصوفية أيضاً اتفقوا مع الفقهاء وأصحاب الحديث في معتقداتهم وقبلوا علومهم ، ولم يخالفوهم في معانيهم ورسومهم ، إذا كان ذلك مجانباً للبدع واتباع الهوى ، ومنوطاً بالأسوة والافتداء ، وشاركونهم بالقبول والموافقة في جميع علومهم .

ومن لم يبلغ من الصوفية مراتب الفقهاء وأصحاب الحديث في الدراية والفهم ، ولم يحط بما أحاطوا به علماً فإنهم راجعون إليهم في الوقت الذي يشكل عليهم حكم من الأحكام الشرعية أو حدث من حدود الدين ، فإذا اجتمعوا فهم في جلتهم فيما اجتمعوا عليه ، فإذا اختلفوا فاستعجاب الصوفية في مذهبهم الأخذ بالأحسن والأولى والأتم احتياطاً للدين وتمظيلاً لما أمر الله به عباده واجتناباً لما نهاهم الله عنه .

وليس من مذهبهم النزول على الرخص وطلب التأويلات [والميل إلى] الترفه والسمات وركوب الشهات ، لأن ذلك تهاون بالدين ، وتخلف عن الاحتياط ؛ وإنما مذهبهم التمسك بالأولى والأتم في أمر الدين [؛ فهذا الذي عرفنا من مذاهب الصوفية ورسومهم في استعمال العلوم الظاهرة المبذولة المتداولة بين طبقات الفقهاء وأصحاب الحديث .

ثم إنهم [من] بعد ذلك ارتقوا إلى درجات عالية ، وتعلقوا بأحوال شريفة ومنازل رفيعة من أنواع العبادات وحقائق الطاعات والأخلاق الجليلة ، ولهم في معاني ذلك تخصيص لغيرهم من العلماء والفقهاء وأصحاب الحديث وشرح ذلك يطول ، غير أني أبين لك من كل شيء طرّاً حتى تستدل بما أذكره على ما لا أذكره إن شاء الله تعالى .

باب ذكر تخصيص الصوفية بالمعاني التي قد رسموها بها

من الآداب والأحوال والعلوم التي تفرّدوا بها من جملة العلماء

قال الشيخ أبو نصر رحمه الله : فأول شيء من التخصيصات للصوفية وما تفرّدوا بها عن جملة هؤلاء الذين ذكّرهم من بعد أداء الفرائض واجتناب المحارم : ترك ما لا يعنيه ، وقطع كل علاقة تحول بينهم وبين مطلوبهم ومقصودهم ؛ إذ ليس لهم مطلوب ولا مقصود غير الله تبارك تعالى ؛ ثم لم آداب وأحوال شتى ، فمن ذلك : القناعة بقليل الدنيا عن كثيرها ، والاكتفاء بالقوت الذي لا بدّ منه ، والاختصار على ما لا بدّ منه من مهنة الدنيا : من اللبوس ، والمفروش ، والمأكول ، وغير ذلك ؛ واختيار الفقر على الغنى اختياراً ، ومعاينة القلّة ، ومجانبة الكثرة ، وإيثار الجوع على الشبع ، والقليل على الكثير ، وترك النلو والترفع ، وبذل الجاه ، والشفقة على الخلق ، والتواضع للصغير والكبير ، والإيثار في وقت الحاجة إليه ، وأن لا يبالي من أكل^(١) الدنيا . وحسن^(٢) الظن بالله ، والإخلاص في المسابقة إلى الطاعات ، والمسايرة إلى جميع الخيرات ، والتوجه إلى الله تعالى ، والانقطاع إليه ، والمكوف على بلائه والرضا عن قضائه ، والصبر على دوام المجاهدة ومخافة الهوى ، ومجانبة حظوظ النفس ، والمخافة لها ؛ إذ وصفها الله تعالى بأنها أمارّة بالسوء ، والنظر إليها بأنها أعدى عدوك التي بين جنبتك ، كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) لا يبالي بمن يستمتع بها من الترفين أو من يجري وراءها من أصحاب الثراء ، أي

لا ينبطه ولا يحسده ولا ينظر إليه نظره تقدير

(٢) أي ومن آدابهم حسن الظن بالحق .

فصل آخر

ثم إن من آدابهم وشأنهم أيضاً سرعة الأسرار ، ومراقبة تلك الليل ، ومداومة المحافظة على القلوب بنفي الخواطر الفسومة ، ومساكنة الأفكار السليمة التي لا يعلمها غير الله عز وجل ، حتى يعبدوا الله تعالى بقلوب خاشعة ، ومهم جامعة ، ونيات صادقة ، وقصود خالصة ؛ لأن الله عز وجل ، لا يقبل من عبده من أعمالهم إلا ما كان لوجه خالصاً قال الله عز وجل : (أَلَا فِيهِ الْهَيْدُ الْخَالِصُ) (١) .

[فصل آخر]

ومن آدابهم وشأنهم وتخصيصهم أيضاً الاعتراض للحك سبل أولياته ، والنزول في منازل أصفياه ، ومباشرة حقيقة الحقوق بئذ الروح وتلف النفس ، واختيار الموت على الحياة ، وإثبات القلب على العز واستجاب الشدة على الرخاء ؛ طمعاً في الوصول إلى المراد ، وأن لا يريد إلا ما يريد (٢) .

وهذا في أول باد من وادي الحقائق وحقيقة الحقوق ، أما ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث سأل حارثة [قال] : «لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟» [بأنى شيء أجابه] قال : «عرفت نفسي عن الدنيا ، فأسهرت ليلي ، وأعلنت شهري ، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة : كيف يتزاورون ، وإلى أهل النار في النار : كيف يتماورون . قال له النبي صلى الله عليه وسلم : «عرفت فأترجم» . أو كما روى في الحديث . والله أعلم

(١) الزمر : ٣

(٢) أي ما يريد الله .

باب في تخصيص الصوفية من طبقات أهل العلم

في معان آخر من العلم

قال الشيخ [أبو النصر] رحمه الله : وللصوفية أيضاً تخصيص من طبقات أهل العلم باستعمال آيات من كتاب الله تعالى متلوة ، وأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مروية ، ما نستختها آية ، وما رفع حكمها خبر ولا أثر ، يدعو ذلك إلى مكارم الأخلاق ، ويبحث عن معالى الأحوال وفضائل الأعمال ، وينبئ عن مقامات عالية في الدين ، ومنازل رفيعة خص بذلك طائفة من المؤمنين ، وتعلق بذلك جماعة من الصحابة والتابعين ، وذلك آداب من آداب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخلق من أخلاقه إذ يقول صلى الله عليه وسلم : إن الله أدبني فأحسن أدبي ، وإذ يقول الله عز وجل : (وإنك لعلى خلق عظيم) وذلك موجود فى دواوين العلماء والفقهاء . وليس لهم فى ذلك تفقه واستنباط كتفقههم فى سائر العلوم ، وليس لغير الصوفية من أولى العلم الفقهاء بالقسط فى ذلك نصيب غير الإقرار به والإيمان بأنه حق ، وذلك مثل حقائق التوبة وصفاتها ، ودرجات التائبين وحقائقهم ، ودقائق الورع وأحوال الورعين ، وطبقات المتوكلين ، ومقامات الراضين ، ودرجات الصابرين ، وكذلك فى باب الخشية والخضوع ، والمحبة والخوف ، والرجاء والشوق والمجاهدة ، [والإنابة] والطمأنينة : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم)^(١) . واليقين والقناعة . ومدة أحوال أكثر من أن يحصى عددها ؛ ولكل حال من ذلك أهل وطبقات ، ولهم فى ذلك حقائق [ومشاهدات ، وأحوال ومراقبات ، وأسرار واجتهادات ، ومقامات ودرجات متباينات] ، وإرادات متفاوتة ، وتفاضل فى قوة الإرادة ، واعتراض الفترة ، وغلبات الوجد ؛ ولكل واحد من ذلك حد ومقام ، وعلم وبيان ، على مقدار ما قسم له من الله عز وجل .

ومن أعظم النعم التى اختصوا بها دوام المراقبة وهى التحقق بمقام الإحسان .

فصل

والمصوفية أيضاً تخصيص في معرفة الحرص والأمل ودقائقها ، ومعرفة النفس وأماراتها وخواطرها ، ودقائق الرياء والشهوة الخفية والشرك الخفي ، وكيف الخلاص من ذلك ، وكيف وجه الإنابة إلى الله عز وجل ، وصدق الالتجاء ، ودوام الاقتدار والتسليم والتفويض ، والتبري من الحول والقوة .

فصل آخر

والمصوفية أيضاً مستنبطات في علوم مشكلة على فهم الفقهاء والعلماء ، لأن ذلك لطائف مودعة في إشارات لهم تخفي في العبارة من دقتها ولطافتها ؛ وذلك في معنى العوارض والموانئ والملائق والحجب وخبايا السر ومقامات الإخلاص ، وأحوال المعارف وحقائق العبودية ، ومحو السكون بالأزل ، وتلاشي المحدث إذا قورن بالقديم وفناء رؤية الأعواض بقاء رؤية المطلق [بفناء رؤية العطاء] ، وعبور الأحوال والمقامات ، وجمع المتفرقات ، وفناء رؤية القصد ببقاء رؤية المقصود [والإعراض عن رؤية الأعواض] ، وترك الاعتراض ، والهجوم على سلوك سبل منطلسة ، وعبور مفاوز مهلكة .

فالمصوفية مخصوصون من أولى العلم القائمين بالقسط بحل هذه المقادير ، والوقوف على المُشْكل من ذلك ، والممارسة لها بالمنازلة والمباشرة ، والهجوم عليها ببذل التمهيج ، حتى يُخْبَرُوا عن طعمها وذوقها ونقصانها وزيادتها ، ويطلبوا من يدعى حالاً منها بدلائلها ، ويتكلموا في صحيحها وسقيمها ، وهذا أكثر من أن يتهمياً لأحد أن يذكر قليلة ؛ إذ لا سبيل إلى كثيره .

وجميع ذلك موجود علمه في كتاب الله عز وجل ، وفي أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم مفهوم عند أهله ولا ينكره العلماء إذا استبحرنا من ذلك .

زائماً أنكر علم التصوف جماعةً من المترسمين بعلم الظاهر ، لأنهم لم يعرفوا من كتاب الله تعالى ، ولا من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا ما كان في الأحكام الظاهرة وما يصلح للاحتجاج على المخالفين ، والناس في زماننا هذا إما مثل ذلك أميلُ لأنه أقربُ إلى طلب الرياسة واتخاذ الجاه عند العامة والوصول إلى الدنيا .

وقل من تراه يشتغل بهذا العلم الذي ذكرنا ، لأن هذا علم الخصوص ممزوج بالمرارة والغصص ، وسماعه يُضعف الركبتين ، ويُحزن القلب ويُدمع العين ، ويصفر العظيم ويعظم الصغير ، فكيف استعماله ومباشرته ، وذوقه ومنازلته ، وليس للنفس في منازلته حظ ؛ لأنه منوط بأمانة النفوس ، وفقد الحسوس ، ومجانبة المراد ، فمن أجل ذلك ترك العلماء هذا العلم ، واشتغلوا باستعمال علم يُخفف عليهم المؤن ، ويمنحهم على التوسيع والرخص والتأويلات ، وقد يكون أقرب إلى حظوظ البشرية ، وأخف تحملاً على النفوس التي جُبلت على متابعة الحظوظ والمناسفة عن الحقوق ، والله تعالى أعلم .

باب الرد على من زعم أن الصوفية قوم جهلة ، وليس
لهم التصوف دلالة من الكتاب والأثر

قال الشيخ [الإمام أبو نصر] رحمه الله : لا خلاف بين الأئمة في أن الله
تبارك وتعالى ذكر في كتابه الصادقين والصادقات ، والقانتين والقانتات ،
والخاشعين ، والموقنين ، والمخلصين ، والمحسنين ، والخائفين ، والراجين ، والواجلين ،
والعابدين ، والسامعين ، والصابرين ، والراضين ، والمتوكلين ، والمحبتين ، والأولياء ،
والمؤمنين ، والمصطفين ، [والمحبتين] ، والأبرار ، والمقربين .

وقد ذكر الله تعالى المشاهدين فقال : ([أَوَلَمْ يَلْقَ السَّمْعَ] وَهُوَ شَهِيدٌ)^(١) .
وذكر الله المطمئنين فقال : (أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)^(٢) . وذكر الله
تعالى السابقين ، والمقتصدين ، والمسارعين إلى الخيرات

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن من أمتي مكلّين ومحدّثين ، وإن
مُعَرَّ منهم » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « رُبُّ أَشْمَثَ أَغْبَرَ ذِي طَمَرَيْنِ
لو أقسم على الله لأبره ، وإن البراء منهم » . وقال لوابصة : « اسْتَفْتِ قَلْبَكَ »
ولم يقل لأحد غيره ذلك .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يدخل بشفاعتي رجل من أمتي الجنة مثل
ربيعة ومُضَر ، يقال له أُوَيْسُ الْقَرْنِي » وفي الحديث : إن في أمتي من إذا قرأ
رَبِّتَ أَنَّهُ يَخْشَى اللَّهَ تَعَالَى ، وإن طلق بن حبيب منهم ، وقول النبي صلى الله
عليه وسلم : « يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بلا حساب ، قيل : من هم
يا رسول الله ؟ قال : هم الذين لا يكتبون ولا يَشْتَرِقُونَ وعلى ربهم يتوكلون »
والآثار والأخبار في مثل هذا تكثر .

ولا خلاف أن هؤلاء كلهم في أئمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولو لم يكونوا في الأمة موجودين ، واستحال كونهم في كل وقت ، لم يذكرهم الله تعالى في كتابه ، ولم يصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما رأينا أن اسم الإيمان قد شمل جميع المؤمنين ، وأفرد هؤلاء بأسماء مختصة من ذلك ، دل ذلك على تخصيصهم من عامة المؤمنين الذين شملهم اسم الإيمان ، ولا يختلف أحد من الأئمة في أن الأنبياء عليهم السلام الذين هم أعلى درجة من هؤلاء ، وأقرب منزلة عند الله تعالى منهم ، أنهم كانوا بشراً يجرى عليهم ما يجرى على سائر البشر من الأكل والنوم والحوادث .

ولما وقع التخصيص للأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، وسائر هؤلاء الذين ذكرتهم لسيرتهم وبين محبودهم ، ولزيادة يقينهم وإيمانهم بما خاطبهم الله تعالى به وندبهم إليه ، إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنهم ينفردون عن هؤلاء بتخصيص الوحي والرسالة ودلائل النبوة ، فلا يجوز لأحد أن يزاحمهم في ذلك ، والله أعلم .

باب في ذكر اعتراض الصوفية على المتفقه ، وبيان الفقه

في الدين ، ووجه ذلك بالحجة

قال الشيخ [أبو نصر] رحمه الله : روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » وبلغني عن الحسن البصري رحمه الله : أنه قيل له : فلان فقيه ، فقال الحسن : وهل رأيت فقيهاً قط ؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا ، الراغب في الآخرة ، البصير بأمر دينه . وقول الله تعالى : « لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ » ^(١) فالدين اسم يشتمل على جميع الأحكام ظاهراً وباطناً .

وليس التفقه في أحكام هذه الأحوال ومعاني هذه المقامات التي تقدم ذكرها بأقل فائدة من التفقه في أحكام الطلاق والعتاق والظهار والقصاص والقسامة والحدود ، لأن تلك أحكام ربما لا تقع في العمر حادثة تحتاج إلى علم ذلك ، فإذا وقعت تلك الحادثة فن سأل عنها قَدَّ في ذلك ، وأخذ بقول بعض الفقهاء ، فقد سقط عنه فرض ذلك إلى أن تقع به حادثة أخرى ؛ وهذه الأحوال والمقامات والمجاهدات التي يتفقه فيها الصوفية ويتكلمون في حقائقها . فالؤمنون مفتقرون إلى ذلك ، ومعرفة ذلك واجبة عليهم ، وليس لذلك وقت مخصوص دون وقت ، وذلك مثل الصدق والإخلاص والذكر ومجانبة الغفلة وغير ذلك ليس لها وقت معلوم ، بل يجب على العبد في كل لحظة وخطرة أن يعلم ايش قصده وإرادته وخطره ، فإن كان حقا من الحقوق فواجب عليه أن يلزمه ، وإن كان خطأ من الخطوط فواجب عليه بمجانبته ؛ قال الله تعالى لنبيه وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم : « وَلَا تَطِغْ مَنْ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا » ^(٢) فمن ترك حالا من هذه الأحوال ما تركها إلا من غلبة الغفلة على قلبه .

واعلم أن مستنبطات الصوفية في معاني هذه العلوم ومعرفة دقائقها وحقائقها ينبغي أن تكون أكثر من مستنبطات الفقهاء في معاني أحكام الظاهر ، لأن هذا العلم ليس له نهاية ، لأنه إشارات وبوادر وخواطر وعطايا وهبات يغرفها أهلها من بحر العطاء ، وسائر العلوم لها حدٌ محدود ، وجميع العلوم يؤدّي إلى علم التصوف ، [وعلم التصوف لا يؤدّي إلا إلى نوع من علم التصوف] وليس له نهاية ، لأن المقصود ليس له غاية ، وهو علم الفتوح يفتح الله تعالى على قلوب أوليائه في فهم كلامه ومستنبطات خطابه ما شاء كيف شاء ، قال الله عز وجل : (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَاداً)^(١) . وقال : (إِنِّي شَكَرْتُكُمْ لَا زَيْدَ نَسَمُ)^(٢) ، والزيادة من الله تعالى لا نهاية لها ، والشكر نعمة تستوجب شكراً مستوجباً لمزيد لا نهاية له ، وبالله التوفيق .

باب ذكر التخصيص في علوم الدين وتخصيص كل علم
بأهله ، والرد على من أنكر علماً برأيه ولم يدفع ذلك
إلى أهله وإلى من يكون ذلك من شأنه

قال الشيخ [الإمام أبو نصر] رحمه الله : أنكرت جماعة من العلماء أن يكون
في علم الشريعة تخصيص ، ولا خلاف بين [هذه] الأمة في أن الله تعالى أمر رسوله
صلى الله عليه وسلم بإبلاغ ما أنزل عليه فقال : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ
إِلَيْكَ [مِنْ رَبِّكَ]) ^(١) .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً
وابكيتم كثيراً » فلو كان الذي علم مما لا يعلمون من العلوم التي أمره بالإبلاغ لأبلغ
ولو جاز لأصحابه أن يسألوه عن ذلك العلم لسألوه .

ولا خلاف بين أهل العلم أن في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان
مخصوصاً بنوع من العلم ، كما كان حذيفة مخصوصاً بعلم أسماء المنافقين كان قد أسره
إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كان يسأله عُمَرُ رضي الله عنه فيقول :
هل أنا منهم ؟

وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : « علمني رسول الله صلى
الله عليه وسلم سبعين باباً من العلم لم يعلم ذلك أحداً غيري » .
وقد ذكر هذا الباب بتمامه في آخر الكتاب والمراد من تكراره هاهنا أن العلم
الثابت بين أصحاب الحديث ، والفقهاء ، والصوفية ، هو علم الدين .

ولكل صنف من أهل العلم في علمه دواوين ومصنفات [وكتب]
وأقوال ، ولكل صنف منهم أئمة مشهورون قد أجمع أهل عصرهم على إمامتهم ،
لزيادة علمهم وفهمهم .

ولا خلاف في أن أصحاب الحديث إذا أشكل عليهم علم من علوم الحديث وعِلَل الأخبار ومعركة الرجال لا يرجعون في ذلك إلى الفقهاء ، كما أن الفقهاء لو أشكل عليهم مسألة في الخَلْيَةِ والْبَرِّيَّة والدور والوصايا لا يرجعون في ذلك إلى أصحاب الحديث ، وكذلك من أشكل عليه علم من علوم هؤلاء الذين تكلموا في مواجيد القلوب ومواريث الأسرار ومعاملات القلوب ، ووصفوا العلوم واستنبطوا في ذلك بإشارات لطيفة ومعانٍ جلية فليس له أن يرجع في ذلك إلا إلى عالم ممن يكون هذا شأنه ، ويكون ممن قد مارس هذه الأحوال ونازلها واستبحث عن علومها ودقائقها ، فمن فعل غير ذلك فقد أخطأ ، وليس لأحد أن يبسط لسانه بالوقية في قوم لا يعرف حالهم ، ولم يعلم عنهم ولم يقف على مقاصدهم ومراتبهم فيهلك ويفتن أنه من الناصحين ، أعاذنا الله تعالى وإياكم .

باب الكشف عن اسم الصوفية

وَلَمْ يُسَمَّوْا بِهَذَا الْاِسْمِ ، وَلَمْ نَسْبُوا إِلَى [هَذِهِ] اللَّبْسَةِ

قال الشيخ رحمه الله : إن سأل سائلٌ فقال : قد نسبت أصحاب الحديث إلى الحديث ، ونسبت الفقهاء إلى الفقه فلم قلت : الصوفية ولم تنسبهم إلى حال ولا إلى علم ، ولم تُصِفْ إليهم حالا كما أضفت الزهد إلى الزهاد والتوكل إلى المتوكلين والصبر إلى الصابرين ؟ فيقال له : لأن الصوفية لم ينفردوا بنوع من العلم دون نوع ، ولم يتسموا برسم من الأحوال والمقامات دون رسم ، وذلك لأنهم معدن جميع العلوم ، ومحل جميع الأحوال المحسودة ، والأخلاق الشريفة ، سالفاً ومستأنفاً ، وهم مع الله تعالى في الانتقال من حال إلى حال ، مستجلبين للزيادة ؛ فلما كانوا في الحقيقة كذلك لم يكونوا مستحقين اسماً دون اسم ، فلا أجل ذلك ما أضفت إليهم حالا دون حال ، ولا أضفتهم إلى علم دون علم ، لأنني لو أضفت إليهم في كل وقت حالا [هو] ما وجدت الأغلب عليهم من الأحوال والأخلاق والعلوم والأعمال وسميتهم بذلك ، لكان يلزم أن أسميهم في كل وقت باسم آخر ، وكنت أضيف إليهم في كل وقت حالا دون حال على حسب ما يكون الأغلب عليهم ، فلما لم يكن ذلك نسبتهم إلى ظاهر^(١) اللبسة ، لأن لبسة الصوف دأب الأنبياء عليهم السلام وشعار الأولياء والأصفياء ، ويكثر في ذلك الروايات والأخبار ، فلما أضفتهم إلى ظاهر اللبسة كان ذلك اسماً

(١) هل الصوفية إلى الصوف ؟ ذلك ماختلف فيه مؤرخو التصوف فبعضهم بنسبها إلى الصوف وبعضهم يرجعها إلى « الصفة » وآخرون يرجعونها إلى الصفاء ويريد بعض المتأخر أن ينسبها إلى كلمة : « سيوزوفي » التي تعني الإشراف وسيدكر المؤلف بعض هذه الآراء فيما بعد

مُجْمَلاً عَامًّا مَخْبِراً عَنْ جَمِيعِ الْعُلُومِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَحْوَالِ الشَّرِيفَةِ الْحَمُودَةِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ طَائِفَةً مِنْ خَوَاصِّ أَصْحَابِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامِ فَنَسَبَهُمْ إِلَى ظَاهِرِ اللَّبْسَةِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : «وَإِذْ قَالَ الْخَوَارِثِيُّونَ» [الآية] (١)

وَكَانُوا قَوْمًا يَلْبَسُونَ الْبَيَاضَ فَنَسَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى ذَلِكَ وَلَمْ يَنْسَبَهُمْ إِلَى نَوْعٍ مِنَ الْعُلُومِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَحْوَالِ الَّتِي كَانُوا بِهَا مَتَرَعِينَ ؛ فَكَذَلِكَ الصَّوْفِيَّةُ عِنْدِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

نَسَبُوا إِلَى ظَاهِرِ اللَّبَاسِ ، وَلَمْ يَنْسَبُوا إِلَى نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْأَحْوَالِ الَّتِي هُمْ بِهَا مَتَرَعُونَ ؛ لِأَنَّ لِبْسَ الصَّوْفِ كَانَ دَأْبَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالصَّدِيقِينَ وَشُعَارَ [الْمَسَاكِينِ] الْمُتَنَسِّكِينَ .

باب الرد على من قال :

لم نسمع بذكر الصوفية في القديم وهو اسم مُحدث

إن سأل سائلٌ فقال : لم نسمع بذكر الصوفية في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم أجمعين ، ولا فيمن كان بعدهم ، ولا نعرف إلا العباد والزهاد والسيّاحين والفقراء ؛ وما قيل لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : صوفيٌّ ، فنقول وبالله التوفيق :

الصُّحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لها حرمة ، وتخصيص من شمله ذلك ، فلا يجوز أن يطلق عليه اسم على أنه أشرف من الصُّحبة ، وذلك لشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرمة ، ألا ترى أنهم أئمة الزهاد والعباد والمتوكلين والفقراء والراضين والصابرين والمحبتين ، وغير ذلك ، وما نالوا جميع ما نالوا إلا ببركة الصُّحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما نُسبوا إلى الصُّحبة التي هي أجلُّ الأحوال استحال أن يفضلوا بفضيلة غير الصُّحبة التي هي أجلُّ الأحوال وبالله التوفيق .

وأما قول القائل : إنه اسم محدث أحدثه البغداديون ، فقال ، لأن في وقت الحسن البصري رحمه الله كان يُعرف هذا الاسم ، وكان الحسن قد أدرك جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم ، وقد روى عنه أنه قال : رأيتُ صوفيًّا في الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذه وقال : معي أربعة دنانير فيكفيني ما معي .

وروى عن صفيان الثوري رحمه الله أنه قال : لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء ، وقد ذكر في الكتاب الذي جُمع فيه أخبار مكة عن محمد بن إسحاق بن يسار ، وعن غيره يذكر فيه حديثاً : أنه قبل الإسلام قد

خلت مكة في وقت من الأوقات ، حتى كان لا يطوف بالبيت أحد ، وكان يحىء من بلد بعيد رجل صوفى فيطوف بالبيت وينصرف ؛ فإن صح ذلك فإنه يدل على أنه قبل الإسلام كان يعرف هذا الاسم ، وكان يُنسب إليه أهل الفضل والصلاح ، والله أعلم .

باب إثبات علم الباطن

والبيان عن صحة ذلك بالحجة

قال الشيخ رحمه الله : أنكرت طائفة من أهل الظاهر وقالوا : لا نعرف إلا علم الشريعة الظاهرة التي جاء بها الكتاب والسنة ، وقالوا : لا معنى لقولكم علم الباطن وعلم التصوف ، فنقول ، وبالله التوفيق .

إن علم الشريعة علم واحد ، وهو اسم واحد يجمع معنيين : الرواية والدراية ؛ فإذا جمعتما فهو علم الشريعة الداعية إلى الأعمال : الظاهرة والباطنة ، ولا يجوز أن يجرّد القول في العلم : أنه ظاهر أو باطن ؛ لأن العلم متى ما كان في القلب فهو باطن فيه إلى أن يجرى ويظهر على اللسان ؛ فإذا جرى على اللسان فهو ظاهر ، غير أننا نقول :

إن العلم : ظاهر ، وباطن ، وهو علم الشريعة الذي يدل ويدعو إلى الأعمال الظاهرة والباطنة ، والأعمال الظاهرة كأعمال الجوارح الظاهرة ، وهي العبادات والأحكام ، مثل الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وغير ذلك ؛ فهذه العبادات ، وأما الأحكام فالحدود والطلاق والعقاق والبيع والفرائض والقصاص وغيرها ، فهذا كله على الجوارح الظاهرة التي هي الأعضاء ، وهي الجوارح ، وأما الأعمال الباطنة فكأعمال القلوب وهي المقامات والأحوال ، مثل التصديق والإيمان واليقين والصدق والإخلاص والمعرفة والتوكل والحجة

والرضا ، والذكر ، والشكر ، والإنابة ، والخشية ، والتقوى ، والمراقبة ، والفكرة ، والاعتبار ، والخوف ، والرجاء ، والصبر ، والقناعة ، والتسليم ، والتفويض ، والقرب ، والشوق ، والوجد ، والوجل ، والحزن ، والندم ، والحياء ، والنجل ، والتعظيم ، والإجلال ، والهيبة ، ولكل عمل من هذه الأعمال الظاهرة والباطنة علمٌ وفقه وبيان وفهم وحقيقة ووجد ، ويدل على صحة كل عمل منها من الظاهر والباطن آيات من القرآن وأخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم علمه من علمه وجهله من جهله ؛ فإذا قلنا : علم الباطن أردنا بذلك علم أعمال الباطن التي هي على الجارحة الباطنة ، وهي القلب ، كما أنا إذا قلنا : علم الظاهر أشرنا إلى علم الأعمال الظاهرة التي هي على الجوارح الظاهرة ، وهي الأعضاء ، وقد قال الله تعالى : « وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً »^(١) فالنعمة الظاهرة ما أنعم الله تعالى بها على الجوارح الظاهرة من فعل الطاعات ، والنعمة الباطنة ما أنعم الله تعالى بها على القلب من هذه الحالات ، ولا يستغنى الظاهر عن الباطن ، ولا الباطن عن الظاهر ، وقد قال الله عز وجل : « وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ »^(٢) ؛ فالعلم المستنبط هو العلم الباطن ، وهو علم أهل التصوف ، لأن لهم مستنبطات من القرآن والحديث وغير ذلك ، ونحن نذكر إن شاء الله طرفاً من ذلك ؛ فالعلم ظاهر وباطن ، والقرآن ظاهر وباطن ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر وباطن ، والإسلام ظاهر وباطن ، ولأصحابنا في معنى ذلك استدلالات واحتجاجات من الكتاب والسنة والعقل ، وشرحه يطول ويخرج على حد الاختصار إلى حد الإكثار ، وفيما قلنا كفاية ، وبالله التوفيق .

(١) لقمان : ٢٠

(٢) النساء : ٨٣

باب التصوف : ماهو ونعمته وماهيته ؟

قال الشيخ رحمه الله : فأما التصوف ونعمته وماهيته فقل سُئِلَ محمد بن علي القصاب ، وهو أستاذ الجنيد رحمه الله عن التصوف : ماهو ؟ قال : أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام .
وسُئِلَ الجنيد رحمه الله عن التصوف ، فقال : أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة .

وسُئِلَ رُوَيْم بن أحمد رحمه الله عن التصوف ، فقال : استرسال النفس مع الله تعالى على مايريد .

وسُئِلَ سمنون رحمه الله عن التصوف ، فقال : أن لا تملك شيئاً ، ولا يملكك شيء .
وسُئِلَ أبو محمد الجربري رحمه الله عن التصوف ، فقال : الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني .

وسُئِلَ عمرو بن عثمان المسكي رحمه الله عن التصوف ، فقال : أن يكون العبد في كل وقت بما هو أولى في الوقت .
وسُئِلَ علي بن عبد الرحيم القناد رحمه الله عن التصوف ، فقال : نشر مقام واتصال بدوام .

باب صفة الصوفية ، ومن م

قال الشيخ رحمه الله : وأما صفة الصوفية ومن م : فقد قيل لعبد الواحد بن زيد ، كما بلغني ، وكان ممن يصحب الحسن رحمه الله . وكان من أجلة أصحابه : من الصوفية عندك ؟ فقال : القائمون بعقولهم على همومهم والمالكفون عليها بقلوبهم ، المعتصمون بسيدهم من شر نفوسهم ، هم الصوفية .

وسُئِلَ ذو النون المصري رحمه الله عن الصوفي ، فقال : هو الذي لا يتعبه طلب

ولا يزجه سلب ، وقال أيضاً ؛ هم قوم آثروا الله تعالى على كل شيء فآثروا الله على كل شيء .

وقيل لبعضهم : من أحب ؟ فقال : اصحب الصوفية ، فإن للقبسح عندهم وجوهاً من الماذير ، وليس للكثير عندهم موقع فيرفضوك به فتعجب نفسك .

وسئل الجنيد بن محمد رحمه الله عن الصوفية : من هم ؟ فقال : أئمة الله في خلقه يخفيها إذا أحب ويظهرها إذا أحب .

وقيل لأبي الحسين أحمد بن محمد النوري رحمه الله : من الصوفي ؟ فقال : من سمع السماع وآثر بالأسباب .

وأهل الشام يسمون الصوفية فقراء ، ويقولون قد سماهم الله تعالى فقراء فقال : « لَافُقَرَاءَ الْمَاهِجِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ » ^(١) وقوله تعالى : « لَافُقَرَاءَ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » ^(٢) .

وقيل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن يحيى الجلاء رحمه الله مامعنى الصوفي ؟ قال : ليس نعرفه في شرط العلم ، ولكن نعرف فقيراً مجرداً من الأسباب كان مع الله عز وجل بلا مكان ولا يمنه الحق من علم كل مكان سمي صوفياً .

وقد قيل : كان في الأصل صفوى فاستثقل ذلك فقيل : صوفى .

وسئل أبو الحسن القناد رحمه الله عن معنى الصوفي فقال : مأخوذ من الصفاء وهو القيام لله عز وجل في كل وقت بشرط الوفاء .

وقال بعضهم : من إذا استقبله حالان أو خلقات حسنان فيكون مع الأحسن والأعلى .

(١) تسكئة الآية : « وأموالهم ينتفون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله

أولئك هم الصادقون » ٢٢ الحشر : ٨

لضعف

(٢) تسكئة الآية : « لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التصوف

قترفهم بسياهم لا يسألون الناس إلحافاً وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم » البقرة ٢٧٤

٢٧٢

وسئل آخر عن معنى الصوفى فقال : معناه أن العبد إذا تحقق بالعبودية وصافاه الحق حتى صفا من كدر البشرية نزل منازل الحقيقة وقارن أحكام الشريعة ، فإذا فعل ذلك فهو صوفى^٢ ، لأنه قد صوفى .

قال الشيخ رحمه الله : فإذا قيل لك : الصوفية من هم فى الحقيقة ؟ صفهم لنا فقل : هم العلماء بالله وبأحكام الله ، العاملون بما علمهم الله تعالى ، المتحققون بما استعملهم الله عز وجل ، الواجدون بما تحققوا ، القانون بما وجدوا ، لأن كل واحد قد فنى بما وجد .

وقال القناد رحمه الله : التصوف اسم قد وقع على ظاهر اللبسة ، وهم متفاوتون فى معانيهم وأحوالهم .

وسئل الشبلى رحمه الله : لم سُميت الصوفية بهذا الاسم ؟ فقال : لُبَيَّا بقيت عليهم من نفوسهم ، ولولا ذلك لما لافَت بهم الأسماء ، ولا تملكت بهم . وقد قيل أيضاً : إن الصوفية هم بقية من بقايا أهل الصفّة .

وأما من قال : إنه اسم واقع على ظاهر اللبسة فقد رُوى فى ذلك أخبار فى ذكر من لبس الصوف ، واختار لبسه من الأنبياء والصالحين وذكره بطول .

وقد أجاب عن التصوف : ما هو ؟ جماعة بأجوبة مختلفة ، منهم إبراهيم بن المولى الرقى ، قد أجاب عنها بأكثر من مائة جواب ، وفيما ذكرناه كفاية ؛ وقد قال على بن عبد الرحيم القناد رحمه الله فى التصوف واندراس أهله شعراً :

أَهْلُ التَّصَوُّفِ قَدْ مَضَوْا سَارَ التَّصَوُّفِ نَحْرَةً
سَارَ التَّصَوُّفِ صِيَحَّةٌ وَتَوَاجُدًا وَمُطَبَّعَةٌ
مَضَتْ الْمُلُومُ فَلَا عُلُومَ وَلَا قُلُوبَ مُشْرِقَةً
كَذَبَتْكَ نَفْسُكَ لَيْسَ ذَا سَنَنِ الطَّرِيقِ الْمُخْلَقَةِ
حَتَّى تَكُونَ بِعَيْنَيْنِ مِنْ عَنَةِ الْعِيُونِ الْمُخْدَعَةِ
تَجْرِي عَلَيْكَ صُرُوفُهُ وَهُومُ سِرِّكَ مُطَسَّرَةً

ولبعض المشايخ في التصوف ثلاثة أجوبة : جواب بشرط العلم ، وهو تصفية
القلوب من الأكدار ، واستعمال الخلق مع الخليفة ، واتباع الرسول في الشريعة ،
وجواب بلسان الحقيقة ، وهو عدم الأملاك ، والخروج من رِق الصفات والاستغناء
بمخالق السموات ، وجواب بلسان الحق ، أصفاهم بالصفاء عن صفاتهم ، وصفاهم من
صفاتهم ، فسموا صوفية .

وقلت للحصري رحمه الله : من الصوفي عندك ؟ قال : الذي لا تقله الأرض
ولا تظله السماء ، معناه : أنه ، وإن كان على الأرض وتحت السماء فاقه عز وجل الذي
يقله بالأرض ويظله بالسماء ، لا السماء ولا الأرض .

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يقول أي أرض تغلفي ؛ وأي سماء
تظفوني ؛ إذا قلت في كتاب الله عز وجل برأي

باب التوحيد ، وصفة الموحّد ، وحقيقته ، وكلامهم في معنى ذلك

قال الشيخ رحمه الله : بلغني عن يوسف بن الحسين الرازي رحمه الله أنه قال : قام رجل بين يدي ذي النون المصري رحمه الله فقال : خبرني عن التوحيد : ما هو ؟ قال : هو أن تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج ، وصنعه للأشياء بلا علاج ، وعلمه كل شيء صنعه ولا علة لصنعه ، وإيس في السموات العلى ولا في الأرضين السفلى مدبر غير الله تعالى ، ومهما تصور وهمك فالله تعالى بخلاف ذلك ، أو قال غير ذلك .

وقال الجنيد رحمه الله ، وقد سئل عن التوحيد ، فقال : إفراد الموحّد بتحقيق وحدانيته بكامل أحديته بأنه الواحد الذي لم يلد ولم يولد بنى الأضداد والأنداد والأشباه وما عُبد من دونه ، بلا تشبيه ولا تكيف ولا تصوير ولا تمثيل ، إلهاً واحداً صمداً فرداً ليس كمثل شيء . وهو السميع البصير .

وسئل جنيد رحمه الله عن التوحيد مرة أخرى ، فقال : معنى تضمحل فيه الرسوم وتندرج فيه العلوم ، ويكون الله تعالى كما لم يزل .

قال أبو نصر رحمه الله : فالجوابان اللذان لدى النون والجنيد رحمهما الله في التوحيد هما ظاهران ، أجابا عن توحيد العام ، وهذا الجواب الذي ذكرناه أشار إلى توحيد الخاصة .

وقد سئل الجنيد رحمه الله عن توحيد الخاصة ، فقال : أن يكون العبد شعباً بين يدي الله عز وجل تجري عليه تصارييف تديره في مجارى أحكام قدرته في لُجج بحار توحيده بالغناء عن نفسه وعن دعوة الخلق له وعن استجابته بمقتضى وجسود وحدانيته في حقيقة قربه بذهاب حسو حركته ، قيام الحق له فيما أراد منه ، وهو أن يرجع آخر العبد إلى أوله ، فيكون كما كان قبل أن يكون ؛ وقال أيضاً . التوحيد هو الخروج من ضيق رسوم الزمانية إلى سعة فناء السرمدية .

فإن قال قائلٌ : مامعنى قوله : يرجع آخر العبد إلى أوله فيكون كما كان قبل أن يكون ، فيقول : بيان ذلك فيما قال الله عز وجل : « وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ . الْآيَةُ (١) »

قال الجنيد رحمه الله في معنى ذلك : فمن أين كان وكيف كان قبل أن يكون ؟ وهل أجابت إلا الأرواح الظاهرة بإقامة القدرة وإنفاذ المشيئة ؟ فهو الآن في الحقيقة كما كان قبل أن يكون ، وهذا غاية حقيقة التوحيد للواحد : أن يكون العبد كما لم يكن ، ويبقى الله تعالى كما لم يزل ؛ قال رجل للشبلي رحمه الله ، واسمه ذُلف بن جَعْدَر : يا أبا بكر أخبرني عن توحيد مجرد بلسان حق مفرد ، فقال : ويحك ! من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو مُلحد ، ومن أشار إليه فهو ثَنَوِي ، ومن سكت عنه فهو جاهل ، ومن وهم أنه واصلٌ فليس له حاصلٌ ، ومن أوما إليه فهو عابد وثَنٍ ، ومن نطق فيه فهو غافل ، ومن ظن أنه قريب فهو بعيد ، ومن تواجد فهو فاقِد ، وكلما ميزتموه بأوهامكم وأدركتموه بمقولكم في أتم معانيكم فهو مصروف مردود إليكم محدث مصنوع مثلكم . وإن أخذنا في شرح ما قال الشبلي رحمه الله كما يجب فيطول ذلك ، ولكن على الإيجاز والاختصار كأنه يريد بما أجاب عن التوحيد : إفراد القديم عن المُحدث ، وأن ليس للخلق طريق إلا ذكره ووصفه ونعته ، على مقدار ما أبدى إليهم ورسم لهم .

قال الشيخ رحمه الله : ووجدت ليوسف بن الحسين في التوحيد ثلاث أجوبة : جواب منها في توحيد العامة ؛ وهو الانفراد بالوحدانية بذهاب رؤية الأضداد والأنداد والأشباه الأشكال مع السكون إلى معارضة الرغبة والرغبة بذهاب حقيقة التصديق لأنه بقاء حقيقة التصديق لا يسكن إلى معارضة الرغبة والرغبة .

(١) التكملة : وأشهدهم على أنفسهم ألسنتهم قلوبهم شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين : الأعراف : ١٧٢ .

والجواب الثاني : توحيد أهل الحقائق على الظاهر ، وهو الإقرار بالوحدانية بذهاب رؤية الأسباب والأشياء بإقامة الأمر والنهي في الظاهر والباطن بإزالة معارضة الرهبة والرغبة مما سواء بقيام شواهد الحق مع قيام شواهد الدعوة والاستجابة ، فإن قيل : ما معنى قوله : إزالة معارضة الرهبة والرغبة وهما حقان ؟ فيقال : هما حقان ، هما في موضعهما كما هما ، ولكن قهرهما سلطان الوحدانية كما قهر سلطان ضوء الشمس ضوء الكواكب وهي في مواضعها .

والجواب الثالث : توحيد الخاصة ، وهو أن يكون العبد بسره ووجده وقلبه كأنه قائم بين يدي الله عز وجل تجري عليه تصارييف تديره ، وتجري عليه أحكام قدرته في بحار توحيده بالقضاء عن نفسه وذهاب حسه بقيام الحق له في مراده منه ، فيكون كما كان قبل أن يكون يعني في جريان أحكام الله عليه وإنفاذ مشيئته فيه . وبيان ذلك كما قال الجنيد رحمه الله في قوله عز وجل : «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ» الآية وقد ذكرناه .

قال الشيخ رحمه الله : ولم في حقيقة التوحيد لسان آخر ، وهو لسان الواجدين ؛ وإشارتهم في ذلك تبعد عن الفهم ونحن نذكر من ذلك طرقاتاً كما يمكن شرحه ، وهذا العلم أكثره إشارة لا تخفى على من يكون أهله ، فإذا صار إلى الشرح والعبارة يخفى ويذهب رونقه ، وإنا دعائي إلى شرحه لأني وضعت في الكتاب ، والكتاب ربما ينظر فيه من يفهم ومن لا يفهم فيهلك ، وهو مثل قول رؤيم بن أحمد بن يزيد البغدادي رحمه الله ، حين سئل عن التوحيد ، قال : محو آثار البشرية ، وتجرد الألوهية ، وإنا يريد بقوله : محو آثار البشرية تبديل أخلاق النفس ، لأنها تدعى الربوبية بنظرها إلى أفعالها ، كقول العبد : أنا وأنا ، لا يقول إلا الله ، إذ الإنسية لله عز وجل ، فهذا معنى محو آثار البشرية ، ومعنى قوله تجرد الألوهية يعني إفرااد القديم عن المحدثات .

وقال آخر التوحيد نسيان ما سوى التوحيد بالتوحيد ، يعني فيما يوجب 'حكم الحقيقة ؛ وقال : الوجدانية بقاء الحق بفناء كل مادون ، يعني : فناء يوجب فناء ، يوجب 'حكم الحقيقة ، وقيل : الوجدانية بقاء الحق وفناء كل ما دونه ، يعني : فناء العبد عن ذكر نفسه وقلبه بدوام ذكر الله تعالى وتعظيمه .

وقال آخر : ليس في التوحيد خلق ، وما وحد الله غير الله ، والتوحيد للحق من الخلق طُفَيْلِي ، قلنا : وبيان ذلك وما أشار إليه هؤلاء ، والله أعلم في قول الله تعالى : (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمٌ بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ^(١)) فقد شهد لنفسه بالوجدانية قبل الخلق لحقيقة التوحيد من حيث الحق ما شهد الله لنفسه بالوجدانية قبل الخلق ، ومن حيث الخلق فقد وحدوه حقيقة ووجداً على مقدار ما قسم لهم وأرادهم بذلك ، وهو قوله تعالى : «وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ» وأما من طريق الإقرار فأهل القبلة متساوون فيها ، والمحول على ما في القلب لا على ما في اللسان ، وقد قال الشبلي رحمه الله : ما شئ روائح التوحيد من تصور عنده التوحيد وشاهد المعاني وأثبت الأسامي وأضاف الصفات وألزم النعوت ، ومن أثبت هذا كله ونفى هذا كله فهو موحد حكماً ورسماً لا حقيقة ووجداً .

قال الشيخ رحمه الله : معناه والله أعلم : أنه يثبت الصفات والنعوت على رسم ما رسم له من ذلك ، ولا يثبتها من حيث الإدراك والإحاطة^(٢) والتوهم . وقال غيره من العارفين : أما التوحيد : فهو الذي يُعَمَّى البصير ، و يحير العاقل ، ويُدهش الثابت .

قلت : لأنه من تحقق بذلك وجد في قلبه من عظمة الله تعالى وهيبته ما يدهشه ويحير عقله إلا من يُثَبِّته الله تعالى .

(١) آل عمران : ١٨

(٢) في نسخة أخرى والتفهم

وقال أبو سعيد أحمد بن عيسى انظر آزارحه الله :

أول مقام لمن وجد علم التوحيد وحقق بذلك : فناء ذكر الأشياء عن قلبه وانفراذه بالله عز وجل .

وقال ، أيضاً : أول علامة التوحيد : خروج العبد عن كل شيء ، ورد جميع الأشياء إلى متوليها ، حتى يكون المتولى بالتولى ناظراً إلى الأشياء قائماً بها متمكناً فيها ، ثم يخفيهم في أنفسهم من أنفسهم ، ويميت أنفسهم في أنفسهم ويصطنعهم لنفسه . فهذا أول دخول في التوحيد من حيث ظهور التوحيد بالعمومية .

قال : وبيان ذلك ، والله أعلم : فناء ذكر الأشياء بذكر الله تعالى ؛ ومعنى خروجه عن كل شيء يعني لا يضيف إلى نفسه واستطاعته شيئاً ، ويرى قوام الأشياء بالله في الحقيقة لا بهم ، ومعنى قوله : حتى يكون المتولى بالتولى ناظراً إلى الأشياء قائماً بها يشير إلى توالي الحق له وما يستولى عليه من حقائق التوحيد ، حتى يرى قوام الأشياء بالله عز وجل لا بذواتها ، ألا ترى إلى قول القائل :

وفي كل شيء له شاهد يدل على أنه واحد

وأما قوله : « متمكناً فيها » يريد بذلك أن العلوين لا يجري عليه في نظره إلى الأشياء ؛ فإن قوامها بالله عز وجل ، ثم قال : « يخفيهم في أنفسهم من أنفسهم ، ويميت أنفسهم في أنفسهم » ، يعني لا يحسون حساً ، ولا يلاحظون حركة من حركاتهم الظاهرة والباطنة يوماً إليها في الحقيقة إلا وهي منطسة تحت سلطان القدرة وإفاد المشيئة ، وإن أضيفت إلى المضاف إليه .

وقال الشبلي ، رحمه الله لرجل : تدري لم لا يصح لك التوحيد ؟

قال : لا .

قال : لأنك تطلبه بياك .

وقال ، أيضاً : لا يصح التوحيد إلا لمن كان جحدُهُ إثباتَهُ ، فستل عن الإثبات فقال : إسقاط اليايات .

معناه ، والله أعلم ، أن الموحّد في الحقيقة يحدّ إثباته إياه : يعنى إثبات نفسه في جميع الأشياء بسرّه كقوله : بى ولى ومنى وإلى وإلى وفى وعنى ، فيسقط هذه اليايات ويحدّها بسرّه ، وإن كانت جارية ، من حيث الرسم على لسانه .
وقال الشبلى رحمه الله ، الرجل ، أيضاً : تَوْحِيدُ البشرية أو توحيد الإلهية؟ فقال : فيهما فرق ؟ فقال : نعم .

توحيد البشرية : خوف العقوبات . وتوحيد الألوهية توحيد التعظيم .

قال الشيخ رحمه الله : قلتُ : إن معناه أن من صفة للبشرية طلب العوض ورؤية الفعل والطمع في غير الله عزوجل ؛ وليس من وحد الله تعالى إجلالا لله كمن وحده خوفاً من عقوبته ، وإن كان الخوف من عذاب الله عزوجل حالة شريفة .

وقال الشبلى رحمه الله : من اطلع على ذرة من علم التوحيد ضعف عن حمل بقة إنقَلٍ ماحمل .

وقال ، مرة أخرى : من اطلع على ذرة من علم التوحيد حمل السموات والأرض على شعرة من جفن عينيه .

وقال : معناه ، والله أعلم : أن السموات والأرض وجميع ماخلق الله عزوجل يتصاغر في عينه ، عند ما يشاهد بقلبه بأنوار التوحيد من عظمة الله عزوجل .

وقد روى : « أن لجبريل عليه السلام ستمائة جناح ، جناحان منها إذا نشرهما غطى بهما المشرق والمغرب » . ١٥

وقد روى ، أيضاً في الحديث عن ابن عباس رضى الله عنه : « أن صورة جبريل عليه السلام في قائمة الكرسي مثل الزردة في الجوشن » . ١٦

ويقال : « إن جبريل عليه السلام والعرش والكرسي ، كل هذا مع الملكوت ١٧ الذي ظهر لأهل العلم بالله عز وجل ، وإنما هي كرملة فيها وراء الملكوت بل أقل من ذلك » .

وقال أبو العباس أحمد بن عطاء البغدادي رحمه الله في بعض كلامه : علامة حقيقة التوحيد نسيان التوحيد ، وصدق التوحيد أن يكون القائم به واحداً يريد بذلك : أن ينسى العبد رؤية توحيده في توحيده برؤية قيام الله عز وجل له بذلك قبل خلقه ؛ لأنه لو لم يُرَدهم بذلك ما أرادوه^(١) ولا وحدوه .

ولما نحن في التوحيد مصنفات . وقد قصدنا إلى القليل المشكل من أفاضلهم ليُستدرك به ما ألم أذكره ، إن شاء الله .

(١) يناسب هذا قول الله تعالى : « وما تشاءون إلا أن يشاء الله »

باب ما قالوا في المعرفة ، وصفة المعارف

وحقيقة ذلك بيانها

سئل أبو سعيد الخراز رحمه الله عن المعرفة فقال :
 المعرفة تأتي من وجهين : من عين الجود ، وبذل^(١) المجهود .
 وسئل أبو تراب النخشي ، رحمه الله ، عن صفة المعارف فقال :
 هو الذي لا يكدره شيء ، ويصفو به كل شيء .
 وقال أحمد بن عطاء ، رحمه الله :

المعرفة : معرفتان : معرفة حق ، ومعرفة حقيقة فمعرفة الحق : معرفة وحدانيته ،
 على ما أبرز للخلق من الأسامي والصفات . ومعرفة الحقيقة على أن لا سبيل إليها ؛
 لا متنازع الصمدية وتحقيق الربوبية ؛ لقوله ، عز وجل :
 « وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا »^(٢)

قال أبو نصر ، رحمه الله : معنى قوله : لا سبيل إليها يعني إلى المعرفة على الحقيقة ؛
 لأن الله تعالى أبرز خلقه من أسمائه وصفاته ما علم أنهم يطبقونه ؛ ذلك لأن حقيقة
 معرفته لا يطبقها مخلوق ، ولا ذرة منها ؛ لأن السكون بما فيه يتلاشى ، عند ذرة من
 أول باد يبدو من بوادي سطوات عظمته . فمن يطبق معرفة من يكون هذا صفة من
 صفاته ؟ فلذلك قال القائل :

ما عرفه غيره ولا أحبه سواه ؛ لأن الصمدية ممتعة عن الإحاطة والإدراك . قال الله
 عز وجل :

« وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ »^(٣) .

(١) هذه الفكرة الصحيحة فيما يتعلق بالمعروف : فيضها لا شك هبة من الله ،
 وفضها كسب للعبد

وقد حكى في هذا المعنى عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، أنه قال :
« سبحان من لم يجعل للخلاق طريقاً إلى معرفته إلا بالمعجز عن معرفته » . ١٨

وسئل الشبلى :

متى يكون العارف بمشهد من الحق ؟ قال :

إذا بدا الشاهد ، وفقى الشواهد ، وذهب الخواس ، واضمحل الإحساس .

وسئل أيضاً :

ما بدؤ هذا الشأن وما انتهاؤه ؟ قال :

بدؤه معرفته ، وانهائه توحيده وقال :

من علامة المعرفة : أن يرى نفسه في قبضة العزة ، ويجرى عليه تصاريف القدرة .

ومن علامة المعرفة : المحبة ، لأن من عرفه أحبه .

وبلغنى عن أبي يزيد طيفور بن عيسى البسطامى ، رحمه الله أنه سئل عن صفة

العارف ، فقال :

لون الماء لون إنائه إن صببته في إناء أبيض خلته أبيض ، وإن صببته في إناء أسود
خلته أسود ؛ وكذلك الأصفر والأحمر ، وغير ذلك . يتداوله الأحوال ، وولى
الأحوال وليه .

وقال الشيخ ، رحمه الله : معناه ، والله أعلم : أن الماء على قدر صفاته بصفة لون
إنائه ، ولا يغيره لون إنائه عن صفاته وحاله ، ويخال الناظر إليه أبيض أو أسود ،
وهو في الإناء بمعنى واحد ، وكذلك العارف وصفته مع الله ، عز وجل فيما يتداوله
الأحوال يكون سره مع الله تعالى بمعنى واحد .

وسئل الجنيد رحمه الله عن معقول العارفين ، فقال :

ذهبوا عن وصف الواصفين .

وسئل بعضهم عن المعرفة فقال : مطابقة القلوب لإفراده على لطائف تعريفه .

وسئل الجنيد ، رحمه الله ، فقيل له : يا أبا القاسم ما حاجة العارفين [إلى الله تعالى] ؟
 قال حاجتهم إليه : ثلاثة ورعاية لهم .
 وقال محمد بن الفضل السمرقندي ، رحمه الله ، بل لا حاجة لهم ولا اختبار ؛ إذ بغير
 الحاجة والاختيار نالوا ما نالوا ؛ لأن قيسام العارفين بموجدكم وبقائهم بموجدكم
 وفناءهم بموجدكم .

وقيل ل محمد بن الفضل ، رحمه الله : حاجة العارفين إلى ماذا ؟ قال : حاجتهم
 إلى الخصلة التي كلت بها المحاسن كلها ، وببقدها قبعت المقابح كلها وهي
 الاستقامة^(١) .

وسئل يحيى بن معاذ رحمه الله ، عن صفة العارف ، فقال : داخل معهم
 بائن منهم .

وسئل مرة أخرى عن العارف فقال : عبد كان قبان .
 وقيل لأبي الحسين النووي ، رحمه الله : كيف لا تدركه المقول ولا يعرف
 إلا بالقول ؟ فقال :

كيف يدرك ذو أمدٍ من لا أمدَ له ، أم كيف يدرك ذو عاغة من لا عاغة له
 ولا آفة ، أم كيف يكون مكيفاً من كيف الكيف ، أم كيف يكون مُحَيَّئاً من
 حيث الحيث فسماء حيناً ، وكذلك أوّل الأول ، وآخر الآخر ، فسماء أولاً وآخرأ ؛
 فلولا أنه أول الأول وآخر الآخر ما عُرِفَ ما الأولية وما الآخرة .

ثم قال : وما الأزلية في الحقيقة إلا الأبدية ، ليس بينهما حاجزٌ ، كما أن الأولية
 هي الآخرة والآخرة هي الأولية ، وكذلك الظاهرية والباطنية ، إلا أنه يفقدك
 وقتاً ويشهدك وقتاً لتجديد اللذة ورؤية العبودية ، لأن من عرفه بالخلقة لم يعرفه
 بالمباشرة ؛ لأن الخلقة على معنى قوله : كن ، والمباشرة إظهار حرمة لا استهانة فيه .

(١) يقول الله لرسوله فاستقم كما أمرت والرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي
 يقول الله له : « وإنك لعلی خلق عظیم » .

قلتُ: معنى قوله : مباشرة يعنى مباشرة يقين ومشاهدة القلب بحقائق الإيمان بالغيب .
قال الشيخ رحمه الله : والمعنى ، فيما أشار إليه والله أعلم ، أن التوفيت والتغيير لا يجوز على الله تعالى ، فهو فيما كان كهو فيما يكون ، وهو فيما قال كهو فيما يقول ، والأدنى عنده كالأقصى ، والأقصى عنده كالأدنى ، وإنما يقع ^(١) التفاوت للخلق من حيث الخلق ^(٢) والتلون في القرب والبعد والسخط والرضا صفة للخلق وليس ذلك من صفات الحق ، والله أعلم .

وقال أحمد بن عطاء ، رحمه الله ، في كلام له في معنى المعرفة : ويحكى أيضاً عن أبي بكر الواسطي رحمه الله والصحيح لابن عطاء رحمه الله قال : إنما قبحت المستقبلات باستقارها وحسنت المستحسنات بتجليه ؛ فإنهما نعتان يجران على الأبد بما جريا به في الأزل يظهر الوسمين على المقبولين والمطرودين ، فقد بان شواهد تجليه على المقبولين بضيائها كما بان شواهد استتاره على المرودين بظلمتها . فإنتفع بعد ذلك الألوان المصفرة ولا الأكام المقصرة ولا التدرع بالمطبقة والمرقعة .

قلت: وهذا الذي قال ابن عطاء ، رحمه الله ، معناه قريب من قول أبي سليمان عبد الرحمن بن أحمد الداراني ، رحمه الله ، حيث يقول :

ليس أعمال الخلق بالذي يسخطه ولا بالذي يرضيه ، وإنما رضى عن قوم فاستعملهم بعمل أهل الرضا ، وسخط على قوم فاستعملهم بعمل أهل السخط .

ومعنى قول ابن عطاء رحمه الله : قبحت المستقبلات باستقارها ، يعنى بإعراضه عنها وحسنت المستحسنات بتجليه يعنى بإقباله عليها وقبوله لها ، ومعنى ذلك كما جاء في الحديث :

(١) في نسخة أخرى التعارف .

(٢) في نسخة أخرى التكوين

١٩ «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ويده كتابان : كتاب يمينه وكتاب شماله ، فقال : هذا كتاب أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم ، وهذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم» الحديث

وقال أبو بكر الواسطي ، رحمه الله ، لما تعرف بنفسه إلى خاصته : امتحنت نفوسهم فلم يشهدوا وحشة بشواهد الأول مما يبدو لهم من شواهد الحظوظ ، وكذلك كل من أعقب بمعنى ، وهذا معناه ، والله أعلم : أن شاهد الأولية ، فيما عرف بما تعرف إليه معبوده لم يشهد وحشة مع معرفته بذلك فيما سواء ولا أنسأ بهم .

باب في صفة العارف

وما قالوا فيه

قال يحيى بن معاذ الرازي ، رحمه الله : ما دام العبد يتعرف فيقال : لا تختبر شيئاً ، ولا تكن مع اختيارك حتى تعرف ، فإذا عرف وصار عارفاً فيقال له : إن شئت اختر وإن شئت لا تختبر ، لأنك إن اخترت فباختيارنا اخترت ، وإن تركت الاختيار فباختيارنا تركت الاختيار ، فإنك بنا في الاختيار وفي ترك الاختيار .

وقال يحيى بن معاذ ، رحمه الله : الدنيا عروس ومن يطلبها ما شطتها ، والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويحرق ثوبها ، والعارف بالله مشتغل بسيدته لا يلتفت إليها .

وقال : إذا ترك العارف أدبه عند معرفته فقد هلك مع الهالكين ..

وقال ذو النون ، رحمه الله : علامة العارف ثلاثة : لا يطفىء نور معرفته نور ورعه ، ولا يعتقد باطناً من العلم ينقض عليه ظاهراً من الحكم ، ولا يحمله كثرة نعم الله تعالى عليه وكرامته على هتك أستار محارم الله تعالى .

وقال بعضهم : ليس بعارف من وصف المعرفة عند أبناء الآخرة ، فكيف عند أبناء الدنيا ؟

وقال : إن التفت العارف إلى الخلق عن معرفته بغير إذنه ، فهو مخذول . بين خلقه

وقال : كيف تعرفه وليس في قلبك سلطان هيئته ؟ وكيف تذكره وتحميه وليس في قلبك وجود الطافه وأنت غافل عما ذكرك به قبل خلقه ؟

سمعت محمد بن أحمد بن حمدون القراء يقول : سمعت عبد الرحمن الفارسي وقد سئل عن كمال المعرفة فقال : إذا اجتمعت المتفرقات واستوت الأحوال والأماكن وسقطت رؤية التمييز .

وقال أبو نصر ، رحمه الله : معنى ذلك أن يكون وقت العبد وقتاً واحداً بلا تمييز ، ويكون العبد في جميع أحواله بالله والله مأخوذاً عما سوى الله فعند ذلك يكون هذا حاله .

باب في قول القائل بم عرفت الله ؟ والفرق

بين المؤمن والعارف

قيل لأبي الحسين النورى ، رحمه الله : بم عرفت الله تعالى ؟ فقال : بالله قيل :
فما بال العقل ؟ قال : العقل عاجز لا يدل إلا على عاجز مثله ، « لما خلق الله العقل قال ٢٠
له : من أنا فسكت ، فكحله بنور وحدانيه فقال : أنت الله » فلم يكن للعقل أن
يعرف الله إلا بالله .

وسئل عن أول فرض افترض الله تعالى على عباده ما هو ؟ فقال : المعرفة ؛
لقوله تعالى : « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » (١) وقال ابن عباس ،
رضى الله عنه : لِيَعْرِفُونِ .

وسئل بعضهم ما المعرفة ؟ فقال :

تحقيق القلب بإثبات وحدانيته بكامل صفاته وأسمائه ؛ فإنه المتفرد بالعرز والقدرة
والسلطان والعظمة الحى الدائم الذى ليس كمثل شئ ، وهو السميع البصير بلا كيف
ولا شبه ولا مثل ، بنفى الأضداد والأنداد والأسباب ، عن القلوب .

وقد قيل ، أيضا : إن أصل المعرفة موهبة . والمعرفة نار والأيمان نور ، والمعرفة
وجد ، والإيمان عطاء ؛ والفرق بين المؤمن والعارف :

المؤمن ينظر بنور الله ، والعارف ينظر بالله عز وجل ؛ والمؤمن قلب وليس
للعارف قلب ، وقلب المؤمن يطمين بالذكر ولا يطمين العارف بسواه .

والمعرفة على ثلاثة أوجه : معرفة إقرار ، ومعرفة حقيقة ، ومعرفة مشاهدة ؛
وفي معرفة المشاهدة يندرج الفهم والعلم والعبارة والكلام ؛ والإشارات في المعرفة
ورصفها كثير ، وفي القليل كفاية وغنية للمستدل والمسترشد ، وبالله التوفيق .

وعن الحسن بن علي بن حيويه الدامغانى قال : سئل أبو بكر الزاهرا باذى عن
المعرفة فقال : المعرفة اسم ، ومعناه وجود تعظيم في القلب يمنحك عن
التشبيه والتعطيل .

كتاب الأحوال والمقامات

باب في المقامات وحقيقها

قال الشيخ ، رحمه الله : فإن قيل : ما معنى المقامات ؟ يقال : معناه مقام العبد بين يدي الله عز وجل ، فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله عز وجل ، وقال الله تعالى :

« ذَلِكَ أَمِنْ ، خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٌ »^(١) وقال :

« وَمَا مَنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ »^(٢) .

وقال : سئل أبو بكر الواسطي رحمه الله عن قول ، النبي صلى الله عليه وسلم :

« الأرواح جنود مجندة »

٢١

قال « مجندة » على قدر المقامات ، وللمقامات مثل التوبة والورع والزهد والفقر

والصبر والرضا والتوكل وغير ذلك

باب في معنى الأحوال^(١)

قال الشيخ ، رحمه الله : وأما معنى الأحوال فهو ما يحمل بالقلوب ، أو تحمل به القلوب : من صفاء الأذكار .

وقد حكى عن الجنيد ، رحمه الله : أنه قال : الحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم .

وقد قيل ، أيضاً : إن الحال هو الذكر الخفي .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خيرُ الذكرِ : الخفي » .

٢٢

وليس الحال من طريق المجاهدات والعبادات والرياضات كالمقامات التي ذكرناها ، وهي^(٢) مثل المراقبة والتقرب والمحبة والخوف والرجاء والشوق والأنس والطأنينة والمشاهدة واليقين وغير ذلك .

وقد حكى عن أبي سليمان النخعي رحمه الله ، أنه قال : إذا صارت العاملة إلى القلوب استراحت الجوارح .

وهذا الذي قال أبو سليمان ، يحتمل معنيين :

أحدهما : أنه أراد بذلك : استراحت الجوارح من المجاهدات ، والمكابدات من الأعمال : إذا اشتغل بحفظ قلبه وسراعاة سره من الخواطر المشغلة ، والعوارض المذمومة التي تشغل قلبه عن ذكر الله تعالى .

ويحتمل أيضاً أنه أراد بذلك : أن يتمكن من المجاهدة والأعمال والعبادات ،

(١) في هامش إحدى النسخ الفرق بين المقام والحال : أن الحال ينزل بالقلوب يدوم .

والمقام : مقام الرجل بظاهره وباطنه في حقائق الطاعات .

(٢) أي الحال .

وتصير وطنه حتى يستلذها بقلبه ، ويمجد حلاوتها ، ويسقط عنه التنب ، ووجود الألم الذي كان يمد قبل ذلك .

كما قال بعضهم ، وأظنه محمد بن واسع ، رحمه الله ، قال : كابدت الليل عشرين سنة فتنقمت به عشرين سنة .

وقال آخر ، وأظنه مالك بن دينار ، رحمه الله : مضت القرآن عشرين سنة ثم تنقمت بتلاوته عشرين سنة .

وقال الجنيد ، رحمه الله : لا يوصل إلى رعاية الحقوق إلا بحراسة القلوب ، ومن لم يكن له سرّ فهو مُعَصَّر ، والمُعَصَّر لا تصفوله حسنة .

وأجوبة الشيوخ في المقامات تكثر ، وكذلك في الأحوال ، وقد ذكرته على الاختصار ، والله الموفق .

باب مقام التوبة

قال أبو يعقوب يوسف بن حمدان السوسى ، رحمه الله : أول مقام من مقامات المنقطعين إلى الله تعالى التوبة .

وسئل السوسى عن التوبة فقال : التوبة الرجوع من كل شىء ذمه العلم إلى ما مدحه العلم .

وسئل سهل ابن عبد الله عن التوبة فقال : أن لا تنسى ذنبك .

وسئل الجنيد رحمه الله عن التوبة فقال : هى نسيان ذنبك .

قال الشيخ ، رحمه الله : فالذى أجاب السوسى رحمه الله عن التوبة أجاب عن توبة المريدن والمتعرضين والطالبين والقاصدين ، وهم الذين تارة لهم وتارة عليهم .
والذى قال سهل بن عبد الله أيضاً فكذلك .

وأما ما أجاب الجنيد رحمه الله عن التوبة : أن ينسى ذنبه : أجاب عن توبة المتحققين : لا يذكرون ذنوبهم ؛ لما غلب على قلوبهم من عظمة الله تعالى ودوام ذكره .

وهو مثل ما سئل رؤيم بن أحمد رحمه الله التوبة فقال : التوبة من التوبة .
كذلك سئل ذو النون رحمه الله عن التوبة فقال : توبة العلوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة .

فأما لسان أهل المعرفة والواجدن وخصوص الخصوص فى معنى التوبة فهو :
ما قاله أبو الحسن النورى رحمه الله ، حين سئل عن التوبة فقال : التوبة : أن تتوب من كل شىء سوى الله تعالى .

وإلى هذا أشار الذى أشار بقوله : ذنوب المقربين حسنات الأبرار وهو
ذو النون .

والذى قال أيضاً : رياء العارفين إخلاص المرئيين ؛ لأن الذى كان يتقرب به العارف إلى الله عزّ وجلّ فى وقت قصدة وابتدائه وتعرضه من القربات والطاعات فلما تمكن وتحقق بذلك ، وشملته أنوار الهداية ، وأنته العناية ، وحوته الرعاية ، وشاهد ما شاهده بقلبه من عظمة سيده ، والتفكر فى صنع صانعه ، وقديم إحسانه ، تاب عن الملاحظة والسكون ، والالتفات إلى ما كان من طاعاته وأعماله وقرباته فى حين إرادته وبدائاته ، فشتان بين تائب وتائب : فتائب يتوب من الذنوب والسيئات ، وتائب يتوب من الزلل والغلطات ، وتائب يتوب من رؤية الحسنات والطاعات .

والتوبة تقتضى الورع .

باب مقام الورع

قال الشيخ رحمه الله . ومقام الورع مقام شريف .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ملائكة دينكم الورع » . ٢٣

وأهل الورع على ثلاث طبقات : فمنهم من تورع عن الشبهات التي اشتبهت عليه ، وهي ما بين الحرام البين والحلال البين ، وما لا يقع عليه اسم حلال مطلق ولا اسم حرام مطلق ، فيكون بين ذلك فيتورع عنهما .

وهو كما قال ابن سيرين رحمه الله : ليس شيء أهون على من الورع ؛ إذا رابى شيء تركه .

ومنهم من يتورع عما يقف عنه قلبه ويحيك في صدره عند تناولها^(١) وهذا لا يعرفه إلا أرباب القلوب والمتحققون .

وهو كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الإثم ما حاك في صدرك » ٢٤

وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله : الورع أن تتبرأ من مظالم الخلق من مناقيل القدر ، حتى لا يكون لأحدم قبلك مظلمة ولا دعوى ولا طلبية .

وكما حكى عن الحارث المحاسبى رحمه الله أنه كان لا يمد يده إلى طعام فيه شبهة . وقال جعفر الخلاص رحمه الله : كان على طرف أصبعه^(٢) الوسطى عرق إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة ضرب عليه ذلك العرق .

وكما حكى عن بشر الحافى رحمه الله : أنه يحل إلى دعوة ، فوضع بين يديه

(١) عند تناول الشبهات .

(٢) يريد أصبع الحارث المحاسبى رضى الله عنه .

طعام ، فجهد أن يمد يده إليه فلم تمتد ، ثم جهد فلم تمتد ثلاث مرات ، فقال رجل ممن كان يعرفه : إن يده لا تمتد إلى طعام حرام أو فيه شبهة ، ما كان أغنى صاحب هذه الدعوة أن يدعو هذا الرجل إلى بيته .

وتقوى هذا حكاية سهل بن عبد الله : سمعت أحمد بن محمد بن سالم بالبصرة يقول : سئل سهل بن عبد الله عن الحلال فقال : الحلال الذي لا يُعصى الله فيه . قال أبو نصر رحمه الله : والذي لا يعصى الله فيه لا يتبهاً لأحد الوقوف عليه إلا بإشارة القلب .

فإن قال قائل : هل تجد لتلك أصلاً يتعلق به من العلم فيقال : نعم ، قول النبي صلى الله عليه وسلم لو ابصرت : « أَسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمَفْتُونُ » . والذي قال ٢٠ أيضاً : « الإثم ماحك في صدرك » ألا ترى أنه قد رده إلى ما يشير به عليه قلبه ؟

وأما الطبقة الثالثة في الورع فهم : العارفون والواجدون ، وهو كما قال أبو سليمان الداراني رحمه الله : كل ما شغلك عن الله فهو مشغوم عليك . وكما قال سهل بن عبد الله حين سئل عن الحلال الصافي فقال : الحلال الذي لا يُعصى الله فيه ، والحلال الصافي الذي لا يُنسى الله فيه .

فالورع فيما لا ينسى الله فيه هو الورع الذي سئل عنه الشبلي رحمه الله ، فقيل له : يا أبا بكر ما الورع ؟ فقال : أن تتورع ألا يتشتت قلبك عن الله عز وجل طرفة عين .

فالأول ورع الموم ، والثاني ورع المخلص ، والثالث ورع المخلص المخلص . والورع يقتضي الزهد .

باب مقام الزهد

قال الشيخ رحمه الله : والزهد مقام شريف ، وهو أساس الأحوال الرضية والمراتب السنية ؛ وهو أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل ، والمنقطعين إلى الله ، والراضين عن الله ، والمتوكلين على الله تعالى ، فمن لم يُحسب أساسه في الزهد لم يصح له شيء مما بعده ، لأن حُب الدنيا رأس كل خطيئة ، والزهد في الدنيا رأس كل خير وطاعة .

ويقال : إن من سُمي باسم الزهد في الدنيا فقد سُمي بألف اسم محمود ، ومن سُمي باسم الرغبة في الدنيا فقد سُمي بألف اسم مذموم .

وهو ما اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه باختيار الله له ، والزهد في الحلال الموجود .

وأما الحرام والشبهة فتركه واجب .

والزهد على ثلاث طبقات :

فمنهم المبتدئون ، وهم الذين خلت أيديهم من الأملاك ، وخلت قلوبهم مما خلت منه أيديهم .

كما سئل الجليل رحمه الله عن الزهد فقال : نخلى الأيدي من الأملاك ، ونخلى القلوب من الطمع .

وسئل سري السقطي ، رحمه الله عن الزهد فقال : أن يخلو قلبه مما خلت منه يده .

وفرقه منهم متحققون في الزهد .

ووصفهم ما أجاب رؤيهم بن أحمد رحمه الله ، حين سئل عن الزهد فقال :
ترك حظوظ النفس من جميع مافي الدنيا ، فهذا زهد المتحققين ، لأن في الزهد في
الدنيا حظاً للنفس ، لما في الزهد من الراحة والثناء والمحمدة واتخاذ الجاه عند
الناس ؛ فمن زهد بقلبه في هذه الحظوظ فهو متحقق في زهده .

والفرقة الثالثة : علموا وتيقنوا : أن لو كانت الدنيا كلها لهم ملكاً حلالاً ، ولا
يحاسبون عليها في الآخرة ، ولا ينقص ذلك مما لهم عند الله شيئاً ثم زهدوا فيها لله
عز وجل ، لكان زهدهم في شيء منذ خلقها الله تعالى ما نظر إليها ، ولو كانت
الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة من ماء ، فعند ذلك
زهدوا في زهدهم وتابوا من زهدهم .

كما سئل الشبلي رحمه الله عن الزهد فقال : الزهد غفلة ، لأن الدنيا لا شيء ،
والزهد في لا شيء غفلة .

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله : الدنيا كالعروس ، ومن يطلبها ماشطتها والزاهد
فيها يسخم وجهها ، ويفتق شعرها ، ويحرق ثوبها ، والعارف مشغل بالله
لا يلتفت إليها .

والزهد يقتضى معاناة الفقر واختياره

باب مقام الفقر وصفة الفقراء

قال الشيخ ، رحمه الله ، والفقر مقام شريف ، وقد وصف الله تعالى الفقراء وذكروهم في كتابه فقال : « لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » ^(١) تكملة الآية .

وقال صلعم : (الفقر أزين بالعبد المؤمن من العذار الجيد على خد الفرس) . ٢٦

وقال إبراهيم بن أحمد الخواص رحمه الله : الفقر رداء الشرف ، ولباس المرسلين ، وجلباب الصالحين ، وتاج المتقين ، وزين المؤمنين ، وغنيمة العارفين ، ومنبه المريدين ، وحسن الطمعين ، وسجن المذنبين ، ومكفر للسيئات ، ومعظم للحسنات ، ورافع للدرجات ، ومبلغ إلى النهايات ، ورضا الجبار ، وكرامة لأهل ولايته من الأبرار ؛ والفقر هو شعار الصالحين ، ودأب المتقين .

والفقراء على ثلاث طبقات :

فمنهم من لا يملك شيئاً ، ولا يطلب بظاهره ولا يباطنه من أحد شيئاً ، ولا ينتظر من أحد شيئاً ، وإن أعطى شيئاً لم يأخذ ، فهذا مقامه مقام المقرين .

كما حكى عن سهل بن علي بن سهل الأصماني : أنه كان يقول : حرامٌ على كل من يسمى أصحابنا الفقراء ؛ لأنهم أغنى خلق الله عز وجل .

وكما سئل أبو عبد الله بن الجلاء عن حقيقة الفقر فقال : اضرب بكُميك على الحائط وقل : ربّي الله .

وكما قال أبو علي الروزباري : سألت أبو بكر الزقاق فقال : يا أبا علي ، لم ترك الفقراء أخذ البُلغة في وقت الحاجة ؟ قال : قلت : لأنهم مستغنون بالمُعطى عن المعطى ، فقال : نعم ، ولكن وقع لي شيء آخر ، قلت : هات ، أفدني ،

(١) البقرة : ٢٧٤ وتكملة الآية كالآتي : « لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم ، لا يسألون الناس الخافاً وما تنفقوا من شيء ، قال الله به عليم » .

ما وقع لك ؟ فقال : لأنهم قوم لا ينفعهم الوجود ؛ إذ الله فاقهم ، ولا تضرهم الفاقة ، إذ الله وجودهم .

وسمعت أبا بكر الوجيهي يقول : سمعت أبا علي يقول : هذا .

وسمعت أبا بكر الطوسي يقول : كنت مدة طويلة أسأل عن معنى اختيار أصحابنا لهذا الفقر على سائر الأشياء ، فلم يُجبني أحد بجواب يُقنعني ، حتى سألت نصر بن الحماي ، فقال لي : لأنه أول منزلة من منازل التوحيد ، فقتعت بذلك .

ومنهم من لا يملك شيئاً ، ولا يسأل أحداً ، ولا يطلب ، ولا يعرض ، وإن أعطى شيئاً من غير مسألة أخذ .

وقد حُكي عن الجنيد ، رحمه الله ، أنه قال : علامة الفقير الصادق أن لا يسأل ، ولا يعارض ، وإن عورض سكت .

وكما حُكي عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله ، أنه سئل عن الفقير الصادق فقال : لا يسأل ولا يردّ ، ولا يحبس .

وكما سئل أبو عبد الله بن الجلاء رحمه الله عن حقيقة الفقر فقال : هو أن لا يكون لك ، فإذا كان لك لا يكون لك ، ومن حيث لم يكن لك لم يكن لك . وكما سئل إبراهيم الخواص رحمه الله عن علامة الفقير الصادق فقال : ترك الشكوى وإخفاء أثر البلوى ، ولهذا قد قيل : إن هذا مقامه مقام الصديقين .

ومنهم من لا يملك شيئاً ، وإذا احتاج انبسط إلى بعض إخوانه عن يعلم أنه يفرح بانبساطه إليه ، فكفارة مسأله صدقة .

وهذا كما سئل الجريري مسأله ، رحمه الله ، عن حقيقة الفقر فقال : لا يطلب الممدوم حتى يفقد الموجود .

وكما سئل رؤيم رحمه الله عن الفقر فقال : عدم كل موجود ، ويكون دخوله في الأشياء لغيره لاله ، وهذا مقامه مقام الصديقين في الفقر .

والفقر يقتضى مقام الصبر .

باب مقام الصبر

قال الشيخ ، رحمه الله : والصبر مقام شريف وقد مدح الله تعالى الصابرين
وذكرهم في كتابه فقال : ^(١)

« إنما يوفى العابرون أجرهم بغير حساب »

وقد سئل الجنيد عن الصبر فقال : حُلُّ المؤن لله تعالى حتى تنقضي
أوقات المكروه .

وقال ابراهيم الخواص رحمه الله : هرب أكثر الخلق من حل أثقال الصبر
فالتجسوا إلى الطلب والأسباب واعتمدوا عليها كأنها لهم أرباب ؛ قال .

ووقف رجل على الشبلى رحمه الله ، فقال له : أي صبر أشد على الصابرين .
فقال : الصبر في الله تعالى .

فقال : لا .

فقال الصبر لله .

فقال الرجل : لا .

فقال : الصبر مع الله .

فقال : لا .

قال : فضرب الشبلى رحمه الله وقال : ويحك فأيش ؟

فقال الرجل : الصبر عن الله عز وجل ، قال : فصرخ الشبلى رحمه الله صرخة
كاد أن يتلف روحه .

وسألت ابن سالم بالبصرة عن الصبر فقال : على ثلاثة أوجه : متصبر ، وصابر ،
وصبار ، فالمتصبر من صبر في الله تعالى ، فرة يصبر على المكروه ، ومرة يمجز .

وهذا كما سئل القناد ، رحمه الله ، عن الصبر فقال : ملازمة الواجب في الإعراض عن المنهى عنه ، والمواظبة على المأمور به ، والصابر من يصبر في الله ، والله ، ولا يجزع ، ولا يتمكن منه الجزع ، ويتوقع منه الشكوى .

كما حكى عن ذو النون ، رحمه الله ، أنه قال : دخلت على مريض أعوده ، فبينما كان يكلمني أن أنه ، قفلت له : ليس بصادق في حبه من لم يصبر على ضربه . قال : فقال : بل ليس بصادق في حبه من لم يتلذذ بضره .

وكما قال الشبلي ، رحمه الله ؛ لما أدخل المارستان ، وقيد ، فدخل عليه بعض أصدقائه ، فقال لم : أيش أنتم ؟ فقالوا : نحن قوم نحبك فأخذ يرميهم بالآجر ، فهرىوا ، فقال : يا كذابون ، تدعون محبتي ولم تصبروا على ضربى ؟

وأما الصبار : فذاك الذى صبره في الله ، والله وبالله ، فهذا لو وقع عليه جميع البلايا لا يعجز ولا يتغير من جهة الوجوب والحقيقة ، لا من جهة الرسم والخلقة . وكان يتمثل الشبلي ، رحمه الله ، بهذه الأبيات إذا سئل عن الصبر .

عبرات خططن في الخلد سطرأ قد قراها من ليس يحسن يقرا

إن صوت المحب من ألم الشوق وخوف الفراق يورث ضرا

صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب بالصبر : صبرا

وحجة هذا في العلم ما روى في الخبر : « أن زكريا عليه السلام لما وضع على رأسه المنشار أن أنه واحدة فأوحى الله تعالى إليه أن صعدت منك إلى أنه أخرى لأقرب السموات والأرضين بعضها على بعض »

والصبر يقتضى التوكل .

باب مقام التوكل

قال الشيخ ، رحمه الله : والتوكل مقام شريف ، وقد أمر الله ، تعالى ، بالتوكل وجعله مقروناً بالإيمان ؛ لقوله تعالى :

« وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ^(١) » .

وقال ، في موضع آخر : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون ^(٢) » فخص توكل المتوكلين من توكل المؤمنين ، ثم ذكر توكل خصوص الخصوص فقال :

« ومن يتوكل على الله فهو حسبه ^(٣) » لم يردم إلى شيء سواه كما قال السيد المرسلين وإمام المتوكلين :

« وتوكل على الحى الذى لا يموت وكفى به ^(٤) » « وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم » الآية فهم على ثلاث طبقات :

فأما توكل المؤمنين فشرطه ما ثلاث قال أبو تراب النخشي ، رحمه الله ، حين سئل عن التوكل ، فقال :

التوكل : طرح البدن في العبودية ، وتعلق القلب بالربوبية ، والطمانينة إلى الكفاية ، فإن أعطى شكر ، وإن منع صبر راضياً موافقاً للقدر .

وكما سئل ذو النون رحمه الله عن التوكل فقال : التوكل ترك تدبير النفس ، والانخلاع من الحول والقوة .

وكما قال أبو بكر الزقاق رحمه الله : التوكل رد الميش إلى يوم واحد ، وإسقاط هم غد وسئل رويم رحمه الله ، عن التوكل فقال : التمسك بالوعد .

وسئل سهل بن عبد الله رحمه الله ، عن التوكل فقال : الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد .

وأما توكل أهل الخصوص فكما قال أبو العباس بن عطاء ، رحمه الله : من

(١) إبراهيم : ١٢ (٢) المائدة : ١١ (٣) الطلاق : ٣ (٤) الفرقان : ٥٨ .

ونسكحة الآية : « بذنوب عباده خيراً » : ٥٨ .

توكل على الله لغير الله لم يتوكل على الله في توكله حتى يتوكل على الله بالله الله ،
ويكون متوكلاً على الله في توكله لا لسبب آخر .

أو كما قال أبو يعقوب النهرجوري ، رحمه الله ، وقد سئل عن التوكل ، فقال :
موت النفس عند ذهاب حظوظها من أسباب الدنيا والآخرة .

وقد قال أيضاً أبو بكر الواسطي : أصل التوكل الثقة والافتقار ، وأن لا يفارق
التوكل في أمانيه ، ولا يلتفت بسرّه إلى توكله لحظة في عمره .

وسئل سهل بن عبد الله ، رحمه الله أيضاً عن التوكل ، فقال : التوكل وجه
كله وليس له قفأ ، ولا يصح إلا لأهل المقابر .

فهولاء أشاروا إلى حقيقة توكل المتوكلين وهم الخصوص .

وأما توكل خصوص الخصوص فعلى ما قال الشبلي رحمه الله ، حين سئل عن
التوكل فقال : أن تكون لله كما لم تكن ويكون الله تعالى لك كما لم يزل .

وكما قال بعضهم : حقيقة التوكل لا يقوم له أحد من خلقه على الكمال ، لأن الكمال
بالكمال لا يكون إلا لله ، جل جلاله .

وسئل أبو عبد الله بن الجلاء عن التوكل فقال : الإيواء إلى الله وحده .
في جميع الأحوال .

وسئل الجنيد رحمه الله عن التوكل فقال : اعتماد القلب على الله تعالى
وقد حكى عن أبي سليمان الداراني رحمه الله أنه قال لأحمد بن أبي الحواري ،
رحمه الله : يا أحمد ، إن طرق الآخرة كثيرة وشيخك عارف بكثير منها إلا هذا
التوكل المبارك فإني ما سمعت منه راحة ، وليس لي منه مشام الريح .

وقال بعضهم : من أراد أن يقوم بحق التوكل فليخضر لنفسه قبراً ويدفنها فيه ،
وينسى الدنيا وأهلها ؛ لأن حقيقة التوكل لا يقوم له أحد من الخلق على كاله .

والتوكل يقتضي الرضا .

باب مقام الرضا وصفة أهله

قال الشيخ رحمه الله : الرضا مقام شريف ، وقد ذكر الله عز وجل الرضا في كتابه فقال :

« رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا^(١) عَنْهُ » ، وقال :

« وَرِضْوَانُ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ »^(٢) فذكر أن رضا الله عز وجل ، عن عباده أكبر وأقدم من رضاهم عنه .

والرضا باب الله الأعظم ، وجنة الدنيا ، وهو أن يكون قلب العبد ساكناً تحت حكم الله عز وجل .

وسئل الجنيد رحمه الله عن الرضا ، فقال : الرضا رفع الاختيار .

وسئل القناد رحمه الله عن الرضا فقال : سكون القلب بمر القضاء .

وسئل ذو النون عن الرضا فقال سرور القلب بمر القضاء .

وقال ابن عطاء رحمه الله : الرضا نظر القلب إلى قديم اختيار الله ، تعالى ، للعبد ؛ لأن يعلم أنه اختار له الأفضل فيرضى به ويترك السخط .

وقال أبو بكر الواسطي ، رحمه الله استعمل الرضا جهدك ، ولا تدع الرضا يستعملك فتكون محجوباً بلذته ورؤية حقيقته .

غير أن أهل الرضا في الرضا على ثلاثة أحوال :

فهم من عمل في إسقاط الجزع حتى يكون قلبه مستوياً لله عز وجل فيما يجري عليه من حكم الله من المكارة والشدائد والراحات والمنع والمطاء .

(١) للائمة : ١١٩

(٢) التوبة : ٧٢

ومنهم من ذهب عن رؤية رضائه عن الله عز وجل ، برؤية رضا الله عنه ؛ لقوله ، تعالى : « رضى ^(١) الله عنهم ورضوا عنه » ، فلا يثبت لنفسه قدم في الرضا وإن استوى عند الشدة والرخاء والمنع والمطاء .

ومنهم من جاوز هذا وذهب عن رؤية رضا الله عنه ورضاء عن الله لما سبق من الله تعالى خلقه من الرضا ، كما قال أبو سليمان النابلسي ، رحمه الله : ليس أعمال الخلق بالذي يرضيه ولا بالذي يسخطه ، ولكنه رضى عن قوم فاستعملهم بعمل أهل الرضا ، وسخط على قوم فاستعملهم بعمل أهل السخط .
والرضا آخر المقامات ثم يقتضى من بعد ذلك أحوال أرباب القلوب ، ومطالمة الغيوب ، وتهذيب الأسرار لصفاء الأذكار وحقائق الأحوال .
فأول حال من أحوال أرباب القلوب حال المراقبة .

باب حال المراقبة وحققاتها وصفة أهلها

قال الشيخ ، رحمه الله : والمراقبة أحال شريف ، قال الله ، تعالى :
 « وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَاقِبًا » ، وقال عز وجل : « مَا يَلْفُظُ مِنْ
 قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » (١) ، وقال : « ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم
 وأن الله علام الغيوب » (٢) ومثله في القرآن كثير .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن
 تراه فإنه براك » ٣١

والمراقبة : لعبد قد علم وتيقن أن الله تعالى مطلع على ما في قلبه وضميره وعالم بذلك ،
 فهو يراقب الخواطر المذمومة المشغلة للقلب عن ذكر سيده
 كما قال أبو سليمان الداراني رحمه الله : كيف يخفى عليه ما في القلوب ! ولا يكون
 في القلوب إلا ما يلقي فيها ، أفيمخى عليه ما هو منه !؟

قال الجنيد رحمه الله : قال لي إبراهيم الآجري رحمه الله : يا غلام ، لأن ترد من
 همك إلى الله تعالى ذرة ، خير لك مما طلعت عليه الشمس
 وقال الحسن بن علي الدامغانى ، رحمه الله : عليكم بحفظ السرائر ، فإنه مطلع
 على الضائر

وأهل المراقبة على ثلاثة أحوال في مراقبتهم :

فأما ما قال الحسن بن علي ، فهذا حال الابتداء في المراقبة
 وأما الحال الثانى في المراقبة ، فكما حكى عن أحمد بن عطاء رحمه الله : أنه قال :

(١) الأحزاب : ٥٢

(٢) ق : ١٨

(٣) التوبة : ٧٨

خيركم من راقب الحق بالحق في فناء ما دون الحق وتابع المصطفى صلعم ، في أفصاه وأخلاقه وآدابه

وأما الحال الثالث فحال الكبراء من أهل المراقبة : فإنهم يراقبون الله تعالى ويسألونه أن يرعاهم فيها ، لأن الله عز وجل قد خص نجباء و خاصته بالآيكلهم في جميع أحوالهم إلى أحد وهو الذي يتولى أمرهم فقال عز وجل : « وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ » ^(١) .

وقال ابن عطاء ، رحمه الله ، لبعض حكماء خراسان ممن قد ولع بالجهل وقارن ^(٢) التقشف : أو ما علمت أن ما تقارن بيدك أقدار في جنب ما تطالع بقلبك ؟ وما تطالع بقلبك هباء في جنب ما تراقب في شرك ؟ فراقب الله تعالى في شرك وعلا نيتك ؛ فإنه خير مما تقارن من عملك وعبادتك والمراقبة تقضى حال القرب ،

(١) الأعراف : ١٩٥

(٢) بمعنى صاحب ولازم

باب حال القرب

قال الشيخ ، رحمه الله : قال الله تعالى : « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ »^(١) ، وقال : وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ »^(٢) ، وقال : « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَأَكْبَرُ لَا تَبْصِرُونَ »^(٣) ، ثم قال في صفة ملائكتك : « أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَهَيْسَ أَقْرَبُ »^(٤) ، الوسيلة يعنى القرب ، وقال : « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تَبْصِرُونَ »^(٥) ، فذكر الله تعالى قربه منهم ، ثم ذكر قربه بهم بمعنى توسلهم إلى الله تعالى بالقرب أيهم أقرب .

وحال القرب : لبيد شاهد بقلبه قرب الله منه فحضر إلى الله تعالى بطاعته ، وجميع همه بين يدي الله تعالى بدوام ذكره في علانيته وسره .

وم على ثلاثة أحوال :

فمنهم المتقربون إليه بأنواع الطاعات لعلهم يعلم الله تعالى بهم وقربه منهم وقدرته عليهم .

ومنهم من تحقق بذلك ، كما قال عامر بن عبد القيس ، رحمه الله : ما نظرت إلى شيء إلا رأيت الله تعالى أقرب إليه مني .

وهو^(٦) كما قال القائل :

ونمقتك في السر ففناجك لسانى فاجتمعنا لمان وافترقنا لمانى
إن يكن غيبك التعظيم عن لحظمانى فلقد صيرك الوجد من الأحشاء دانى

(٢) ق : ١٦

(٤) الإسراء : ٥٧

(١) البقرة : ١٨٦

(٣) الواقعة : ٨٥

(٥) أى حال القرب

وقال الجنيد رحمه الله : واعلم أنه يقرب من قلوب عباده على حسب ما يرى من قرب قلوب عباده منه ، فانظر ماذا يقرب من قلبك ؟

وقال آخر : إن لله تعالى عبادا قريبهم الله عز وجل بما هو به قريب منهم ، وكانوا قريبين منه بما هو به قريب إليهم ؛ وهذه الدرجة الثانية من حال القرب ،

فأما حال الكبراء وأهل النهايات : فهو على ما قال أبو الحسين النوري ، رحمه الله ، لرجل دخل عليه فقال : من أين أنت ؟ قال : من بغداد ، قال من صحبت بها قال : أبا حمزة ، قال : إذا رجعت إلى بغداد فقل لأبي حمزة : قرب القرب في معنى ما نحن نشير إليه : بعد البعد ،

وكا قال أبو يعقوب السوسى ، رحمه الله : ما دام العبد يكون بالقرت لم يكن قرب حتى يغيب عن القرب بالقرب ، فإذا ذهب عن رؤية القرب بالقرب فذلك قرب ،

يعنى عن رؤية قربه من الله عز وجل بقرب الله منه ،

وحال القرب يقتضى حال المحبة وحال الخوف ،

باب حال المحبة

قال الشيخ ، رحمه الله : فأما حال المحبة فقد ذكر الله تعالى المحبة في مواضع من كتابه ، فقال : « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » ^(١) وقال : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » ^(٢) ، وقال في موضع آخر : « يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله » ^(٣) .

فذكر في الآية الأولى محبته قبل محبتهم ، وفي الآية الثانية ذكر محبتهم له ومحبته لهم ، وفي الآية الثالثة ذكر محبتهم له ،

وحال المحبة : لمبد نظر بعينه إلى ما أنعم الله به عليه ، ونظر بقلبه إلى قرب الله تعالى منه وعنايته به وحفظه وكلايته له ، فنظر بإيمانه وحقيقة يقينه إلى ما سبق له من الله تعالى من العناية والهداية وقديم حب الله له ، فأحب الله عز وجل .

وأهل المحبة على ثلاثة أحوال :

فالحال الأول من المحبة : محبة العامة ، يتولد ذلك من إحسان الله تعالى إليهم وعطفه عليهم

وقد روى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، : أنه قال : « جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها » الحديث .

وهذا الحال من المحبة شرطها ما سئل سمعون ، رحمه الله ، عن المحبة فقال : صفاء الود مع دوام الذكر ؛ لأن من أحب شيئا أكثر من ذكره

(١) اللائدة : ٥٤

(٢) آل عمران : ٣١

(٣) البقرة : ١٦٥

وكما سئل سهل ابن عبد الله رحمه الله عن المحبة فقال : موافقة القلوب لله ؛
والنزام الموافقة لله ، واتباع الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، مع دوام الاستمرار^(١)
بذكر الله تعالى ووجود حلاوة المناجاة لله عز وجل .
وسئل الحسن بن علي رضي الله عنه عن المحبة فقال : بذل الجهود والحبيب
يفعل ما يشاء .

وكما سئل بعض المشايخ عن المحبة فقال : استمثار^(٢) القلوب بالثناء على المحبوب ،
وإيثار طاعته ، والموافقة له كما قال القائل :

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع
والحال الثاني من المحبة ، وهو يتولد من نظر القلب إلى غناء الله وجلاله
وعظمته وعلوه وقدرته ، وهو حب الصادقين والمتحققين .

وشرطها ووصفها كما حكى عن أبي الحسين النوري ، رحمه الله : أنه سئل عن
المحبة فقال : هتك الأستار ، وكشف الأسرار .

وسئل أيضاً ، إبراهيم الخوَّاص عن المحبة فقال : محو الإرادات ، واحتراق
جميع الصفات والحاجات .

وقد سئل أبو سعيد الخراز ، رحمه الله ، عن المحبة فقال : طوبى لمن شرب
كأساً من محبته ، وذاق نعيماً من مناجاة الجليل وقربه بما وجد من اللذات بحبه
فلى قلبه حباً وطار بالله طرباً ، وهام إليه اشتياقاً ؛ فياله من وامق أسف
بربه ، كلف دنف ، ليس له سكن غيره ولا مألوف سواه .

وأما الحال الثالث من المحبة فهو محبة الصديقين والعارفين ، تولدت من نظرم
ومعرفتهم بقديم حب الله تعالى بلا علة ، فكذلك أحبوه بلا علة .

(١) يقل : استمر بالتيه إذا أولع به وشغف به

(٢) استمثار القلوب بالثناء : شغفها وحبها له .

وصفة هذه المحبة ماسئل ذو النون المصري ، فقليل له : ما المحبة الصافية التي لا كدرة فيها ؟ قال : حب الله الصافي القدي لا كدرة فيه : سقوط المحبة عن القلب والجوارح ، حتى لا يكون فيها المحبة ، وتكون الأشياء بالله والله ، فذلك المحب لله .

وقال أبو يعقوب السوسى ، رحمه الله : لا تصح المحبة حتى يخرج من رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب : بفناء علم المحبة من حيث كان له المحبوب فى الغيب ، ولم يكن هو بالمحبة ، فإذا خرج الحب إلى هذه النسبة كان محبا من غير محبة .

وسئل الجنيد رحمه الله عن المحبة فقال : دخول صفات المحبوب على البدل من صفات الحب ، فهذا على معنى قوله : « حتى أُحِبَّهُ فَإِذَا أُحِبَّتُهُ كُنْتُ عَيْنَهُ » التي يبصر بها وسمعه الذى يسمع به ، ويده التي يبطش بها » .

باب حال الخوف

قال الشيخ ، رحمه الله : فأما حال الخوف فإنما ذكرنا الخوف والمحبة ، لأن حال القرب يقتضى حالين :

فمنهم من يغلب على قلبه الخوف من نظره إلى قرب الله منه ، ومنهم من يغلب على قلبه المحبة ، وذلك على حسب ما قسم الله للقلوب من التصديق وحقيقة اليقين والخشية ، وذلك من كشف الغيوب ؛ فإن شاهد قلبه في قرب من سيده أعظمته وهيئته وقدرته فيؤديه ذلك إلى الخوف والحياء والوجل ، وإن شاهد قلبه في قرب من لطف سيده وقديم عطفه وإحسانه له ومحبته أداه ذلك إلى المحبة والشوق والتعلق والحرق ، والتبرم بالبقاء ؛ وذلك بعلمه ومشيدته وقدرته ، ذلك تقدير العزيز العليم . والخوف على ثلاثة أوجه ، وقد ذكر الله تعالى الخوف وقرنه بالإيمان بقوله : « فَلَا تَخَافُونُمْ وَخَائِيُونَ إِنَّ كُفْتُمْ مُؤْمِنِينَ » ^(١) ، فهذا خوف الأجلة . وقوله : « وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ » ^(٢) ، فهذا خوف الأوساط . وقال : « يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ » ^(٣) ، فهذا خوف العامة . فمنهم من خاف من سخطه وعقابه ، كما ذكر الله تعالى : « يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ » ، وهم العامة يخوفهم : اضطراب قلوبهم مما علموا من سطوة معبودهم

وأما الأوساط يخوفهم : من القطيعة واعتراض الكدورة في صفاء المعرفة . وسئل الشبلي رحمه الله عن الخوف فقال : تخاف ألا يسلمك إليك .

(١) آل عمران : ١٧٥

(٢) الرحمن : ٤٦

(٣) النور : ٣٧

كما قال أبو سعيد الخراز ، رحمه الله في كلام له قال : شكوت إلى بعض العارفين الخوف فقال : لي ؛ إني أشتهي أن أرى رجلاً يدرى أيش الخوف من الله ؟ ثم قال : إن أكثر الخائفين خافوا على أنفسهم من الله شفقة منهم على أنفسهم ، وعلا في خلاصها من أمر الله عز وجل .

وقال ابن خبيق ، رحمه الله : الخائف عندي : أن يكون بحكم الوقت : فوقت يخافه المخلوق ووقت يأمنه .

وقال القناد ، رحمه الله : علامة الخوف : أن لا يطل نفسه بمسى وسوف . وقال بعضهم : علامة خوف الله تعالى : هيجان القلوب ، وشدة الذعر من الترهيب ؛ وقال ابن خبيق ، رحمه الله : الخائف عندي من يخاف من نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان .

وأما أهل التخصص من الخائفين فخوفهم ، على ما قال سهل بن عبد الله ، رحمه الله ، لو قسم ذرة من خوف الخائفين على أهل الأرض لسمدوا بذلك أجمعين . فقليل له : فكيف يكون مع الخائفين من هذا الخوف ؟ قال مثل الجبل .

وقال ابن الجلاء الخائف عندي الذي لا يخاف غير الله تعالى .

وقال الواسطي ، رحمه الله : الأكابر يخافون القطع والأصاغر يخافون العقوبة وخوف الأكابر أقطع ، لأن ما دام للنفس في النفس من رعوناتها بقية فليس بمحسن وإن أتى بكل تفويض وتسليم .

قال الشيخ ، رحمه الله : معنى رعوناتها : تدبيرها ودعواها ونظرها إلى طاعاتها . والرجاء مقرون بالخوف .

باب حال الرجاء

قال الشيخ رحمه الله : والرجاء حال شريف ، قال الله ، تعالى :
« لقد كان لَكُمْ في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر »^(١)
وقال في آية آخر .

« يرجون رحمته ويخافون عذابه »^(٢) وقال في آية أخرى :
« فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً »^(٣)
قالوا في التفسير : ثواب ربه .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لا اعتدلا » .
وقال بعضهم : الخوف والرجاء جفاحا العمن لا يطير إلا بهما .
وقال أبو بكر الوراق : الرجاء ، ترويح من الله تعالى لقلوب الخائفين ، ولولا ذلك
لتلفت نفوسهم وذهلت عقولهم .
والرجاء على ثلاثة أقسام :
رجاء في الله .
ورجاء في سعة رحمة الله .
ورجاء في ثواب الله .

فالرجاء في ثواب الله وفي سعة رحمته : لمبد مرید قد سمع من الله ذكر المنن ،
فرجاء ، وعلم أن السكرم والفضل والجود من صفات الله فارتاح قلبه إلى المرجو من
كرمه وفضله .

(١) الأحزاب : ٢١

(٢) الإسراء : ٥٧

(٣) الكهف : ١١٠

وكما حكى عن ذو النون المصري ، رحمه الله : أنه كان يدعو ويقول : اللهم إن سعة رحمتك أرجأ لنا من أعمالنا عندنا ، واعتمادنا على عفوك أرجأ عندنا من عقابك لنا .

وكما قال بعضهم : الهى أنت لطيف لمن قصدك في إرادته ، ورجاك في ملاته ، فيا منتهى آمال الراجين أرجئنا راحة عاجلة نوردنا منهاهل مسرتك وتؤدينا إلى قربك والراجي في الله تعالى : هو عبد تحقق في الرجاء ، فلا يرجو من الله شيئاً سوى الله كما سئل الشبلي رحمه الله عن الرجاء فقال : الرجاء أن ترجوه أن لا يقطع بك دونه . وقال ذو النون ، رحمه الله : بينا أنا أسير في بعض البوادي إذ لقيتني امرأة فقالت : لى من أنت ؟ قلت : رجل غريب ، فقالت : وهل يوجد مع الله تعالى أحزان القربة .



فصل في معنى الخوف والرجاء

قال الشيخ ، رحمه الله : وأما لسان أهل النهايات والمتحققين في الخوف والرجاء : فالذى يقول أحمر بن عطاء ، رحمه الله ، حين سئل عن الخوف والرجاء فقال : إن الخلق بالرجاء والخوف مؤذنون ، وما دام لم يترق العبد في طريقهما ، ولم يترق من بينهما ، لم يصل إلى حقيقة حقهما ؛ ويكون مرتبطاً بما لا حاصل له فيهما عند الحقيقة .

قيل : فما هما ؟ يعنى الخوف والرجاء قال : زمامان للنفس حتى لا تخرج إلى رهوناتها : من الإدلال والأمن ، والإيأس والقطع .

وقال أبو بكر الواسطي ، رحمه الله : الخوف له ظلم يتعير صاحبه تحته يطلب
أبدأ المخرج منه ، فإذا جاء الرجاء بضيائه خرج إلى مواضع الراحة فقلب عليه التمني ،
ولا ينفع حسن النهار إلا بظلمة الليل ، وفيهما صلاح الكون ، فكذلك القلب :
مرة في ظلم الخوف أسير ، فإذا طرق طوارق الرجاء فهو أمير .
والحبة والخوف والرجاء مقرون بعضها ببعض .
وقال بعضهم : كل حبة لا خوف معها فهي مأوفة ، وكل خوف لا رجاء معه
فهو مأوف ، وكل رجاء لا خوف معه كذلك .
والرجاء والحبة يقتضيان الشوق .

باب حال الشوق

قال الشيخ ، رحمه الله تعالى : وحال الشوق حال شريف ، روى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم : أنه قال :

«الاهل مشتاق إلى الجنة ؟ هي ورب الكعبة ربحانة تهتز ، ونهر مطرد ، وزوجة حسناء » وروى عنه ، عليه السلام أنه كان يقول : في دعائه :

« أسئلك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك » ٣٢

ولذة النظر إلى وجه الله تعالى في الآخرة والشوق إلى لقائه في الدنيا

وقد روى ، أيضاً : « من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات » ٣٥

وقد روى أيضاً : « اشتاقت الجنة إلى علي ثلاثة : إلى علي وعمار وسلمان رضي الله عنهم أجمعين » ٣٦

والشوق : هو لعبد قد تبرم ببقائه شوقاً إلى لقاء محبوبه

وسئل بعضهم عن الشوق فقال : هيمان القلب عند ذكر المحبوب ،

وقال آخر الشوق : نار الله تعالى أشعلها في قلوب أوليائه حتى يحرق بها ما في

قلوبهم من الخواطر والأرادات والموارض والحاجات ،

وقال الجريري ، رحمه الله تعالى : لولا أن في الشوق متعة ما حمل الضر ،

وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله : ملئت قلوبهم عن الهبة فطاروا بالله عز وجل

طرباً ، وهاموا إليه اشتياقاً ؛ فيا لهم من قلق مشتاق أسف بربه كلف دنف ليس لهم

سكن غيره ولا مألوف سواة ١١١

وأهل الشوق على ثلاثة أحوال :

فمنهم من اشتاق إلى ما وعد الله تعالى لأوليائه من الثواب والكرامة ،
والفضل والرضوان

ومنهم من اشتاق إلى محبوبه من شدة محبته وتبرمه ببقائه شوقاً إلى لقائه
ومنهم من شاهد قرب سيده أنه حاضر لا ينيب ، فينم قلبه بذكره وقال :
إما يشتاق إلى غائب وهو حاضر لا ينيب ، فذهب بالشوق عن رؤية الشوق ، فهو
مشتاق بلا شوق ، ودلائله تصفه عند أهله بالشوق ، وهو لا يصف نفسه بالشوق ،
والشوق يقتضى الأنس .

باب حال الأنس

قال الشيخ ، رحمه الله تعالى : ومعنى الأنس بالله تعالى : الاعتماد عليه ، والسكون إليه ولاستعانة به ، ولا تهيأ أن يعبر عنه بأكثر من هذا ،

وقد روى في الخبر : أن مطرف بن عبد الله بن الشيخير ، رحمه الله كتب إلى عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه : ليكن أنسك بالله وانقطاعك إليه ؛ فإن الله تعالى عباده استأنسوا بالله فكانوا في وحدتهم أشد استئناساً من الناس في كثرتهم ، وأوحش ما يكون الناس آنس ما يكونون ، وأنس ما يكون الناس أوحش ما يكونون ومطرف بن عبد الله من كبار التابعين ، وكذلك عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه من الأئمة الراشدين

وذكر عن بعض العارفين : أنه قال : إن الله عز وجل عبداً أرادهم بحق حقائق الأنس به فأخذهم به عن وجد طم الخوف مما سواه ، والأنس بالله : لعبد قد كملت طهارته وصفا ذكره واستوحش من كل ما يشغله عن الله تعالى ، فعند ذلك آنسه الله تعالى به ، وأهل الأنس في الأنس على ثلاثة أحوال :

فهم من أنس بالله ذكر واستوحش من الغفلة ، وأنس بالطاعة واستوحش من الذنوب كما حكى عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله أنه قال :

أول الأنس من العبد أن تأنس النفس والجوارح بالعقل ، ويأنس العقل والنفس بعلم الشرع ، ويأنس العقل والنفس والجوارح^(١) بالعمل لله خالصاً ، فيأنس العبد بالله أى يسكن إليه ،

والحال الثاني من الأنس : فهو لعبد قد استأنس بالله واستوحش مما سواه من

المواض والخواطر المشغلة

(١) وفي رواية أخرى بالعلم

كما ذكر عن ذى النون ، رحمه الله ، أنه قيل له :
 ماعلامة الأنس بالله ؟ قال : إذا رأيته يؤنسك بخلقه فإنه هو ذا يوحشك من
 نفس ، وإذا رأيته يوحشك من خلقه فهو ذا يؤنسك بنفسه
 وسئل الجنيد رحمه الله ، عن الأنس بالله فقال : ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة ،
 وقال ابراهيم المارستاني ، رحمه الله ، وسئل عن الأنس ، قال : فرح القلب بالحبوب
 والحال الثالث من الأنس : هو الذهاب عن رؤية الأنس بوجود الهيبة والقرب
 والتعظيم مع الأنس
 كما ذكر عن بعض أهل المعرفة أنه قال : إن لله عبادا أوجد لهم من الهيبة له ما
 أعظم به عن الأنس بغيره ،
 وهذا كما ذكر عن ذى النون ، رحمه الله : أن رجلا كتب إليه : آنسك الله
 بقربه . فكتب ، إليه ذو النون : أوحشك الله من قربه ، فإنه إذا آنسك بقربه فهو
 قدرك ، وإذا أوحشك من قربه فهو قدره . معنى قوله : أوحشك من قربه . يعنى
 بأن يوجدك هيبة قربه .
 وسئل الشبلى رحمه الله عن الأنس فقال : وحشتك منك ومن نفسك
 ومن الكون ،
 والأنس بالله اتقى الطمانينة .

باب حال الطمأنينة

قال الشيخ رحمه الله : وقد قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ^(١) »
وفي التفسير : المطمئنة بالإيمان .

وقال عز وجل : « الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ^(٢) »

وقال في قصة إبراهيم عليه السلام : « وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ^(٣) »
وقال سهل بن عبد الله رحمه الله ، إذا سكن قلب العبد إلى مولاه واطمأن إليه ،
قَوِّبَتْ حال العبد فإذا قويت أنس بالعبد كل شيء .

وسئل الحسن بن علي الدامغانى رحمه الله ، عن قوله عز وجل : « الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ^(٤) » فقال : إن القلوب هشت وبشت وسكنت واستأنست ثم كشف عنه ، قال : هشت من معرفة جلال الله تعالى ، وعظمته ، وبشت من معرفة رحمة الله وفضله ، وسكنت من معرفة كفاية الله وصدقه ، واستأنست من معرفة إحسان الله ولطفه .

قال : وسئل الشبلى رحمه الله عن معنى قول أبي سليمان الداراني رحمه الله :
النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت ؛ فقال : إذا عرفت من يقوتها اطمأنت .

والطمأنينة : حال رفيع ، وهى لبد رجح عقله ، وقوى إيمانه ورسخ علمه ، وصفا
ذكره وثبتت حقيقته

وهى على ثلاثة ضروب :

(١) الفجر : ٢٧

(٢) الرعد : ٢٨

(٣) البقرة : ٢٦٠

(٤) الرعد : ٢٨

فضرب منها للامة ، لأنهم إذا ذكروه اطمأنوا إلى ذكرهم له ، فخطهم منه :
الإجابة الدعوات باتساع الرزق ودفع الآفات ، وهو ما قال الله عز وجل : « النَّفْسُ
الطَّمَّانَةُ ^(١) » يعنى بالإيمان بأن لا دافع ولا مانع إلا الله .

قال : والضرب الثانى : للخصوص ، لأنهم رضوا بقضائه وصبروا على بلائه ،
وأخلصوا ، واتقوا ، وسكنوا ، واطمأنوا إلى قوله عز وجل : « إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ
اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ^(٢) » ، « إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ^(٣) » فاطمأنوا وسكنوا
إلى قوله : « مع » فكانت طمأنينتهم ممزوجة برؤية طاعتهم .

والضرب الثالث : للخصوص الخصوص : علموا أن سرأثرهم لا تقدر أن تطمئن
إليه ، ولا تسكن معه ، هيبة وتعظيما ؛ لأنه ليس له غاية تدرك ، « وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ »
« وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ^(٤) » ، فن كانت له الأشياء فى سره كذلك فإلى ماذا
يطمئن أو يسكن قلبه ؟ ومن وقع فى عطش التمنى فى طلب الزيادة وقع فى البحر الذى
لا يجرى فيه الأوهام ، وهذا كلام قد اختصرته من كلام الواسطى .
والطمأنينة تقتضى حال المشاهدة

باب حال المشاهدة

قال الشيخ ، رحمه الله : وقد قال الله تعالى : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعُ وَهُوَ شَهِيدٌ ^(١) » يعني حاضر القلب .
وقال ، أيضاً : « وَشَهِيدٌ وَمَشْهُودٌ ^(٢) »

وقال أبو بكر الواسطي ، رحمه الله : فالشاهد الرب والمشهود الكون : أعدمهم
نم أوجدهم .

وقال أبو سعيد الخراز ، رحمه الله : فن شاهد الله بقلبه خنس عنه ما دونه ،
وتلاشى كل شيء وغاب عند وجود عظمة الله تعالى ، ولم يبق في القلب إلا الله ،
عز رجل .

وقال عمرو بن عثمان المكي رحمه الله : المشاهدة ما لاقت القلوب من الغيب
بالتيب ولا يجعلها عياناً ولا يجعلها وجداً .

وقال ، أيضاً : المشاهدة وصل بين رؤية القلوب ورؤية العيان ، لأن رؤية
القلوب عند كشف اليقين في زيادة توهم .

وهو قول النبي عليه الصلاة والسلام ، لعبد الله بن عمر ، رضى الله عنه : « اعْبُدِ
الله كأنك تراه » الحديث . ٣٧

وأما قوله عز وجل : « وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ^(٣) » فقالوا : هو مشاهدة الأشياء
بمعين العبر ، ومعابنتها بأعين الفكر .

وقال عمرو المكي رحمه الله : المشاهدة يعني المحاضرة ، يعني المداناة ، كما ذكر
الله ، عز وجل : « وَسَأَلْنَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ^(٤) » يعني
قرية من البحر .

وقال عمرو المكي ، رحمه الله : المشاهدة : زوائد اليقين ، سطت بكواشف الحضور ، غير خارجة من تنطية القلب .

وقال ، أيضاً : المشاهدة : حضور بمعنى قرب ، مقرون بعلم اليقين وحققها . وأهل المشاهدة على ثلاثة أحوال :

فالأول منها : الأصاغر ، وهم المريدون ، وهو ما قال أبو بكر الواسطي ، رحمه الله : يشاهدون الأشياء بين العبر ، ويشاهدونها بأعين الفكر .

والحال الثاني من المشاهدة : الأوساط ، وهو الذي أشار إليه أبو سعيد الخراز ، رحمه الله ، حيث يقول :

اخلق في قبضة الحق وفي ملكه ، فإذا وقعت المشاهدة فيما بين الله وبين العبد لا يبقى في سره ولا في وجهه غير الله تعالى .

والحال الثالث من المشاهدة : ما أشار إليه عمرو بن عثمان المكي ، رحمه الله ، في كتاب المشاهدة ، فقال : إن قلوب العارفين شاهدت الله مشاهدة تثبيت ، فشاهدوه بكل شيء ، وشاهدوا كل الكائنات به ، فكانت مشاهدتهم لديه ولم به ، فكانوا غائبين حاضرين ، وحاضرين غائبين ، على انفراد الحق في الغيبة والحضور ، فشاهدوه ظاهراً وباطناً ، وباطناً وظاهراً ، وآخرأ أولاً ، وأولاً آخرأ ، كما قال ، عز وجل : « هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ، وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ » ، وهو بكل شيء عليم ^(١) .

والمشاهدة : حال رفيع وهي من لوازم زيادات حقائق اليقين .

وتقتضى حال اليقين .

باب حال اليقين

قال الشيخ ، رحمه الله : وقد ذكر الله تعالى اليقين في مواضع من كتابه على ثلاثة أوجه : علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين .

٢٨ وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : « سلوا الله تعالى العفو والعافية واليقين في الدنيا والآخرة » وقال ، صلى الله عليه وسلم « رحم الله أخى عيسى ، عليه السلام لو ازداد يقيناً لمشي في الهواء »

وقال عاصم بن عبد قيس ، رحمه الله : « لو كشف الغطاء ما ازدادت يقيناً ، بئنى عند معانيق لما آمنت به من الغيب ، وهذا كلام غلطات ووجد وتحقق

وقد روى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « انخلق يبعثون على ما يعوتون عليه » ولا يكون الخبر كالمأينة في جميع معانيها ، ويجوز أن يكون له وجه آخر ، وهو أن بئنى : ما ازدادت علم يقين .

وقال أبو يعقوب النهر جوري ، رحمه الله : إذا استكمل العبد حقائق اليقين صار الهلاك عنده نصبة والرخاء مصيبة واليقين هو المكاشفة .

والمكاشفة على ثلاثة أوجه :

مكاشفة العيان بالأبصار يوم القيامة .

ومكاشفة القلوب بحقائق الإيمان بمباشرة اليقين بلا كيف ولا حد .

والحالة الثالثة : مكاشفة الآيات بإظهار القدرة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ،

بالمعجزات ، وتنبؤهم بالكرامات والإجابات .

واليقين : حال رفيع ، وأهل اليقين على ثلاثة أحوال :

فالأول : الأصاغر ، وهم المريدون ، والقصوم ^(١) .

(١) في رواية أخرى : والموام .

وهو كما قال بعضهم : أول مقام اليقين : الثقة بما في يد الله تعالى .
والإيلاس مما في أيدي الناس .

وهو ما قال الجنيد ، رحمه الله ، حيث سئل عن اليقين ، فقال : اليقين ارتفاع الشك .

وقال أبو يعقوب : إذا وجد العبد الرضا بما قسم الله له فقد تكامل فيه اليقين .
وسئل رؤيم بن أحمد ، رحمه الله ، عن اليقين ، فقال : تحقيق القلب بالمعنى على ما هو به .

والثاني الأوساط وهم الخصوص ، وهو ما سئل ابن عطاء عن اليقين ، فقال :
ما زالت فيه المارضات على دوام الأوقات .

وكما قال أبو يعقوب النهرجوري ، رحمه الله : العبد إذا تحقق باليقين ترحل
من يقين إلى يقين حتى يصير اليقين له وطناً .

وسئل أبو الحسين النوري ، رحمه الله ، عن اليقين ، فقال : اليقين : المشاهدة ،
ومعنى المشاهدة قد ذكرناه .

والثالث : الأكابر ، وهم خصوص الخصوص ، وهو ما قال عروب بن عثمان المسكي ،
رحمه الله : اليقين ، في جملته : تحقيق الإثبات لله عز وجل بكل صفاته .

وقال : حد اليقين : دوام انتصاب القلوب لله عز وجل بما أورد عليها اليقين
من حركات ما لاقى به الإلهام .

وقال أبو يعقوب : لا يستحق العبد اليقين حتى يقطع عن كل سبب حال بينه وبين
الله تعالى ، من العرش إلى الثرى ، حتى يكون الله لا غير ، ويؤثر الله تعالى ،
على كل شيء سواء ، وليس لزيادات اليقين نهاية ؛ كلما تفهموا وتفقهوا في الدين
ازدادوا يقيناً على يقين .

واليقين أصل جميع الأحوال وإليه تنتهي جميع الأحوال ، وهو آخر الأحوال ،
وباطن جميع الأحوال ، وجميع الأحوال ظاهر اليقين ، ونهاية اليقين : تحقيق

التصديق بالغيب بإزالة كل شك وريب ، ونهاية اليقين : الاستبشار ، وحلاوة
المناجاة ، وصفاء النظر إلى الله تعالى ، بمشاهدة القلوب بحقائق اليقين بإزالة الغلَل
ومعارضة التهم .

قال الله تعالى : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَكِّمِينَ » ^(١) ، « وَفِي الْأَرْضِ
آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ » ^(٢) .

وقال الواسطي ، رحمه الله :

إذا أيقن بالمعنى وقع له مشاهدة الأحوال ، وإذا انكشف له حقائق المعنى
خرج من أشجان الخلق ، خاطبهم بالتقريب ، وهو الكشف من الصديقية ،
وخاطبهم الله تعالى ، بالمشاهدة فقال :

« وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ » ^(٣) ، الشهداء باعوه نفوسهم ، والصالحون
الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون .

كتاب أهل الصفوة

في الفهم والاتباع لكتاب الله عز وجل

باب الموافقة لكتاب الله تعالى

قال الشيخ ، رحمه الله : قال الله عز وجل : « هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ^(١) » ، وقال : « وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ^(٢) » ، وقال : « بَاسِ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ^(٣) » ، وقال : « حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ^(٤) » ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « القرآن حبلُ الله المتين لا تنقضى مجانبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، من قال به صدق ، ومن عمل به رشد ، ومن حكم به عدل ، ومن اعتصم به هُدى » .

وروى عن عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه ، أنه قال : « من أراد العلم فليثور القرآن ؛ فإن فيه علم الأولين ، والآخرين » ، وقد قال الله تعالى : « أَلَمْ ، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ^(٥) » .

فعلم أهل العلم بهذا الخطاب أن في كتاب الله الذى أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهو القرآن الذى لاشك فيه لأحدٍ من المؤمنين أنه من عند الله ، أن

(٣) يس : ٢

(٢) الإسراء : ٨٢

(١) آل عمران : ٧

(٥) البقرة : ١

(٤) القمر : ٥

فيه هُدىً وبياناً لهم في جميع ما أشكل عليهم من أحكام الدين ، بعد إيمانهم بالغيب ، وهو التصديق بما أخبرهم الله به عما غاب عن أعينهم .

ثم قال ، في آية أخرى « وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ^(١) » .

فأفادت هذه الآية لأهل الفهم من أهل العلم ، بعد إيمانهم بالغيب أيضاً ، أن تحت كل حرف من كتاب الله تعالى كثيراً من الفهم مذخوراً لأهله على مقدار ما قُسم لهم من ذلك ، واستدلوا على ذلك بآيات من القرآن ، مثل قوله عز وجل : « مَا فَرَّطْنَا ^(٢) فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ » ، وقوله : « وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ^(٣) » ، وقوله : « وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ، وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ^(٤) » .

وقالوا في معنى قوله عز وجل : « مِنْ شَيْءٍ » إن معناه : من شيء من علم الدين ، وعلم الأحوال التي بين الخلق وبين الله تعالى وغير ذلك .

وقال عز وجل ، في آية أخرى : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ^(٥) » يعني يدل إلى الذي هو أصوب ، فلم أهل الفهم من أهل العلم أن لا سبيل إلى التعلق بالأصوب مما يهدي إليه القرآن إلا بالتدبر ، والتفكير ، والتمعن ، والتذكر وحضور القلب عند تلاوته ، وعلموا ذلك أيضاً ، بقوله : « كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أُولُوا الْأَلْبَابِ ^(٦) » .

ثم استفاد أهل الفهم من هذه الآية ، أيضاً أن التدبر ، والتفكير ، والتذكر

(٣) يس : ١٢

(٢) الأنعام : ٣٨

(١) النحل : ٨٩

(٥) الإسراء : ٩

(٤) الحجر : ٢١

(٦) ص : ٢٩

لا وصول إليه إلا بحضور القلب ، تقول الله عز وجل : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ^(١) » بمعنى حاضر القلب .

ثم لم يترك على ذلك حتى ذكر القلب في آية أخرى فقال : « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَن أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ^(٢) » .

ثم لم يترك على ذلك حتى أقام إماماً للخلق في القلب السليم ، فقال عز وجل : « وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ، إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ^(٣) » قال أهل الفهم : القلب السليم الذي ليس فيه غير الله ، عز وجل .

وقال سهل بن عبدالله ، رحمه الله : لو أعطى الصديق لكل حرف من القرآن ألف فهم لما بلغ نهاية ما جعل الله تعالى في آية من كتاب الله تعالى من الفهم ، لأنه كلام الله تعالى ، وكلامه صفة .

وكان أنه ليس له نهاية فكذلك لانهاية لفهم كلامه ، وإنما يفهمون على مقدار ما يفتح الله تعالى على القلوب أوليائه من فهم كلامه ، وكلام الله غير مخلوق فلا تبلغ إلى نهاية الفهم فيه فهوم المخلوق ، لأنها محدثة مخلوقة .

وقد ذكر الله تعالى الهداية في القرآن قوله : « هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ^(٤) » .

باب في تخصيص الدعوة

ووجه الاصطفاء

قال سهل بن عبد الله رحمه الله : الدعوة عامة ، والهداية خاصة ، وأشار إلى قوله تعالى : « وَاللّٰهُ يَدْعُوْا إِلَى دَارِ السَّلَامِ ، وَيَهْدِيْ مَنْ يَّشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ »^(١) ، لأن الدعوة عامة ، والهداية مختصة على تفاضلها ، لأنه رد المشيئة في باب الهداية إليه ، فكان الذين اختارهم وأحبهم واصطفاهم دون من دعاهم .

وقد ذكر الله تعالى الاصطفاء أيضاً ، في مواضع من كتابه ، فقال في موضع : « قُلِ الْمُنَدُّوْنَ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ، آلَهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ »^(٢) .

فأشار بالسلام إلى عباد قد اصطفاهم واجتباهم ، ولم يبين من هم ؟ وكيف هم ؟ ثم لم يترك على ذلك وقال في آية أخرى : « اللّٰهُ يَصْطَفِي الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ »^(٣) .

قال المفسرون : « ومن الناس » يعني به الأنبياء ، فلو ترك على هذا أيضاً لكان للقاتل أن يقول : إن الاصطفاء لا يجوز إلا للأنبياء ، فقال : « ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فهم ظالمون لأنفسهم ومنهم مقتصدون ، ومنهم سابق بالخيرات »^(٤) .

ففرق بين الاصطفاء الذي ذكر للرسول ، عليهم السلام والاصطفاء الذي ذكر لعباده الذين أوردتهم الكتاب ، وهم المؤمنون ، ثم بين أنهم متفاوتون أيضاً في أحوالهم

(٢) النمل : ٥٩

(٤) فاطر : ٢٢

(١) يونس : ٢٥

(٣) الحج : ٧٥

التي بينهم وبين الله تعالى : « فمنهم ظالمٌ لنفسه » الآية ، فوقع الاصطفاء على وجهين :

اصطفاء الأنبياء عليهم السلام بالعصمة ، والتأييد ، والوحي ، وتبليغ الرسالة ، ولسائرهم من المؤمنين : الاصطفاء بصفاء المعاملة وحسن المجاهدة والتعلق بالحقائق والمنازلة .

ثم قال عز وجل : « لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا » .

وقال تعالى : « لو شاء الله لجعلكم أمةً واحدةً ولكن ليبلوكم فيما أنتم فاستبقوا الخيرات »^(٢) .

فأمرهم الله تعالى بالاستباق ، والمصارعة والمبادرة إلى الخيرات مجملًا ، ولم يبين أين الخيرات التي أمرهم بالاستباق إليها ؛ ثم فصل وبين مواضع كثيرة كقوله :

« وهدى للمتقين »^(٣) ، « وموعظةً للمتقين »^(٤) ، « وإيأى فائقون »^(٥) ، « وإيأى قارهبون »^(٦) ، « فلا تخافوهم وخافون »^(٧) ، « فلا تخشوهم واخشون »^(٨) ، « فاذكرونى أذكركم »^(٩) ، « وعلى الله فتوكلوا »^(١٠) ، « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول »^(١١) ، « والذين جاهدوا فىنا »^(١٢) ، « ومن شكر فإنما يشكر لنفسه »^(١٣) ، « والله يحب الصابرين »^(١٤) ، « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين »^(١٥) .

(١) المائدة : ٤٨	(٢) المائدة : ٤٨	(٣) البقرة : ٢
(٤) البقرة : ١٦٦	(٥) البقرة : ٤١	(٦) البقرة : ٤٠
(٧) آل عمران : ٧٥	(٨) البقرة : ١٤٥	(٩) البقرة : ١٥٢
(١٠) المائدة : ٢٣	(١١) المائدة : ٩٢	(١٢) العنكبوت : ٦٩
(١٣) النمل : ٤٠	(١٤) آل عمران : ١٤٦	(١٥) البينة : ٥

وقال : « رجالٌ صدقوا عاهدوا الله عليه ^(١) » ، ثم ذكر : القانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والناشطين والناشطات .
وذكر في آيات من القرآن : التوبة ، والإنابة ، والتفويض ، والرضا ، والتسليم ، والقناعة ، وترك الاختبار .

ثم قال : « قل متاعُ الدنيا قليلٌ والآخرةُ خيرٌ لمن اتقى ^(٢) » .

وقال : « ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسنُ المآبِ ^(٣) » ، « وما الحياةُ الدنيا إلا لعبٌ ولهوٌ ^(٤) » ، « وما حياة الدنيا إلا متاعُ الغرور ^(٥) » ، ثم قال : « من كان يريد حرثَ الآخرةِ نزِدْ له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نَزِثْ له منها وماله في الآخرة من نصيب ^(٦) » .

ثم ذكر الشيطان فقال : « إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ^(٧) » ، وقال : « أفرأيتَ من اتخذ إليه هواه وأضلَّهُ اللهُ على علمٍ وختم على سمعه وقلبه وجعل اللهُ على بصره غشاوةً ^(٨) » ، وقال : « فأما من ظنى وآثر الحياة الدنيا ^(٩) » الآية .

وما يشبه ذلك من الآيات التي ندب الله تعالى الخلق إلى المسارعة والاستباق إلى التعلق والخلق بها ، والصدق والإخلاص فيها كثيرة ؛ والمؤمنون في قبول ذلك متساوون ، وفي منازلها وركوب حقائقها متفاوتون ، والجميع مخاطبون .
وهم على ثلاث درجات .

(١) الإحزاب : ٢١	(٢) النساء : ٧٧	(٣) آل عمران : ١٤
(٤) الأنعام : ٣٢	(٥) الحديد : ٢٠	(٦) الشورى : ٢٠
(٧) فاطر : ٦	(٨) الجاثية : ٢٣	(٩) النازعات : ٢٧ - ٢٨

باب ذكر تفاوت المستمعين

خطاب الله تعالى ودرجاتهم في قبول الخطاب

قال الشيخ ، رحمه الله : فمنهم من سمع الخطاب ، وقبله ، وأقر به ، وتعرض لما خوطب به من هذه الآيات البينات التي ذكرناها ، والتي لم نذكرها فيما يشبه ذلك وحال بينه وبين العمل بها والانتفاع بما وعدهم الله تعالى من الثواب عليها ، الاشتغال بالدنيا والغفلة ومتابعة النفس ، واختيار ، الحظوظ على الحقوق ، والإجابة لدواعي العدو ، والميل إلى أمارات الهوى والشهوات ؛ وهم الذين وصفهم الله تعالى في كتابه وزجرهم ووبخهم ، حيث يقول :

« أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ^(١) » وقال : « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه ^(٢) » ، وقال : « خذ العفو وأمر بالعرف ^(٣) » وقال : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل للسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ^(٤) » ، ثم قال ، عز وجل : « قل أو نبشكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ^(٥) » .

ومنهم من سمع الخطاب ، فأجاب ، وتاب ، وأناب ، وعمل في الطاعات ، وتحقق في الأحوال والمنازلات ، وصدق في المعاملات ، وأخلص في المقامات ؛ وهم الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه ، وذكر ما أعد الله لهم ، فقال :

(١) الجاثية : ٢٣ (٢) الكهف : ٢٨ (٣) الأعراف : ١٩٩
(٤) آل عمران : ١٥ (٥) آل عمران : ١٥

« الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم »^(١) ، وقال : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزولاً »^(٢) ، وقال : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ولنَجْزِيَنَّهُمْ بأحسن ما كانوا يعملون »^(٣) .

قالوا : الحياة الطيبة : هي الرضا والقناعة بالله عز وجل .

ثم قال : « قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون »^(٤) الآية .

وقال عمرو المكي رحمه الله : فكل شيء غير الله مما وقع في القلوب فهو لغوٌ ، فأخبر أن الموحدين عن كل شيء غير الله معرضون ، ثم قال : « أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون »^(٥) .

وذكرهم في القرآن كثير ، وقد فضّلهم على غيرهم بذكرهم لهم ووعدهم إياهم بالثواب الجزيل .

والطبقة الثالثة من المخاطبين : هم الذين ذكرهم الله تعالى ، وشرفهم بذكرهم لهم ، ونسبهم إلى العلم والخشية فقال : « إنما يخشى الله من عباده العلماء »^(٦) .

وقال : « وأولوا العلم قائماً بالقسط »^(٧) ، وقال : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون »^(٨) .

ثم خص من هؤلاء قوماً أيضاً ، فقال : « والراسخون في العلم »^(٩) زاد في وصفهم الذي شرفهم به ، معنى آخر :

(٢) الكهف : ١٠٧

(٤) المؤمنون : ١ - ٢

(٦) فاطر : ٢٨

(١) النمل : ٣

(٣) النحل : ٩٧

(٥) المؤمنون : ١٠ - ١١

(٧) آل عمران : ١٨

قال أبو بكر الواسطي ، رحمه الله : الراسخون في العلم : هم الذين رسخوا بأرواحهم في غيب الغيب ، وفي سر السر ، فعرّفهم ما عرفهم ، وأراد منهم من مقتضى الآيات ما لم يرد من غيرهم ، وخاضوا بحر العلم بالفهم ، لطلب الزيادات ، فأنكشف لهم من مذخور الخزائن والمخزون تحت كل حرف وآية من الفهم ومجائب النص ، فاستخرجوا الدر والجواهر ، ونطقوا بالحكم .

ومنهم من كانت البحار عنده كتلة فيما شاهد من المتأثرات ، يعني مستأثرات العلم الذي استأثر الله تعالى به أنبياء ، وخص بذلك أوليائه وأصفياه ، فخاص بسره عند صفاء ذكره وحضور قلبه في بحار الفهم ، فوقع على الجوهر العظيم ، وهو الذي علم مصادر الكلام من أين ، فوقع على العين ، فأغناهم عن البحث والطلب والتفتيش .

وهذا شرح من كلام الواسطي فيما ذكر وبيان ما قال الواسطي في كلام ذكر ذلك عن أبي سعيد الخزاز في معنى ذلك .

قال أبو سعيد ، رحمه الله : أول الفهم لكتاب الله عز وجل : الصل به : لأن فيه العلم ، والفهم ، والاستنباط ؛ وأول الفهم إلقاء السمع والشاهدة ، بقول الله ، عز وجل : « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »^(١) وقال تعالى : « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه »^(٢) .

والقرآن كله حسن ، ومعنى اتباع الأحس ما يكشف للقلوب من المجائب عند الاستماع وإلقاء السمع من طريق الفهم والاستنباط .

باب في شرح استنباط إلقاء السمع والحضور بالتدبر عند

التلاوة وفهم الخطاب بما خوطب به العبد

قال الشيخ ، رحمه الله : واعلم أن إلقاء السمع والحضور عند الاستماع على ثلاثة أوجه :

قال أبو سعيد الخراز ، رحمه الله ، فيما يلفتني عنه : أول إلقاء السمع لا سماع القرآن هو أن نسمعه كأن النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ عليك ثم ترقى عن ذلك فكأنك تسمعه من جبريل عليه السلام وقراءته على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لقول الله ، عز وجل : « وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ ... » ^(١) الآية ، ثم ترقى عن ذلك فكأنك تسمعه من الحق ، وذلك قول الله ، عز وجل : « وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ » ^(٢) وقوله : « نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ » ^(٣) فكأنك تسمعه من الله ، تعالى ، وكذلك : « حم نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ » ^(٤)

ونخرج الفهم في استماعك من الله تعالى : عند حضور قلبك وغيبتك عن أشغال الدنيا وعن نفسك بقوة المشاهدة ، وصفاء الذكر ، وجمع الهم ، وحسن الأدب ، وطهارة السر ، وصدق التحقيق ، وقوة دعائم التصديق ، والخروج إلى السعة من الضيق ، وحضور المشاهدة لنفاذ الغيب ، وسرعة الوصول إلى المذكور بالغيب بكلام اللطيف الخبير .

(٣) الزمر : ١

(٢) الإسراء : ٨٢

(١) الشعراء : ٩٣ - ٩٤

(٤) غافر : ١ - ٢

وشرح هذا كله مفهوم ومستنبط من قوله ، تعالى : « الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ »^(١)

قال أبو سعيد ابن الأعرابي : هم في غيبه مغيبون ، فبالغيب آمنوا بالغيب ، وهو ، وإن كان غيباً ، فإنه لا يلحقهم في ذلك شك ولا ريب .

وقال ، تعالى : « قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ، أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ ، أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي ؟ »^(٢) ؛ وقال : « فَأَذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصَرِّفُونَ ؟ »^(٣)

وقال أبو سعيد الخراز ، رحمه الله : كلما أدرك الخلق من الله فإنما أدركوا غيباً خارجاً عن نعوت الحقائق ، وهو قوله : « الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ » والغيب هو ما أشهد الله تعالى القلوب من إثبات صفات الله وأسمائه ، وما وصف به نفسه ، وما أدى إليهم الخبر فثبتوا الصفات ، ولم يدعوا إدراكها على نهاية ، ألا تسمع إلى قوله ، تعالى : « وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَفْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ »^(٤) ؟ فإذا كان وصف كلامه لا يدرك ، ولا يوصل إلى نهاية فهمه ، فكيف يدرك حقيقة وصفه وهويته وكنهه ؟

فلذلك قرر عند أهل الفهم من أهل العلم أن كل شيء أشار إليه المتحققون ، والواجدون ، والعارفون ، والموحدون ؛ وما عبروا عنه ، وما لم تسمه العبارة ، ولا يوصي إليه بالدلالة ، ولا يشار إليه بالإشارة ، من اختلاف المعارف ، وتباين الأحوال والمقامات والأماكن ، وغير ذلك مما شاهدوه ظاهراً وباطناً ، هو الغيب الذي وصفه الله تعالى ، بقوله : « الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ » .

(٢) يونس : ٣٥

(٤) لقمان : ٢٨

(١) البقرة : ٣

(٣) يونس : ٣٢

باب وصف أرباب القلوب في فهم القرآن

قال الشيخ ، رحمه الله : وقد ذكر الله تعالى وصف جميع أرباب القلوب وأهل الحقائق : من المريدين ، والعارفين ، والمتحققين ، والواجدين ، وأهل المجاهدات ، والرياضات ، والمتقربين إليه ، بأنواع الطاعات ، ظاهراً وباطناً ، كما في كتابه وهو قوله ، عز وجل ، فيما يصف به ملائكته : « أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ؟ » ^(١) وقال للمؤمنين : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ » ^(٢) .

فكان في هذه الآية شرح وبيان في صفة الذين يؤمنون بالغيب بابتغاء الوسيلة . ثم زاد في البيان والتفصيل في آية أخرى ، بحث به المؤمنين على المسارعة إلى الخيرات ، فقال ، عز وجل : « أَيْحْسِبُونَ أَنَّكُمْ نُمِدُّكُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ » ^(٣) .

واستفاد أهل الفهم من هذه الآية أن أول المسارعة إلى الخيرات هو التقلل من الدنيا ، وترك الاهتمام بالرزق ، والتباعد والقرار من الجمع والمنع باختيار القلة على الكثرة ، والزهد في الدنيا على الرغبة فيها .

ثم ذكر الذين يسارع لهم في الخيرات ووصفهم فقال : « الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ » ^(٤) فوصفهم بالإشفاق من الخشية ؛ والخشية والإشفاق اسمان باطنان ، وهما إعلان من أعمال القلب ، فالخشية سر في القلب خفي والإشفاق من الخشية أخفى من الخشية .

وهو الذي ذكر الله ، تعالى فقال : « يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى » ^(٥) .

وقد قيل : إن الخشية انكسار القلب من دوام الانتصاب بين يدي الله تعالى .

(٣) المؤمنون : ٥٥ - ٥٦

(٢) المائدة : ٣٥

(١) الإسراء : ٥٧

(٥) طه : ٧

(٤) المارج : ٢٧

ثم من بعد هذه المرتبة الشريفة والحال الرفيعة التي وصفهم الله تعالى بها من الخشية والإشفاق وغير ذلك فقال : « وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ »^(١) ، وكانوا قبل الخشية والإشفاق مؤمنين بآيات الله فلم أنه أراد بذلك زيادة الإيمان ، ألا ترى أنه يصف رسوله الله صلى الله عليه وسلم بالإيمان به بعد الرسالة والنبوة ، وذلك قوله ، عز وجل : « فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَأْتِيكُمُ بِاللَّهِ وَكَلَامِهِ »^(٢) .

فاستنبط أهل الفهم واستفادوا من هذه الآية أن زيادة الإيمان لا نهاية لها ، وأن جميع ما وصل إليه أهل الحقائق من بدايتهم ، أن ذلك من حقائق الإيمان وزيادته ، وبراهينه وأنواره ، وأن لا نهاية لذلك .

ثم قال ، عز وجل : « وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ »^(٣) ، فذكر أنهم لا يشركون ربهم بعد ما وصفهم بالخشية والإشفاق والإيمان .

فاستفاد أهل الفهم أيضاً من ذلك وعلموا مستنبط هذه الآية . وذكر الشرك هاهنا : أنه من الشرك الخفي الذي يعارض القلوب من رؤية الطاعات وطلب الأعواض بعد ما شهد شاهد صريح الإيمان أن لا ضار ولا نافع ، ولا معطى ولا مانع ، إلا الله ؛ فعند ذلك شمروا وجدوا ، وتضرعوا إلى الله تعالى ، وطلبوا منه الخلاص لقلوبهم بصدق الإخلاص في الإخلاص ، وعلموا أنهم على قدر إخلاصهم في إيمانهم ينظرون إلى دقائق شركهم وريائهم الذي هو أخفى من دبيب النمل على الحجر الأسود في الليلة الظلماء .

وقد ذكر عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله : أنه كان يقول : أهل لا إله إلا الله كثير ، والمخلصون منهم قليل .

وقال سهل ، أيضاً : الدنيا كلها جهل إلا ما كان منه العلم ، والعلم كله حجة إلا ما كان العمل به ، والعمل كله هباء إلا موضع الإخلاص فيه ، وأهل الإخلاص على خطر عظيم .

ثم قال عز وجل : « وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ » ^(١) .

فاستنبط أهل الفهم من هذه الآية ، أيضاً ؛ أن وجل قلوبهم مع ما آتوا من المسارعة والاستباق إلى هذه الأحوال التي ذكرنا ، أن ذلك الوجل هو الوجل الذي لا سبيل إلى الكشف عن علم ذلك ، ولا وقوف عليه لأحد من خلقه ، وهو علم الخاتمة ، وما سبق لهم من الله تعالى في علم الغيب من الشقاوة والسعادة ؛ فعند ذلك تقطع نياط قلوبهم ، وذهلت عقولهم ، وذهبت علومهم ، وغابت فهمهم ، وأقبلوا على الله تعالى ، بصدق اللجأ ، وإظهار الفاقة ودوام الافتقار .

وتصديق ذلك ما قد روي في ذلك عن عائشة ، رضي الله عنها : أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله : « الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة » هو الذي يزني ويسرق ويشرب ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لا ، ولكنه هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه ، ثم قال : « وأنتك يسارعون في الخيرات وهم لما سابقون » ^(٢) .

فدل ذلك على أن بالمسارعة إلى هذه الخيرات تنال درجة السابقين وتبغى منزلتهم .

باب ذكر السابقين ، والمقربين ، والأبرار

من طريق الفهم والاستنباط

قال الشيخ ، رحمه الله : قال الله ، تعالى : « والسابقون السابقون أولئك المقربون ^(١) » ، ثم بين فضل المقربين على من دونهم من الأبرار والسابقين بمد ذلك فقال : « كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين ، وما أدراك ما عليون ^(٢) » ، ثم قال : « إن الأبرار لفي نعيم ، على الأرائك ينظرون » وصف الكرامات التي أكرم بها الأبرار ، وما خصهم به من النعيم والدرجات في عليين فقال : « تعرف في وجوههم نضرة النعيم ^(٣) » ، يعنى أن أهل الجنة يعرفون بالنضارة التي في وجوههم ، يعنى في وجوه الأبرار من النعيم الذي خصوا به من بين أهل الجنة ، ثم قال : « يسقون من رحيق مختوم ^(٤) » .

ولم يصف لأهل الجنة أنهم يسقون من الرحيق المختوم إلى قوله : « ومزاجه من تسنيم ^(٥) عينا يشرب بها المقربون ^(٦) » .

فخص الأبرار في الجنة من بين أهل الجنة بالرحيق المختوم ، ثم فضل شراب الأبرار وهو الرحيق المختوم على شراب أهل الجنة بمزاجه ، لأن مزاجه من التسنيم ، والتسنيم هو العين التي يشرب بها المقربون ، فصار شراب الذي فضلوا به على أهل الجنة معلولا بمزاجه عند شراب المقربين الذي ليس بممزوج .

(٢) الطائفون : ١٨ - ١٩

(٤) الطائفون : ٢٥

(٦) الطائفون : ٢٨

(١) الواقعة : ١٠ - ١١

(٣) الطائفون : ٢٢ - ٢٣

(٥) الطائفون : ٢٥

فانظر إلى هذه الإشارة ، ما ألفتها في معنى المقرين ، لأن الأبرار الذين خصوا من أهل عليين بالرحيق المختوم ونصرة النعيم والأرائك يمزج لهم في شرابهم مزاجاً من شراب المقرين ، الذي يشرب به المقريون على الدوام .

واستنبط أهل الفهم فيها معنيين .

أحدهما : أن شراب الأبرار ممزوج ، وشراب المقرين صرف غير ممزوج ، كما قال الله عز وجل ، في آية أخرى : « إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً »^(١) ثم وصف ما أعد الله لهم ، ثم قال : « ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً عينا فيها تسمى سلسبيلاً »^(٢) ، ثم أخذ في صفة أخرى من نعيم أهل الجنة فقال : « وإذا رأيت ثمراً رأيت نعيماً وملكا كثيراً »^(٣) ، أشار إلى نعيم لاصفة له بقوله : « ثم رأيت نعيماً » ولم يصف النعيم ، فلما بلغ إلى آخر القصة قال : « وسقاهم ربهم شراباً طهوراً »^(٤) ، فكلما ذكر شرابهم ووصف في ذلك فعلهم بقوله : « يشربون » يذكر المزاج في شرابهم ، فلما قال : « وسقاهم ربهم شراباً طهوراً » لم يذكر المزاج في شرابهم .

والمعنى الآخر : أن العين التي هي شراب المقرين يمزج منه بالعين التي هي شراب الأبرار .

ففضلوا على أهل الجنة بمزاج مزج شرابهم من التسليم ، وهو العين التي يشرب بها المقريون .

(٢) الإنسان : ١٧ - ١٨

(١) الإنسان : ٥

(٣) الموجود في قراءتنا « ثم » بمعنى هناك وقرأ الجمهور بفتح التاء وحيد الأعرج بضمها :

الإنسان : ٢٠

(٤) الإنسان : ٢١

فهذا فرق بين الأبرار والمقر بين والله أعلم .

ثم قال جل ذكره : « وَلَا نَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ^(١) » ، فبين أن المؤمنين إنما أعطوا الاستطاعة على قدر الطاقة في ركوب هذه الحقائق ومنازلة هذه الأحوال ، لأن جميع ما أتى به الأنبياء ، عليهم السلام ، فمن دونهم من الحقائق هو داخل في قوله عز وجل : « اتقوا الله ما استطعتم ^(٢) » لم يخرج أحد من ذلك .

باب بيان التشديد في القرآن ، ووجوه ذلك

قال الشيخ ، رحمه الله : اعلم أن الله تعالى قد أوجب على عباده بقوله : « واتقوا الله ما استطعتم » فرضاً ، لو أنهم أتوا بجميع أعمال الملائكة والأنبياء والصدّيقين ، ثم يطالبهم بحقيقة ذلك كان الذي عليهم في ذلك من إثبات الحجة أكثر من الذي لهم ألا ترى أن الملائكة مع ما جبلهم الله تعالى عليه من أنواع العبادات يقولون : سبحانك ربنا ، حقّ عبادتك ، ويقولون : « سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ^(١) » .
فقد تبرّءوا من علمهم وعبادتهم عند مشاهدة الحقيقة .
ومعنى قوله عز وجل : « اتقوا الله حق تقاته ^(٢) » راجع إلى قوله : « فاتقوا الله ما استطعتم » .

والتشديد في قوله : « اتقوا الله ما استطعتم » لأنك لو صليت ألف ركعة واستطعت أن تصل ركعة أخرى فأخرت ذلك إلى وقت آخر فقد تركت استطاعتك ، ولو ذكرت الله تعالى ألف مرة ، واستطعت أن تذكره مرة أخرى فتؤخر ذلك إلى وقت ثان فقد تركت استطاعتك ، وكذلك لو تصدقت على سائل بدينار ، واستطعت أن تعطيه درهماً آخر ، أو حبة أخرى فلم تفعل ذلك ، فقد تركت استطاعتك .

فن أجل ذلك قلنا : التشديد في قوله ما استطعتم .

ومن الآيات التي فيها التشديد أيضاً قوله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيها شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ^(٣) »
موضع التشديد في هذه الآية : أن الله تعالى ، ذكر القسم أنهم لا يؤمنون ، حتى يحكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما شجر بينهم ، ثم إن وجدوا في أنفسهم

حرجاً ، يعنى فى قلوبهم وأسرارهم وباطنهم ضيقاً ، أو كراهة فى حكمه ، لو أنه حكم عليهم بالقتل ، فقد خرجوا من الإيمان .

وقد ذكر الله القسم على خروجهم من الإيمان .

فلو قسمنا على ذلك ما أمرنا الله تعالى به من الصبر على أحكام الله عز وجل ، والرضا بما قسم الله لنا من الأخلاق والأرزاق ، والآجال والأعمال لم نجد معنا . ومع كثير من الناس ، ذرة من الإيمان ؛ ولولا رجاء الخلق فى سعة رحمته الله تعالى هللكوا بذلك .

باب ما قيل في فهم الحروف والأسماء

قال : الشيخ رحمه الله : يقال : إن جميع ما أدركته العلوم وألحقته الفهوم : ما عبر عنه وما أشير إليه ، مستفبط من حرفين من أول كتاب الله ، تعالى ، وهو قوله : « بسم الله ، والحمد لله : لأن معناه بالله والله ، والإشارة في ذلك : أن جميع ما أحاط به علوم الخلق وأدركته فهو مهم فليست هي فاعلة بذواتها ، إنما هي بالله والله .

وقيل للشبلي ، رحمه الله ، كما بلغني : أبش الإشارة في الباء من « بسم الله ؟ فقال أى بالله قامت الأرواح ، والأجساد ، والأجساد ، والحركات ، لا بذواتها .

وقيل لأبي العباس بن عطاء ، رحمه الله : إلى ماذا سكنت قلوب العارفين ؟ فقال : إلى أول حرف من كتابه وهو الباء من : « بسم الله الرحمن الرحيم » فإن معناه أن بالله ظهرت الأشياء ، وبه فئيت ، وبتجليه حسنت وباستتاره قبحت وسمجت لأن في اسمه « الله » هيئته وكبريائه ؛ وفي اسمه : الرحمن « محبته ومودته ؛ وفي اسمه : « الرحيم » عونه ونصرته .

فسجان من فرق بين هذه المعاني في لطائفها بهذه الأسماء في غوامضها !!!

قال الشيخ رحمه الله : معنى قوله : بتجليه حسنت يعنى بقبوله لها ، وبذا سميت الحسنة حسنة ، لأنه قبلها ، ولو لم يقبلها ما سميت الحسنة حسنة ، ومعنى قوله : باستتاره قبحت وسمجت ، يعنى بردها وإعراضه عنها ، وبذلك سميت السيئة سيئة ولو لا ذلك لما سميت سيئة

وقال أبو بكر الواسطي ، رحمه الله : كل اسم من أسماء الله تعالى يتخلق به إلا اسمه : الله ، واسمه الرحمن ؛ لأنهما للتماق دون التخلق ، وكذلك الصمدية ممتنعة عن الإدراك والإحاطة قال الله تعالى : « ولا يحيطون به علماً »^(١)

وقد قيل ، أيضاً : إن اسم الله الأعظم هو : الله ؛ لأنه إذا ذهب عنه الألف يبقى لله
وإن ذهب عنه اللام يبقى له ، فلم تذهب الإشارة ، وإن ذهب عنه اللام الآخر فيبقى
هاء ، وجميع الأسرار في الهاء ؛ لأن معناه : هو ، وجميع أسماء الله تعالى إذا ذهب عنه
حرف واحد يذهب المعنى ولم يبق فيه موضع الإشارة ، ولا تحمل العبارة
فمن أجل ذلك لا يسمى به غير الله تعالى .

وعن سهل بن عبد الله رحمه الله : أنه قال : الألف أول الحروف وأعظم الحروف
وهو الإشارة في الألف ، أى : الله الذى ألف بين الأشياء وانفرد عن الأشياء
وقال أبو سعيد الخراز ، رحمه الله : إذا كان العبد مجموعاً على الله تعالى ، لا ينصرف
منه جارية إلى غير الله عز وجل ، فسندها تقع له حقائق الفهم عند تلاوة كتاب الله
عز وجل الذى ليس مع الخلق

وقال أبو سعيد ، رحمه الله : كلما بدا حرف من الأحرف من كتاب الله عز وجل
على قدر قربك وحضورك عنده فله مشرب وفهم غير مخرج الفهم الآخر ؛ إذا سمعت
بقوله : « ألم ذلك » فللألف علم يظهر في الفهم غير ما يظهر اللام ، وعلى قدر المحبة ،
وصفاء الذكر ووجود القرب يقع التفاوت في الفهم

قال أبو سليمان الداراني : ربما جاءت الآية خمس ليال ، فلو لا أنى أترك الفكر
فيها ما جزتها أبداً وربما جاءت الآية من القرآن فيعطير معها العقل !! فسبحان الذى
يرده بعد ذلك .

وقال وهيب بن الورد رحمه الله . نظرنا في هذه الأحاديث والآداب فلم نجد شيئاً
أرق لهذه القلوب ، ولا أشد استجلاباً للحنن من تلاوة القرآن وتدبره !!

باب في وصف من أصاب في الاستنباط ، والإشارة

والفهم في القرآن ووصف من غلط وأخطأ في ذلك ،

قال الشيخ رحمه الله : وأما ما قال الناس من طريق الاستنباط والفهم ، فالصحيح من ذلك : أن لاتقدم ما أخر الله تعالى ، ولا تؤخر ما قدم الله ، ولا تنازع الربوبية ، ولا تخرج عن العبودية ، ولا يكون فيه تحريف الكلم .

وهذا حكى عن بعضهم كما : أنه سئل عن قوله ، عز وجل : « وأيوب إذ نادى ^(١) ربه أنى مسنى الضر » فقال : معناه : ما ساءنى الضر .

وبلغنى عن بعضهم ، أيضاً : أنه سئل عن قوله : « ألم يجدك يتيماً فآوى » ، فقال : معنى اليتيم مأخوذ من الدرة اليتيمة التى لا يوجد مثلها وكذا سئل آخر عن معنى قوله ، عز وجل : « قل إنما أنا بشر مثلكم ^(٢) » فقال : معناه : أنا بشر مثلكم عندكم .

فهذا وأشباه ذلك خطأ وبهتان وخسارة على الله ، تعالى وجهل ، وقلة المبالاة ، وهو تحريف الكلام عن مواضعه . فهذا هو السقيم .

وأما الصحيح من ذلك فكما سئل أبو بكر الكتانى ، رحمه الله ، عن قوله تعالى : إلا من أتى الله بقلب سليم ^(٣) ، فقال : القلب السليم على ثلاثة أوجه من طريق الفهم :

أحدها : هو الذى يلتقى الله تعالى عز وجل وليس فى قلبه مع الله شريك .
والثانى : هو الذى يلتقى الله تعالى وليس فى قلبه شغل مع الله ، عز وجل ، ولا يريد غير الله تعالى .

والثالث : الذى يلقى الله ، عز وجل ، ولا يقوم به غير الله عز فنى عن الأشياء بالله ثم فنى عن الله بالله .

ومعنى قوله فنى عن الله بالله يعنى يذهب عن رؤية طاعة الله عز وجل ورؤية ذكر الله ورؤية محبة الله ، بذكر الله له ، ومحبة قبل الخلق ، لأن الخلق بذكره لهم ذكره ، ومحبة لهم احبوه ، ، وتقديم عنايته بهم أطاعوه .

وكما سئل شاه الكرماني رحمه الله ، عن معنى قوله ، عز وجل : « الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطمئن ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين »^(١) ، فقال : X
الذى خلقنى فهو يهدين إليه لا غيره ، وهو الذى يطمئن الرضا ويسقنى المحبة ، وإذا مرضت بمشاهدة نفسى فهو يشفينى بمشاهدته ، والذى يميتنى عن نفسى ويميتنى به فأقوم به لا بنفسى ، والذى أطعم أن لا يجبلنى يوم ألقاه بنظرى إلى طاعنى وأعمالى ، ثم أفقر إليه بكليتى .

لسأله أنه لم ينل ما نال إلا به ولا ينال ما يأمل إلا به فقال : « رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين »^(٢) .

كما سئل أبو بكر الواسطى رحمه الله عن قوله تعالى : « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله »^(٣) ، فقال : قلب المؤمن قلب يطمئن بذكر الله تعالى ، وقلب العارف لا يطمئن بسواه .

وكما سئل الشبلى رحمه الله ، عن قوله : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم »^(٤) فقال : « أبصار الرموس عن محارم الله تعالى .

(٢) الشعراء : ٨٣

(٤) النور : ٣٠

(١) الشعراء : ٨٠

(٣) الرعد : ٢٨

وكما سئل الشبلي ، رحمه الله ، عن قوله : « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيدٌ »^(١) فقال لمن كان الله تعالى قلبه ، ثم أنشد :

لَيْسَ مِنِّي إِلَيْكَ قَلْبٌ مُعَقٌّ كُلُّ عَضْوٍ مِنِّي إِلَيْكَ قَلْبٌ
فهذا من طريق الفهم .

وأما طريق الإشارة فلي مآ قال أبو العباس بن عطاء ، رحمه الله : الحق لا يوجد مع الزل ، وأشار إلى قوله : « فإن زلتم من بعد ما جاءكم اليينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم » .

وكما كان يقول : (المَحِبُّ يسقط عنه التعذيب ، ووجود الألم بصفاب البشرية) .

وكان يستدل بقوله تعالى : « وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ، قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ »^(٢) .

وكما أشار أبو يزيد البسطامي ، رحمه الله ، حين سئل عن المعرفة فقال : « إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْضَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ » .

أراد بذلك أن عادة الملوك إذا نزلوا قرية أن يستعبدوا أهلها ، ويحطومون أذلة لهم ، ولا يقدرُونَ أن يعملوا شيئاً إلا بأمر الملك ؛ وكذلك المعرفة : إذا دخلت القلب لا تترك فيه شيئاً إلا أخرجه ، ولا يتحرك فيه شيء إلا أحرقت .

وكما كان يشير الجنيد رحمه الله : إذا سئل عن سكونه وقلة اضطراب جوارحه عند السماع إلى قوله : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله

الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ» (١).

وكا كان بشير أبو على الروذباري ، رحمه الله ، إذا رأى أصحابه مجتمعين فيقرأ « وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ » (٢).

واحتج أبو بكر الزقاق ، رحمه الله ، على ما قيل للزُّهري في تعريف الإنسان فقال : إن تكلم في ساعة ، وإن سكت في يوم لقول الله تعالى : « وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَمْ تَرَفْتَهُمْ بِسْمَاءِهِمْ وَلَنَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ » (٣).

فهذا وأشباه ذلك صحيح والله أعلم ، فحين على ما بينت لك ما نسمع من إشارات القوم ومستنبطاتهم ، حتى تميز بين الصحيح والسقيم ، والعاقل يستغنى بالقليل عن الكثير ، ويستدل بالشاهد على الغائب ، وبالله التوفيق .

(١) النمل : ٨٨

(٢) الشورى : ٢٩

(٣) محمد : ٣٠

كتاب الأسوة والاقتداء برسول

صلى الله عليه وسلم

باب وصف أهل الصفوة في الفهم ، والموافقة

والاتباع للنبي عليه الصلاة والسلام

قال الشيخ ، رحمه الله : قال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام : « قلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا » ^(١) ، فأعلمنا بذلك أنه بُعث للخلق كافة .

ثم قال : « وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ » ^(٢) .

فقد شهد الله تعالى له بأنه يهدي إلى صراط مستقيم .

ثم أوجب علينا نفي الهوى عن نطقه ، لقوله ، عز وجل : « وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ » ^(٣)

ثم وصفه الله تعالى فقال : « هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ » ^(٤) ، فأعلمنا أنه يتلو علينا آياته ، ويعلمنا الكتاب - وهو القرآن ، والحكمة - وهي الإصابة ، والإصابة سننّه ، وآدابه ، وأخلاقه ، وأفعاله ، وأحواله ، وحقائقه .

(٢) الشورى : ٥٢-٥٣

(٤) الجمعة : ٢

(١) الأعراف : ١٥٨

(٣) النجم : ٣

ثم بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل إليه من ربه ، وما أمر بإبلاغه لقوله عز وجل : « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ » ^(١) .

ثم أمر الله عز وجل الخلق كافة بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أمرهم بطاعته ؛ لقوله عز وجل : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ » ^(٢) ، وقوله : « وَمَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ » ^(٣) ، وأمرهم بالقبول منه ، بقوله عز وجل : « مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ » ^(٤) ، وأمرهم بالانتهاء عما نهى عنه بقوله جل وعلا : « وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا » ^(٥) ، ودلهم على الاهتداء باتباعه بقوله تعالى : « وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » ^(٦) ، ووعدهم الهداية بطاعته بقوله عز وجل : « وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا » ^(٧) ، وحذّروهم الفتنة ، والعذاب الأليم ، إن خالفوا أمره فقال عز وجل : « فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » ^(٨) .

ثم عرفنا الله تعالى ، أن محبة الله للمؤمنين ، ومحبة المؤمنين لله في اتباع رسوله بقوله عز وجل : « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ » ^(٩) .

ثم ندب الله المؤمنين إلى الأسوة الحسنة برسوله عليه الصلاة والسلام ، فقال « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » ^(١٠) .

- | | | |
|-------------------|----------------|-------------------|
| (١) المائدة : ٦٧ | (٢) النور : ٥٤ | (٣) النساء : ٨٠ |
| (٤) الحشر : ٧ | (٥) الحشر : ٧ | (٦) الأعراف : ١٥٨ |
| (٧) النور : ٥٤ | (٨) النور : ٦٣ | (٩) آل عمران : ٣١ |
| (١٠) الأحزاب : ٢١ | | |

ثم روى عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، أخبار ؛ فكل خبر ورد عن رسول الله عليه الصلاة والسلام بنقل الثقة عن الثقة ، حتى انتهى إلينا ، فالأخذ به لازم لجميع المسلمين ؛ لقوله ، عز وجل : « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول ^(١) » وقوله : « إنك على صراطٍ مستقيم » ^(٢) .

فصار الأسوة به ، والاتباع له ، والطاعة لأمره ، واجبا على جميع خلقه ممن شهد أو غاب إلى يوم القيامة ، غير الثلاثة الذين رفع القلم عنهم .

فن وافق القرآن ولم يتبع سنن رسول الله ، عليه الصلاة والسلام ، فهو مخالف للقرآن غير متبع له ، والمتابعة والافتداء : هي الأسوة الحسنة برسول الله عليه الصلاة في جميع ما صح عنه من أخلاقه ، وأفعاله وأحواله ، وأوامره ، ونواهيه ، ونذبه ، وترغيبه ، وترهيبه ، إلا ما قام الدليل على خلافه ، كقوله ، عز وجل : « خَالِصَةً لَّكَ مِنَ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ ^(٣) » ، وقول النبي عليه الصلاة والسلام ، في الوصال : لست كأحدكم ، وقوله ، عليه الصلاة والسلام في حديث الأضحية لأبي بردة ينار : اذبح ، ولا تجزى عن أحد بمدك ؛ وما يشبه ذلك مما يقوم عليه الدليل من نص الكتاب والآثار .

فأما ما روى عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، في الحدود ، والأحكام ، والعبادات : من الفرائض ، والسنن ، والأمر ، والنهي ؛ والاستحباب والرخص ، والتوسيع ؛ فذلك من أصول الدين ، وهو مدون عند العلماء والفقهاء ، ومستعمل فيما بينهم ، ومشهور عندهم ؛ لإيهم الأئمة الحافظون لحدود الله ، المتمسكون بسنن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، الناصرون لدين الله ، عز وجل ، يحفظون على الخلق

دينهم ، ويبينون لهم الحلال من الحرام ، والحق والباطن ؛ فهم حجج الله تعالى :
على خلقه ، والدعاة له في دينه ، فهؤلاء هم الخاصة من العامة .

فأما الخاصة من هؤلاء الخاصة : لما أحكموا الأصول ، وحفظوا الحدود ،
وتمسكوا بهذه الشئ ، ولم يبق عليهم من ذلك بقية ، استبحنوا أخبار رسول الله
عليه الصلاة والسلام ، التي وردت في أنواع الطاعات ، والآداب ، والعبادات ،
والأخلاق الشريفة ، والأحوال الرضية ؛ وطالبوا أنفسهم بمتابعة رسول الله
عليه الصلاة والسلام ، والأسوة به ، واقتفاء أثره بما بلغهم من آدابه ، وأخلاقه ،
وأفضاله ، وأحواله ؛ فحفظوا ما عظم ، وصبروا ما صغر ، وقللوا ما قلل ، وكثروا
ما كثر ، وكرهوا ما كره ، واختاروا ما اختار ، وتركوا ما ترك ، وصبروا على
ما صبر ، وعادوا من عادى ، ووالوا من والى ، وفضلوا من فضل ، ورغبوا
فيما رغب ، وحذروا ما حذر ؛ لأن عائشة رضى الله عنها ، سئلت عن خلق
رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟ فقالت : كان خلقه القرآن ، تعنى موافقة القرآن . ٤٨
وروى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : بُنِيتُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ . ٤٩

باب ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

في أخلاقه ، وأفعاله ، وأحواله

التي اختارها الله تعالى له

قال الشيخ ، رحمه الله : رَوَى عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال : إنه سبحانه أدبني فأحسن أدبي .

٥٠ وقد رَوَى عنه ، عليه الصلاة والسلام ، أنه قال : « أنا أعلمكم بالله وأخشاكم لله » .

٥١ وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « خَيْرْتُ بَيْنَ أَنْ أكون نَبِيًّا مَلِكًا أَوْ أكون نَبِيًّا عَبْدًا ؛ فَأشار إلى جبريل عليه السلام أن تواضع ، فقلت : بل أكون نَبِيًّا عَبْدًا : أشيع يومًا وأجوع يومًا » .

٥٢ ورَوَى عنه ، عليه الصلاة والسلام ، أنه قال : « عُرض على الدنيا فأبَيْتُهَا » .

٥٣ وقال عليه الصلاة والسلام : « لو كان لي أَحَدٌ ذَهَبًا لَأَنْفَقْتُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا شَيْءً أُرْصَدُهُ لِدَيْنٍ » .

٥٤ ورَوَى عنه عليه الصلاة والسلام : أنه لم يَذْخَرْ شَيْئًا لِنَفْسِهِ ، وأنه إنما ادْخَرَ مَرَّةً قُوَّةَ سَنَةِ لِمَالِهِ وَلَمْ يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنَ الْوَفُودِ .

٥٥ وقد رَوَى عنه عليه الصلاة والسلام : أنه لم يكن له قَيْصَانٌ ، ولم يَنْخُلْ له طَعَامٌ ، وأنه خَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَشْبعْ مِنْ خَبْزِ بُرِّ قَطْ ، اخْتِيارًا لَا اضْطِرَارًا ؛ لِأنَّهُ لو سَأَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ الْجِبَالَ ذَهَبًا وَلَمْ يَحْسابْ عَلَيْهِ ، لَقَمَلَّ ذَلِكَ .

وقد رُوى شيهاً بذلك في الأخبار والروايات .

- وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لبلال رضى الله عنه : « أنفقْ بلال ، ٥٦
ولا تحش من ذى العرش إقلا لا » .
- ووضعت بريرة بين يديه عليه الصلاة والسلام ، طعاماً فأكل منه فردته ٥٧
إليه الليلة الثانية ؛ فقال لها : أما خشيت أن يكون له بُخارٌ يوم القيامة ؟
لا تدخرى شيئاً لغيري ؛ فإنه عز وجل يأني برزق كل غدٍ ، أوقال : يوم .
- ورُوى عنه عليه الصلاة والسلام : أنه لم يعب طعاماً قط ، إن اشتهاه أكله ، ٥٨
وإن لم يشتهه تركه ، ولا خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما .
ولم يكن النبي ، صلى الله عليه وسلم زراعاً ، ولا تاجراً ، ولا حرثاً .
- وكان من تواضعه صلى الله عليه وسلم : يلبس الصوف ، ويتعل الخوص ، ٥٩
ويركب الحمار ، ويحلب الشاة ، ويخصف نعله ، وبرقع ثوبه ، وكان لا يأنف أن
يركب الحمار ، ويُردف خلفه .
- وقد روى في الخبر : أنه عليه الصلاة والسلام كان يكره الفنا ، ولا يخشى من ٦٠
الفقر ، وكان يمر به وبأزواجه الشهر والشهران فلا يوقد في بيته ناراً للخبز ، وأنه كان
طعامهم الأسودين : التمر ، والماء .
- وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه خير نساءه فاخترن الله ورسوله ، وفيهن
نزل : (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كُنْتُنَّ تُحِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ٦١
وَزِينْتَهَا ^(١)) الْآيَتِينَ جَمِيعاً .
- وكان من دعائه عليه السلام : « اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشني ٦٢
في زمرة المساكين » .

ومن دعائه صلى الله عليه وسلم أيضا : « اللهم ارزق آل محمد قوت يوم بيوم » .

وكان أبو سعيد الخدري رضى الله عنه يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقل البعير ، ويعلف الفاضح ، ويقم البيت ، ويخصف النعل ، ويرقم الثوب ، ويحلب الشاة ، ويأكل مع الخادم ، ويطنن معها إذا هي أعيت ، وكان لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله ، وكان يصفح الغنى والفقير ، ويسلم مبتدئا ، وكان لا يرد من دعاه ، ولا يحقر مادعى إليه ، ولو إلى حشف التمر ، وكان لين الخلق ، كريم الطبع ، جميل المعاشرة ، طلق الوجه ، بساما من غير ضحك ، محزونا من غير عبوس ، متواضعا من غير ذلة ، جوادا من غير سرف ، رقيق القلب ، دائم الإطراق ، رحيبا بكل مسلم ، لم يتجشأ قط من شبع ، ولا مد يده إلى طمع .

وقالت عائشة رضى الله عنها : كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود من الريح المرسلة .

ووهب النبي صلى الله عليه وسلم ما بين جبلين من النعم لرجل واحد ، فرجع ذلك الرجل إلى قبيلته ، وقال : إن محمداً عليه الصلاة والسلام يُعطى عطاء من لا يخشى الفقر .

ولم يكن رسول الله عليه الصلاة والسلام صخاباً ، ولا فحاشاً ، ولا متفحشا .

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يأكل على الأرض . ويجلس على الأرض . ويلبس العباء . ويجالس المساكين ويمشي في الأسواق . ويتوسد يده . ويقتص من نفسه . ولم يُرَ ضاحكاً ملء فيه . ولم يأكل وحده قط . ولا ضرب عبده قط . ولا ضرب أحداً بيده إلا في سبيل الله عز وجل . وكان لا يجلس متربعا . ولا يأكل متكئا . ويقول : « آكلُ كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد .

٦٦ وروى عنه عليه الصلاة والسلام : أنه شد الحجر على بطنه من الجوع ، ولو سأل ربه أن يحمل له أبا قبيس ذهباً لأجابه .

٦٧ وحمل النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه إلى بيت أبي الهيثم بن التيهان من غير أن دعاء ، وأكل في بيته من طعامه ، وشرب من شرابه ، وقال هذا من النعيم الذي تسألون عنه .

ودعاء عليه الصلاة والسلام رجل آخر إلى بيته مع خمسة من أصحابه ؛ فلم يدخل معه السادس إلا بإذنه .

٦٨ ويُروى في الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام لبس منديلاً له علم . ثم رمى به ، وقال : كاد تلهيني أعلامه ، وقال : إيتوني بأنبجانية أبي جهنم .

٦٩ وسأل عن الصلاة في ثوب واحد فقال : أوكلكم يجدُّ ثوبين ؟
٧٠ وقال : أنا ابن امرأة [من قريش] كانت تأكل القديد .

٧١ وقال : لا تفضلوني على يونس بن متى عليه السلام .

٧٢ وقال : [مرة] : أنا سيد ولد آدم ولا فخر .

٧٣ وقال عليه الصلاة والسلام : « إني أعطى أقواماً وأمنع آخرين ، وليس الذي أعطيه بأحب إليَّ من الذي أمنعه » .

- ٧٥ وقال : أول من يدخل الجنة فقراء الأنصار . الشعنة رؤوسهم . الدنسة ثيابهم . الذين لا ينفكحون التمتع ، ولا تفتح لهم السدد .
- ٧٦ وقال عليه الصلاة والسلام : « مالى وللدنيا » .
- ٧٧ وقال : « ليكن بُلغة أحدكم كزاد الراكب » .
- ٧٨ وقال : « يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام » .
- ٧٩ وقال : « نحن معشر الأنبياء أشد الناس بلاءً ، ثم الأمل فالأمل ، ويُبْتلى الرجل على قدر دينه ؛ فإن كان في دينه صلابة فهو أشد بلاءً » .
- ٨٠ وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : إني أُحِبُّكَ ، قال : أَسْتَعِدُّ للبلاء جلياباً .
- ٨١ ورَوَى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « حُبُّ إِيٍّ من دُنْيَا كَمِ ثَلَاثَ » .
- ٨٢ وقال : أُنْتَمِ أَعْلَمُ بِدُنْيَا كَمْ ، فَأَضَافَ الدُّنْيَا إِلَيْهِمْ وَأَخْرَجَ نَفْسَهُ مِنْهَا .
- ٨٣ وَلَمْ يَضَعْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِبْنَةً عَلَى لِبْنَةٍ إِلَى أَنْ خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا .
- ٨٤ وَخَرَجَ عَلَيْهِ [الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ] مِنَ الدُّنْيَا وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ عَلَى صَاعٍ مِنْ شَعِيرٍ ، وَلَمْ يَتْرِكْ دِينَاراً ، وَلَا دِرْهَمًا ، وَلَمْ يَقْسَمْ لَهُ مِيرَاثٌ ، وَلَمْ يَوْجَدْ فِي بَيْتِهِ أَمْثَالٌ .
- ٨٥ وقال : نحن معاشر الأنبياء لانورث ، ما تركنا صدقة .
- وكان يقبل الهدية ، والكرامة ، والعطية ، وكان لا يأكل من الصدقة ، ويأخذها منهم .

وروى عنه عليه الصلاة والسلام : أنه قال : ما أوحى الله ، تعالى ، أن أجمع المال ٨٦
وأكون تاجراً ، ولكن أوحى إلى أن : « سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ،
وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ »^(١) .

وروى عن عائشة رضي الله عنها : أنها قالت . ذبحنا شاة فتصدقنا بها حتى لم يبق ٨٧
إلا كنفها [قلت] : فقلت : يا رسول الله ، ذهب بكها إلا كنفها !! فقال النبي عليه
الصلاة والسلام : بقيت كلها إلا كنفها .

قال الله ، عز وجل : « ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ، مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ
وإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ تَمْنُونَ ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ »^(٢) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يحب مكارم الأخلاق ، ويكره سفاسفها . ٨٨
وقال ، عليه الصلاة والسلام : بُمِثْتُ لَأَتَى بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ .

وكان من خلقه ، صفات الله عليه ، الحياء ، والسخاء ، والتوكل ، والرضا ، ٨٩
والذكر ، والشكر والحلم ، والصبر ، والمغف ، والصفح ، والرفقة ، والرحمة والمدارة ،
والنصيحة ، والسكينة والوقار ، والتواضع ، والافتقار ، والجود ، والسماحة ،
والخضوع ، والقوة ، والشجاعة ، والرفق ، والإخلاص ، والصدق ، والزهد ، والقناعة ،
والخشوع ، والخشية ، والتمظيم ، والهيبة ، والدعاء والبكاء ، والخوف ، والرجاء ،
واللياقة^(٣) ، واللجأ ، والتهجد ، والمعبادة ، والجهاد ، والمجاهدة .

وكا روى عنه عليه الصلاة والسلام : أنه كان متواصلاً بالأحزان ، دائم الفكرة ٩٠
وكان لصدرة أزيز كآزيز المِرْجَل .

وأنه عليه الصلاة والسلام ، صلى حتى تورمت قدماء ، فقيل له : يا رسول الله ٩١
أليس قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر !! قال : أفلا أكون عبداً شكوراً

٩٢ وكان عليه الصلاة والسلام يُعطى من حرمة وَيَصِلُ من قطعه ، ويعفو عن ظلمه ؛ وما انتقم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لنفسه قط ، ولا غضب لنفسه قط إلا أن تنتهك محارم الله فيغضب الله .

٩٣ وكان للأرملة كالزَّوج الشفيق ، ولليتيم كالأب الرحيم !!!

٩٤ وقال عليه السلام من ترك مالا فلورثته ، ومن ترك كلاً أو ضياعاً قال :

وقال : اللهم إني بشرٌ أغضب كما يغضب البشر فأيا امرئ سببته أو لعنته فاجعل ذلك كفارة له ، أو كما قال :

٩٥ وقال أنس بن مالك : خدمت رسول الله عليه الصلاة والسلام عشر سنين ، فما ضربني ولا كبرني^(١) ، ولا قال لي شيء فعلته : لَمْ فَعَلْتُ ! ولا شيء لم أفعله : لَمْ لَمْ تَفْعَلْ .

٩٦ ولو لم يكن من كرمه وعفوه وحلمه إلا ما كان منه يوم فتح مكة لكان من كمال الكمال .

وذلك أنه دخل مكة صلحاً ، وقد قتلوا أعمامه وأولياءه بعد أن حصروه في الشعب ، وعذبوا أصحابه بأنواع العذاب ، وأخرجوه ، وأدموه ، وطرحوا عليه الرِّوث ، وآذوه في نفسه ، وفي أصحابه ، وسفهوا عليه ، واجتمعوا على كيدهِ ؛ فلما دخلها بنير حدم ، وظهر عليهم ، على صغر منهم ، قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أقول كما قال أخى يوسف عليه السلام : لا تثريب عليكم اليوم ، فنفر الله لكم ؛ وقال من دخل دار أبى سفيان فهو آمن .

وما يشبه ذلك مما يرد من الأخبار الصحيحة في هذا المعنى أكثر مما يتبها ذكره ؛ وإنما ذكرنا طرقاتاً لِيُسْتَدَلَّ به على ما لم نذكره ، والله أعلم بالصواب .

(١) كهر وقهر بمعنى واحد .

باب بيان ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم

فى الرخص والتوسيع على الأمة فيما أباح الله ، تعالى ، لهم

ووجه ذلك فى حال الخصوص ، والعموم ، فى الاقتداء برسول الله

صلى الله عليه وسلم

فأما ما روى عن النبى ، عليه الصلاة والسلام ، مما جمع الله عليه من أموال بنى قريظة ، والنضير ، وفدك ، وخيبر ، وأشباه ذلك ، والحلة التى أهدت إليه والجمع والسيف الذى فى قرابه فضة ، والستور التى كانت فى البيت ، والراية التى كانت له ، والبغل ، والناقة ، والحمار ، والبردة ، والعمامة ، والخلف الذى أهدى إليه النجاشى ، وغير ذلك مما يكثر ذكره ، وأنه كان يحب الحلو البارد ، وأنه أكل الخبيص ، والذى قال لأصحابه : كلوا واشبعوا ، وما جانس ذلك من الأخبار المروية عنه ، عليه الصلاة والسلام ، فإن جميع ذلك فى الرخصة والتوسيع على الأمة والإباحة لها ، لأنه كان عليه الصلاة والسلام ، إمام الخلق إلى يوم القيامة ، وأنه قال صلى الله عليه وسلم : بُعِثْتُ بِالْخَفْيَةِ السَّمْعَةِ ، وقال : عليه الصلاة والسلام : إِنَّمَا أَنَسَى لَأَسْنٍ .

ولو لم يوسع الله تعالى على الخلق بالتعلق بالرخص والأخذ بما أباح الله تعالى لهم فى الطلب والجمع والإمساك والمكاسب بشرط العلم لهلكوا ؛ لأن الله ، تعالى ، لم يدع الخلق إلى جمع الأموال والصنائع والتجارات ولكن أباح لهم ذلك ، لعلهم يضعفهم .

وقد دعاهم الله تعالى إلى طاعته ، وعبادته ، وندب كافة المؤمنين إلى ذكره ،

وشكره ، والتوكل عليه ، والانقطاع إليه ، بقوله ، تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ^(١) » وقوله تعالى : « وَحَلَّى اللَّهُ فِتْوَىٰ كَلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ^(٢) » ، وقال تعالى « وَأَنَّا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون ^(٣) » ، « وَإِيَّايَ فَارْهَبُون ^(٤) » « وَإِيَّايَ فَاتَّقُون ^(٥) » وأشابهه .

وليس حال الناس في هذه المباحات والرخص كحال الأنبياء عليهم السلام ؛ لأن تعلق الناس أكثرهم بالرخص والمباحات من ضعف إيمانهم ، وميل نفوسهم إلى الحفظ ، وعجزهم عن حمل أقال مرارة الصبر والقناعة بما لا بد لهم منها ، وربما يؤديهم ذلك إلى اتباع الشهوات ، واكتساب السيئات ، إن تحلفوا عن أداء حقوقها ولم يقوموا بشرائط العلم في تناولها .

فأما الأنبياء عليهم السلام ، فقد هذبوا بتأييد النبوة ، وقوة الرسالة ، وأنوار الوحي ، لا تأخذ منهم الأشياء ، ويكون كونهم فيها لغيرهم ، وقيامهم فيها لحقوقهم ، لا لحظوظهم .

الآتري في قوله تعالى : « مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّائِكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ ^(٦) » ، فقد أخبر بأن ما أفاء الله عليهم فهو لله وللرسول . والذي القربى واليتامى ، قالوا : ومعنى « فلله وللرسول » ، معنى : وللرسول أن يضمه في مواضعه ، والذي قال : خُمس الخمس فإن ذلك كان يضمه حيث يشاء .

(٢) المائدة : ٢٣

(٤) البقرة : ٤٠

(٦) الحشر : ٧

(١) الأحزاب : ٤١

(٣) المؤمنون : ٥٢

(٥) البقرة : ٤١

والناس في موافقة كتاب الله تعالى واتباع رسول الله ، عليه الصلاة والسلام ، على ثلاثة أقسام :

فمنهم من تعلق بالرخص ، والمباحات ، والتأويل ، والسعة .
ومنهم من تعلق بعلم الفرائض ، والشئني ، والحدود والأحكام .
ومنهم من أحكم ذلك ، وعلم من أحكام الدين مالا يسمعه الجاهل به ، ثم تعلق بالأحوال السنية ، والأعمال الرضية ، ومكارم الأخلاق ، ومعالي الأمور ، وحقائق الحقوق ، والتحقق ، والصدق .

كما روى في الحديث : أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لحارثة : لكل حق حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟ قال : عزفت نفسي عن الدنيا ، فأسهرت ليلي وأظلمات نهاري ، وكأني .. كما جاء في الحديث .

فقال النبي عليه الصلاة والسلام : عرفت فالزم ، أو قال : عبد نور الله قلبه .
ويقال : إن أصل جميع ما تسكلموا فيه من علم الباطن أربعة أحاديث .
حديث جبريل ، عليه السلام ، حيث سأل رسول الله ، عليه الصلاة والسلام ، عن الإيمان ، والإحسان ، فقال : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه الحديث .
وحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، أنه قال : أخذ الرسول عليه الصلاة والسلام بيدي ، وقال لي : يا غلام احفظ الله يحفظك .

وحديث وابصة الإثم ما حاك في صدرك ، والبر ما أطمان إليه نفسك .
وحديث النعمان بن بشير عن النبي عليه الصلاة والسلام : الحلال بين والحرام بين وقول النبي عليه الصلاة والسلام لا ضرر ولا ضرار في الإسلام .

باب ما ذكر عن المشايخ في اتباعهم^(١) رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، ونخصيصةهم في ذلك

قال الشيخ رحمه الله : سمعت [أبا عمرو] عبد الواحد بن علوان رحمه الله : سمعت الجنيد ، رحمه الله ، يقول : علمنا هذا مشتبك بحديث رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وسمعت أبا عمرو إسماعيل بن نجيد يقول : سمعت أبا عثمان سعيد بن عثمان الحيرى يقول : من أمر الثنة على نفسه قولاً ، وفلاً ، نطق بالحكمة ؛ ومن أمر الهوى على نفسه قولاً ، وفلاً ، نطق بالبدعة ؛ قال الله تعالى : « وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا »^(٢) .

وسمعت طيفور البسطامى يقول : « سمعت موسى بن عيسى المعروف بمعى يقول سمعت أبا يزيد البسطامى رحمه الله ، يقول : قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذى قد شهر نفسه بالولاية ، وكان الرجل فى ناحيته مقصوداً ، مشهوراً بالزهد والمبادة ، وقد سماه لنا طيفور ونسبته قال : فمضينا ، قال : فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى ببزاقه تجاه القبلة ، فقال أبو يزيد : قم بنا نتصرف ، قال : فأنصرف

(١) يبرنا هنا أن ندعو أعداء التصوف أو الذين يتهمون به بأنه خارج على الدين إلى قراءة هذا الفصل وهو حاسم فى صلة التصوف بالدين وآراء أئمة التصوف التى ذكرها المؤلف صريحة لا لیس فيها : التصوف مستمد من الكتاب والسنة قائم عليهما مهتد بهما متخذها القائد والقوة

(٢) النور : ٥٤

ملحوظة : ما بين الأقواس المضلعة موجود بهامش إحدى النسخ

ولم يسل عليه ، وقال : هذا رجل ليس بمؤمن على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه من مقامات الأولياء والصديقين ؟!

وسمعت طيفور يقول : سمعت موسى بن عيسى يقول : سمعت أبا يقول : سمعت أبا يزيد ، رحمه الله ، يقول : لقد هممت أن أسأل الله تعالى أن يكفيني مؤنة الأكل ، ومؤنة النساء ؛ ثم قلت : كيف يجوز لي أن أسأل الله عز وجل هذا ، ولم يسأله رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟ فلم أسأله ، وكفاني الله تعالى مؤنة النساء حتى لا أبالي استقبلتني امرأة أو حائط ، أو كما قال .

وسمعت أبا الطيب أحمد بن مقاتل المكي البغدادي يقول : كنت عند جعفر الخلدي ، رحمه الله [يوم مات الشبلي] فدخل عليه بNDAR الدينوري ، وكان خادم الشبلي ، رحمه الله ، وكان قد حضر موته ، فسأله جعفر : أبش رأيت منه في وقت موته ؟ فقال : لما أمسك لسانه وعرق جبينه أشار إلى : وضئني للصلاة ، فوضئته ، فنسيت تحليل لحيته ، فقبض على يدي وأدخل أصابعي في لحيته يخلها ! قال : فبكى جعفر ، وقال : أبش يتهياً أن يقال في رجل لم يذهب عليه تحليل لحيته في الوضوء ، عند نزع روحه ، وإمسك لسانه ، وعرق جبينه ؟ ! ! أو كما قال :

وسمعت أحمد بن علي الوجيهي يقول : سمعت أبا علي الروذباري يقول : كان أستاذاً في علم التصوف : الجنيد ، وكان أستاذاً في الفقه : أبو العباس بن سريج ، وكان أستاذاً في النحو واللغة : ثعلب ، وكان أستاذاً في حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام : إبراهيم الحربي .

وسئل ذو النون ، رحمه الله : بماذا عرفت الله تعالى ؟ فقال عرفت الله بالله ، وعرفت ما سوى الله برسول الله عليه الصلاة والسلام .

وقال سهل بن عبد الله ، رحمه الله : كل وجد لا يشهد له الكتاب
والسنة فباطل .

وقال أبو سليمان النابلسي ، رحمه الله : ربما تنكت الحقيقة قلبي أربعين
يوماً فلا آذن لها أن تدخل قلبي إلا بشاهدين من الكتاب والسنة .

فهذا ما حضرني في الوقت مما ذهب إليه الصوفية في اتباعهم رسول الله عليه
الصلاة والسلام ، وكرهت التثقيب ؛ واقتصرت على ما ذكرت للتخفيف ،
وبالله التوفيق .

كتاب المستنبطات

باب مذهب أهل الصفوة في المستنبطات الصحيحة في فهم

القرآن والحديث ، وغير ذلك ، وشرحها

قال الشيخ ، رحمه الله : [إذا] قالوا : ما معنى المستنبطات فيقال :

المستنبطات : ما استنبط أهل الفهم من المتحققين بالموافقة لكتاب الله ، عز وجل : ظاهراً وباطناً ، والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهراً وباطناً ، والعمل بها بظواهرهم وبواطنهم .

فلما [عملوا بما] علموا من ذلك ورثهم الله تعالى : علم ما لم يعلموه وهو علم الإشارة ، وعلم موارد الأفعال التي يكشف الله تعالى ، لقلوب أصفياه من المعاني المذخورة ، واللطائف والأسرار الخزونة ، وغرائب العلوم وطرائف الحكم في معاني القرآن ومعاني أخبار رسول الله عليه الصلاة والسلام من حيث أحوالهم ، وأوقانهم ، وصفاء أذكارهم .

وقال الله تعالى : « أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالًا ؟ » ^(١) .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « من عمل بما علم ورثه الله تعالى ، علم ما لم يعلم »

وهو العلم الذي ليس انبيهم ذلك من أهل العلم .

وأقفال القلوب ما يقع على القلوب من الصدأ ، لكثرة الدوب ، وأتباع الهوى ،

ومحبة الدنيا ، وطول الغفلة ، وشدة الحرص ، وحب الراحة ، وحب الثناء والمحمدة ؛ وغير ذلك من الغفلال والزلات ، والمحالات والخيانات .

فإذا كشف الله تعالى : [ذلك عن] القلوب بصدق التوبة والندم على الحوبة ، فقد فتح الأقفال عن القلوب وأنته الزوائد والفوائد من الغيوب ، فيعبر عن زوائده وفوائده بترجمانه ، وهو اللسان الذي ينطق بغرائب الحكم ، وغرائب العلم .

فإذا شرحوا هذه التقط المريدون والقاصدون والطالبون من تلك الجواهر بأذان واعية ، وقلوب حاضرة ، فعاشوا وانتفعوا بذلك ، وأنشوا .

وقد قال الله ، عز وجل : « أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا » ^(١) .

فدل على أن يتدبرم في القرآن يستنبطون ؛ إذ لو كان القرآن من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً .

ثم قال : « وَإِذَا جَاءُكُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ » ^(٢) . يعني من أهل العلم وقالوا : أولوا الأمر هاهنا أهل العلم .

فقد بين هاهنا خصوصية لأهل العلم ، وخصوصية لأهل الاستنباط من أهل العلم .

وقد روى في الخبر : « أن رجلاً جاء إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقال : يا رسول الله علمني من غرائب العلم ، فقال : وما علمت في أول العلم ؟ أحكم أول العلم ثم تعال حتى أعلمك غرائب العلم » أو كما قال .

ولتقهاء الأمصار وعلمائها في كل وقت مستنبطات ، مشهورة في آيات القرآن والأخبار الظاهرة مستمدة للاحتجاج بها بعضهم على بعض في المسائل الخلافية بينهم .

وقد قل بعضهم : إن في هذا الحديث الذي قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « الأعمال بالنيات ، ولكل أمرئ ما نوى ؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله » على ما جاء في الحديث : إنه يدخل في ثلاثين باباً من أبواب العلم . وهذا لا يكون إلا من طريق الاستنباط .

وكذلك أهل الكلام والنظر : احتجاجاتهم العقلية كلها مستنبطات ، وكل ذلك حسن عند أهله ، ومقبول ؛ إذ المقصود من ذلك النصرة للحق والرد للباطل . وأحسن من ذلك مستنبطات أهل العلم بالعلم والتحقيق والإخلاص في العمل من المجاهدات ، والرياضات ، والمعاملات ؛ والمتقربين إلى الله تعالى : بأنواع الطاعات ، وأهل الحقائق .

باب في كيفية الاختلاف

في مستنبطات أهل الحقيقة في معاني علومهم وأحوالهم

قال الشيخ ، رحمه الله : اعلم ، أيديكم الله بأنهم ، وأزال عنك الوهم ، أن أبناء الأحوال ، وأرباب القلوب ، أن لهم أيضاً ، مستنبطات في معاني أحوالهم ، وعلومهم وحقائقهم ؛ وقد استنبطوا من ظاهر القرآن ، وظاهر الأخبار معاني لطيفة باطنة ، وحكما مستطرفة ، وأسراراً مذكورة .

ونحن نذكر طرفاً من ذلك إن شاء الله تعالى .

وهم أيضاً في مستنبطاتهم مختلفون ، كاختلاف أهل الظاهر ، غير أن اختلاف أهل الظاهر يؤدي إلى (حكم) الفلط والخطأ ، والاختلاف في علم الباطن لا يؤدي إلى ذلك لأنها فضائل ، ومحاسن ، ومكارم ، وأحوال ، وأخلاق ، ومقامات ، ودرجات .

وقيل : إن اختلاف العلماء في علم الظاهر رحمة من الله تعالى ، لأن المصيب يرد على الخطيء ، ويبين للناس غلط المخالف ، وخلافه المصيب في الدين حتى تجنبوا منه ، ولولا ذلك لهلك الناس بذهاب دينهم .

وأما الاختلاف بين أهل الحقائق أيضاً رحمة (من) الله ، لأن كل واحد يتكلم من حيث وقته ، ويحجب من حيث حاله ، ويشير من حيث وجده ؛ فتكون فيهم لكل واحد من أهل الطاعات ، وأرباب القلوب ، والمريدين ، والمتحققين ، فائدة من كلامهم .

وذلك أيضاً على قدر تفاوتهم واختصاصهم ودرجاتهم .

وبيان ما قلنا في اختلافهم ما حكى عن ذى النون ، رحمه الله ، أنه سئل عن الفقير الصادق فقال : هو الذى لا يسكن إلى شيء ، وإليه يسكن كل شيء .

وسئل أبو عبد الله المغربي عن الفقير الصادق ، فقال الفقير الصادق : الذى يملك كل شيء ، ولا يملكه شيء .

وسئل أبو الحارث الأولاسى عن الفقير الصادق ، فقال : هو الذى لا يأنس بشيء ويأنس به كل شيء .

وسئل يوسف بن الحسين عن الفقير الصادق ، فقال : من آثر وقته ، فإن كان فيه تطلع إلى وقت ثان لم يستحق اسم الفقر .

وسئل الحسين بن منصور رحمه الله عن الفقير الصادق ، فقال : الفقير الصادق : الذى لا يختار ، بصحة الرضا . ما يرد عليه من الأسباب .

وسئل النورى ، رحمه الله عن الفقير الصادق ، فقال : الفقير الصادق : الذى لا يتهم الله تعالى فى الأسباب ويسكن إليه فى كل حال .

وسئل سمنون ، رحمه الله عن الفقير الصادق ، فقال : الذى يأنس بالمفقود كما يأنس الجاهل بالموجود ، ويستوحش بالموجود كما يستوحش الجاهل بالنقد .

وسئل أبو حفص النيسابورى رحمه الله ، عن الفقير الصادق ، فقال : الذى يكون مع كل وقت بحكمه ، فإذا ورد عليه واردٌ يخرج عنه حكم وقته ويستوحش منه .

وسئل الجنيد رحمه الله عن الفقير الصادق ، فقال : هو أن (لا) يستغنى بشيء ، ويستغنى به كل شيء .

وكما سئل المرتعش النيسابوري رحمه الله ، عن الفقير فقال : الذي يأكله القمل ولا يكون له ظفر يحك به نفسه^(١) .

وقد اختلف هؤلاء في أجوبتهم : كاختلافهم في أوقانهم وأحوالهم ؛ وكل ذلك حسن ؛ ولكل جواب من أجوبتهم أهل ياليق بهم ما أجابوا ، وهي فائدة ، ونعمة وزيادة لهم ؛ ورحمة .

(١) من طبيعة الإسلام أن الله يحب التوايين ويحب التطهرين ، وهل صاحبنا هذا أراد بكلامه هذا : عدم جزع الفقير مصو في مما أصابه ، رضاء بقضاء الله وقدره

باب في مستنبطات أهل الصفوة في تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم
وشرفه ، وفضله على إخوانه ، عليه السلام
من كتاب الله عز وجل من طريق الفهم

قال الشيخ رحمه الله : فأما المستنبطات التي في كتاب الله ، عز وجل ، فقد ذكرنا
طرفاً من ذلك في باب مذهب أهل الصفوة في موافقة كتاب الله ، عز وجل ، وهذا
(الذي نذكره) إنما نذكره في (معنى) خصوصية رسول الله صلى الله عليه ، وفيما
استنبطوا فيما نطق القرآن بشرفه ، وما خص به من سائر الرسل ، عليهم السلام :
قوله عز وجل : « قل : هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ،
وَسُبْحَانَ اللَّهِ ، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » ^(١) .

قال أبو بكر الواسطي ، رحمه الله : أدعوا إلى الله على بصيرة : يعني أن لا أشهد
لنفسى ، يعني أن لا أرى نفسى فاستقطعهم بشواهدى ، ومعنى آخر على بصيرة : أيقن
أنه ليس إلى شيء ، فيكون إلى نفسى من الهداية شيء ، ومعنى آخر على بصيرة :
أنه لا تملك ضراً ولا نفعاً إلا أن يتولى الله تعالى تقريهما ، ومعنى قوله : أنا ومن
اتبعنى على ذلك دعوتهم سبحانه الله [أن يكون] أحد يلحق ما يهيمه ويقصده إلا به
وما أنا من المشركين أن أرى الهداية من نفسى أو منه بدعوتى ، قوله [تعالى] : « قل :
أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وأدعوا مخلصين له الدين كما بدأكم
تعودون » ^(٢) قالوا : معناه : من طريق الفهم والاستنباط قل أمر ربى بالقسط فيما بينى وبين
الخلق ، وبينى وبين الله تعالى ، وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ، يعنى عند كل قصد
تقصده وأدعوه مخلصين له الدين ، يعنى ادعوه بلا رياء ، ولا عجب ثم لا تعتمدوا على

هذا لأنه كما بدأكم تعودون عند المواقب ، وفي معنى قوله تعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق ، وفي أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق » ^(١) معناه : سنريهم نعمتنا وصفاتنا ، في الملكوت ، حتى يتبين لمن نبين لهم أنه الحق ، وما سواء باطل ، لا جرم ؛ فذلك قال النبي صلعم : « أصدق كلمة قالت العرب : (ما قال لبيد) :
ألا كل شيء ما خلا الله باطل »

ومما استنبطوا من خصوصية النبي ، صلى الله عليه وسلم : أن موسى عليه السلام ، سأل ربه ، عز وجل ، فقال : « رب اشرح لي صدري وبشرني بأمر » ^(٢) (ونودي محمد صلى الله عليه وسلم ، بلا سؤال : « ألم نشرح لك صدرك » ^(٣) إلى آخر السورة ، وكذلك سؤال إبراهيم عليه السلام : « ولا تخزني يوم يبعثون » ^(٤)) فضل الحبيب على الخليل .

وقال لنبينا ، صلى الله عليه وسلم ، من غير سؤال : « يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه » ^(٥) .

وقيل له صلى الله عليه : « ألم نشرح لك صدرك ، ووضعنا عنك وزرك » إلى قوله : « إن مع الصبر يسراً » ^(٦) .

ومما قيل في هذا المعنى أيضاً : أن الله عز وجل ، خاطب جميع الخلق ، ودعاهم إليه ، ودلهم عليه بذكر الملك والملكوت ، فقال : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » ^(٧) وقوله : « أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء » ^(٨) وقوله تعالى : « أفلم يتفكروا في أنفسهم » ^(٩) وقوله : « أفلا

(٣) الشرح : ١

(٢) طه : ٢٥ - ٢٦

(١) فصلت : ٥٣

(٦) الشرح : ١ - ٦

(٥) التحريم : ٨

(٤) الشعراء : ٨٧

(٩) الروم : ٨

(٨) الأعراف : ١٨٥

(٧) الأنعام : ٧٥

يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خَلَقْتُ^(١)» إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، فَلَمَّا خَاطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « أَلَمْ تَرَوْا إِلَى رَبِّكَ^(٢) » يَامُحَمَّدُ « كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ » فَلَمَّا كَانَ الْخُطَابُ مَعَ الْحَبِيبِ بَدَأَ بِذِكْرِهِ ، فَقَالَ : « أَلَمْ تَرَوْا إِلَى رَبِّكَ »

وَفِي (مَعْنَى) قَوْلِهِ : « وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا » قَالُوا : إِنَّ الْخَلَّةَ : مَا يَخْلُلُ الْقَلْبَ ، وَالْحَبَّةُ مَا يَكُونُ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ ، يَعْنِي سَوَادَ الْقَلْبِ ، وَسُمِّيَ الْحَبَّةُ حَبَّةً لِأَنَّهَا تَحْوِيهَا مَا سِوَاهَا مِنَ الْقَلْبِ ؛ فَلِذَا بَكَ فَضْلَ الْحَبِيبِ عَلَى الْخَلِيلِ .

وَقَالَ : « أَفْعَلْ مَا تَوَمَّرُ^(٣) » ، وَقَالَ لِحَبِيبِنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى^(٤) » فَدَلَّ بِذَلِكَ عَلَى فَضْلِ الْحَبِيبِ عَلَى الْخَلِيلِ .

وَمَقَالُوا فِي هَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا : إِنَّ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى تَوْبَتَهُ ، فَقَالَ : « وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى^(٥) » فَذَكَرَ جَنَابَتَهُ قَبْلَ تَوْبَتِهِ « ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى^(٦) » .

وَذَكَرَ أَيْضًا : خَطِيئَةَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ قَالَ : « فَغَفَرْنَا لَهُ^(٧) » .

وَكَذَلِكَ خَبَرٌ عَنْ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ : « وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي^(٨) » ، وَقَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَبْتَ لَهُمْ^(٩) » .

قَالَ بَعْضُهُمْ : آئِسَةٌ بِذِكْرِ الْعَفْوِ حَتَّى لَا يُوحِشَهُ ذِكْرُ الْعِتَابِ ؛ وَقَالَ أَيْضًا : « لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ^(١٠) » فَابْتَدَأَ بِذِكْرِ الْغُفْرَانِ قَبْلَ الذَّنْبِ ، وَغُفِرَ لَهُ الذَّنْبُ قَبْلَ أَنْ يَذْنِبَ ، (وَقَبْلَ الْعِتَابِ) ، وَقَالُوا أَيْضًا مَعْنَى آخَرٍ : إِنَّ جَمِيعَ مَا أُعْطِيَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنَ الْكَرَامَاتِ قَدْ أُعْطِيَ مِثْلُهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(٣) الصافات ١٠٢ .

(٢) الفرقان : ٤٥

(١) الغاشية : ١٧

(٦) طه : ١٢٢

(٥) طه : ١٢١

(٤) الضحى : ٥

(١٠) الفتح : ٢

(٩) التوبة : ٤٣

(٨) ص : ٣٤ - ٣٥

(٧) ص : ٢٥

وزادله (عليهم) : مثل انشقاق القمر ، ونبع الماء من الأصابع ، والمعراج ، وغير ذلك .

ثم ذكر الأنبياء وذكر ما استخصهم (به) ، وأضاف إلى إبراهيم عليه السلام ، الخلة وإلى موسى عليه السلام الكلام ، وإلى سليمان عليه السلام الملك ، وإلى أيوب عليه السلام الصبر ، ولم يصف إلى محمد عليه الصلاة والسلام شيئاً مما أعطاه من الكرامات فقال : « لَمَمْرُكَ » يا محمد « فَلَإِ وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يَحْكُمَكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ^(١) » الآية . ثم قال « إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ^(٢) » الآية . وقال : « فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ^(٣) » ولم يذكر لنبيه عليه الصلاة والسلام شيئاً غيره ، فلما أدبه بذلك قال اللهم بك أصول وبك أجول ، وبك أقاتلُ وبك أحاول .

وسئل الشبلي ، رحمه الله : عن معنى قوله تعالى : « لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمَلَمْتُ مِنْهُمْ رَعْباً » ^(٤) قال : « لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَى الْكَلِّ مِمَّا سَوَانَا لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً إِلَيْنَا يَا مُحَمَّد .

وقالوا في معنى قوله : « سَبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ » ^(٥) إنه لو أسرى بروحه ، كما قال المخالفون ، لم يقل : أسرى بعبده ؛ لأن اسم العبد لا يقع إلا على الروح والجسد .

وقيل ، أيضاً ، في معنى قوله : « وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً » ^(٦) : يعني باجتماعك واصطفائك ، لأن النبوة والرسالة لم تقسم على الجزاء والاستحقاق ، ولو كانت من جهة الجزاء والاستحقاق ، لما فضل نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء عليهم السلام ، لأنهم أكثر أعمالاً وأطول أعماراً .

(١) النساء : ٦٥ (٢) الفتح : ١٠ (٣) الأنفال : ١٧

(٤) الكهف : ١٨ (٥) الإسراء : ١ (٦) النساء : ١١٣

وقالوا ، في معنى قوله ، عز وجل : « واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا »^(١) : إنه خاطبه بأتم الخطاب وأخص الفضيلة ، إذ قال : « واصبر لحكم ربك ، فإنك بأعيننا » وقال لغيره : « أصبروا وصابروا »^(٢) وقال : « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب »^(٣) .

طالبهم بالصبر على المعاوضة ، وطالب المصطفى ، عليه الصلاة والسلام بالصبر مع المراقبة ؛ وقال في موضع آخر : « واصبر وما صبرك إلا بالله »^(٤) لأنه ، عليه الصلاة والسلام أجل عنده من أن يطالبه بمعاملة يقتضى عليها معاوضة ؛ لأن محله صلى الله عليه وسلم ، محل الاختصاص .

فهذا طرف من المستنبطات التي للقوم من القرآن في معنى خصوصية النبي عليه الصلاة والسلام .

(٢) آل عمران : ٢٠٠

(٤) النمل : ١٢٧

(١) الطور : ٤٩

(٣) الزمر : ١٠

باب في مستنبطاتهم في خصوصية النبي صلى الله عليه وسلم
وفضله على إخوانه ، عليهم السلام من الأخبار المروية
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الشيخ رحمه الله : فأما مستنبطاتهم في أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فكما قيل في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : أنه كان يقول في سجوده : « أعوذ
برضائك من سخطك ، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى
ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » .

قالوا : يقول الله : « واسجدوا واقرب »^(١) « فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
في سجوده معنى من القرب .

فقال : أعوذ برضائك من سخطك ، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك ، فاستعاذ بصفاته
من صفاته ؛ ثم شاهد معنى آخر من القرب ، ما اندرج فيه القرب الذي شاهد (به)
الصفات والنموت .

فقال : « أعوذ بك منك » ، وكان قد استعاذ بصفاته من صفاته ، فلما استعاذ به
لم يكن المستعاذ به إلا منه ، ثم زيد في قربه ؛ ووجد من المشاهدة معنى أفناء عن
الاستعاذة به :

فقال : « لا أحصى ثناء عليك » ، فاحتشم من الاستعاذة به في محل بالقرب ،
فالتجأ إلى الثناء عليه ، ومن لم يطق الاستعاذة التي هي حد العبودية ، فكيف يطبق
الثناء وهو صفة الربوبية ؟ .

فلذلك قال : « لا أحصى ثناء عليك » ثم احتشم أيضاً ، من الثناء عليه في محل القرب ، فأخرج نفسه من الثناء عليه بما أثنى الله تعالى ، (به) على نفسه ، قبل الخلق وحمد نفسه قبل حدم له ، وشهد لنفسه بالوحدانية ، قبل شهادتهم له .
فقال : « أنت كما أثنيت على نفسك » .

وهذا حقيقة نهاية التقريب ، وحقيقة التجريد : أن يتلاشى العبد كما لم يكن ، ويكون الله تعالى كما لم يزل ، فلو جمع جميع (إشارات) الواجدين والعارفين والمتحققين في التوحيد لم يبلغ عشر مشار ما أشار إليه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في هذا المعنى .

وقيل أيضاً ، في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً ، ولخرجتم إلى الصعدات ، ولما تقاررتم على الفرش » .
قالوا : لو أن الذي علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان من العلوم التي أنزل الله تعالى عليه ، وأمر بإبلاغه بلغهم ذلك ؛ ولو علموا ذلك لم يقل : لو تعلمون ما أعلم ، ولو علم أنهم يطبقون ذلك لعلمهم كسائر العلوم ، ولو كان من العلوم المتعارفة بين الخلق أيضاً ، لقالوا علماً ، بعد ما قال : لو تعلمون ما أعلم ؛ لأن حقائق رسالته وما خصه الله تعالى به من العلم ، لو وضعت على الجبال لدابت إلا أنه كان يظهرها لهم على مقاديرهم لأن الله تعالى قال : « فاعلم أنه لا إله إلا الله »^(١) وقال : « وقل رب زدني علماً »^(٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أنا أعلمكم بالله » ، « ولو تعلمون ما أعلم »
وقد أشار رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلى معنى من معاني تخصيصه إشارة لاندركها العقول ، ولا تصل إليها القهوم ، وتمعجز عنها علوم جميع الخلق ، وهو قول النبي صلى

الله عليه وسلم : « لستُ كأحدكم إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني » ؛ فلا يتهاى لأحد أن يخبر عن الذى أطعمه وسقاه ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، فى علو مرتبته وماخص به من العلم بالله ، لم يخبر عنه ولم يصفه .

وقيل فى معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم فى دعواته : « اللهم اكفنى كفالة الوليد ، لا تسكننى إلى نفسى طرفه عين ، وجهت وجهى إليك ، وألجأت ظمري إليك ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك » وما يشبه ذلك من دعواته أنه صلى الله عليه وسلم أظهر من نفسه اللجأ ، وأظهر الفاقة إليه ، والاستكانة بين يديه ، بلا مشاهدة حركة من حركاته ، ولا إضافة فعل إلى نفسه .

قال أبو بكر الواسطى رحمه الله : وبصدق اللجأ وإظهار الفقر ، وصدق الفاقة ، تزينت السرائر .

وقيل فى معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم عند موته : « واكرهاه » قالوا : يسرت المنية عليه لمبادرته إلى ملاحظ عند الموت من المراتب الرفيعة فقالوا : « واكرهاه » من البقاء فيما بينكم شوقاً منى إلى اللقاء .

وسمعت محمد بن داود الدينورى المعروف بالهففى ، يقول : سمعت الجريرى يقول : قيل للجنيد رحمه الله : ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « وأنا سيدُ ولد آدم » ، ولا فخر ؟ فقال لى : هاتِ أبشَ وقع لك فى ذلك ، فقلت : معنى قوله « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » وهذا عطاؤه وأنا لا أفترخ بالعطاء لأن فخري بالمعطى . فقال لى : أحسنت يا أبا محمد أو كما قال .

وسئل (الجنيد) عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم فى زينب امرأة زيد ، يدعى ابن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وكان ابن الدعاية لا ابن الولادة ؛ فأراد الله عز وجل أن يتزوج بخليته حتى يكون فرقا بين أبناء الولادة وأبناء الدعاية .

وقال الجنيد رحمه الله ، في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « استغفروا الله وتوبوا إليه » ، فإنه استغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة « أو كما قال ؛ قالوا : كان حال النبي صلى الله عليه وسلم مع الله تعالى : [زيادة] في كل نفس وطرفة عين ، فكان إذا رقى به إلى زيادة حال أشرف من زيادته على حالته في النفس الماضي ، استغفر الله من ذلك وتاب إليه .

وسئل الجنيد رحمه الله . أيضاً كما بلغني ، عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « رحم الله أخى عيسى ، عليه السلام لو ازداد يقيناً لمشي في الهواء » فقال : ٩٨ معناه والله أعلم : أن عيسى عليه السلام : مشى على الماء بيقينه ، والنبي صلى الله عليه وسلم مشى في الهواء ليلة المعراج زيادة يقينة على يقين عيسى عليه السلام ، فقال : « لو ازداد يقيناً » يعنى لو أعطى من زيادة اليقين مثل ما أعطيت لمشي في الهواء ، يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله .

وسمعت الحصري رحمه الله ، يقول في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لى مع الله وقت لا يسعني فيه شيء غير الله عز وجل » فقال : إن صح ذلك عن ٩٩ النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال ذلك ، أو لم يصح ، فإن جميع أوقات رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت وقتاً لا يسعه فيه [معه] غير الله بسره وقلبه ، ولكن كان يرد بصفاته إلى الخلق ، حتى يؤدبهم ، ويعلمهم ، ويمجى على صفاته تلوين الأحكام ، لينتفع به الخلق ؛ فإذا بدا على صفاته من أنوار سره ، أخذته عن الخلق كما قات عائشة ، رضى الله عنها « اتبعت ليلة ، فلم أجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في فراشه ، فقمته أطلبه ، فوقعت يدي على قدميه ، وهما منتصبان ، ساجداً لله عز وجل ، [وسمعت] وهو يقول : « أعوذ برضاك من سخطك ... » ١٠٠ الحديث ؛ فهذا هو الوقت الذي كان يبدو على سره ، والأنوار على صفاته ، وإذا ردت الأنوار إلى سره ، رد بصفاته إلى الخلق ، لينتفعوا به ، ويقتدوا به .

معنى صفاته أى ظاهره ، ومعنى سره أى باطنه .

باب في مستنبطاتهم في معاني أخبار مروية عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم من طريق الاستنباط والفهم

قال الشيخ رحمه الله : سمعت أبا الحسن : أحمد بن محمد بن سالم بالبصرة ، وقد سئل عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ما أطيب ما أكل الرجال من كسب يده فقال له السائل : نحن مستعبدون بالاكتساب ، إذا ، فقال الشيخ رحمه الله : الكسب سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتوكل : حال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإنما استأن لهم الكسب ، لعله بضعفهم حتى إذا عجزوا عن التوكل الذي هو حاله وسقطوا عن مرتبته في التوكل ودرجته ، وقموا في الاكتساب التي هي سنته ، ولولا ذلك لهلكوا .

وقيل في معنى ذلك : إن رفع العبد يده إلى الله تعالى ، فيدعوا الله تعالى ، فيجيبه ، أيكون ذلك كسب يده .

١٠١ وسئل الشبلي رحمه الله : عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « جمل رزقي تحت ظل سيفي » فقال : كان سيفه : [التوكل على] الله تعالى ، وأما ذو الفقار، فهو قطعة من حديد .

ومثل ذلك في مستنبطاتهم كثير ، إن ذكرناه يطول الكتاب .

١٠٢ وأما ما كان من مستنبطاتهم في غير هذا المعنى من الحديث ، فهو كما سمعت أبا عمرو عبد الواحد بن علوان ، برحمة مالك ابن طوق ، قال : سأل رجل الجنيد رحمه الله ، وأنا عنده جالس عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لو توكلتم على الله حق توكله لهذا كم كما ينفذ الطير ، تقذو وخاصاً وتروح بطاناً » وهو ذا ترى أن الطير يطير في طلب الرزق ، من موضع إلى موضع ، ويتحرك ، ويطلب وينبث .

فقال الجنيـد رحمه الله : قال الله تعالى : (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها)^(١) وإنما طيران الطير ، وحركته من موضع إلى موضع ، ونقلته من مكان إلى مكان من أجل الزينة التي ذكر الله تعالى ؛ فقد جعل الله ، تعالى ، طيرهم للزينة التي ذكر الله تعالى ، لا لطلب الرزق .

١٠٣ وجدت في كتاب عمرو بن عثمان المسكي رحمه الله في معنى قول النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لعبد الله بن عمر ، رضى الله عنه : « يا عبد الله بن عمر ، أعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » وكذلك إجابة جبريل عليه السلام حين سأل عن الإحسان فقال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » فقال عمرو بن عثمان رحمه الله : [معنى قوله] : « كأنك تراه : شيء بين شيئين : بين رؤية و يقين ، فلم يخرجها ، صلى الله عليه وسلم ، إلى رؤية عيان ولم يردها إلى صفة يقين ، وإنما مثل له مثل يدل على نهاية من نهايات حقائق الإيمان ؛ وبذلك طالب حارثة ، إن صح الخبر ، وما كان كأن بمعنى أن وليس هو أن ولكنه قد قرب من معنى الرؤية في تغليب المصاهدة عند حضور القلب ، ومداناتها إلى ما وارته الغيوب فهذا أصل الحجة على مشاهدة القلوب .

١٠٤ وسئل أبو بكر الواسطي ، رحمه الله عن معنى قول النبي ، صلى الله عليه وسلم : « جبل ولي الله تعالى على السخاء وحسن الخلق » فقال : أما السخاوة من ولي الله تعالى : أن يهب نفسه وقلبه لله ، عز وجل .

وسئل الشبل رحمه الله ، عن معنى ما روى في الحديث : « أن النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت » فقال : إذا عرفت من نفوتها اطمأنت ثم قرأ قوله ، عز وجل « وكان الله على كل شيء مقيتاً^(٢) » .

١٠٥ وسئل الجنيد ، رحمه الله عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « حبك للشيء يعنى ويعمى » فقال : حبك للدنيا يعنى ويعمى عن الآخرة .

١٠٦ وسئل الشبلى ، رحمه الله ، عن معنى ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إذا رأيتم أهل البلاء فسلوا الله ربكم العافية » ، فقال : أهل البلاء أهل الغفلة عن الله تعالى ، وسئل أيضاً ، عن معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذى روى عنه ، أنه قال : « حرام على قلب عليه زبانية [من الدنيا : أن يجد حلاوة الآخرة » فقال : صدق صلى الله عليه وسلم أن قال ذلك ، وأنا ذا أقول : حرام على قلب عليه زبانية [من الآخرة أن يجد حلاوة التوحيد .

١٠٨ وسئل محمد بن موسى الفرغانى ، رحمه الله ، عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ، لأبى جحيفة : « يا أبا جحيفة ، سائل العلماء ، [وخالل الحكماء وجالس الكبراء] » فقال : « سائل العلماء » بالحلل والحرام ، وخالل الحكماء الذين يسلكون بها على طريق الصدق والصفاء [والإخلاص] ، وجالس الكبراء الذين عن الله ينطقون ، وإلى ربوبيته يشيرون ، وبنور قر به ينظرون .

١٠٩ وسئل سهل بن عبد الله ، رحمه الله ، عن [معنى] قول النبي صلى الله عليه وسلم : « المؤمن من تمره حسنته وتسوء سيئته » قال : حسنته : نعم الله وفضله ، وسيئته نفسه إن وكل إليها .

١١٠ وسئل سهل . أيضاً عن معنى قوله ، صلى الله عليه وسلم : « الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى » قال : ذكر الله فى هذا موضع الزهد فى الحرام ، وهو : أن يكون إذا استقبله حرام بذكر الله ، تعالى ، ويعلم أن الله مطلع عليه فيجتنب ذلك الحرام .

ومثل هذا كثير من مستنبطاتهم فى معنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرنا طرفاً منه ، فيه كفاية ، إن شاء الله تعالى .

فإن قال قائل : هل تجد للاستنباط في القرآن والحديث وغير ذلك أصلاً في العلم
فيقال : نعم ، قول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، وهم [عنده] مجتهدون ،
وفيهم عبد الله بن عمر ، رضي الله عنه ، وهو أحدثهم سنًا ، فقال : النبي . عليه ١١١
الصلاة والسلام : « أئتما شجرة تُشبه ابن آدم ؟ » قال فوقع الناس في أشجار
البادية ووقع في قلبي أنها النخلة واستحييت أن أجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسكتَ حتى قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « هي النخلة » قال ابن عمر ١١٢
رضي الله عنه : فقلت لعمر رضي الله عنه : لقد كدت أن أقول أنها النخلة ، فقال
عمر رضي الله عنه : لنن قلت ذلك كان أحبَّ إلي من « حرَّ النعم . أو كما
في الخبر .

والحجة في ذلك : أن أحداً لم يستنبط من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام
معنى ما سألم عنه رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا عبد الله بن عمر رضي الله
عنه ، وهو أصغرهم سنًا ، وكذلك الاستنباط في هذه المعاني على مقدار ما يفتح الله
تعالى للقلوب من غيبه ، وبالله التوفيق .

كتاب الصحابة رضوان الله عليهم

باب في ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومعانيهم رضى الله عنهم

قال الله تعالى : (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)^(١) فقد وقع اسم السابقين على الجميع بظاهر الآية مع رضا الله تعالى عنهم وشهد لهم بأنهم راضون عنه ، والسابقون هم المقربون بنص الآية ، وقد ذكرنا تخصيص الأبرار من أهل الجنة في باب الموافقة لكتاب الله عز وجل .

فأما قوله تعالى : (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) فقد قال الله تعالى في آية أخرى : (وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ)^(٢) قال ذو النون ، رحمه الله : [يعنى] أكبر وأقدم حين قال : رضى الله عنهم ورضوا عنه ، في سابق علمه فلذلك استرضاه له وأرضاه حتى رضوا عنه .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم »^{١١٣} وقد ذكر الله تعالى القسم بالنجوم من الكواكب ، والنجوم ما يهتدى به في البر والبحر لأكبره وكثرة ضوءه ونوره ، فلذلك شبههم بالنجوم ولم يشبههم بالكواكب ، لأن الكواكب هي الصفار التي لا يهتدى بها ثم دل على الاهتداء بالافتداء بهم ولم يخص الافتداء ، يعنى دون الآخر ، فدلنا أن الاهتداء بهم في الافتداء [بهم] في جميع معانيهم الظاهرة والباطنة

فأما الظاهر فمشهور عند العلماء والفقهاء ، في علم الحدود والأحكام والحلال والحرام ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أرحم أمتي بأمتي » ١١٤ أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وأقوام في دين الله عمر رضي الله عنه ، وأصدقهم حياء عثمان رضي الله عنه ، وأفرضهم زيد رضي الله عنه ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وأقراهم أنى بن كعب رضي الله عنه ، وأقضاهم على رضي الله عنه ، وما أظلت الخضراء ولا أقبلت الفعراء على ذى لمجة أصدق من أنى رضي الله عنه .

وأما الباطن فنبدأ بما بدأ به رسول الله عليه الصلاة والسلام بقوله : ١١٥ « اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما » .

فنبدأ بأبي بكر ثم من بعد أبي بكر بعمر .

وبلغنى عن أبي عتبة الحلواني رحمه الله ، أنه قال : ألا أخبركم عن حال كان عليها أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟ أولها : لقاء الله تعالى كان أحب [إليهم] من الحياة ، والثانية : كانوا لا يخافون عدواً قلوأ أو كثروأ ، والثالثة : لم يكونوا يخافون عوزاً من الدنيا ، وكانوا واثقين برزق الله تعالى ، والرابعة : إن بدأ بهم الطاعون لم يبرحوا حتى يقضى الله فيهم ، وكانوا أخوف ما يكونون من الموت أصح ما يكونون .

ويحكى عن محمد بن علي السكتاني رحمه الله ، أنه قال : كان الناس في ابتداء الإسلام يتعاملون بالدين حتى رق الدين ، ثم تعامل القرن الثاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء ، ثم تعامل القرن الثالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة ، ثم تعامل القرن الرابع بالحياء حتى ذهب الحياء ، ثم صار الناس يتعاملون بالرغبة والرهبة .

باب ذكر أبي بكر الصديق رضى الله عنه وتخصيصه من
بين رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأحوال التي تعلق بها
أهل الصفوة من هذه الأمة وتخلق
بذلك واتقوا به

رَوَى عَنْ مَطْرَفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ : أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ : لَوْ نَادَى مِنْ السَّمَاءِ أَنَّهُ لَنْ يَلِجَ الْجَنَّةَ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ لَرَجَوْتُ أَنْ
أَكُونَ أَمَّا [هُوَ] ، وَلَوْ نَادَى مِنْ السَّمَاءِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ
لَخِفْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ؛ قَالَ مَطْرَفٌ رَحِمَهُ اللَّهُ : هَذَا وَاللَّهِ أَعْظَمُ الْخُوفِ ،
وَأَعْظَمُ الرَّجَاءِ .

وَحُكِيَ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَطَاءٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ سَثَلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى « كُونُوا
رَبَّانِينَ » ^(١) الْآيَةَ ؛ قَالَ : مَعْنَاهُ كُونُوا كَأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَإِنَّهُ لَمَّا
مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اضْطَرَبَتْ أَسْرَارُ الْمُؤْمِنِينَ كُلِّهَا لِمَوْتِهِ وَلَمْ يُوْثَرْ ذَلِكَ
فِي سِرِّ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَيْئًا ، وَخَرَجَ وَقَالَ لِلنَّاسِ : [يَا أَيُّهَا النَّاسُ] مَنْ كَانَ يَمُودُ
عَمْدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ عَمْدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ يَمُودُ اللَّهَ
تَعَالَى فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، فَحُكِمَ الرَّبَّانِيُّ أَنْ يَكُونَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ لَا تُوْثَرُ الْحَوَادِثُ فِي
سِرِّهِ شَيْئًا ، وَلَوْ كَانَ فِيهِ انْخِلَابٌ الْخَافِقِينَ .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَاسِطِيُّ ، رَحِمَهُ اللَّهُ : أَوَّلُ لِسَانِ الصُّوفِيَةِ ظَهَرَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ
عَلَى لِسَانِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِشَارَةٌ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا أَهْلُ الْفَهْمِ لَطَائِفَ
تَوْسُوسٍ فِيهَا الْعُقَلَاءُ .

قال الشيخ ، رحمه الله : وهذا الذي أشار إليه الواسطي في قوله : أول لسان الصوفية ظهرت على لسان أبي بكر رضى الله عنه ، فذلك قول أبي بكر رضى الله عنه لأنه حين خرج من جميع ملكه قال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أبش خلفت لعيالك » قال : الله ورسوله ، فقال : الله ، ثم قال : ورسوله ، ولعمري إنها إشارة جلية لأهل التوحيد في حقائق التفريد ، غير أن لأبي بكر الصديق رضى الله عنه إشارات غيرها مستخرجة منها لطائف غير ذلك .

وهي معلومة عند أهل الحقائق ومفهومة للمتلق والتخلق بها ، منها قوله حين صعد المنبر بعد ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واضطربت قلوب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخشوا على ذهاب الإسلام بموته صلى الله عليه وسلم ، وخروجه من بين ظهرانيهم ، فقال : من كان يعبد منكم محمداً صلى الله عليه وسلم فإن محمداً صلى الله عليه وسلم قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت .
واللطيفة في ذلك ثباته في التوحيد وما ثبت به قلوب الجماعة من الصحابة رضى الله عنهم .

ومنها قوله يوم بدر للنبي صلى الله عليه وسلم حيث [كان] يقول : « اللهم إن تهلك هذه العصابة لم تعبد في الأرض » [من بعد ذلك] فقال أبو بكر ، رضى الله عنه : دع مناشدتك ربك ، فإنه والله منجز لك ما وعدك ؛ أو كما قال ، وهو قول الله تعالى : (إذ يوحى ربك إني للملائكة إني معكم ففتبتوا الذين آمنوا سأتقى في قلوب الذين كفروا الرعب)^(١) فخص بحقيقة التصديق لما وعدهم الله تعالى من النصر من جميع الصحابة [عند اضطراب قلوبهم] فدل على حقيقة إيمانه وخصوصيته فإن قال قائل : فما معنى تغير النبي صلى الله عليه وسلم وثبات أبي بكر ، رضى الله عنه ، وهو أتم من أبي بكر ، رضى الله عنه ، في جميع الأحوال ؟

فيقال : لأن النبي صلى الله عليه وسلم أعلم بالله من أبي بكر ، رضى الله عنه ، وأبو بكر رضى الله عنه ، أقوى إيمانا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فثبت أبي بكر ، رضى الله عنه ، من حقيقة إيمانه بما وعد الله تعالى ، وتغير النبي صلى الله عليه وسلم من زيادة علمه بالله تعالى ، لأنه يعلم من الله ما لا يعلم أبو بكر ، رضى الله عنه ، ولا غيره .

ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم [كان] إذا اشتد هبوب الريح تغير لونه [ولم يتغير لون واحد من أصحابه] .

وقال : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، وخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى ، ولما تقاررتم على فرشكم » . ١١٨

ولأبي بكر الصديق رضى الله عنه [أيضا] خصوصية في الإلهام والقراءة [من بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم] في ثلاثة مواضع :

أحدها : حين اتفق رأى الجميع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترك مقاتلة أهل الردة على منع الزكاة ، وثبت أبو بكر ، رضى الله عنه ، على قتالهم ، وقال : والله لو منعوني عقالا مما كانوا يؤدون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه [بالسيف] ؛ فأصاب رأيه [وقالوا : إن الإصابة في رأيه مع خلافه لهم فيما أشاروا عليه] ، ورجع الجميع إلى رأيه حيث رأوا الصواب معه .

والثاني : عند خلافه رأى جمهور الصحابة فيما رأوا من رد جيش أسامة ، وقوله : والله لا أحل عقداً عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والثالث : قول أبي بكر رضى الله عنه لعائشة رضى الله عنها : أنى كنت تحلتك نملا وإنما هو أخواك واختاك ، وما عرفت [عائشة] إلا أخوين وأختاً ، وكانت

لأنى بكر رضى الله عنه جارية حبلى فقال : لقد أتى فى روعى أنها أنثى فهذا أنتم ما كان فى الفراسة والإلهام

١١٩ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى » ولأنى بكر رضى الله عنه معان أخر مما تعلق بها أهل الحقائق وأرباب القلوب وإن ذكرنا جميع ذلك طال الكتاب .

وقد حُكي عن بكر بن عبد الله المزنى أنه قال : ما فاق أبو بكر ، رضى الله عنه ، جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة الصوم والصلاة ، ولا يكن بشيء كان فى قلبه .

قال بعضهم : الذى كان فى قلبه الحب لله عز وجل والنصيحة له . ويقال : إن أبا بكر رضى الله عنه كان إذا دخل وقت الصلاة يقول : يا بنى آدم قوموا إلى ناركم التى أوقدتموها فأطفئوها

وروى [عنه] أنه أكل طعاماً من شبهة فلما علم به تقيّاً ، وقال : والله لو لم تخرج لإلا مع روحى لأخرجتها ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بدن غذى بحرام فالنار أولى به » .

[وكان يقول : وددت أن أكون خضراء تأكلنى الدواب ، ولم أخلق مخافة العذاب وهول يوم الحساب .

وروى عن أبى بكر الصديق أنه قال : ثلاث آيات من كتاب الله عز وجل اشتغلتُ بها عما سواها إحداها : قوله « وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِيدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ » فعلت أنه إن أرادنى بخير لم يقدر أحد أن يرفع عني غيره ، وإن أرادنى بشر لم يقدر أحد أن يصرف غيره .

والثانية : قوله « اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ » فاشتغلت بذكر الله تعالى عن كل مذكور سوى الله .

والثالثة : قوله « وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا » ^(١) فوالله ما هممت برزقي منذ قرأت هذه الآية .

ويقال : إن هذه الآيات [لأبي بكر الصديق رضي الله عنه :

يا من ترفع بالدينيا وزيتها ليس الترفع رفع العطين بالطين
إذا أردت شريف الناس كلهم فانظر إلى ملك في زى مسكين
ذاك الذى عظمت فى الناس رافته وذاك يصلح للدينيا وللدّين

[وحكى عن الجنيد أنه قال : أشرف كلمة فى التوحيد قول أبى بكر سبحان من لم يجعل للخلق طريقاً إلى معرفته إلا العجز عن معرفته] .

باب في ذكر عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

قال الشيخ ، رحمه الله : وأما عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، فإنه قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « قد كان في الأمم محدثون ومكلمون فان يك في هذه الأمة فعمر ، رضي الله عنه » سئل بعض أهل الفهم عن المحدث ، فقال : أعلى درجة من درجات الصديقين ، ودلائل ذلك ظهرت عليه وهو ما ذكر عنه أنه كان يخطب فصاح ، فقال في وسط خطبته : يا سارية الجبل ، وسارية في عسكر على باب نهاوند ، فسمع صوت عمر ، رضي الله عنه ، وأخذ نحو الجبل وظفر بالعدو .

وقيل لسارية : كيف علمت ذلك ؟ فقال : سمعت صوت عمر ، رضي الله عنه ، يقول : يا سارية الجبل الجبل .

وروى عن أبي عثمان النهدي أنه قال : رأيت على عمر ، رضي الله عنه ، قيصا فيه اثنا عشر رقعة ، وهو يخطب .

وروى عن عمر ، رضي الله عنه ، أنه قال : رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبي .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الشيطان يَفَرِّقُ من ظل عمر رضي الله عنه » .

وقال عمر رضي الله عنه : من خاف الله تعالى لم يشف غيظه ، ومن اتقى الله لم يفعل كما يريد ، ولولا القيامة لكان غير ما ترون .

ويقال : أنه أخذ تبنه من الأرض فقال : ياليتني لم تلدنني أمي ، ياليتني كنت هذه التبنه ، ياليتني لم ألك شيئاً .

وقد روى عن عمر ، رضى الله عنه ، أنه قال : ما ابتليت ببالية إلا كان الله [على فيها] أربع نعم : إذ لم تكن في ديني ، وإذ لم تكن أعظم منها ، وإذ لم أحرم الرضا فيها ، وأن أرجو الثواب عليها .

وقد روى عن عمر ، رضى الله عنه : لو كان الصبر والشكر بعيرين ، لم أبالي أيهما ركبت . وجاء رجل إلى عمر ، رضى الله عنه ، فشكا إليه الفقر فقال : عندك عشاء ليلتك ؟ قال : نعم ، قال : لست بفقر .

وروى عن عليّ ، رضى الله عنه ، أنه قال : ما على وجه الأرض أحد أحب إلى أن ألقى الله تعالى بمثل صحيفته إلا هذا المسجى عمر ، رضى الله عنه .

قال : ورأى عليّ ، رضى الله عنه ، يوماً عمر ، رضى الله عنه ، وهو يعدو في وقت الهاجرة ، فسأله عن عدوه ، فقال : [قد] أغبر على إبل الصدقة فرحت أعدو في طلبها ؛ قال : فقال عليّ ، رضى الله عنه : لقد أتعبت الخلفاء بعدك يا أمير المؤمنين .

قال الشيخ ، رحمه الله : ولأهل الحقائق أسوة وتعلق بعمر ، رضى الله عنه ، بمعاني خص بذلك عمر ، رضى الله عنه ، من اختياره لبس المرقعة ، والخشونة ، وترك الشهوات ، واجتناب الشبهات ، وإظهار الكرامات ، وقلة المبالاة ، من لأئمة الخلق عند انتصاب الحق ، وبحق الباطل ومساواة الأقارب والأباعد في الحقوق ، والتمسك بالأشد من الطاعات ، واجتناب ذلك ، مما روى عنه وبيانه يطول .

وأما ما روى عن عمر ، رضى الله عنه ، أنه رأى جماعة جلوساً في المسجد فأمروهم بطلب الكسب ، والذي كتب به إلى سنان ، فلم له عرف منهم مجزاً في جلوسهم وطعمهم في الناس ، أو غير ذلك ، [فلذلك] أمروهم بطلب الكسب [لأن النبي

عليه الصلاة والسلام وأبا بكر وعمر ، رضى الله عنهما ، قد رأوا أصحاب الصفة ، وهم نيف وثمانيه ، ولم يكرهوا ذلك ، ولم يؤمروا بالخروج من المسجد وطلب المعاش

وروى عن عمر ، رضى الله عنه ، أنه قال لأخيه زيد بن الخطاب يوم أحد : إن شئت نزعنا درعى هذه حتى تلبسها ، فقال له زيد : أنا أيضاً أحب الشهادة كما أنك تحب الشهادة ؛ وهذه إشارة عظيمة منهما تدل على حقيقة التوكل .

وأشبه ذلك كثيرة ، وفي القليل كفاية .

وقد روى عن عمر ، رضى الله عنه ، أنه قال : وجدت العبادة فى أربعة أشياء : أولها : أداء فرائض الله تعالى ؛ والثانى : اجتناب محارم الله تعالى ؛ والثالث : الأمر بالمعروف ابتغاء ثواب الله تعالى ؛ والرابع : النهى عن المنكر اتقاء غضب الله تعالى .

باب في ذكر عثمان رضى الله عنه

قال الشيخ ، رحمه الله : أما عثمان بن عفان ، رضى الله عنه ، فقد خص بالتمكين ، والتمكين من أعلى مراتب المتحققين ، ومما يتعلق به أهل الحقائق من أهل التصوف بعثمان بن عفان رضى الله عنه ، ما روى عن بعض المتقدمين [أنه سئل] عن الدخول في الساعات فقال : لا يصح إلا للأتبياء والصدقين ، والدخول في السعة التي هي من أحوال الصدّيقين أن يكون داخلا في الأشياء [خارجا منها وأن يكون مع الأشياء] باثنا عنها .

كما سئل يحيى بن معاذ ، رضى الله عنه ، عن صفة العارف فقال : رجل كائن [معهم] بائن عنهم .

وسئل ابن الجلاء ، رحمه الله ، عن الفقير الصادق فقال : يكون دخوله في الأشياء لغيره لا لنفسه .

وهذا وصف حال عثمان ، رضى الله عنه ، لأنه قد روى عنه أنه قال : لولا أنى خشيت أن يكون في الإسلام ثلثة أسدها بهذا المال ما جمعت .

وعلاوة من يكون هذا حاله أن يكون الإنفاق أحب إليه من الإمساك ، والخرج عنده آثر من الدخول كعثمان رضى الله عنه في تجهيز جيش العمرة وشيرى بثرومة حتى قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « ما ضر عثمان ، رضى الله عنه ، ما فعل بعد هذا » ١٢٣

وروى عنه أنه بحث إلى أبي ذر . رضى الله عنه ، بكيس فيها ألف درهم ، ودفعها إلى عبده وقال : إن قبلها فأنت حر لوجه الله تعالى ، فذل ذلك على أن أمواله كانت مستعدة لمثل هذه الجهات ولا يصح هذا الحال إلا لعبد كامل المعرفة ، سمعت ابن سالم رحمه الله يقول : قال سهل بن عبد الله ، رحمه الله : لا يصح الدخول

في السعة إلا لعبد يعرف الإذن إذا أذن الله له أن يُنفق أنفق على مقدار ما يأذن الله تعالى له ، وإن أمسكها أمسك على حسب ما يأذن الله تعالى له ، ويكون قيامه فيما يجمع الله عليه من الأموال للحقوق لا للحظوظ ، فيكون مثله كمثل الوكيل يتصرف في مال صاحبه تصرف المالكين بإذن رب المال ، وهو مكان صعب وقد غلط في ذلك خلق كثير بدعواهم هذا الحال وهم عبيد الدنيا ، وعندهم أنهم من هؤلاء .

وقد حُكي عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله ، أنه قال : ربما يملك العبد الدنيا ويكون أزهداً لخلق في زمانه ، فقيل له : مثل من ؟ فقال : مثل عمر ابن عبد العزيز .

وكان [رضى الله عنه أغنى عمر بن عبد العزيز] في خلافته يُميز بين الزيت الذى يُسرج لنفسه والزيت الذى يسرج للعامة ، وكان يضع سراجَه على ثلاث قصبَات ، وفي يده خزان الأرض .

فإن ها هنا غلط من غلط في تشريف النقي على الفقر ، وذهب عليه أن هؤلاء لم يكونوا أغنياء بأعراض الدنيا ، ولا فقراء بما يعدمون من الدنيا ، لأن غناهم بالله ودفقرهم إليه .

ومما يتعلق به أهل الحقائق بعثان ، رضى الله عنه ، ما روى عنه أنه حمل حزمة حطب من بعض إساتينه ، وكان له عدة عماليك ، فقيل له : لو دفعتهإ إلى بعض عبيدك ، فقال : إني قد استطعت أن أفعل ذلك ، ولكن أردت أن أجرب نفسى هل تعجز عن ذلك ، أو هل تكره ذلك ، أو كما قال .

مد ذلك أيضاً [على] أنه كان لا يدع افتقاده نفسه ، وكان يفتقد رياضة نفسه لئلا يسكن إلى ما يُجمع إليه من الأموال لأنه ليس في ذلك كغيره .

وروى عنه : أنه كان يقرأ بالسبع الطول في ركعة واحدة خائف المقام وهو مقتنع رأسه بالليل .

وروى عنه أنه قال : ما تَمَنَيْتُ ولا تَعَتَيْتُ ولا مَسَسْتُ ذَكَرِي يَمِينِي مِنْذُ بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

و [مما يدل على] تخصيصه بالتمكين والتمنيت والاستقامة ما روى عنه : أنه يوم قُتِلَ لم يبرح من موضعه ، ولم يأذن لأحد بالقتال ، ولا وضع المصحف من حجره إلى أن قُتِلَ ، رضى الله عنه ، وسال الدم على المصحف وتلطح بالدم ، ووقع الدم على موضع هذه الآية (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) .

والتمكين حال رفيع ، سمعتُ أبا عمرو بن علوان يقول : سمعت الجنيد رحمه الله ليلة من الليالي وهو [يقول] في مناجاته : إلهي أتريد أن تخدعني [عنك] بقرْبِكَ ، أم تريد أن تقطعني عنك بوصلك ، هيهات هيهات ؛ قلت لأبي عمرو : ما معنى قوله : هيهات هيهات ؟ قال : التمكن .

وروى عن عثمان ، رضى الله عنه ، أنه قال : وجدتُ الخير مجموعاً في أربعة ؛ أولها : التحجب إلى الله تعالى [بالنوافل] ، والثاني : الصبر على أحكام الله تعالى ، والثالث : الرضا بتقدير الله عز وجل ، والرابع : الحياء من نظر الله عز وجل .

باب في ذكر علي بن أبي طالب رضى الله عنه

قال الشيخ ، رحمه الله : وأما عليّ ، رضى الله عنه ، فإنى سمعتُ أحمد بن عليّ الوجيهي يقول : سمعتُ أبا عليّ الروذباري يقول : سمعت جنيداً رحمه الله يقول : رضوان الله على أمير المؤمنين عليّ ، رضى الله عنه ، لولا أنه اشتغل بالحروب لأفادنا من علمنا هذا معاني كثيرة ، ذاك اسرؤُ أعطى علم اللدني ، والعلم اللدني هو العلم الذي خص به الخضر عليه السلام ، قال الله تعالى (وعلمناه من لدنا من علماً)^(١)

وقد سمعت بقصة الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام وقوله (إنك لن تستطيع معي صبراً)^(٢) فن هاهنا غلط من غلط في تفضيل الولاية على النبوة ، وسند ذكر ذلك في باب الرد علي من قال ذلك إن شاء الله .

ولأمر المؤمنين [عليّ] رضى الله عنه خصوصية من بين جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعاني جليلة ، وإشارات لطيفة ، وألفاظ مفردة ، وعبارات وبيان للتوحيد والمعرفة والإيمان [والعلم] ، وغير ذلك ، وخصال شريفة تعلق ونحاق به أهل الحقائق من الصوفية ، وإن ذكرنا ذلك كله طال به الكتاب ، ولكن نذكر من ذلك طرفاً نكتفي به عن التطويل إن شاء الله .

فإنها ما سئل أمير المؤمنين ، رضى الله عنه ، وقيل له : بما عرفت ربك ؟ فقال : بما عرفني نفسه ، لانشبه صورة ، ولا يُدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، قريب في بمله ، بعيد في قرّبه ، فوق كل شيء ولا يقال شيء تحت ، وتحت كل شيء ولا يقال شيء فوقه ، أمام كل شيء ولا يقال شيء أمامه ، داخل في الأشياء ، لا كشيء ولا من شيء ، ولا في شيء ، ولا بشيء ، سبحانه من هو هكذا ولا هكذا غيره .

وكان أمير المؤمنين ، رضى الله عنه ، يقول فى خطبته : خلق الأشياء لآمن شىء ، كان معه ، ولا عن شىء احتذاء ، ولا عن شىء امتثله ، فكل صانع فن شىء صنع ، وكل عالم فن بعد جهل علم ، والله تعالى عالم لآمن بعد جهل .

وقوله فى الإيمان كما ذكر عنه عمرو بن هند قال : سمعت علياً ، رضى الله عنه ، يقول : الإيمان يبدو لمطة بيضاء فى القلب ، فكما ازداد الإيمان ازداد القلب بياضاً ، فإذا استكمل الإيمان ببيض القلب : وإن النفاق يبدو لمطة سوداء فى القلب ، فكما ازداد النفاق ازداد القلب سواداً ، فإذا استكمل اسود القلب

وقام رجل إلى على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، فسأله عن الإيمان ، فقال : الإيمان على أربع دعائم : على الصبر ، واليقين ، والعدل ، والجهد ؛ ثم وصف الصبر على عشر مقامات ، وكذلك اليقين والعدل والجهد ، فوصف كل واحد منها على عشر مقامات .

فإن صح ذلك عنه فهو أول من تسكلم فى الأحوال والمقامات .

وقيل لأمر المؤمنين ، رضى الله عنه : من أسلم الناس من سائر العيوب ؟ قال : من جعل عقله أميره ، وحذره وزيره ، والموعظة زمامه ، والصبر قائده ، والاعتصام بالثغوى ظهيره ، وخوف الله تعالى جليسه ، وذكر الموت والبلى أنيسه .

وقال على ، رضى الله عنه ، فى حديث كعب بن زياد : ها إن هاهنا علم لو وجدت له حلة وأشار إلى قلبه ؛ فكان تخصيصه من بين الصحابة بالبيان والعبارة عن التوحيد والمعرفة ، والبيان من آتم للمعانى وأعلى الأحوال قال الله تعالى : (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبذبنه للناس) وقال تعالى : (هذا بيان للناس)^(١) .

ولا يبلغ العبد كال الشرف إلا بالبيان لأنه ليس كل من عقل يعلم . ولا كل

من علم يحسن أن يبين ، فإذا أعطى العبدُ العقل والعلم والبيان فقد بلغ إلى الكمال ، والمشهور عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا إذا أشكل عليهم شيء من أمور الدين سألوا علياً . رضي الله عنه ، فكان يبين لهم الذي يشكل عليهم . وروى عن علي ، رضي الله عنه ، أنه كان يقول : أحب حبيبتك هوناً ما ، كما يكون بغيبك يوماً ما ، وأبغض بغيبك هوناً ما كما يكون حبيبتك يوماً ما . وذكر عنه أيضاً : أنه وقف على باب الخزنة - خزنة الأموال - وقال : يا صفراء ويا بيضاء غرّيتي غبري .

وذكر عنه أيضاً : أنه لبس قميصاً شراء ثلاثة دراهم ، فقطعه من رأس أصابعه . وذكر عنه أنه عمل بأجرة ، فأخذ أجرته مدّاً من تمر ، وحمل ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تقوّت به .

وروى عنه أنه قال لعمر بن الخطاب ، رضي الله عنه : إن أردت أن تلقى صاحبك فرفع قميصك ، واخسف نعلك ، وقصر أملك ، وكل دون الشيع .

وروى عن عمر ، رضي الله عنه ، أنه قال : لولا علي ، رضي الله عنه ، لملك عمر . ويقال : أنه لما قتل ، رضي الله عنه ، صعد الحسن ، رضي الله عنه ، منبر الكوفة وقال : يا أهل الكوفة ، لقد قتل بين ظهرانيكم أمير المؤمنين ، رضي الله عنه ، والله إنه ما خلف من الدنيا شيئاً إلا أربعمائة درهم ، وكان قد عزلها ليشتري بها خادماً يخدمه .

ويقال : إن علياً ، رضي الله عنه ، كان إذا جاء وقت الصلاة يتزّول ويتغير لونه فيقال له : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فيقول : جاء وقت أمانة عرضها الله تعالى على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ، فلا أدري أحسن أداء ما احتملت أم لا ؟

وقال علي ، رضي الله عنه : ما أنا ونفسي إلا كراعي غنم كلا ضمهما من جانب انتشرت من جانب .

ولعلّى ، رضى الله عنه ، أشباه ذلك كثير من الأحوال والأخلاق والأفعال التي
يتعلق بها أرباب القلوب وأهل الإشارات وأهل المواجيد من الصوفية ، فمن ترك
الدنيا كلها وخرج من جميع ما يملك وجلس على بساط القفر والتجريد بلا علاقة
فإمامه فيه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ومن أخرج بمضها وترك البعض لعياله
واصله الرحم وأداء الحقوق فإمامه [فيها] عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ومن جمع
لله ومنع لله وأعطى لله وأفق لله فإمامه [فيها] عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ومن
لا يحوم حول الدنيا ، وإن جمعت عليه من غير طلبه رفضها وهرب منها فإمامه في ذلك
علّى بن أبى طالب رضى الله عنه .

وروى عن علّى ، رضى الله عنه ، أنه قال : الخبير كله مجموع في أربعة : الصمت
والنطق والنظر والحركة ، فكلّ نطق لا يكون في ذكر الله تعالى فهو لغوٌ ، وكلّ
صمت لا يكون في فكر فهو سهوٌ ، وكلّ نظر لا يكون في عبدة فهو غفلة ، وكلّ
حركة لا تكون في تعبد الله فهي فترة ، فرحم الله عبداً جعل نطقه ذكراً وصمته
فكراً ونظره عبدة وحركته معبداً ، وبسمل الناس من لسانه ويده .

باب صفة أهل الصفة رضوان الله عليهم أجمعين

قال الشيخ ، رحمه الله : ثم إن أهل الصفة كانوا كما جاء في الخبر نيف وثلاثمائة لا يرجعون إلى مدع ولا إلى ضرع ولا إلى تجارة ، وكان أكلهم في المسجد ونومهم في المسجد ، وكان رسول صلى الله عليه وسلم يؤانسهم ويجلس معهم ويأكل معهم ويبحث الناس على إكرامهم و [معرفة] فصلهم .

وقد ذكروهم الله تعالى في مواضع من القرآن منها قوله عز وجل : (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله)^(١) الآية ، وقوله : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم) الآية ، وقوله : (وأضر نفسك مع الذين يدعون ربهم)^(٢) الآية .

وقد عاتب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فيهم ، قال الله عز وجل : (عبس وتولى أن جاءه الأعمى)^(٣) ، قيل : نزلت في شأن ابن أم مكتوم ، رضى الله عنه ، وكان من أهل الصفة ، فكان إذا رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يقول : ١٧٤ « يا من عاتبني فيه ربي عز وجل » .

ويقال : إن رسول صلى الله عليه وسلم كان لا يقوم من مجلسه إذا جلس أهل الصفة حوله حتى يقومون ، وكان إذا صافحهم لم ينزع يده من أيديهم قبلهم ، وربما كان يفرقهم على أهل الجدات والسمعة على كل واحد على مقداره ، يبعث بهم مع واحد ثلاثة ، ومع الآخر الأربعة والخمسة ، قال فربما كان ينقلب سعد بن معاذ ، رضى الله عنه ، ثمانين منهم إلى بيته فيقطعهم .

وقال أبو هريرة ، رضى الله عنه . رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب

(٢) السكوف : ٢٨

(١) البقرة : ٢٧٤

(٣) عبس : ١ - ٢

منهم من لا يبالغ ركبته ، فإذا ركم أحدهم قبض يديه مخافة أن تبتدع عورته .
وقال أبو موسى الأشعري ، رضى الله عنه : كان يشبه رأتحتنا رائحة الشاة من
لبس العباء .

وقال عبد الله بن طلحة : صحبنا جماعة أهل الصفة يوماً فقلنا : يا رسول الله ،
أحرق بطوننا النمر ، وحرمت علينا الجيفة ؛ فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصعد المنبر ثم قال : « ما بال أقوام يضحون ويقولون أحرق بطوننا النمر ، أما
علمتم أن هذا النمر [إنما] هو طعام أهل المدينة ، فقد واسونا به ، فواسيناكم مما واسونا
به ، والذي نفس محمد بيده أن منذ شهر أو شهرين لم ترتفع من [بيت] رسول الله
دخان للخبز وليس لهم غير الأسودين النمر والماء » .

والمعنى في ذلك أن رسول الله عليه الصلاة وسلم اعتذر [في ذلك] إليهم ، ولم
يرد عليهم شكائهم ، ولم يأمرهم بطلب المعاش [من الاكتساب والتجارات] ،
وقد روى في الخبر أن النبي عليه الصلاة والسلام وقف على جماعة من أهل الصفة وقد استتر
بعضهم ببعض من ، العرى وقارى لا يقرأ عليهم القرآن وهم يبكون ، فأما غير أهل
الصفة فقد روى عن كل واحد منهم ما انفردوا به وخصوصاً به من الأحوال الرضية
والأعمال الزكية ومكارم الأخلاق ما تعلق بها أهل الحقائق من المتصوفة وطلب
الاهتداء في الاقتداء بهم ، ويكثر ذكر ذلك ولكن نذكر طرفاً ليستدل بذلك
على ما لم نذكره إن شاء الله تعالى .

باب في ذكر سائر الصحابة في هذا المعنى

قال الشيخ - رحمه الله : وأما طلحة بن عبيد الله . رضى الله عنه ، فقد روى عن
رياد بن حذير أنه قال : رأيت طلحة بن عبيد الله ، رضى الله عنه ، فوق مائة ألف
في مجلس وإنه ليخييط طرف إزاره بيده .

وأما معاذ بن جبل ، رضى الله عنه ، فقد روى عنه الحارث بن عُميرة ، قال :
إني لجالس عند معاذ بن جبل ، رضى الله عنه ، وهو يجود بنفسه ويقول : أخنق
خَنِقَكَ فوعدتك أنى لأحبك .

وأما عمران بن حصين ، رضى الله عنه ، قال : وددت أنى كنت تراباً تذرونى
الرياح ولم أخلق محافة العذاب .

وقال ثابت البناني ، رحمه الله : أنه - يعنى عمران بن حصين ، رضى الله عنه -
اشتكى بطنه ثلاثة وثلاثين سنة ، فدخل عليه أصحابه يعودونه فقالوا : يمتنعنا من
الدخول عليك طول شكابتك ، فقال : لا تفعلوا [ذلك] فإن أحبه إلى ربي
أحبه إلى .

وأما سلمان الفارسي ، رضى الله عنه ، فقد قيل : إنه لما نزلت هذه الآية (وإن
جهنم لمؤعدة لهم)^(١) صاح صيحة ووضع [يده] على رأسه ، ثم خرج
هارباً ثلاثة أيام ؛ وفي الخبر أن سلمان ، رضى الله عنه ، زار أبا الدرداء ، رضى الله
عنه ، من العراق إلى الشام راحلاً وعليه كساء غليظ مصموم الرأس شاحباً ، فقيل
له : شهرت نفسك ، فقال : الخير خير الآخرة وإما أنا عبد ألبس كما يلبس العبيد ،
فإذا اعتقت لبست جبة لا ابتلاء محاسنها .

وأما أبو الدرداء ، رضى الله عنه ، فإنه قال : كنت امرأة أتاها في الجاهلية ، فلما أسلمت أردت أن أجمع بين التجارة والعبادة فلم تجتمعا لى ، فأثرت العبادة على التجارة ؛ قال : وسئلت أم الدرداء ، رضى الله عنها ، عن أفضل عبادة ألى الدرداء ، رضى الله عنه ، فقالت : التفكر والاعتبار .

وأما أبو ذر ، رضى الله عنه ، فإنه روى عنه أنه قال : إن قيامى بالحق لله تعالى لم يترك لى صديقاً ، وإن خوفى من يوم الحساب ما ترك على بدنى لحماً ، وإن يقينى بثواب الله تعالى ما ترك فى بيتى شيئاً .

ويروى عنه أنه قال : قتلتى هم يوم لم أدركه ، فقيل له : وما ذاك ؟ قال إن أملى تجاوز أجلى ، وددت أن الله تعالى خلقنى شجرة تعضد .

ودعى أبو ذر ، رضى الله عنه ، إلى ولية فسمع صوتاً فأنصرف وهو يقول : من أكثر سواد قوم فهو منهم ، ومن رضى عمل قوم فهو شريكهم .

وحمل حبيب بن مسلمة إلى أبى ذر ، رضى الله عنه ؛ ألف درهم فرد عليه وقال : عندنا غز نحلبها ، ومركوب يسارع على ظهرها ، ولا حاجة لنا فى غير ذلك .

وأما أبو عبيدة بن الجراح ، رضى الله عنه ؛ فإنه روى عنه أنه خرجت فى كفه طمعة فى أيام الطاعون ، فمظم ذلك على أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام وفرقوا منها . فأقسم لهم أبو عبيدة ، رضى الله عنه ؛ ما يحب أن له مكانها حمير النعم ؛ وجاء رجل إلى أبى عبيدة ، رضى الله عنه : فسأله فردده ، ثم جاءه فسأله فأعطاه ، فقال : الذى أعطاك والذى ردك الله عز وجل ؛ [وقال أبو عبيدة : وددت أن أكون كبشاً لأهدى فيتعرق لى ويتجنى فى رى ولم أخلق] .

وأما عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه ، فإنه روى عنه أنه كان يقول : يا حبذا المكروهان الموت والفقر فما أبالي بأيهما ابتدئت ؛ وروى أن في بيته كانت عشاء الخطاطيف ، وكان له بنون فقيل له : لو نقضت هذه العشاء ، فقال : والله إنني نقضت يدي من تراب قبورهم — يعنى أولاده — أحبُّ إليَّ من أن أكسر من عشاء هذه الخطاطيف بيضة واحدة .

وأما البراء بن مالك فقد روى عن أنس بن مالك ، رضى الله عنهما ، أنه قال : دخلتُ على البراء بن مالك ، رضى الله عنه ، وقد مال برجليه على الحائط وهو يترجم بالشعر فقلت : يا أخى أبعده الإسلام والقرآن ؟ فقال : يا أخى ديوانُ العرب ، ثم قال : أنزاني أموتُ على فراشي وقد قتلْتُ تسعة وتسعين مبارزاً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى ما أشركتُ [فيه] ، فلما كان يوم شهرك ملكٍ تُنْتَرَى قال أبو موسى الأشعري ، رضى الله عنه : سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول : « كم من ذى طِمْرَيْنِ لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره ، منهم البراء بن مالك » ١٢٨ رضى الله عنه . فقال البراء : اللهم فاني أقسم عليك لما رزقتني الشهادة ورزقت أصحابي الفتح ، قال : فاستشهد البراء ، وفتح الله عليهم .

وأما عبد الله بن العباس ، رضى الله عنه ، فإنه روى عنه أنه كان يقول : أفضَلُ المجالس مجلس في قعر بيتك حتى لا تُرى ولا تُرى ؛ وروى عنه أنه كان يقول إن الله تعالى ليبتلي العبد بالفقر شوقاً إلى دعائه ؛ ويقال : إن هذا الموضع يعنى حذنه [كان] مثل شراك النمل من كثرة الدمع ، يعنى ابن عباس رضى الله عنه ، و [روى] عنه أنه قال : لأن أرتع ثوباً فألبسه فيرفعني عند الخالق أحبُّ إليَّ من أن ألبس ثياباً تضعني عند الخالق ، وترفعني عند المخلوقين .

وأما كعب الأحبار ، رضى عنه ، فقد روى عنه أنه قال : لن ينالوا شرف الآخرة

حتى يكرهوا المدحة والتناء ، وأن ينالوا الملامة في الله تعالى ؛ وقال كعب . رضى الله عنه : لن يستكمل العبد أجر الحج والجهاد حتى يصبر على الأذى .

١٢٩ وأما حارثة ، رضى الله عنه ، فقد روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من أراد أن ينظر إلى عبد نوتر الله تعالى الإيمان في قلبه فليتنظر إلى حارثة ، رضى الله عنه » .

وأما أبو هريرة ، رضى الله عنه ، فإن ثعلبة بن أبي مالك قال : رأيت أبا هريرة ، رضى الله عنه ، وهو يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة مروان بن الحكم ، فقال : أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك ، فقلت : أصلحك الله تُكفَى هذا ، فقال : أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك ؛ وروى عنه أنه بكى لما حضرته الوفاة ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : بعد المفازة ، وقلة الزاد ، وضعف اليقين ، وعقبة كؤود ، والمهبوط منها إلى الجنة أو النار ؛ وقال أبو هريرة ، رضى الله عنه : جزأت الليل ثلاثة أجزاء ثلثاً أصلي وثلثاً أنام وثلثاً أستذكر [فيه] حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام

وأما أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، فروى عنه أنه قال : إن أول من يرد الحوض يوم القيامة الذابلون الناحلون الذين إذا جنهم الليل استقبلوه بحزن

وأما عبد الله بن عمر ، رضى الله عنه ، فروى عنه أنه كان يقول : ما كنا ننام ونحن عُزَاب في أيام رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا في المسجد ، ولم يكن لنا مسكن ولا مأوى ، وروى عنه أنه قال : لا تحبب أبداً إلا من تتق بدينه ، وكان يقول : لا تطعموا طعامكم إلا كل تقى [تقى] ولا تأكلوا إلا من طعام تقى تقى ، وعن ابن عمر رضى الله عنه أنه قال : إنما سَطَّ على ابن آدم من يخافه ، ولو لم يخف ابن آدم إلا الله لم يساط الله تعالى عليه شيئاً .

وأما حذيفة بن اليمان ، رضى الله عنه ، فروى عنه أنه قال : إن أقرَّ يوم لىنى ليوم

إذا رجعت إلى أهلي فيشكون إلى الحاجة ، وقال حذيفة ، رضى الله عنه : كم من شهوة ساعة أدرت صاحبها حرناً طويلاً ؛ ودعى حذيفة إلى مائدة فرأى عليها زى المعجم فانصرف وهو يقول : من تشبه بقوم فهو منهم .

وأما عبد الله بن جحش ، رضى الله عنه ، فروى سعيد بن المسيب ، رحمه الله ، قال : قال عبد الله بن جحش ، رضى الله عنه ، يوم أحد : اللهم إني أقسم عليك أن أتى العدو ، وإذا لقيت العدو أن يقتلوني ثم يبقروا بطنى ثم يتخلوا بى ، فإذا قتلتك قتلت : وبم قتلت ؟ فأقول : فيك ، قال : فلقى العدو فقتل وفعل به ذلك .

وأما صفوان بن محرز المازنى فإنه كان يقول : إذا أويت إلى أهلى وأصبت رغيماً أكلته فجرى [لله] الدنيا عن أهلها شراً . وما زاد على ذلك إلى أن خرج من الدنيا .

وأما أبو فروة فإنه رجل من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام كان مولى أبى سليم حارمياً لم يذكر الله تعالى فيه فرجع حتى [سار فيه] ذاكر الله تعالى ، فلما بلغ منهماء قال : اللهم لا تنس أباً فروة [فإن أباً فروة] ليس ينسك .

وأما أبو بكره رضى الله عنه فإنه أغنى عليه عند قبر فصرخوا عليه فلما أفق قال : ما من نفس تخرج ولا نفس دابة [إلا وهى] أحب إلى من نفسى ، قيل له : ولم ؟ قال : إني أخاف أن أبقى إلى زمان لا أسرف فيه بالمعروف ولا أنهى عن المنكر .

وأما عبد الله بن رواحة ، رضى الله عنه ، فذكر عنه أنه بكى فبكى امرأته ، فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت : إليك بكيت فبكيك ، قال : إني أنبت أنى وارد النار ولم أنبأ أنى صادر .

وأما نعيم الدارى فذكر عنه أنه قام ليلة إلى الصباح يبكى ويقرأ هذه الآية (أم حسب الذين اجترأوا السيئات) الآية .

وَأَمَّا عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَرَوَى عَنْهُ أَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ يَفْتِ الْخُبْزَ لِلنَّمْلِ تَرْحَمًا عَلَيْهِمْ .

وَأَمَّا أَبُو رَافِعٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَدْ رَوَى عَنْ ابْنِ عَمْرٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ ١٣٠ « كُلُّ نَحْمٍ الْقَلْبَ صَدُوقُ اللِّسَانِ » قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا نَحْمُ الْقَلْبِ ؟ قَالَ : « التَّقَى النَّقَى الَّذِي لَا كَدْرَ فِيهِ [وَلَا بَغْيَ] وَلَا حَسَدَ ، الَّذِي يَشْنَأُ الدُّنْيَا وَيُحِبُّ ١٣١ الْآخِرَةَ » قَالُوا : فَمَا نَعْرِفُ فِينَا [مِثْلَ] ذَلِكَ غَيْرَ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا [جَعَلَ فِيهِ ثَلَاثَ خِلَالٍ] فَقَهْ فِي الدِّينِ ، وَزَهْدُهُ فِي الدُّنْيَا ، وَبَصَرُهُ عِيُوبَ نَفْسِهِ .

وَأَمَّا زُرَّارَةُ بْنُ أَوْفَى ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَإِنَّهُ رَوَى عَنْهُ أَنَّهُ أُمٌّ فِي مَسْجِدِ بَنِي قَشِيرٍ فَقَرَأَ (فَإِذَا نُفِرَ فِي الْمَقَابِرِ فَذَلِكَ يَوْمٌ مَثَدٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ) (١) فخر ميتًا .

وَأَمَّا حَنْظَلَةُ الْكَاتِبِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَإِنَّهُ رَوَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَذَكَرْنَا الْجَنَّةَ وَالنَّارَ حَتَّى كَانَهَا رَأَى الْعَيْنَ ، فَطَدْتُ إِلَى أَهْلِ فَضَحَكْتُ وَلَقِيتُ النَّاسَ فَقُلْتُ : نَافَقَ حَنْظَلَةُ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا لَكَ ؟ فَأَخْبَرْتَهُ ، فَقُلْتُ : إِنَّا لَنَفْعَلُهُ أَيْضًا ، فَذَهَبَ حَنْظَلَةُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ : « يَا حَنْظَلَةُ ، لَوْ كُنْتُمْ فِي بَيْتِكُمْ كَمَا تَكُونُونَ عِنْدِي ١٣٢ لَصَاحَتْكُمْ اللَّائِسُكَ عَلَى فَرْشِكُمْ » أَوْ كَمَا قَالَ « يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً » . ١٣٣

وَأَمَّا الْبُجَاجُ - قَالَ الشَّيْخُ : وَكَفَيْتَهُ أَبُو كَثِيرٍ هَكَذَا فِي كِتَابِ أَبِي دَاوُدَ السَّجِسْتَانِيِّ -

صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه روى عنه أنه قال : أسلمت مع النبي صلى الله عليه وسلم وأنا ابن خمسين سنة ، ومات اللجلاج وهو ابن عشرين ومائة سنة ، وقال : ما ملأت بطنى من طعام منذ أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، آكل حسي وأترب حسي .

وأما أبو جحيفة ، رضى الله عنه ، فإنه روى عنه أن أسرته استخبات ثلاثين درهماً فلبسيتها حتى مضت لها سنة ، ثم إنهما ذكرتها ، فقال لها : يا أخت هذيل اعتدى بئس حشوة البيت أنت ، لومت لعددت عند الله من السكتازين ، إن نبي الله صلى الله عليه وسلم مات ، وعهده بين أعيننا جديداً ، لم يترك ديناراً ولا درهماً ولا فلساً ولا برا ولا شعيراً .

وأما حكيم بن حزام ، رضى الله عنه ، فإنه روى عنه أنه قال : ما أصبحت ذا صباح قط لم أر عندى طالب حاجة ولا مستعينا على أمر إلا عدته من المصائب التي أسأل الله تعالى الأجر عليها .

وأما أسامة ، رضى الله عنه ، فإنه روى عنه أنه اشترى فرساً إلى شهرين ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام لما بلغه ذلك « إن أسامة أطول الأمل » .

١٣٤

وأما بلال وصهيب رضى الله عنهما فإنه روى عنهما أنهما أتيا قبيلة من العرب فخطبا إليهم فقبل لهم : من أتما ؟ فقالا : بلال وصهيب ، كنا ضالين فهدانا الله تعالى ، وكنا مملوكين فأعتقنا الله تعالى ، وكنا عاثلين فأغنانا الله تعالى فان تزوجونا فحمد الله وإن آردونا فصبحنا الله ، فقالوا : تزوجون والحمد لله ، فقال صهيب لبلال : هلا ذكرت مشهدنا وسوابقنا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟ فقال بلال : اسكت فقد صدقت فأنكحك الصدق .

وأما عبد الله بن ربيعة ومُصعب بن عمر ، رضى الله عنهما ، فكانا متواخين ،

قال عبد الله : كنت أنظر إلى مصعب فتدمع عيني رقة عليه ، وكنت رأيته بمكة في الرفاهية وكان على رأسه ثلة من الشعر ، قال : فكنت أمر إلى بعض حيطان المدينة فأعمل في السواني إلى الأدلى على مد من التمر فأحمله إلى مصعب بن عمر ، و مر مصعب يوماً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قطعة حبس ، فأكل بعضها ، وحمل النصف الآخر إلى عبد الله ابن ربيعة . ١٣٥

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع ، رضى الله عنهما ، وكان لسعيد امرأتان فقال سعد : أقاسمك مالى وأتزل عن إحدى امرأتى حتى تزوج بها ، فلم يفعل ذلك عبد الرحمن ، وقال : دلوني على السوق ، فدخل السوق وكسب حتى جمع شيئاً من التمر والسمن والأقط ، وروى عنه أنه نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد أهله شيئاً فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب إلى أهله ، ووضع بين يديه الطعام ، وقال لامراته : أطفئى السراج ، وجعل يمد يده كأنه يأكل حتى أكل الضيف الطعام ، فلما أصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد عجب الله تعالى من صنعتكم إلى ضيفكم » ونزلت هذه الآية (وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)^(١) ١٣٦

وروى عن [ابن] عمر رضى الله عنه ، أنه [قال] : أهدى لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة ، فقال : إن أخى كان أحوج إليه منى ، فبعث إليه ، فلم يزل يبعث الواحد الى الآخر حتى تناوله سبعة أبيات فرجعت الى الأول ، قال : ونزلت فيهم هذه الآية : (وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) ١٣٨

قال الشيخ ، رحمه الله تعالى : ومثل هذا الكثير في الأخبار عن الصحابة وما منهم أحد إلا وله تخصيص في معان من هذا النوع الذي ذكرنا ، والمؤمنون مندوبون إلى التعلق بمثل هذه الأفعال والتخلق بأخلاقهم فيما أنوا به من أنواع الطاعات ونطقوا به من [أنواع] الحسب . وقد ذكرنا القليل من الكثير والمراد من هذه الأخبار التي ذكرناها عن هؤلاء الصحابة : إشارة ولطافة تخصيصاً لأهله ، وله بيان وشرح كشرح مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ في أوّل الباب باب الأئمة الأربعة : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، رضى الله عنهم أجمعين ، ولا يخفى على المتأمل والتدبر بالنظر فيه بيان ذلك إن شاء الله تعالى .

كتاب آداب المتصوفة

باب في ذكر الآداب

قال الشيخ ، رحمه الله : قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا)^(١) وروى عن ابن عباس ، رضى الله عنه ، أنه قال في تفسيره : يعنى أدبهم وعلومهم تقوم بذلك من النار ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما نجلّ والدٌ والدًا أفضل من أدب حسن » وروى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « أن الله أدبني فأحسن أدبي »

قال الشيخ ، رحمه الله : موضع تخصيصه بالأدب من جملة الأنبياء ، عليهم السلام بقوله فأحسن أدبي ، وإلا فجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا ممن أدبهم الله تعالى .

وروى عن محمد بن سيرين أنه سئل : أى الآداب أقرب إلى الله تعالى ، وأزكف للبعد عنده ؟ قال : معرفة ربوبيته ، وعمل بطاعته ، والحمد لله على السراء ، والصبر على الضراء .

وقيل للحسن بن أبي الحسن البصرى رحمه الله : أ كثر الناس تعلم الآداب فما أنفعها عاجلا ، وأوصلها آجلا ؟ قال : التفقه في الدين فإنه يهرف إليه قلوب المتعلمين ، والزهد في الدنيا فإنه يقربك من رب العالمين ، والمعرفة بما لله عليك يحويها كمال الإيمان .

وقال سعيد بن المسيب ، رحمه الله : من لم يعرف ما لله تعالى عليه في نفسه ولم يتأدب بأمره ونهيه ، كان من الأدب في عزلة .

وقال كلثوم النساني : أدبان أدب قول وأدب فعل ، فمن رفق لنفسه في أدبه بقوله عدم ثواب العمل ، ومن تقرب إلى الله تعالى : بأدب فعله منحه محبة القلوب ، وصرف عنه العيوب ، وجعله شريكاً في ثواب المتعلمين .

وروى عن ابن المبارك ، رحمه الله ، أنه قال : نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم ؛ وقال ابن المبارك ، رحمه الله ، أيضاً : الأدب للعارف بمنزلة التوبة للمستأنف .

قال الشيخ رحمه الله : الأدب سند للفقراء وزين للأغنياء ، والناس في الأدب متفاوتون وهم على ثلاث طبقات : أهل الدنيا ، وأهل الدين ، وأهل الخصوصية من أهل الدين ، فأما أهل الدنيا فإن أكثر آدابهم في الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم ، وأسماهم الملوك ، وأشعار العرب ، ومعرفة الصنائع .

وأما أهل الدين فإن أكثر آدابهم في رياضة النفوس ، وتأديب الجوارح ، وطهارة الأسرار ، وحفظ الحدود ، وترك الشهوات ، واجتناب الشبهات ، وتجريد الطاعات ، والمصارعة إلى الخيرات .

وقد حكى عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنه قال : من قهر نفسه بالأدب فهو يعبد الله تعالى : بالإخلاص ، وقال سهل أيضاً رحمه الله : استعانوا بالله على أمر الله فصبروا على أدب الله تعالى . ويقال : إن أفضل الآداب التوبة ، ومنع النفوس عن الشهوات ، وسئل بعضهم عن أدب النفس فقال أن تعرفها الخير فتحبها عليه وتعرفها الشر فتزجرها عنه ؛ ويقال : إن الأدب كال الأشياء لا يصفو إلا للأنبياء والصديقين .

قال الشيخ رحمه الله : فأما أدب أهل الخصوصية من أهل الدين فإن أكثر آدابهم في طهارة القلوب ، ومراعاة الأسرار ؛ والوفاء بالعقود بعد العمود ؛ وحفظ الوقت ؛ وقلة الالتفات إلى الخواطر والموارض والبوادي والطوارق ، واستواء السر

مع الإعلان ، وحسن الأدب في مواقف الطلب ومقامات القرب وأوقات الحضور والقرب والدين والوصلة .

سمعت أحمد بن محمد البصري رحمه الله يقول : سمعت الجالجي البصري يقول : التوحيد موجب الإيمان فن لا إيمان له لا توحيد له ، والإيمان يوجب الشريعة ، فن لا شريعة له لا إيمان له ولا توحيد له ، والشريعة توجب الأدب فن لا أدب له لا شريعة له ولا توحيد .

وسئل أبو العباس بن عطاء رحمه الله : ما الأدب في ذاته ؟ فقال : الوقوف مع المستحسنات ؟ فقال : أن تعامل الله تعالى بالأدب سرا وإعلانا ، فإذا كنت كذلك كنت أدبيا وإن كنت أعجميا ، ثم أنشد ابن عطاء في هذا المعنى :

إذا نطقتُ جاءتْ بكلِّ ملاحيةٍ وإن سكنتُ جاءتْ بكلِّ جميلٍ

قال الشيخ رحمه الله : فالصوفية لهم آداب في سفرهم ، وآداب في أوقاتهم وأخلاقهم ، وآداب في سكوتهم وحركاتهم ، وهم مختصون بها من غيرهم ومعروفون بها عند أشكالهم وعند أبناء جنسهم ؛ يعرف بذلك تفاضل بعضهم على بعض ، وبهذه الآداب تميز بين الصادقين والكاذبين والمدعين والمحققين . وقد بينا طرقاً من آدابهم في كل باب من هذه الأبواب التي ذكرنا على الاختصار لينظر الناظر فيه ، ويقف على ذلك إن شاء الله تعالى :

باب آدابهم في الوضوء والطهارات

قال الشيخ رحمه الله ، فأول أدب يحتاج إليه في باب الوضوء والطهارات : طلب العلم وتعلمه ، ومعرفة الفرائض والسنن ، وما يستحب وما يكره من ذلك ، وما أمر به وما نذبه إليه وما رغب فيه للفضيلة .

وتفصيل ذلك لا يوقف عليه إلا بالعلم والسؤال ، والبحث عليه ، والاهتمام له حتى تأتي به على موافقة الكتاب والسنة ، بالاحتياط ، وأتباع الأحسن والأنتم ، ورفع الملامة وترك الإنكار بالقلب على من لم يأخذ بالاحتياط والأشد : لأن الله تعالى : يحب أن يؤخذ برخصه ، كما يحب أن يؤخذ بعزائمه ، وسائر الناس لم أشغال وأسباب لا بد لهم من السعي فيها والاهتمام بها ، فإن أخذوا بالرخص وما فيه السعة فهم معذورون .

وأما المتصوفة ومن ترك الأسباب ، وخرج عن الاستئصال ، وفرغ نفسه للعبادة والزهد ، فلا عذر له في ترك التنقي والتنقى والاهتمام بإسباغ الوضوء والتمسك بالاحتياط والأنتم في أبواب الطهارة والنظافة ، فمن ليس له شغل غير ذلك فعليه أن يبذل مجهوده على قدر استطاعته في ذلك ، لقول الله تعالى : « فاتقوا الله مآً أستطعتم »^(١) وقد رأيت جماعة كانوا يحددون الوضوء لكل صلاة ، فيقومون إلى الوضوء قبل دخول وقت الصلاة حتى إذا فرغوا من وضوئهم يكون قيامهم إلى الصلاة متصلاً بفرغهم من الوضوء .

ومن آدابهم في ذلك أيضاً أن يكونوا ، دائماً على الطهارة في سفرهم .
وأصلهم في ذلك أنهم لا يدرون متى تأتيهم المنية ، لقول الله تعالى :

« فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون »^(١) يريدون بذلك إن جاءهم الموت بفتة يخرجوا من الدنيا على الطهارة .

سمعت الحصري رحمه الله ، يقول : ر عما أنتبه بالليل فلا يحملني النوم إلا بعد ما أقوم وأجدد الوضوء ، قال الشيخ ، رحمه الله تعالى : وذلك أنه كان ينام على الطهارة ، فإذا انتبه وقد نقضت طهارته جدد ، فقد أدب نفسه بذلك أن لا يحمله النوم وهو على غير طهارة ، وكان شيخ من المشايخ الأجلة به وسوسة في الوضوء ، وكان يكثر صب الماء ، فسمعتة يقول : كنت ليلة من الليالي أجدد الوضوء لصلاة العشاء ، وكنت أصب الماء على نفسي حتى مضى شطر من الليل ، فلم يطب قلبي ، ولم يذهب عني الوسوسة ، فبكيت ، فقلت : يا رب العفو ، فسمعت هاتفاً يقول : يا فلان ، المفوف العلم يعنى في استعمال العلم .

وقال أبو نصر هو أبو عبد الله الروذباري رحمه الله :

ويقال إن الشيطان يجتهد في أن يأخذ نصيبه من جميع أعمال بني آدم فلا يبالي أن يأخذ نصيبه بأن يزدادوا فيما أمروا به ، أو ينقصوا منه ، وذكر عن ابن السكري ، وكان أستاذ الجنيد رحمه الله ، أنه أصابته الجنابة ليلة من الليالي ، وكانت عليه مرقعة ثخينة غليظة (كانت فرد كره وتجاريزه عند جعفر الخلدی وكان فيه أرتال قال)^(١) فجاء إلى الشط ليلة ، وكان برد شديد ، فحرنت نفسه عن الدخول في الماء أشدة البرد ، قال : فطرح نفسه في الماء مع المرقعة ، ولم يزل يفوص في الماء مع مرقعته ثم خرج من الماء ، وقال : اعتقدت أن لا أزعمها من بدني حتى تجف على ، قل : فلم تجف عليه شهراً كاملاً ، وأراد بذلك تنديباً لنفسه : لأنها حرنت عند الاثتمار لما أمر الله تعالى به من غسل الجنابة .

وكان سهل بن عبد الله رحمه الله ، يحث أصحابه على كثرة شرب الماء ، وقلة صب الماء على الأرض ، وكان يقول إن لماء له حياة ، وموته أن تصبه على الأرض ، وكان يرى أن في كثرة شرب الماء ضعف النفس وإماتة الشهوات ، وكسر القوة .

وأقام أبو عمرو الزجاجي رحمه الله ، بمكة سنين كثيرة وهو مجاور ، بها ، وكان إذا أراد أن يقضى حاجته يخرج من الحرم ، وهو مقدار فرسخ ، وكان لا يتغوط في الحرم ، كما يتغنى ، ثلاثين سنة .

وكان إبراهيم الخواص رحمه الله ، إذا دخل البادية لا يحمل معه إلا ركوة من الماء ، وربما كان لا يشرب منها إلا القليل ، وكان يحتفظ بذلك للوضوء ، ويؤثر الوضوء بنائه على الشرب عند العطش .

قال الشيخ ، رحمه الله تعالى : ورأيت جماعة يمشون على شطوط الأنهار ، ولا يفارقهم الماء في ركوتهم ، أو في كوز ، وذلك أنه ربما كان يشتد بهم البول ، ولا يمكنهم الجلوس على شط النهر وكشف العورة من أجل الناس ، فإذا كان معهم ركوة أو كوز عدلوا إلى خلوة ، فيكون أصون لأنفسهم .

وكانوا يكرهون كثرة الدلك عند البول . لأنه ربما يسترخي المروق فلا يمسك البول . ويتولد منه التقطير المفرط . وكذلك تكره الشدة إلا عند عوز الماء والإضطراب . ولبس السراويل أحب [إلى] من الإزار بعد الطهارة . والإزار أخف لنزعه عند التهيؤ . ويحتجب لبس جميع ما يخرز بشعر الخنزير قل أو كثر ، رطباً كان أو يابساً ، ولذلك اختاروا لبس النعال . ويقال إن الصوفي إذا رأيت له ركوة أو كوز فاعلم أنه قد عزم على ترك الصلاة ، وكشف العورة ، شاء أو أبى . ورأيت من أقام بين ظهري جماعة من النساك وهم مجتمعون في دار ؛ فإراه أحد منهم أنه كان قد أدب نفسه وعودها القيام إلى الحاجة في وقت واحد إذا خلا الموضع حتى

لا يراه أحد إذا دخل الخلاء أو خرج منه ، ورأيت أيضاً من كان قد عود نفسه وأدبها حتى كان لا يخرج منه ريح إلا في وقت البراز وهو في البادية وفي مواضع الخلوة ، وكان إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى ، يخرج من مكة وحده ، فيجىء إلى السكوفة ، فلا يحتاج أن يقيم بالقرب ، وكان يحفظ الماء الذي يحمل لشربه حتى يتوضأ به .

وكان جماعة من الشيوخ يكرهون دخول الحمام إلا في أوقات الضرورة فإذا اضطروا إلى ذلك لم يدخلوا إلا في حمام خال ، فإذا دخلوها لم يحلوا إزارهم إلى أن يخرجوا ، ولم يتركوا أن يمسه القوام ويمطوهم طمعهم من غير أن يدنو منهم حتى يوسموا عليهم الماء ، فإذا كانوا جماعة دسكوا بعضهم بعضاً ، فإن كان في الحمام غيرهم استقبلوا بوجوههم الحائظ حتى لا تقع أعينهم على عورات الناس ، وكان جماعة من المتصوفة إذا دخلوا الحمام لا يتركون أحداً يدخل معهم إلا بإزار .

والاستحباب : تنفؤ الإبط وحلق العانة ، فمن لم يحسن الحلق فليتنور بيده في الخلوة .

وكان أصحاب سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى يحلقون رؤوسهم بعضهم لبعض كما يتفنى عنهم .

وسمعت عيسى القصار الدينوري رحمه الله تعالى ، يقول : أول من قص شاربي بيده الشبلي رحمه الله تعالى ، وكنت أخدمه ، قال الشيخ رحمه الله تعالى : وفرق الرأس اختاره جماعة للسنة ويكره ذلك للشباب ، ويحسن بالمشايخ إن أرادوا بذلك استعمال السنة .

وكان يقول : بعض المشايخ هب أن الفقر من الله تعالى ، فما بال الوسخ ، وأحب الأشياء إلى المتصوفة النظافة ، والطهارة ، وغسل الثوب ، والمداومة على السواك ، والنزل عند المياه الجارية والفضاء الواسعة والمساجد التي في الأطراف ، والخلوة ،

والاغتسال في كل يوم جمعة في الشتاء والصيف ، والرائحة الطيبة ، وأطيب الطيب :
الماء الجاري ، والمداومة على الاغتسال ، وتجديد الوضوء ، وإسباغ الوضوء ^(١) .

وليس من الوسوسة ما يستقصي الإنسان في طهارته من التباعد وطلب الماء
الجاري ، وترك المياه المتغيرة ، والتفتيش على المواضع الطاهرة والاستقصاء على ذلك
الأعضاء الظاهرة ، وافتقار الأعضاء الباطنة . ومواضع التشجيع والانضمام ، وإبلاغ الماء
الخياليم ، وإمرار الماء على الأعضاء وجميع البشرة في الغسل والوضوء وغير ذلك ،
وليس التوقي والتفني من الوسواس المنهى عنه أيضاً لأن جميع ذلك داخل في قوله :
« أتقوا الله ما أستطعتم » .

ولما الوسوسة المنهى عنها بما يخرجك عن حد العلم : وهو أن تشغلك الفضائل
عن الفرائض ، وأن تخالف العلم ، وتبطل صلاة من يتوضأ بالماء ، ويفتسل بالصاع .
والصواب في ذلك أن يكون العبد في كل وقت بما هو أولى بالوقت ، وإذا وجد
الماء فيسبغ وضوءه على الاحتياط حتى يطيب قلبه ، وإذا لم يجد الماء الواسع فيحسن
أن يحدد الوضوء ، أو يتطهر بقليل من الماء كما روى في الخبر : أن أصحاب رسول
الله عليه الصلاة والسلام كانوا يتوضون وضوءاً لا يلت منه التراب .

قال الشيخ رحمه الله ورأيت من كان على وجهه قرحة لم تندمل اثني عشر
سنة : وذلك أن الماء كان يضره ، وكان لا يدع تجديد الوضوء عند كل صلاة ،
ورأيت من نزل الماء في عينيه ، فحملوا إليه المداوى ، وبذلوا له دنائير كثيرة على
أن يداويه ، فقال المداوى : يحتاج أن لا يمس الماء أياماً ، ويكون مستقياً على
قماه ، فلم يفعل ذلك ، واختار ذهاب بصره على ترك الوضوء والطهارة ، وكان

(١) من سنن الإسلام الجميلة ، ومن فروضه الواجبة في ظروف مختلفة التطهير . ولقد
أجاد المؤلف في هذه الفقرات كل الإفادة وكما يحب الله التواضع فإنه يحب المتطهرين

هذا أبو عبد الله الرازي المقرئ ، وحكى عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله أنه كان به قيام فقام في ليلة واحدة نيفا وسبعين مرة ، وكل مرة يجدد وضوءه ويصلي ركعتين ، ومات إبراهيم الخواص رحمه الله في جامع الري في وسط الماء ، وذلك أنه كان به علة البطن ، فكان يدخل الماء ويفسل نفسه ، فدخل مرة في الماء ليفسل نفسه فخرجت نفسه وهو في وسط الماء .

فهذا ما حضرني في الوقت من آداب أهل الصفوة من الصوفية في الوضوء والطهارة ، وبالله التوفيق .

باب في ذكر آدابهم في الصلاة

قال الشيخ رحمه الله : وأما آدابهم في الصلاة فأول ذلك : تعلمُ علم الصلاة ، ومعرفة فرائضها وسننها وآدابها وفضائلها ونوافلها ، وكثرة مساءلة العلماء ، والبحث عما يحتاج إليه في ذلك مما لا يسعه الجهل به : لأن الصلاة عماد الدين ، وقرّة عين المارفين ، وزينة الصديقين ، وتاج المقرّبين . ومقام الصلاة مقام الوصلة ، والدنو ، والهيبة ، والخشوع ، والخشية ، والتعظيم ، والوقار ، والمشاهدة ، والمراقبة ، والأسرار ، والمناجاة مع الله تعالى ، والوقوف بين يدي الله تعالى ، والإقبال على الله تعالى ، والإعراض عما سوى الله تعالى .

فأما العامة فلهم أن يقلدوا علماءهم ، ويسألوا فقهاءهم ، ويعتمدوا على أفاديلهم من الرخص والساعات والفتوى والتأويلات التي أوسع الله تعالى ، للخلق .

فأما المتصوفة ، وأهل الخصوص الذين باينوا الناس ، وانحازوا عن جملة الناس بترك المكاسب ، وقطع العلائق ، وانقطعوا إلى الله عزّ وجلّ ، وعُرفوا بالله ، ونسبوا إلى الله ، فلا يسعهم التخلف عن استعمال الآداب ، والاهتمام والتكاف لأحكام الصلاة ، وتجويزها ، وأحكام فرائضها وسننها وفضائلها ونوافلها وآدابها ، لأنهم ليس لهم شغل غير ذلك ، ولا ينبغي أن يهتمهم أمر أكثر من اهتمامهم بأمر الصلاة .

فأول أدبهم من ذلك : أن يكون تأهبهم للصلاة قبل دخول وقت الصلاة حتى لا يفوتهم الوقت الأول الذي هو المختار ، ولا يمكنهم ذلك إلا بمعرفة الوقت الأول لكل صلاة ، ولا يقدر على ذلك إلا بمعرفة ، وعلم ، مع الوقوف على علم الزوال ، ومقدار ظل الزوال في كل وقت وأوان في كل الأقطار ، وأن يعلم على كم تزول الشمس من قدم في كل وقت وكم يزداد وينقص ، ويمتد ذلك بمقدار قامته إذا لم يكن معه

مقياس لذلك ، ويعلم ذلك في أى موضع كان بظل شخصه ، ويعتبره بقدمه ، وكذلك يحتاج إلى معرفة شئ من النجوم ، ومنازل القمر وطلوعها وغروبها ونوبة طلوع كل نجم من منازل القمر ، حتى إذا نظر بالليل إلى النجوم لا يخفى عليه ما مضى من الليل وما بقى إلى الصبح ، ويحتاج أيضاً إلى معرفة القطب والكواكب التي يستدل بها على القبلة ، ولا يصح له ذلك إلا بالاجتهاد ، ومعرفة سمت كل بلدة حتى أين تقع من الكعبة ، ولا يقف على صحة ذلك إلا بعد افتقاده ذلك بمكة ، ورجوعه إلى البلدة التي قد عرف أين يقع سمتها من الكعبة وأين كان ذلك في وقت معلوم من محاذاة القطب والجدى والفرقدن ، وأما النجوم السيارات فينبغى أيضاً أن يعلم ذلك ؛ للاستدلال والاهتداء بالليل ، فإنه ربما يقع في المفاوز ، ويركب البحور فيحتاج إلى معرفة ذلك .

وكان سهل بن عبد الله رحمه الله ، يقول : علامة الصادق أن يكون له تابع من الجن إذا دخل وقت الصلاة يحثه على ذلك ، وإن كان نائماً ينبهه .
ومنهم من يكون له أورد بالليل والنهار من العبادة والذكر وتلاوة القرآن على ممر أيامه ، وتصير عادته حتى لا يفلط في ذلك ليله ونهاره حيث ما كان .

وأما آداب الدخول في الصلاة ، بعد ما تأهب ، إذا دخل أول الوقت ، وأراد الدخول في الصلاة : فتحرى بها بالتكبير المبرورة بتكبير الإحرام مع النية من حيث لا نسبق النية التكبير ، ولا التكبير النية ويكونان معاً .

وقد حكى عن الجنيد رحمه الله أنه قال : لكل شئ صفوة ، وصفوة الصلاة التكبير الأولى ، والمعنى في ذلك أن التكبير الأولى هي مقبولة بالنية التي لا تجوز الصلاة إلا بها ، وهو عقدك بأن صلاتك لله عز وجل ، فإذا صح العقد فما دخل بعد ذلك في صلاتك من الآفات الباطنة لم يفسد الصلاة ، بل ينقص من فضلها ، ويبقى للمصلى عقدها ونيتها .

سمعت ابن سالم رحمه الله تعالى ، يقول : النية بالله ، والله ، ومن الله والآفات التي تدخل في صلاة العبد بعد النية من العدو ، وهو نصيب العدو ، وإن نصيب العدو ، وإن كثير ، لا يوازن بالنية التي هي بالله ، والله ، ومن الله ، وإن قلت
وسئل أبو سعيد الخراز رحمه الله ، كيف الدخول في الصلاة ؟ فقال : حيّزاً
تقبل على الله تعالى : كقبائك عليه يوم القيامة ، ووقوفك بين يدي الله تعالى :
ليس بينك وبينه ترجمان ، وهو مقبل عليك ، وأنت تماجيح ، وتعلم بين يدي من
أنت واقف ؟ فإنه : ملك العظيم !!!

وقيل لبعض العارفين : كيف تكبر التكبيرة الأولى ؟ فقال : ينبغي إذا قلت :
الله أكبر ، أن يكون مصحوب قولك : « الله » : التعظيم مع الألف والهيئة مع
اللام والمراقبة والقرب مع الهاء ؛ وقال آخر : إذا كبرت التكبيرة الأولى فاعلم أنه
ناظر إلى شخصك ، وعالم بما في ضميرك ، ومثل في صلاتك الجنة عن يمينك ، والنار
عن شمالك .

ومن آداب الصلاة : أن العبد إذا دخل في الصلاة فلا يكون في قلبه شيء غير
الله الذي هو بين يديه حتى يعرف كلامه ويأخذ من كل آية ذوقها وفهمها ، لأنه
ليس له من صلاته إلا ما عقل .

وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله ، في كتاب له يصف أدب الصلاة ، فقال :
إذا رفعت يديك في التكبير فلا يكن في قلبك إلا التكبير^(١) ، ولا يكن عندك
في وقت التكبير شيء أكبر من الله تعالى : حتى تنسى الدنيا والآخرة
في كبريائه .

قال الشيخ رحمه الله : والمعنى في ما قال أبو سعيد الخراز رحمه الله أن العبد إذا
قال الله أكبر ، ويكون في قلبه شيء غير الله فلا يكون صادقاً في قوله الله أكبر ، ثم انه

إذا أخذ في التلاوة فالأدب في ذلك : أن يشاهد بسمع قلبه كأنه يسمع من الله تعالى ، أو كأنه يقرأ على الله تعالى .

قال : أبو سعيد الخراز رحمه الله : وفيه العلم الجليل لأهل الفهم ، وإذا ركع فالأدب في ركوعه : أن يَنْصَبَ ويدنو ويتدلى حتى لا يبقى فيه مفصل إلا وهو منتصب نحو العرش ، ثم يعظم الله تعالى حتى لا يكون في قلبه شيء أعظم من الله عز وجل ويصغر نفسه حتى يكون أقل من الهباء . فإذا رفع رأسه وحمد الله يعلم أنه هو ذا يسمع ذلك ، وإذا سجد فالأدب في سجوده : أن لا يكون في قلبه عند السجود شيء أقرب إليه من الله تعالى ، لأن أقرب ما يكون العبد من ربه عند السجود ، فيجب أن ينزعه عن الأضداد بلسانه ، ولا يكون في قلبه أجل منه ، ولا أعز منه ، ويتم صلاته على هذا ، ويكون معه من الخشية والهيبه ما يكاد يذوب ، ولا يكون له في صلاته شغل أكثر من شغله بصلاته حتى لا يشتغل بشيء غير الذي هو واقف بين يديه في صلاته ، وكذلك إذا تشهد ودعا وسلم ، كل ذلك يعقل ما يقول ، وما يخاطب ، ولن يخاطب ، حتى يخرج من الصلاة بالمقد الذي قد دخل في الصلاة .

فهذا ما وجدت في كتاب أبي سعيد الخراز رحمه الله .

ورأيت جماعة كانوا يكرهون تطويل الصلاة ، ويحبون التخفيف لمبادرة الوسواس حتى يخرج من صلاته على النية والمقد الذي دخل به فيها .

فصل آخر في آداب الصلاة

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وذلك أن العبد إذا كان متأدياً بأدب الصلاة ، قبل دخول وقت الصلاة ، فكأنه في الصلاة ، ويكون قيامه إلى الصلاة من حال لا يستغنى عنه في الصلاة . وذلك أن من آدابهم قبل الصلاة المراقبة ، ومراعاة القلب من الخواطر والموارض ، وذكر كل شيء غير ذكر الله تعالى ، فإذا قاموا إلى الصلاة بحضور القلب فكأنهم قاموا من الصلاة إلى الصلاة فييقنون مع النية والعقد الذي دخلوا به في الصلاة ، وإذا خرجوا من الصلاة رجعوا إلى حالهم من حضور القلب ، والمراقبة فكأنهم في الصلاة وإن كانوا خارجين من الصلاة فهذا هو أدب الصلاة .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « العبد في الصلاة مادام ينتظر الصلاة » . فهذا هو الأدب الذي يحتاج إليه المصلّي في صلاته ، وفي انتظار الصلاة قبل الصلاة ، كما وصفتُ لك إن فهمت ذلك إن شاء الله تعالى .

وقد رأيتُ من إذا قام إلى الصلاة كان يحمرّ ويصفرّ وجهه عند التكبيرة الأولى من هيئة الله تعالى . ورأيت من كان لا يتهيأ له أن يحفظ العدد ، فكان يجلس واحداً من أصحابه ويعد عليه كم ركعة صلى : لأنه كان يراعى قلبه على ثبات العقد الذي دخل به في الصلاة فكان يخاف الغلط على نفسه لأنه كان لا يدري كم ركعة صلاها ، فلذلك كان يستعين بمن يعد عليه حتى يتيقن كم ركعة صلاها .

وذكر عن سهل بن عبد الله أنه كان يضعف ، حتى لا يكاد يقوم من موضعه ، حتى إذا دخل وقت الصلاة تُرد إليه قوته ، فيقوم في المحراب مثل الود ، فإذا فرغ من صلاته يرجع إلى حاله ضعفه ، ولا يقدر أن يقوم من موضعه .

ورأيتُ من كان يسافر في البادية على الوحدة ، ولا يترك ورده من التطوع

وصلاة الليل والنضائل والسنن والآداب التي كان يستعمل في الحضر، فكان يقول: أحوال هذه الطائفة ينبغي أن تكون في السفر والحضر واحدة.

وكان أخ من إخواني يصطحب في مكان واحد، فكانت عادته أنه إذا أكل شيئاً يقوم ويصلي ركعتين، وإذا شرب الماء يقوم ويصلي ركعتين، وإذا لبس ثوباً يقوم ويصلي ركعتين، وإذا دخل المسجد يصلي ركعتين، وإذا أراد الخروج من المسجد يصلي ركعتين، وكذلك إذا فرح أو غضب يقوم ويصلي ركعتين. وكان جماعة من أصحابنا يسافرون مع أبي عبد الله بن جابان رحمه الله تعالى، فحدثوني عنه أنه كان إذا بلغ إلى الليل في البادية وأراد التعقب^(١) لا يجلس حتى يصلي ركعتين.

ومن آدابهم أيضاً أنهم يكرهون الإمامة والصلاة في الصف الأول، بمكة وغيرها، ويكرهون التطويل، أما الإمامة، فلو أن أحدهم يحفظ القرآن، فإنهم يختارون الصلاة خلف من يُحسن أن يقرأ الحمد وسورة أخرى: لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال الإمام ضامن، وأما ترك الصلاة في الصف الأول فإنهم يريدون بذلك أن

لا يزاحوا الناس، ويضيقوا عليهم: لأن الناس يزدحجون، ويطلبون الصف الأول: لما جاء في الخبر من الفضيلة فيه، يريدون بذلك إثارة، وإذا كان الموضع خالياً يفتنمون ذلك الفضل الذي جاء في الصف الأول.

وإما التطويل في الصلاة، فكلما طالت الصلاة كثرت الهفوات والوسواس، والاشتغال بتصحيح الأعمال أولى من الاشتغال بكثرتها وتطويلها، وروى عن رسول الله عليه الصلاة والسلام: أنه كان أخف الناس صلاة في تمام.

سمعت ابن علوان رحمه الله يقول: كان الجنيد، رحمه الله، لا يترك أوراده من الصلاة على كبر سنه وضعفه، فقليل له في ذلك، فقال: حال وصلت به إلى الله تعالى: في بدايتي كيف يتبأ إلى أن أركه في نهايتي.

(١) في إحدى النسخ تعليقا على هذه الكلمة: «أن يعقب بأصحابه».

ومن آدابهم في الصلاة أيضاً : أن للصلاة أربع شُعب ، حضور القلب في المحراب وشهود العقل عند الوهاب ، وخشوع القلب بلا ارتياب ، وخضوع الأركان بلا ارتقاب ؛ لأن عند حضور القلب رفع الحجاب ، وعند شهود العقل رفع العتاب ، وعند خشوع القلب فتُفتح الأبواب ، وعند خضوع الأركان وجود الثواب ، فمن أتى بالصلاة بلا حضور القلب فهو مصلّ لا مريد ، ومن أتاها بلا شهود العقل ، فهو مصل ساهي ، ومن أتاها بلا خشوع القلب فهو مصل خاطيء ، ومن أتاها بلا خضوع الأركان فهو مصلّ جافٍ ، ومن أتمها فهو مصلّ وافٍ .

فهذا ما حضرني في الوقت من آدابهم في الصلاة ، وبالله التوفيق .

باب ذكر آدابهم في الزكوات والصدقات

قال الشيخ رحمه الله تعالى : أما آدابهم في الزكاة فإن الله تعالى جدّه لم يفرض عليهم الزكاة ، لأنه سبحانه قد زوى عنهم من أموال الدنيا ما يجب عليهم فيه الزكاة والصدقة .

وقد حكى عن مطرف بن عبد الله بن الشخير رحمه الله أنه قال : نعمة الله تعالى : [على] فيما زوى عني من الدنيا أعظم من نعمة الله تعالى : على [فيما أعطاني ، وكذلك أهل التصوف نعمة الله تعالى عليهم فيما زوى عنهم من الدنيا [أعظم من نعمته عليهم] فيما أعطاهم إن لو أعطاهم من الدنيا شيئاً كثيراً ، وقد قال في ذلك بعضهم وهو من أهل الدنيا :

وما وجبتْ عليّ زكاةُ مالٍ وهلْ تجبُ الزكاةُ على كريمٍ

يفتخر بذلك ويقول : لم تجب عليّ زكاة قط ، يريد أنه لم يترك حق يجتمع عنده مالٌ يجب عليه فيه الزكاة .

وبلغني عن إبراهيم بن شيبان رحمه الله أنه لقي الشبلي رحمه الله وكان إبراهيم ينهى عن الذهاب إليه ، والوقوف عليه ، واستماع كلامه ، فقال للشبلي رحمه الله ، وأراد [بذلك] أن يتمحنه : كم في خمس من الإبل ؟ قال : شاة في واجب الأمر ، وفيها يلزمنا نحن : كلها ، يعني : فيما ندعيه من مذهبنا . فقال له إبراهيم : ألك في هذا إمام ؟ قال : نعم ، أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث خرج من ماله كله ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما خلقتَ ليعالك ؟ فقال : الله ورسوله ، فقام ، ولم يئنّ الناس بعد ذلك عنه .

فأما آداب جماعة من المتصوفة في الزكاة : أنهم لا يأكلون منها ، ولا يطلبونها ،

ولا يأخذونها وقد أباح الله تعالى لهم أخذها ، وإن أكلوا منها أكلوا حلالاً طيباً إلا أنهم يريدون بترك ذلك إيشار الفقراء ، وترك المراحة للضعفاء وأهل الحاجات .

ويقال : إن محمد بن منصور صاحب أبي يعقوب السوسى رحمة الله عليهما كان إذا أعطوه شيئاً ، أو حُمِلَ إليه شيء من الزكاة والصدقة وكفارة اليمين ، وعلم أنها من هذه الجهات ، لم يأخذها ، ولم يفرقها على أصحابه من الفقراء ، ويقول : شيء لا أرضاء لنفسى ، لا أرضاء لأصحابى ، وإذا حُمِلَ إليه ولم يعلم أنه من الزكاة والصدقة أخذها وأكل منها .

وأما الباقون فكانوا لا يرون الانبساط في مثل ذلك ، ولا يمدون أيديهم إلى الطمع وإلى السؤال وإلى ما يرون فيه المنّة ، وإن جاءهم من غير مسئلة فكانوا يتمفقون عن ذلك ، ولقد بلغنى عن بعض إخواننا من الصوفية أنه كان يُنفق على إخوانه من الفقراء ، فقراء الصوفية ، في كل سنة ، كما زعموا ، ألف دينار ، وكان يحلف أنه ما أنفق عليهم ولا دفع إليهم درهما قط من زكاته وقد رأيته .

وحكى عن أبي على المشتولى أنه كان ينفق على الصوفية ما يتعجبون منه تجار مصر ، ويقولون : مالنا لا ينفق بنفقته^(١) ، ويقال : إنه لم تجب عليه زكاة قط .

وسمعت بعض الأجلة من مشايخ الصوفية وهو يقول : [كان] يكون بينى وبين رجل من الأغنياء مودة مؤكدة ، ويكون له في قلبى محبة وحرمة ، فيذكرنى عند

(١) لعل العبارة كما يلى « كان ينفق على الصوفية ما يتعجب منه تجار مصر ويقولون أموالنا لا نفق بنفقته » .

إخراج زكاته ، وتفرقة صدقته ، فيذهب [ذلك] جميع ما يكون له في قلبه من المودة ، ورأيت في رقعة إمام ، من الأئمة ، من المعروفين ، كتبها إلى رجل فقير من الصوفية ، وكان فيها : يا أخى ، قد أنفدت إليك شيئاً ليس من الزكاة ، ولا من الصدقة ، ولا لأحد غير الله تعالى عليك فيه مئة ، فأسألك أن تدخل على السرور بقبوله .

فأما ما جاءهم من غير مسئلة ، [ولا طمع] ، ولا استشراف نفس ، من أقوام لا يعرفون الصوفية ، ولا يدعون أحوالهم ، ولا يداخلونهم بالجائسة ، ولا يعرفون أصولهم ، فلا ينبغي أن يرد ذلك للخير الذي قال النبي عليه الصلاة والسلام لعمر ابن الخطاب رضى الله عنه : ما آتاك الله من هذا المال من غير مسئلة ، ولا استشراف نفس ، فخذ ولا ترده ، فإنك هو ذا ترده على الله عز وجل^(١) ، فإذا لم يرده وأخذه فهو بالخيار ، إن أكل منه أكل حلالاً طيباً ، وإن دفعه إلى من يعلم أنه أحق بذلك منه فهو جليل ، سمعت أبا بكر محمد بن داود الدينورى الدفنى رحمه الله يقول : كان أبو بكر القرغاني يكتب اسمه في جملة من يأخذ الجراية في شهر رمضان من المساكين وكان يأخذ كل ليلة الوظيفة ، ويحملها إلى امرأة مجوز في جواره لم يكتبوا اسمها في جملة من كان يأخذ الوظيفة [من الجراية] التي [كانت] تفرق في رمضان .

وقال بعضهم : من أخذ من الله تعالى ، أخذ بجزء ، ومن أخذ لغير الله تعالى أخذ بذل ، ومن ترك لله عز وجل ترك بجزء ، ومن ترك لغير الله تعالى ترك بذل ، فمن بنى أمره على غير هذا في الأخذ والإعطاء ، فهو على خطر عظيم ، والله تعالى يعلم الخطيء من المصيب ، ولا يخفى على الله شيء .

(١) بنى فإنك إن فعلت ورددته فإنما ترده على الله الذي جاءك به .

وتصدق من يأخذ لله ويعطى لله ، ويترك لله ، هو أن يستوى عنده المنع والمطاء
والشدة والنعاء .

وطبقة أخرى اختاروا الزكوات والصدقات على الهدايا والهبات والإيثار والمواساة ،
فقالوا : قد جمل الله تعالى للفقراء حقاً في أموال الأغنياء ، فإذا أخذنا حقوقنا
التي جمل الله تعالى لنا ، فلا معنى لتركه ، وقالوا : لا نختار على ما اختار الله تعالى
لنا ورسوله ، وقالوا : الامتناع من أخذ الزكاة والصدقة ضرب من تمزز النفوس
وكرهية الفقر ، وقد حكى في معنى ذلك عن أبي محمد المرتضى أنه كان في محفل من أصحابه
من الأغنياء والتجار فنظر إلى رجل ومعه خبز يتصدق به على المساكين والشُّوَال وقد ازدحموا
عليه ، قال : فقام المرتضى من بين أصحابه ، وقصد هناك ، وأخذ من ذلك الخبز رغيفاً ،
وجاء ، وجلس ، فسئل عن فعله ذلك ، فقال : خشيت إن لم أقم ، وأخذ معهم
من ذلك الخبز ، أن يحمى اسمي من ديوان الفقراء .

وقد روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لا تحمل الصدقة اغنى ،
ولا تدي سرّة سوي » فالذي كره للمتصوفة أخذ الزكاة والصدقة [كره] لذلك ،
لأن النبي عليه الصلاة والسلام ، قال : « ليس الغنى عن كثرة المرض ، إنما الغنى
عنى النفس أو القلب .

فهؤلاء وإن كانوا فقراء من أعراض الدنيا فإنهم أغنى من الأغنياء : لأن غناهم
بالله عز وجل .

وقد حكى في معنى ما قلنا أن علي بن سهل الأصهباني قال : حرام على من
يدفع إلى أصحابنا شيئاً من أجل أنهم فقراء ، لأنهم أغنى خلق الله تعالى : يعني ، أن
غناهم بالله عز وجل .

وقالوا : يحتمل أيضاً أن معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام « لا تحمل الصدقة

لنفى ولا لدى مِرَّة سَوِي « أنها كانت صدقة بعينها مجسولة للزمنى والمرضى ومن به عاهة ، لأن قول الله تعالى : « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ » (١) ، لم يعلق عليها شرط غير الفقير ، والفقير هو المعدم فى الأصل به ، ثم بعد ذلك له أخلاق وأحوال وتفاضل وأسرار .

ويقال : إن اشتقاق الفقر ، من فقار الظهر مأخوذ ، والفقر ، هو العظم الذى به قوام الظهر ، فإذا انكسر وضعف واحتاج إلى غيره مما يقيمه ، سُمِّيَ فقيراً للضعف والحاجة إلى ما يقيمه . والله أعلم .

ومن كره الصدقة من جهة ما قيل : إنها من أوساخ الناس ، فإنما قيل ذلك على معنى أن الصدقة تحط من أوزار الناس وخطاياهم للذين يتصدقون بها ؛ ولو كان نقصاً للفقراء أخذهم الصدقات والزكوات ، أو وضعاً منهم من جهة أنها أوساخ الناس لَزِمَ ذلك ، أيضاً للعاملين عليها ، [والمؤلفة قلوبهم] ، والقارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل .

ومن ليس له شئ فى الدنيا وقد فاتته فضل الصدقات التى يتصدق بها من الأموال [فقد جعل الله له صدقات من الأقوال] والأفعال مما ليس فضلها بأقل من ذلك ، وهو ما روى عن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « مداراة الناس صدقة » [ومعاونتك لأخيك صدقة] ، « ومن الصدقة أن تلقى أخاك بوجه طلق ، وأن تُفرغ من إنائك فى إناء أخيك صدقة » .

وقد حُكى عن بشر بن الحارث ، أنه كان يقول : يا أصحاب الحديث ، أدوا زكاة الحديث ، قيل : وما زكاة الحديث ؟ قل : اعملوا من كل مائتى [حديث] بخمسة أحاديث ، يعنى من كل مائتى حديث تكتبونها وتحفظونها .

ومن وجب عليه الزكاة يحتاج إلى أربعة أشياء حتى يكون مؤدياً للزكاة :
أوله : أن يكون أخذَ المال من حلال .

والثاني : لا يكون جمعه الافتخار والتكبر والترفع على من يكون دونه في المال .

والثالث : أن يبدأ بحسن الخلق والسخاوة ، مع الأهل والعيال .

والرابع : مجانبية المن والأذى ، إلى من يدفع إليه الزكاة .

والزكاة حق الفقراء ، قد جعله الله عز وجل في مال الأغنياء ، فمن دفعها إليهم فكأنه

قد ردَّ إليهم مالهم ، وقد جمع بذلك رضا الله ، عز وجل ، والخلاص من مناقشة

الحساب ، والنجاة من أليم العذاب .

باب في ذكر الصوم وآدابهم فيه

قال الشيخ ، رحمه الله : روى عن النبي : صلى الله عليه وسلم ، أنه قال « يقول الله ، تبارك وتعالى : الصوم لي وأنا أجزي به » .

فإن قال قائل : ما معنى تخصيص الصوم من بين سائر العبادات ، وقد علمنا أن جميع الأعمال له ، وهو يجزي به ، فما معنى قوله : « الصوم لي وأنا أجزي به » ؟ .
فيقال : له معنيان : أحدهما : أن للصوم تخصيصاً من بين سائر العبادات المفترضات لأن جميع المفترضات حر كات جوارح ، يتهيأ للخلق أن ينظروا إليه إلا الصوم ، فإنه عبادة بغير حركة الجوارح .

فن أجل ذلك قال ، تعالى : الصوم لي .
والمعنى الآخر في قوله : « لي » بمعنى أن الصمدية لي ؛ لأن « الصمد » هو الذي لا جوف له ولا يحتاج إلى الطعام والشراب ، [فن تخلق بأخلاق أجزيه ما لا يخطر على قلب بشر] .

وأما معنى قوله : « وأنا أجزي به » : فإن الله تعالى ، وعد على [جميع] فعل الحسنات الثواب المعداد من الواحدة إلى عشر أمثالها [من العشرة] إلى السبعائة إلا الصائمين و [الصائمون] : هم الصابرون .

[وقد] قال الله عز وجل : « إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ »^(١)
فخرج الصوم من الحسنات المعدادة وثوابها لأن الصوم هو : صبر النفس عن ما لوثاتها ، وإمسك الجوارح عن جميع شهواتها ، والصائمون هم الصابرون ، وقد روى في معنى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا صمت فليصم سمعك

وبصرُك وإسنانُك ويَدُك» وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إذا صام أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ، فإن شتمه إنسان فليقل : إني صائم . »

وصحة الصوم وحسن أدب الصائم في صومه ، صحة مقاصده ، ومباينة شهواته وحفظ جوارحه ، وصفاء مطعمه ، ورعاية قلبه ، ودوام ذكره ، وقلة اهتمامه بالمضمون من رزقه ، وقلة ملاحظته لصومه ، ووجهه من تقصيره ، والاستعانة بالله [تعالى] على تأديته ، فذلك أدب الصائم في صومه .

وحكى عن سهل بن عبد الله التستري رحمه الله ، أنه كان يأكل في [كل] خمسة عشر يوماً مرة ، فإذا دخل رمضان لم يأكل فيها إلا أكلة واحدة ، فسألت بعض المشايخ عن ذلك فقال : كان يفطر على الماء القراح وحده كل ليلة .

وحكى عن أبي عبيد البصرى رحمه الله أنه كان إذا دخل رمضان دخل البيت وسدَّ عليه الباب ، ويقول لامرأته : اطرحي كل ليلة رغيفاً من كوة [في] البيت ولا يخرج منه حتى يخرج رمضان ، فتدخل امرأته البيت فإذا الثلاثون رغيفاً موضوعة في ناحية البيت .

وأما صوم التطوع ، فإن جماعة من المشايخ كانوا يصومون في السفر والحضر على الدوام إلى أن لحقوا بالله عز وجل ، وكان أدبهم في صومهم ما روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « الصوم جنة » ولم يقل : جنة من أى شيء ، فقالوا : معناه إن الصوم جنة في الآخرة من النار ، لأن الصوم للصائم في الدنيا جنة من سهام الأعداء الذين يدعونهم إلى النار ، وهم : الشيطان ، والنفس ، والهوى ، [والدنيا] والشهوات ومن اختار الدائمة على الصيام اختار ذلك الاحتراز بالجنة من مكاييد الأعداء لكيلا يجدوا فرصة فيظفروا به ويطرحوه في النار :

سمعت أحمد بن محمد بن سُنَيْد قاضي الدِّينور يقول : سمعت رُوَيْمًا يقول : اجتريت في المهاجرة ببعض سكك بغداد ، فمطشت ، فتقدمت إلى باب دار فاستسقيت

فإذا بجارية وقد فتحت باب الدار وخرجت ومعهما كوز جديد ملآن من الماء المبرد فلما أردت أن أتناول من يدها قالت لي : ويحك ! صوفي يشرب بالنهار ! وضربت بالسكوز على الأرض ، وانصرفت . قال رُوَيْمٌ : فلقد استحييت منها ، ونذرت أن لا أفطر أبدا .

قال صاحب الكتاب : وجماعة أخرى كانوا يختارون صوم داود عليه السلام : لما روى في ذلك عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « أفضل الصيام صيام أخي داود عليه السلام كان يصوم يوماً ويفطر يوماً » وقد قالوا في معنى قوله « أفضل الصيام » : لأنه أشد الصيام ، وزعموا أن هذا الصوم أشد على النفس من صوم الدهر ، لأن النفس إذا أُلِفَت الصوم مع الدوام ، وتمردت ، اشتد عليها الإفطار ، وإذا أُلِفَت الإفطار وتمردت اشتد عليها الصوم . وهذا الصوم ، صوم يوم وإفطار يوم لا تتمود فيه النفس الإفطار ولا الصوم ، فلذلك قال من قال : إنه أشد الصيام ، وقد حكى في (معنى) ذلك عن سهل بن عبد الله رحمه الله ، أنه كان يقول : إذا شبعتم فاطلبوا الجوع ممن أبلأكم بالشبع ، وإذا جعمتم فاطلبوا الشبع ممن أبلأكم بالجوع ، وإلا تماديتم وطفتم .

وكان أبو عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله قد صام أيضاً وخسين سنة لا يفطر في السفر ولا في الحضر ، وجهد به أصحابه يوماً أن يفطر ، فأفطر ، فاعتلّ من ذلك أياماً [من الأيام] حتى كاد أن يفوته الفرض .

ومن كره اللداومة على الصيام كره ذلك لأن النفس معتادة ، فإذا أُلِفَت شيئاً واعتادته يكون قيامها فيه بحفظها لا بحقوقها ، فالأدب في ذلك أن لا يُجمَعَ بينها وبين مألوفاتها وإن كانت عبادة أو طاعة لأن النفس مائلة إلى الخفوط وعاجزة عن الحقوق مجبولة على المنافرة من الطاعات ، فإذا أُلِفَت باباً من أبواب العبادات اتهمها أهل المعرفة بها ، وأهل الخبرة والبصيرة بها وبمكايدها وخدعها .

وحكى عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله أنه قال : كان بصحبي رجل كثير الصوم والصلاة ، فمجت من ذلك ، ثم نظرت في ما كوله فكان من موضع غير طيب ، قال : فأمرته بالخروج من ماسكه ، وأخرجته معي في سفر ، فكنت أطعمه الحلال من موضع أعرفه وأرضاه ، قال : فلما صحبني مدة كنت أحتاج أن أخبره بالدرّة حتى يقوم فيؤدى الفرض .

فأما الصوفية والفقراء المجردون الذين قطعوا العلايق ، وتركوا المعلومات ، وقسموا بما قسم الله تعالى لهم من الأرزاق ، ولا يدرون أى وقت يسوق الله تعالى إليهم أرزاقهم من الغيب وعلى يد من يبعث الله تعالى لهم ذلك ، فأوقات هؤلاء أتم من أوقات الصائمين الذى يرجع إلى معلوم ومعهود من الطعام المستعد^(١) لإفطاره ؛ فإن صاموا فلا يلحقهم أحد من الصائمين في الفضل .

ولهؤلاء الفقراء الذين [قد] ذكرتهم أيضاً آداب في صومهم إن صاموا ، فن آدابهم أن لا يصوم واحد من بين الجماعة إلا بإذن أصحابه ، لأنه إذا صام شغل قلوب أصحابه بإفطاره وهم على غير معلوم ، وإن صام واحد من دون الجماعة برضا أصحابه وحضر المفطرين شئ من الطعام فليس يلزمهم أن ينتظروا وقت إفتار الصائم ، لأنه ربما يكون في الجماعة من يكون به حاجة إلى الطعام ، وربما يفتح به في وقت إفتار الصائم منهم شئ آخر يتركه صومه ، إلا أن يكون ضميماً فينتظرون وقت إفطاره لضعفه ، أو يكون شيخاً فلحرمته ، وليس للصائم أيضاً أن يأخذ نصيباً لنفسه ويدّخرها لوقت إفطاره ؛ لأن ذلك ضعف في حاله ، إلا أن يكون ضميماً فيفعل ذلك لضعفه .

وإذا كانوا جماعة عادتهم الصوم وفيهم جماعة عادتهم الإفطار فليس للصّوام أن يدعوا هؤلاء المفطرين إلى أحوالهم إلا إن أحبوا هؤلاء مساعدتهم على الصوم ،

(١) قوله : المستعد . الصواب . المعد .

ومساعدة الصائم المفطر على الإفطار أحسنُ من مساعدة المفطر للصائم بالصوم إلى أن تقع الصعبة ، فإذا وقعت الصعبة فساعد المفطر للصائم بالصيام معهم أحسن .

حكى عن الجُنَيْدِ رحمه الله أنه كان يصوم على الدوام ، فإذا دخل عليه إخوانه أفطر معهم ، ويقول : ليس فضل المساعدة مع الإخوان بأقل من فضل الصوم للصائم [إذا كان متطوعاً] أو كلاماً نحو هذا .

ويقال : إذا رأيت الصوفي يصوم صوم التطوع فاتهمه : فإنه قد اجتمع معه شيء من الدنيا .

وإن كانوا جماعة مترافقين متواخين أشكالا وبينهم مريد يحنوه على الصيام ، فإن لم يساعدهو يهتموا لإفطاره ، ويتكافؤوا له رقياً ، ولا يحملون حاله على أحوالهم ، وإن كانوا جماعة ومعهم شيخ ، يصومون بصومه ، ويفطرون بإفطاره ، إلا أن يأمرهم الشيخ بخير ذلك فإنهم لا يخالفون أمره : لأن الشيخ يعلم ما يصلح لهم .

وحكى عن بعض المشايخ الأجلة أنه قال : صمت كذا وكذا سنة لغير الله : وذلك أن شاباً كان يصحبه ، فكان يصوم حتى ينظر إليه ذلك الشاب فيتأدب به ويصوم بصيامه .

ورأيت أبا الحسن المكي بالبصرة رحمه الله ، فكان يصوم الدهر ، ولا يأكل الخبز إلا كل ليلة جمعة ، وكان قوته - كما قيل - في كل شهر أربعة دنانيق ، يعمل بيده ، يقتل حبال الليف وبييعها ، وكان قد هجره ابن سالم ، وكان يقول لا أسلم عليه إلا أن يفطر ويأكل [الخبز] لأنه كان قد اشتهر بترك الأكل .

وبلغني عن بعضهم من أهل واسط أنه صام سنين كثيرة فكان يفطر كل يوم قبل غروب الشمس إلا في رمضان ، وقومٌ أنكروا [عليه] هذا لخالفته العلم وإن كان الصوم تطوعاً ، وقومٌ كانوا يستحسنون ذلك لأن صاحبه كان يريد بذلك أن يؤدب

نفسه بالجوع ولا يتمتع برؤية الصوم ورؤية الثواب الذي قد وعد الله تعالى للصائمين ولا يسكن إلى ذلك ، وعندى أن الذى أنكر فقد أصاب : لأنه ^(١) اعتقد الصوم فقد لزمه الوفاء به ، وإن لم يعتقد الصوم فسبيله سبيل المتقلين ، فلا يقال له صائم وبالله التوفيق .

وَحكى عن الشنبل رحمه الله ، أنه قال : لرجل تُحسن [أن] تصوم الأبد ؟ قال : فكيف الأبد ؟ قال : تجعل ما بقى من عمرك يوماً وتصومه .
فهذا ما حضرني في الوقت من آداب صوم المتصوفة [واقع الموفق للصواب] .

(١) قوله : لأنه اعتقد إلح والصواب لأنه إن اعتقد فقد لزمه إلح .

باب ذكر آدابهم في الحج

قال الشيخ رحمه الله : فأول آدابهم في الحج ، الاهتمام لحجة الإسلام ، والتوجه إليه بأى وجه يجد إليه السبيل والاستطاعة ، ويبدل في ذلك مُهَجَّتَهُ ، ولا يركن إلى سعة العلم وطلب الرخصة في الجلوس عن حجة الإسلام بإعدام الزاد والراحلة ، إلا أن يقعه عن ذلك فرضٌ لازم : لأن الله عز وجل يقول : « وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » ^(١) ، وقال : « وَأُذِّنُ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا » ^(٢) ، ويقال في التفسير رجالاً وعلى كلِّ ضامرٍ يأتينَ من كلِّ فجٍّ عميق ، فبدأ بذكر الرجال الذين يمشون .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من مات ولم يحج حجة الإسلام مات إن شاء يهودياً أو نصرانياً » ، فن أجل ذلك لم يسقط عنهم مطالبة الحج وإن عدموا الزاد والراحلة : لأن من آدابهم أن يتمسكوا بالأحوط في الفرائض ، يأخذوا بالأنهم من علم الشريعة ، لأن التعلق بالرخص سبيل العامة ، والأخذ بالسعة والتأويلات حال الضعفاء ، وذلك رحمة من الله تعالى لهم ، فأما العامة فقصدهم إلى الحج وشرط العلم الذى يعلمه الفقهاء ، والملاءم والخاصة والعامة في ذلك سواء وهو علم المناسك ، فرائضه وسننه وأحكامه وحدوده .

وإنما قصدنا أن نذكر آداب من ليس سييلهم في الحج سبيل العامة وهم على ثلاثة أصناف :

فصنف منهم : إذا حجوا حجة الإسلام ، جلسوا واشتغلوا بحفظ أوقاتهم ومراعاة أحوالهم ، فطلبوا السلامة ولم يتعرضوا للبلاء مما يلحقهم من المشقة في ذلك ، ولصعوبة أداء فرض الحج وقضاء مناسكها وحفظ حدودها .

سمعتُ ابن سالم يقول : لم يحج سهل بن عبد الله إلا حجة الإسلام ، حج وله ستة عشر سنة ، وكان زادهُ شيئاً من السكبد المشوى المدقوق فكان يستف منه إذا جاع قليلاً ، وكذلك أبو يزيد البسطامي رحمه الله لم يحج إلا حجة الإسلام ، وكذلك الجنيد رحمه الله ، وجماعة من المشايخ الأجلة رحمهم الله لم يحجوا إلا حجة الإسلام ، وحجبتهم في اختيارهم في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحج إلا حجة واحدة .

وطبقة أخرى من مشايخ الصوفية فإنهم لما قطعوا العلائق ، وفارقوا الأوطان ، وهجروا الإخوان ، قصدوا بيت الله الحرام ، وزيارة قبر رسوله عليه السلام ، فقصموا البوادي والبراري والتفار بغير تحمل نفقة ولا زاد ، ولا سلكوا على الطريق ولا تملقوا بمصاحبة الرقيق ، ولا عدوا الأميال ولا التبرُد ، ولا طلبوا المنارل ولا المناهل ، ولا تخرجوا على سبب ، ولا التجأوا إلى طلب ، ولا انقضى من الحج وطُرهم ، ولا انقطع عن تلك المشاهد أترهم ، وذلك لأن الله عز وجل يقول : وقوله الحق ، « وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا » ^(١) قال ابن عباس رضي الله عنه : يعني لا يقضون منه وطراً ، ولا يمكن ذكر آداب هؤلاء في معانيهم إلا بحكايات بلغتنا عنهم ، يدل ذلك على آدابهم ، وصحة مقاصدهم وعلو مراتبهم وأحوالهم وصفاتهم

سمعتُ أحمد بن علي الوجيهي يقول : سمعت بعض المشايخ يقول : حج حسن القزار الدينوري رحمه الله اثني عشر حجة حافياً ، مكشوف الرأس ، فكان إذا دخل في رحله شوك بمسيح رحله بالأرض ويمشي ولا يباطيء رأسه إلى الأرض من صحة توكله .

وحكى عن أبي تراب النخشي رحمه الله : أنه كان يأكل أكلة بالبصرة ، وأكلة بنباج ، وأكلة بالمدينة ، وكان يدخل مكة وعلى بطنه عكك من السمن .

وحُكي عن إبراهيم بن شَيْبَانَ أَنَّهُ قَالَ : كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَغْرِبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ
يَدْخُلُ الْبَادِيَةَ وَعَلَيْهِ إِزَارٌ وَرِدَاءٌ أَبْيَضٌ ، وَفِي رِجْلِهِ نَعْلٌ طَائِقٌ كَأَنَّهُ يَمْشِي فِي السُّوقِ ،
فَإِذَا دَخَلَ مَكَّةَ وَفَرَّغَ مِنَ الْحَجِّ أَحْرَمَ مِنْ تَحْتِ الْمِيزَابِ ، وَيَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ وَهُوَ مُحْرِمٌ
وَيَقِيمُ عَلَى إِحْرَامِهِ إِلَى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَكَّةَ .

وَسَمِعْتُ جَعْفَرَ الْخَلْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ : سَلَكْتُ الْبَادِيَةَ وَعَلَى قَبِيصٍ أَبْيَضٍ ،
وَيَدِي كَوْزٌ ، وَرَأَيْتُ فِي الْبَطَانِيَةِ الَّتِي فِي وَسْطِ الرَّمْلِ دُكَاكِينَ وَتِجَارًا [كَانَتْ] تَرُدُّ
عَلَيْهِمُ الْقَوَافِلَ مِنَ الْبَصْرَةِ .

وحُكي عن إبراهيم الخواص رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ : أَعْرَفُ فِي الْبَادِيَةِ تِسْعَةَ عَشَرَ
طَرِيقًا غَيْرَ الطَّرِيقِ الَّذِي يَسْلُكُهُ النَّاسُ وَالْقَوَافِلُ ، طَرِيقَانِ [مِنْهَا] بَنِيَتْ فِيهِمَا
الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ .

وحكى جعفر عن إبراهيم الخواص رَحِمَهُمَا اللَّهُ ، أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ فِي الْبَادِيَةِ ، فِي
مَوْضِعٍ مِنْهَا ، جَالِسًا مُسْتَجْمِعَ الْمَهْمِ ، وَقَدْ مَضَتْ عَلَى أَوْقَاتٍ لَمْ أَتَنَاوَلْ فِيهَا الطَّعَامَ ،
فَيِينَا أَنَا كَذَلِكَ إِذَا [أَنَا] بِالْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَارًّا فِي الْمَوَاءِ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ طَاطَأَتْ رَأْسِي
وَعُغْضَتْ بَصْرِي ، وَلَمْ أَنْظُرْ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَيْتَنِي جَلَسَ إِلَى جَنْبِي ، فَرَفَعَتْ رَأْسِي ، فَقَالَ
لِي : يَا إِبْرَاهِيمَ ، لَوْ أَعَرْتَنِي الطَّرْفَ مَا جِئْتُ إِلَيْكَ .

وحُكي عن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ : خَرَجْتُ فِي بَعْضِ السَّنِينَ مِنْ مَكَّةَ ،
واعتقدتُ أَن لَّا أَتَنَاوَلُ شَيْئًا إِلَى أَنْ أَدْخُلَ الْقَادِسِيَّةَ ، فَلَمَّا وَافَيْتُ الرَّبْدَةَ وَخَرَجْتُ
مِنْهَا ، فَإِذَا أَنَا بِأَعْرَابِي [يَصِيحُ] مِنْ وَرَائِي ، فَلَمْ أَعْطِفْ عَلَيْهِ ، فَلَحَقَنِي ، وَإِذَا بِيَدِهِ
سَيْفٌ مَسْلُولٌ ، وَبِيَدِهِ الْآخَرُ قَعْبٌ فِيهِ ابْنٌ ، فَقَالَ لِي : اشْرَبْ هَذَا وَإِلَّا ضَرَبْتُ
رَقَبَتَكَ ، قَالَ : فَبَقِيتُ [مُتَحِيرًا] ، فَتَنَاوَلْتُ مِنْهُ وَشَرِبْتُ وَانصَرَفَ عَنِّي ، وَمَا رَأَيْتُ
شَيْئًا آخَرَ حَتَّى دَخَلْتُ الْقَادِسِيَّةَ .

وحكايات هؤلاء أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَتِمَّ ذِكْرُهَا [هَاهُنَا] ، وَفِيهَا ذِكْرُنَا كِفَايَةً
لِمَنْ عِلْمُ الْمَرَادِ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

و[أما] الطبقة الثالثة من المشايخ الصوفية فإنهم اختاروا المقام بمكة ، والمجاورة بها ، وحسبوا أنفسهم عندك لما حسس الله تعالى به تلك البقاع والمجاهد من الفضيلة والشرف ، ولما وجدوا في أنفسهم من التنافر والمعجز عن المقام بها ؛ لأنها وإد غير ذى زرع كما قال الله ، جلّ وعزّ ، وهو الحجاز ، يحجز عن الشهوات واللذّات ، ولا سيما لمن كان قوته في الغيب ورزقه مقسوم ورققه معدوم ، والنفس مجبرة على الاضطراب عند عدم الوفاء بها ، والعبد مُطالب بالسكون تحت الأحكام ، فعند ذلك تبين مقامات الرجال .

ولم في المجاورة آداب يُذكر بعضها في حكاياتهم فيما بلغني ، سمعتُ أبا بكر محمد بن داود [الدينوري] الدُّقّي يقول : أقام أبو عبد الله بن الجلاء بمكة ثمانية عشر سنة لم يأكل من طعام يحمل إليها من مصر : لأن مصر صوافٍ كان المتقدمون يتورعون عن أكل طعامها وما يحمل منها ، وكان لا يشرب إلا ماء زمزم يستقي بركوته وحبله من أجل أن الدلو والحبل المعلق على زمزم يكون من أموال السلاطين .

وحُكي عن أبي بكر السكتاني رحمه الله أنه ختم اثني عشر ألف ختمة في الطواف .

وأقام أبو عمرو الزجاجي رحمه الله بمكة ، على ما بلغني ، ثلاثين سنة فإذا أراد أن يقضى حاجته خرج عن الحرم ، ويمتدر في كل يوم ثلاث عمر ، ويأكل في كل ثلاثة أيام أكلة ، ومات عن نيف وسبعين وقفة .

وسمعت الدُّقّي يقول : أفتت بمكة تسع سنين ، وكنت اعتقدت أن لأصلي صلاتين في موضع واحد ، فكان يمرُّ بي من الجوع ما إذا رأيت جنازة أقول ليتني كنت مكان هذا الميت ، قال : وكان يقع في قلبي في الوقت يا هذا أليست هذه الفتاة التي

(١٥ - المم)

بك لا يعلم بها أحد غير الله ، فكنت أشتغل بذلك ، ويذهب عني ما أجد من الجوع .

ويقال : إن كل من يقدر أن يصبر بمكة على الجوع يوماً وليلة ، فهو يقدر أن يصبر في سائر الدنيا ثلاثة أيام ، وكانوا يقولون : إن المقام بمكة يغير الأخلاق ويكشف الأسرار ، ولا يصبر على المقام بها على الصحة إلا الرجال .

سمعت أحمد الطرسوسي يقول : سمعت إبراهيم بن شيبان يقول : سمعت إبراهيم الخواص رحمه الله يقول : أقام هاهنا بمكة فتي من الفقراء سنين ، فسكننا نتعجب من حسن جلسته ، وكثرة طوافه وعمرته ، وصيانة فقره ، قال : فحملت في نفسي أن أحمل إليه شيئاً من الدرام ، حتى أداخله بذلك ، قال : فحملت إليه دراهم كثيرة وصبيت على طرف خرفته .

قال : فنظر إلى ، ثم أخذ الخرقه وصبّ الدرام على الأرض ، وخرج من المسجد ، فإرأيت قطاً أعزّ منه حين صبها وأعرض عنها ، ولا أذلّ متى حين جلست أجمعها وألتقطها من بين الحصى .

فأما الطبقة الذين سافروا إليها ، وألفوا ما يلحقهم من البلاء في القصد إليها ، فلعننين :

أحدهما أن النبي عليه الصلاة والسلام ، قال : « لا تشدّ الرجال إلّا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، ومسجد إيلياء .

والعنى الآخر هو أن النفس تدعى أحوالاً في الوطن ، وفي وسط المعارف والمألوفات ، من التوكل والرضا والسكون والتسليم والتفويض ، فإذا فارقت الوطن والمعارف تتغير أخلاقها ويبطل دعواها .

ويقال سُمي السفر سفراً لأنه يسفر عن أخلاق الرجال ، فإذا عرفوها ، وعلموا عجزها وضعفها وشرها ، وعابثوا المكنت التي في أنفسهم ، عملوا في تبديل هذه الأخلاق ، ومخالفتها ، ولم يفتروا بدعاؤها ، ولم يأمنوا خدعها وشرها .

و بلغنى أن جماعة أقاموا بمكة فكانوا إذا قام أحدهم إلى الطواف بالنهار يعيرون عليه ذلك ، ويقولون : هو ذى تمر وتستمدى ، وذلك أنه ربما يتفق في الطواف من يكون يرُفّق الفقراء ويعطيهم شيئاً ، فكانوا ينتقدون بعضهم على بعض هذه الأحوال .

ومن آدابهم أيضاً أنهم إذا اعتقدوا أن يحجّوا أن يوفوا بمهودم ، وإن أحرّموا من دون الميقات في غير أشهر الحج أن يوفوا بذلك وإن تلفت في ذلك نفوسهم ، وإذا قصدوا نحو الكعبة لم يعدلوا عن الطريق بما توجهوا إليها ، ولا يقطعهم عن التوجه إليها قلة النفقة ولا شدة الحر والبرد .

سمعت أحمد بن دوليه يقول : كنت قد أوجبت على نفسى الرجوع إلى مكة من الشام وكان البرد شديداً ، فتأولت نفسى ، فسألت أبا عمران الطبرستانى عن الرخصة في ذلك ، واستعمال العلم ، فقال لى : إذا خفت عليه فآلقه في اليمّ ، فوقفت على إشارته ، فخرجتُ فما رأيت إلا كلّ خير ، وحجّجت .

ومن آدابهم أيضاً أنهم إذا دخلوا البادية أن يُتّقوا الفرائض ، ولا يقصروا الصلاة [ولا يتيممون] ، ولا يتركون شيئاً مما كانوا يعملون في أوطانهم ما أطاقوا ذلك وإن أباح لهم العلم ترك ذلك : لأن السفر والحضر عندهم سواء ، وليس لأسفارهم مدة معلومة ، ولا يمشون بالأميال والبرّد والمنازل ، فإذا أقامهم الحق قاموا ، وإذا سارهم ساروا ، وإذا نزل بهم نزلوا ، فإذا بلغوا الميقات غسلوا أبدانهم بماء ، وغسلوا قلوبهم بالتوبة ، وإذا تزعوا ثيابهم للإحرام وتجردوا

وحلوا العُقَدَ [واتزروا] وارتدّوا فكنكلك نزعوا عن أسرارهم الغل والحسد ،
وحلوا عن قلوبهم عُقَدَ الهوى ومحبة الدنيا ، ولم يعودوا إلى ما خرجوا منه
من ذلك

ومن آدابهم أيضاً أنهم إذا قالوا : تبيك اللهم تبيك تبيك ، لا شريك
لك : أن لا يجيبوا بعد ذلك دواعي النفس والشيطان والهوى بعد ما أجابوا الحق
بالتلبية وأقروا أنه لا شريك له في ملكه ، فإذا نظروا إلى البيت بأعين رءوسهم
نظروا بأعين قلوبهم إلى من دعاهم إلى البيت ، فإذا طافوا حول البيت بأبدانهم
فن آدابهم أن يذكروا قول الله عز وجل : « وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ
حَوْلِ الْعَرْشِ » (١) فكانهم ينظرون إلى طوافهم ، فإذا صلوا خلف المقام يملكون
أنه مقام عبد قد وفى لله تعالى : بعهده ، فندب الله الأولين والآخرين إلى متابعة
قدمه ، واتخاذ صلواتهم خلف مقامه ، فإذا استلموا الحجر وقبلوه علموا أنهم هوذا
يبايعون الله تعالى بأيمانهم ، فن الأدب أن لا يمدّوا بعد ذلك أيمانهم إلى مراد
وشهوة فإذا جاءوا إلى الصفا فن الأدب أن لا يعترض بعد ذلك كدورة لصفاء
قلوبهم ، فإذا هَرَوَلُوا بين الصفا والمروة وأسرعوا في مشيهم فمن الأدب أن يسرعوا
بالفرار من عدوم ويهوبوا من متابعة نفوسهم وهوام وشيطانهم ، وإذا وافوا إلى
مِنَى ، فمن آدابهم في ذلك أن يتأهبوا للقاء ، فلعلهم يصلوا إلى مناهم ، فإذا وافوا
إلى عَرَقات ، فآدابهم أن يتمرفوا إلى معروفهم ويذكروا نشرهم وحشرهم وبغضهم
من قبورهم ، فإذا وقفوا فآداب الوقوف أن يكون وقوفهم بين يدي سيدهم ، فإذا
وقفوا لا يمرضوا عنه بعد وقوفهم ، فإذا دفعوا مع الإمام إلى المزدلفة فآدابهم أن
يكون في قلوبهم العظمة والإجلال لله تعالى ، فإذا دفعوا مع إمامهم جعلوا الدنيا

وَلَا خَيْرَ وَرَأَ ظُهُورِهِمْ ، فَإِذَا كَسَرُوا الْحِجَابَ لِلرَّحْمَنِ كَسَرُوا مَعَ الْحِجَابِ إِرَادَاتِ
بِوَاطِنِهِمْ وَشَهَوَاتِ إِسْرَارِهِمْ وَمَكْنَنَاتِ أَهْوَانِهِمْ ، فَإِذَا ذَكَرُوا اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَ الْمَشْرِقِ
الْحَرَامِ فَلَا دَبَّ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مَصْحُوبِهِمْ تَعْظِيمُ مَشَاعِرِهِمْ وَإِعْظَامُ حُرْمَاتِهَا ،
فَإِذَا رَمَوْا الْجُرْ رَمَوْا بِحَسَنِ الْأَدَبِ بِمِلَاحِظَةِ أَعْمَالِهِمْ وَمُشَاهَدَةِ أَعْمَالِهِمْ ، فَإِذَا حَاتَرَا
رَهْوسِهِمْ فَأَدَبُهُمْ أَنْ يَحْفَقُوا عَنْ بِوَاطِنِهِمْ حُبُّ الثَّنَاءِ وَالْمَحْمَدَةِ مَعَ حَلْقِ رَهْوسِهِمْ ،
فَإِذَا ذَبَحُوا فَأَدَبُهُمْ فِي الذَّبْحِ أَنْ يَبْدَعُوا بِذَبْحِ نَفْسِهِمْ فِي نَفْسِهِمْ قَبْلَ ذَبْحِ ذَبِيعَتِهِمْ ،
فَإِذَا رَجَعُوا إِلَى طَوَافِ الزِّيَارَةِ وَتَعَلَّقُوا بِأَسْتَارِ السَّكْبَةِ فَمِنْ الْأَدَبِ أَنْ لَا يَتَعَلَّقُوا
بِفَيْرِهِ وَلَا يُلَوِّذُوا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ بَعْدَ اللَّيَازَةِ وَالتَّعَلُّقِ بِهِ ، فَإِذَا رَجَعُوا إِلَى مَنَى وَأَقَامُوا
بِهَا أَيَّامَ التَّشْرِيقِ وَحَلَّ لَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ فَمِنْ الْأَدَبِ أَنْ لَا يَحْلُلُوا مَا حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِمْ
مِنْ مَخَالَفَةِ سَيِّدِهِمْ وَمُتَابَعَةِ حُظُوظِهِمْ ، وَلَا يَكْدُرُوا مَا صَفَا مِنْ أَوْقَاتِهِمْ ، وَلَا يَشْكُلُوا
إِلَّا عَلَى سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ قَضَاءِ مَنَاسِكَهِ : لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَّقُوا بِقَبُولِ حُجَّتِهِمْ ،
وَيَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ عَلَى أُمُورِهِمْ ، وَيَسْتَفْتِيُوا إِلَى اللَّهِ بِأَسْرَارِهِمْ وَعَلَانِيَتِهِمْ ، فَإِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى
كَشْفِ ضَرَمٍ وَخِلَاصِهِمْ .

وَحُكِيَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْخَوَّاصِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ : رَأَيْتُ شَيْخًا مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ
فِي الْبَادِيَةِ مَنَّ كَانَ يُشِيرُ إِلَى التَّوَكُّلِ عَرَجٌ عَلَى سَبَبٍ بَعْدَ سَبْعَةِ عَشْرِ يَوْمًا ، فَهَاءُ
شَيْخٍ آخَرَ ، فَلَمْ يَقْبَلْ ، فَهَجَرُوهُ وَلَمْ يَعُدُّوهُ مِنْهُمْ .

وَسَمِعْتُ الدُّقْفِيَّ يَقُولُ : دَخَلْتُ مِصْرَ ، فَقَصَدْتُ الزَّقَاقَ ، فَسَلَّتْ عَلَيْهِ ،
فَقَالَ لِي : مَنْ أَنْ أَقْبَلْتَ ؟ فَقُلْتُ : مِنَ الْحِجَازِ ، فَقَالَ لِي : خُذْ حِكَايَةَ فِي الْحِجَازِ ،
نَهَتْ فِي تِيهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَبْعَةَ عَشْرِ يَوْمًا لَمْ آكُلْ وَلَمْ أَشْرَبْ ، فَارَأَيْتَ مِنْ بَعِيدِ
خِيَالًا ، فَطَمَعْتُ نَفْسِي ، فَلَمَّا دَنَوْتُ ، فَإِذَا أَنَا بِمُسْكِرٍ مَعَ أَمِيرٍ لَهُمْ مَارِّينَ إِلَى
قَلْزَمٍ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ [أَنَّهُمْ] مِنَ الْجُنْدِ آبَسَتْ نَفْسِي مِنْهُمْ ، فَعَرَضُوا عَلَيَّ الطَّعَامَ
فَلَمْ آكُلْ ، وَالْمَاءَ فَلَمْ أَشْرَبْ ، فَقَالَ لِي أَمِيرُهُمْ : أَنْتَ فِي حَالٍ تَحُلُّ لَكَ اللَّيْتَةُ

فَلَمْ تَمْتنع من طعامنا ؟ فقلت : نحن إذا كنا بين الناس بشرط العلم لا نرضى لأنفسنا
أن تنبسط إليكم ، فكيف تنبسط إليكم في [مثل] هذا الوقت والوقت كله
حقيقة ؟ أو كما قال .

وحسبى أنه سُئل عن عينه — وكانت إحدى عينيه قد ذهبت — فقال :
كنت تهت في التيه كذا ، وكذا يوماً ، فكان على مِسْحٍ ، فهاجت عيني ،
فكنت أمسحه بالمسح ، فسالت ، وهو إن شاء الله في هذه السَّفَرَةِ التي حكاها
من أمير الجند ، وهاتان الحكايتان ، وحكاية إبراهيم الخواص ، وحكاية الدُّقِ
عن أبي بكر الزقاق .

باب في ذكر آداب الفقراء بعضهم مع بعض وأحكامهم

في الحضر والسفر

قال الشيخ رحمه الله تعالى : [قال الجُنَيْد رحمه الله] : الفقر بحر البلاء وبلاؤه كله عز^١ . وقال الجُنَيْد رحمه الله تعالى : علم الفقير إذا قوى ضعفت محبته ، وإذا ضعف قويت محبته ، وحُكْمُ الفقير أن يكون فوق محبته^(١) ، سمعت الدُّقِّي رحمه الله تعالى بدمشق ، قال : سمعت أبا بكر الزقاق رحمه الله يقول : منذ أربعين سنة أصحب هؤلاء الفقراء وأعاشرم فما رأيت قط رفقا لأصحابنا إلا لبعضهم من بعض أو ممن يحبهم ، ومن لم يصحبه التقية والورع في هذا الأمر أكل الحرام النص^(٢) .

وحكى عن أبي عبد الله بن الجلاء رحمه الله تعالى ، أنه قال : من لم يصحبه الورع في فقره أكل الحرام النص وهو لا يدري .

وحكى عن سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى أنه قال : أدبُ الفقير الصادق [في فقره] ثلاثة أشياء : لا يسأل إذا احتاج ، ولا يردّ إذا أعطى ، ولا يجبس لوقت ثانٍ إذا أخذ .

وقال غيره : أدبُ الفقير [الصادق] في فقره ثلاثة : لا يسأل ، ولا يمارض ، وإن عورض سكت .

وحكى عن سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى أنه قال : الفقير يلزمه ثلاثة أشياء : حفظ سرّه ، وأداء فرضه ، وصيانة فقره .

(١) يرجع الأستاذ نيكلسون أن هذه الجملة هي « أي لا يكون علمه فوق محبته »

(٢) في هامش إحدى النسخ « المحض » .

وقال الجُنَيْد رحمه الله تعالى : كل شيء يقدر الفقير أن عمله إلا صَرَفَهُ عَلَى وقته إلى انقضاء مدته .

وحُسكى عن إبراهيم الخوَّاص رحمه الله تعالى أنه قال : اثنا عشر خصلةً من خصال الفقراء — يعنى الصوفية — فى حضرم وسفرهم : أولها : أن يكونوا بما وعدهم الله تعالى مطمئنَّين ، والثانية : أن يكونوا من الخلق آيسين ، والثالثة : أن ينصبوا العداوة مع الشياطين ، والرابعة : أن يكونوا لأسر الله مستمعين ، والخامسة : أن يكونوا على جميع الخلق مُشفقين ، والسادسة : أن يكونوا لأذى الخلق محتملين ، والسابعة : أن لا يدعوا النصيحة لجميع المسلمين ، والثامنة : أن يكونوا فى مواطن الحق متواضعين ، والتاسعة : أن يكونوا بمعرفة الله مشغولين ، والعاشرة : أن يكونوا الذَّهْرَ على الطَّهارة ، والحادية عشر : أن يكون الفقر رأس مالهم ، والثانى عشر : أن يكونوا راضين فيما قلَّ أو كثر وفيما أحبوا أو كرهوا عن الله تعالى شيئاً واحداً [راضين عنه] شاكرين له واثقين به .

وقال بعضهم : من طلب الفقر لثواب الفقر مات فقيراً . وقال بعض المتصوفة : الفقير إذا كثر عقله ذهب طيبته .

قال الشيخ رحمه الله : من آداب الفقراء الصوفية أن لا يقولوا فيما يسوق الله إليهم ، من غير سؤال ولا طمع : هذا لى وهذا لك ، ولا يجزى فى حديثهم : كنت لك ولم تكن لى ، وأفعل كذا عسى أن يكون كذا ، ولا أفعل كذا ، لعل يكون كذا .

وحُسكى عن إبراهيم بن شَيْبَان رحمه الله تعالى أنه قال : كَيْفَا لا نصحب من يقول : نعلى ودر كوتى .

وقال أبو [عبد الله] أحمد القلانسى رحمه الله [وكان أستاذ الجُنَيْد] : دخلت على قوم من الفقراء بالبصرة ، فأكرموني وبجلوني ، فقلت لبعضهم [مرّة] : أين إزارى ؟ فسقطت عن أعينهم .

وقال إبراهيم بن الموقد الرقي : دخلت طرسوس ، فقيل لي : إن ها هنا جماعة من إخوانك وهم مجتمعون في دار ، فدخلت عليهم ، فرأيت سبعة عشر من الفقراء كلهم على قلب واحد ، وقيل لأبي عبد الله أحمد القلانسي رحمه الله : على أي شيء بنيت أصل مذهبك ؟ فقال : على ثلاث خصال : لا نطالب أحداً [من الناس] بواجب حقنا ، ونطالب أنفسنا بحقوق الناس ، ونلزم أنفسنا التقصير في جميع ما نأثم به . وقال غيره : بنيت أصل مذهبنا على ثلاث : متابعة الأمر والنهي ، ومعاينة الفقر ، والشفقة على الخلق .

وقال بعضهم : إذا رأيت الفقير قد انحط من الحقيقة إلى العلم فاعلم أنه قد فسخ عزمه وحل عقده .

وقال إبراهيم الخواص رحمه الله : ليس من آداب الفقراء — يعني الصوفية — أن يكون له سبب يرجع إليه متى احتاج ، أو يدان يعمل بهما إذا أراد ، أو لسان يطلب به إذا جاع ، أو ممة يطرق بها عند الشدائد إلى الناس ، فهذه لهؤلاء أسباب وذخيرة لشدائدهم وأرباب .

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : إذا أقيمت الفقير فالقة بالرفق ولا تلقه بالعلم ، فإن الرفق يؤنسه والعلم يوحشه .

باب ذكر آدابهم في الصحبة

قال الشيخ [ابو نصر] رحمه الله : حُكي عن جماعة من المشايخ من إرهم ابن شيبان رحمه الله تعالى أنه كان يقول : كنا لا نصحب من يقول نعل [وركوئي] .

وقال رجل سهل بن عبد الله رحمه الله : إني أريد أن أصحبك ، فقال له سهل : إذا مات أحدنا فن يصحب الآخر؟^(١) فليصحبه الآن ، وقال رجل لذي النون المصري رحمه الله تعالى : من أصحب؟ فقال : من إذا مرضت عاديك ، وإذا أذنبت تاب عليك . وقال بعضهم : كل صاحب تقول^(٢) ؟ قم بنا ، يقول : إلى أين ؟ فليس ذلك بصاحب .

وعن ذي النون رحمه الله أنه قال : لا تصحب مع الله إلا بالموافقة ، ولا مع الخلق إلا بالناصحة ، ولا مع النفس إلا بالخالفقة ، ولا مع الشيطان إلا بالعداوة [والحاربة] .

وقال أحمد ابن يوسف الزجاجي رحمه الله : مثل المصطحبين مثل النورين إذا اجتمعا أبصرا باجتماعهما ما لم يكونا يبصرانه قبل ذلك .

والخلاف أصل كل فرقة ، وهي لطيفة الشيطان في افتراق المتحابين في الله تعالى ، قال أبو سعيد الخراز رحمه الله : صحبت الصوفية خمسين سنة ما وقع بيني وبينهم خلاف ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال : لأنني كنت معهم على نفسي .

(١) لعل هنا جملة سقطت ، وربما كانت « فقال : الله . فقال سهل ... »

(٢) لعل كلمة : « له » ساقطة من النص .

وقال الجُنَيْد رحمه الله تعالى : لأن يصحبني رجل فاسق حسنُ الخلق أحبُّ إلى من أن يصحبني قارىء سيئ الخلق .

وقال الجُنَيْد رحمه الله : رأيت مع أبي حفص النيسابوري رحمه الله تعالى إنساناً أصلع كثير الصمت لا يتكلم ، فقلت لأصحابه : من هذا ؟ ف قيل لي : هذا إنسان يصحب أبا حفص ، ويخدمنا ، وقد أنفق عليه مائة ألف درهم كانت له ، واستدان مائة ألف أخرى أنفقا عليه ، ما بسوءه أبو حفص أن يتكلم بكلمة واحدة .

وقال أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى : صحبت أبا علي السندي ، فكنت ألقنه ما يقيم به قرضه ، وكان يملئني التوحيد والحقائق صراحة .

وقال أبو عثمان : صحبت أبا حفص رحمه الله تعالى وأنا غلام حدث ، فطردي وقال : لا تجلس عندي ، فلم أجعل مكافأتي له على كلامه أن أولي ظهري إليه ، فانصرفت أمشي إلى خلف ووجهي مقابل له ، حتى غبت عنه ، واعتقدت أن أحفر لنفسي بئراً على بابه ، وأنزل وأقعد فيه ولا أخرج منه الا بإذنه ، فلما رأى ذلك مني قربني وقبلني وصبرني من خواص أصحابه إلى أن مات :

وسمعت ابن سالم يقول : صحبت سهل بن عبد الله ، رحمه الله ، ستين سنة ، قال فقلت له ، يوماً . قد خدمتك ستين سنة ولم ترى يوماً واحداً من هؤلاء الذين يقصدونك ، يعني البدلاء والأولياء فقال : [لي] ألسنت هو ذا تدخلهم على كل يوم ؟ أما رأيت صاحب القوطة والسواك الذي كان يكلمك بالأمس ؟ كان منهم :

وقال إبراهيم بن شيبان رحمه الله تعالى : كنّا نصحب أبا عبد الله المغربي رحمه الله ونحن شباب ، ويسافر بنا في البراري والقلوات وكان معه شيخ اسمه حسن ، و [كان]

قد صححه سبعين سنة ، فكان إذا جرى من أحدنا خطأ وتغير عليه الشيخ تشفع إليه بهذا الشيخ [الذي يسمى حسناً] حتى يرجع [لنا] إلى ما كان .

وذكر عن سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى أنه كان يقول لبعض أصحابه يوماً إن كنت ممن يخاف السبع فلا تصحبنى .

قال يوسف بن الحسين [الرازي] قلت لذي النون رحمه الله تعالى : من أصحاب ؟ فقال : من لا تكتمه شيئاً يعلمه الله منك .

وكان إبراهيم بن آدم رحمه الله تعالى إذا صحبه إنسان بشارطه على ثلاثة أشياء : أن يكون الخدمة ، والأذان له ، وأن يكون يده في جميع ما يفتح الله عليهما من الدنيا كيده ، فقال له رجل من أصحابه : أنا لا أقدر على ذلك ، فقال : أعجبني صدقك . وكان إبراهيم بن آدم رحمه الله تعالى ربماً ينظر البساتين ، ويعمل في الحصاد ، ويُنفق على أصحابه .

وقال أبو بكر الكتّاني رحمه الله : صحبني رجل ، وكان على قلبي ثقبلاً ، فوهبت له يوماً شيئاً كساءً أو ثوباً على أن يزول ما في قلبي فلم يزُل ، فأخذت به يوماً إلى البيت أو إلى مكان فقلت له : ضع رجلك على خدّي ، فأبى ، فقلت له : لا بدّ من ذلك ، ففعل ، فزال ما كنت أجده في قلبي عليه ، أو كما قال .

قال أبو نصر : حكى لي هذه الحكاية الدُّق ، وقال : قصدت من الشام إلى الحجاز حتى سألت [أبا بكر] الكتّاني عن هذه الحكاية .

قال أبو علي الرّباطي رحمه الله تعالى : صحبت عبد الله المروزي رحمه الله ، وكان يدخل البادية قبل أن أصبح به بلا زاد ، ففما صحبتته قال لي : أيماً أحب إليك تكون أنت الأمير أو أنا ؟ فقلت : لا بل أنت الأمير ، فقال : وبتلك الطاعة ، فقلت : نعم ، فأخذ بخلاّة ووضع فيها الزاد وجعل على شبره ، إذا

قلت له : أعطني حتى أحمله ، يقول : ألسأ أنا الأمير ؟ فعليك بالطاعة ، قال :
فأخذنا المطر ليلة فوقف على رأسى [ليلة] إلى الصباح وعليه كساء ، وأنا جالس
يمنع عنى المطر ، فكنت أقول مع نفسى : ليتنى مت ولم أقل له أنت الأمير . ثم قال
لى : إذا صحبتك إنسان فاصحبه كما رأيته صحبتك ، أو كما قال .

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى : اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس
الجبارة الغافلين ، والقرآء المداهين ، والمتصوفة الجاهلين .

فهذا صحبة بضمهم مع بعض يكون على هذا المعنى الذى ذكرت فى الحكايات ،
وفى القليل كفاية للماقل ، وبالله التوفيق :

باب ذكر آدابهم عند مجازاة العلم

قال الشيخ رحمه الله : سمعتُ أحمد بن علي الوجيهي يقول : سمعتُ أبا محمد الجريري رحمه الله يقول : الجلوس للمذاكرة غلق باب الفائدة ، والجلوس للمناصحة فتح باب الفائدة .

وقال أبو يزيد رحمه الله : من لم ينتفع بسكوت المتكلم لم ينتفع بكلامه .
وقال الجُنَيْد رحمه الله : كانوا يكرهون أن يتجاوز اللسان مُتَقَدِّمَ القلب
وحُكِيَ عن أبي محمد الجريري أنه قال : الإنصاف والأدب أن لا يتكلم الرفيع في هذا العلم حتى يسأل .

وقال أبو جعفر بن الفرَجِي صاحب أبي تراب النخشي رحمه الله مكثتُ عشرين سنة لا أسأل عن مسئلة إلا كانت متازلتني فيها قَبْلَ قولي .
وقال أبو حفص رحمه الله تعالى : لا يصح الكلام إلا لرجل إذا سكت خاف المقوبة بسكوته ، وقال : جاء رجل إلى أبي عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء ، رحمه الله تعالى ، وسأله عن مسئلة في التوكل ، وعنده جماعة ، فلم يجبه ودخل البيت ، وأخرج إليهم صرة فيها أربع دوانيق ، وقال : اشتروا بها شيئاً ، ثم أجاب الرجل عن سؤاله ، فقبل له في ذلك فقال : استحييتُ من الله أن أتكلم في التوكل وعندي أربعة دوانيق .

وحُكِيَ عن أبي عبد الله الحُصْرِي أنه قال : قلت لابن بزديير ، عند مجازاة العلم ، ما أرى مع الخلق كلمهم إلا خيراً عن الغيب فيمكنك أن تكون ذلك الغيب قال : فقال لي : أُعِذُّ ما قُلتُ ، قلت : لا أفعل .

وقال إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى : لا يحسن هذا العلم إلا لمن يمر عن وجهه وينطق به عن فعله

وقال أبو جعفر الصَّيْدِلَانِي سَأَلَ رَجُلًا أَبُو سَعِيدٍ الْخَرَّازِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، مُسْتَلَّةً ، وَكَانَ
يُشِيرُ فِي سُؤَالِهِ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو سَعِيدٍ : نَحْنُ نَبْلُغُ مَكَانَكَ وَمَوَاقِفَكَ فِيمَا تَرِيدُ بِلَا هَذِهِ
الْإِشَارَةِ ، فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ إِشَارَةٌ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَبَدُومًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى
وَقَالَ الْجَنْبِيزُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ عِلْمًا [تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ] أَشْرَفُ
مِنْ عِلْمِنَا هَذَا لَسَمِعْتُ إِلَيْهِ وَإِلَى أَهْلِهِ حَتَّى أَسْمَعَ مِنْهُمْ ذَلِكَ ، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ وَقْفًا
أَشْرَفُ مِنْ وَقْفِنَا هَذَا مَعَ أَصْحَابِنَا وَمَشَائِعِنَا وَمَسَائِلِنَا وَمَجَارَاتِنَا هَذَا الْعِلْمَ لَنَهَضْتُ إِلَيْهِ .
وَقَالَ الْجَنْبِيزُ رَحِمَهُ اللَّهُ : مَا عِنْدِي عَصَابَةٌ وَلَا قَوْمٌ اجْتَمَعُوا عَلَى عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ
أَشْرَفُ مِنْ هَذِهِ الْعَصَابَةِ ، وَلَا أَشْرَفُ مِنْ عِلْمِهِمْ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا جَالَسْتُهُمْ ، وَلَكِنْهُمْ
كَذَا عِنْدِي [وَ] هَذِهِ الصُّورَةُ .

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ التُّرُوزِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : عَلِمْنَا هَذَا إِشَارَةً فَإِذَا صَارَ عِبَارَةً
[صَارَ] خَفَاءً .

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَرَّازِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : ذُكِرَ لِي أَبُو حَاتِمٍ الْعَطَّارُ وَفَضْلُهُ ، وَكَانَ
بِالْبَصْرَةِ ، فَارْحَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ مِصْرَ حَتَّى وَافَيْتُ الْبَصْرَةَ ، فَدَخَلْتُ جَامِعَ الْبَصْرَةِ ، فَإِذَا
بِهِ جَالِسًا وَحَوْلَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِمْ ، فَأُولَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ يَقُولُ ،
بَعْدَ مَا نَظَرَ إِلَيَّ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّمَا جَلَسْتُ لِوَاحِدٍ ، وَأَيْنَ ذَلِكَ الْوَاحِدُ ؟ ، وَمَنْ لِي بِذَلِكَ
الْوَاحِدِ ؟ ، ثُمَّ أَشَارَ إِلَيَّ بِأَنَّهُ أَنْتَ ، ثُمَّ قَالَ : أَظْهَرَهُمْ إِلَيَّ [مَا] أَهْلُهُمْ ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى
مَا أَلْزَمَهُمْ ، وَغَيَّبَهُمْ عَمَّا أَحْضَرَهُمْ ، فَهَمُّ بِهِ لَهُ عَامِلُونَ ، وَمَنْهُ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

وَحُكِيَ عَنِ الْجَنْبِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ : [لَوْ كَانَ عَلِمْنَا هَذَا مَطْرُوحًا عَلَى
مِزْبَلَةٍ لَمْ يَأْخُذْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُ إِلَّا حَقْلَهُ عَلَى مَقْدَارِهِ :

وَفِيمَا حُكِيَ عَنِ الشَّيْبِيِّ أَنَّهُ قَالَ [لِأَهْلِ مَجْلِسِهِ يَوْمًا : أَنْتُمْ عَيْنُ الْقَلَادَةِ ، يُنْصَبُ
أَسْكَمُ مِنْ أَرْبَعٍ مِنْ نُورٍ ، تَنْبِطُكُمُ الْمَلَائِكَةُ ، فَقَالَ رَجُلٌ عَلَى أَيْ شَيْءٍ تَنْبِطُهُمُ الْمَلَائِكَةُ ،
قَالَ : يَتَحَدَّثُونَ بِهَذَا الْعِلْمِ .

سَمِعْتُ جَمْفَرَ الْخَلْدِي يَقُولُ : سَمِعْتُ الْجَنْبِيزَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ : قَالَ سَرَى السَّقَطِيُّ

رحمه الله تعالى ، بلغني أن جماعة يجلسون حولك في الجامع ، قلت : نعم ، هـ إخواني
تذاكر العلم واستفيد بعضنا من بعض ، فقال : هيهات يا أبا القاسم صرتُ مُناحاً
للباطلين . وعن الجنيد رحمه الله أنه قال : كان سرى ، رحمه الله تعالى ، إذا أراد أن
يفيدني شيئاً سألني [مسألة] ، فقال لي يوماً : ما الشكر [يا غلام] ؟ قلت : أن
لا تمنى الله بعم أنعم [الله] بها عليك ، فاستحسن ذلك مني ، وكان يستعيده مني
ويقول : كيف قلت في الشكر ؟ أعدها علي [فأعدها عليه] . قال أبو نصر
ووجدتُ هذه الحكاية بخط أبي علي الروذباري عن الجنيد .

وذُكر عن سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى : أنه كان يُسأل عن مهمل من
العلم فلا يتكلم فيها ، فلما كان بعد مدة تكلم فيها وأحسن الكلام ، فسئل عن امتناعه
قبل ذلك ، فقال : كان ذو النون في الأحياء ، ما أحببتُ أن تكلم في العلم وهو في
الأحياء : إجلاله [وحرمة] .

وقال أبو سليمان الدراني رحمه الله تعالى : لو أعلم أن بمكة رجلاً يفيدني في هذا
العلم كلمة ، يعني في علم المعرفة ، لحضرتني فيه أن أمشي على رجلي ، ولو ألف فرسخ ،
حتى أسممها منه .

وقال أبو بكر الزقاق : سمعت من الجنيد رحمه الله تعالى كلمة في الفناء منذ أربعين
سنة هيجتني وأنا بعدُ في غمارها^(١) ، سمعت الدقي يقول سمعت الزقاق يقول هذه
الحكاية .

سمعت الدقي يقول : قيل لأبي عبد الله بن الجلاء رحمه الله تعالى : لِمَ سُمي
أبوك الجلاء ؟ فقال : ما كان بجلاء يجلو الحديد ، ولكن كان إذا تكلم على القلوب
جلاها من صدأ الذنوب .

وكان حارث المحاسبي رحمه الله يقول : أعز الأشياء في دار الدنيا علم يعمل به ،

(١) في هامش إحدى النسخ « خمار » .

وعارف ينطق عن حقيقته ، وسمعت ابن علوان يقول : كان السائل إذا وقف على الجنيد رحمه الله تعالى وسأله عن المسألة فلم يكن من حاله ذلك ، يقول الجنيد : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإذا كرر عليه السؤال يقول : « حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ »^(١) .

وحكى عن أبي عمرو الزجاجي رحمه الله أنه قال : إذا جالست شيخاً وهو يتكلم في علم من العلوم ، واشتد بك البول ، فلو بلت في مكانك خير لك من أن تقوم من موضعك : لأن البول يُفسل بالماء ، وما يفوتك من فائدتك في كلامه عند قيامك ، لا تدركه أبداً .

وقال الجنيد رحمه الله ، قلت لابن الكُرَيْبِي رحمه الله : الرجل يتكلم في العلم الذي لا يبلغ استعماله علمه ، فأحب إليك ، إذا كان هذا وصفه ، أن يسكت ، أو يتكلم ؟ فأطرق ، ثم رفع رأسه فقال : [لى] : إن كنت هوفتكلم ، وكان الشبلى رحمه يقول : ما ظنك بعلمٍ عِلْمُ الطمء فيه تهمة ، وقال سري السقطي رحمه الله تعالى : من تزين بعلمه كانت حسناته سيئات .

قال الشيخ رحمه الله : لكل حكاية من هذه الحكايات ، شرح ، واستنباط ، وبيان ، ولا يخفى على أهل الفهم إن شاء الله تعالى .

باب ما ذكر من آدابهم في وقت الطعام

والاجتماعات والضيافات

قال الشيخ رحمه الله تعالى : حُكي عن أبي القاسم الجنيد رحمه الله أنه قال :
تنزل الرحمة [من الله عز ذكره] على الفقراء ، يعني الصوفية ، في ثلاثة مواطن :
عند أكلهم الطعام فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة ، وعند مجارة العلم ، فإنهم لا يتكلمون
إلا في أحوال الصديقين والأولياء ، وعند السماع ، فإنهم لا يسمعون إلا من حق ، ولا
يقومون إلا بوجده .

وقال أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق الطوسي : قال لي محمد بن منصور
الطوسي ، وقد نزل علينا أبا العباس : أقم عندنا ثلاثا ، فإن زدت على ثلاثة فهو
صدقة منك علينا ، وذكر عن سري السقطي رحمه الله أنه كان يقول : آه على لقمة
ليس لله على فيها تبعة ، ولا لمخلوق على فيها منة .

وقال أبو علي النّوّز باطى : إذا دخل عليكم فقير فقدموا إليه شيئا يأكل ، وإذا
دخل عليكم الفقهاء فسلّوهم عن مسألة ، وإذا دخل عليكم القراء فدلوهم على الحراب .

قال أبو بكر السكتاني : قال أبو حمزة : دخلت على سري رحمه الله فجاءني
بفتيت فأخذ يحمل نصفه في قدح ، فقلت له : أيش هو ذا تعمل ؟ أنا أشرب هذا كله
في مرة ؟ فضحك ، وقال : هذا أفضل لك من حجة ، وكان أبو علي الروذباري ،
رحمه الله ، إذا رأى الفقراء مجتمعين في مكان واحد ، يستشهد بهذه الآية : « وَهُوَ عَلَى
جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءَ قَدِيرٌ »^(١) .

وكان أبو علي يقول : إذا اجتمع الفقراء في مكان واحد يكون أرفق بهم ،
 ويفتح عليهم ، ويستشهد بهذه الآية : « قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ » الآية ^(١)
 وقال جعفر الخليلي رحمه الله : هذا الأكل بعد الأكل الذي نزول أصحابنا يقال
 له الجوع المفرط ، وقال جعفر رحمه الله : إذا رأيت الفقير يأكل كثيراً فاعلم أنه
 لا يخلو من إحدى ثلاث ، إما لوقت قد مضى [عليه] ، أو لوقت [يريد أن]
 يستقبله ، أو لوقت هو فيه .

وقال الشبلي رحمه الله تعالى : لو أن الدنيا لقمة في فم طفل ارحمت ذلك
 الطفل . وقال أيضاً : لو أن الدنيا بما فيها لقمة واحدة أكلتها ، وأدعُ الخلق بلا
 واسطة مع الله تعالى ، وقال بعضهم : أكلُ الطعام على ثلاثة ، مع الإخوان
 بالانبساط ، ومع أبناء الدنيا بالأدب ، ومع الفقراء بالإيثار .

قال الشيخ رحمه الله : ليس هذا من آداب الفقراء ، لأن من آداب الفقراء الصوفية
 أن لا يكونوا عند أكل الطعام مضطحين ولا مستوحشين ولا متكلفين ، ولا يختارون
 الكثير الرديء على القليل النظيف الجيد ، ولا يكون لأكلهم وقت معلوم ، وإذا
 حضر الطعام فلا يلقمون بعضهم بعضاً ، وإن تقوّم فلا يردون ، ويكرهون
 الطعام الكثير الجاف ، وكلما كانوا أشد جوعاً فيكون أدبهم في الأكل أحسن ،
 سمعت شيخنا من الأجلة رحمه الله تعالى يقول : جُعْتُ عشرة أيام لم آكل شيئاً ،
 ثم قدّم إليّ الطعام فكنت آكل بأصبعين ، فقال لي صاحب الطعام : استعمل
 السنة وكل بثلاثة أصابع .

وحكى عن إبراهيم بن شيبان رحمه الله تعالى أنه قال : منذ ثمانين سنة ما أكلت

(١) سبأ : ٢٦ وتكلمة الآية « يبتنا بالحق وهو الفتح العليم

شيئا شهوتي ، وكان أبو بكر الكتاني الدبنوري ببغداد ولم يكن يأكل شيئا يكون سبب إظهاره السؤال والمعارضة .

وعن الجنيد رحمه الله تعالى أنه قال : من الفذالة أن يأكل الرجل بدينه وقال أبو تراب : عرض على طعام فامتنعت من أكله فعوقبت بالجوع أربعة عشر يوماً ، فعلت أئى عوقبت ، فاستغنت إلى الله تعالى وتبت . وكان الجنيد رحمه الله تعالى يقول : بصفاء الطعم والملبس والسكن يصلح الأمر كله ، وحكى عن سري السقطي رحمه الله أنه كان يقول : أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى ، وقال أبو عبد الله الحصري رحمه الله تعالى : مكثت سنين لا يصلح لى أن أقول لا أشتعى ، ولا يصلح لى أن آكل .

وحكى عن فتح الموصلي رحمه الله تعالى ، أنه دخل على بشر الحافي رحمه الله وجاءه زائراً من الموصلي ، فأخرج بشر درهما وأعطاه لأحمد الجلاء ، وكان يخدمه ، فقال : مر إلى السوق اشتر طعاماً جيداً وأدماً طيباً ، قال : فخرجت ، فاشتريت خبزاً نظيفاً ، وقلت : لم يقل النبي عليه الصلاة والسلام لشيء من الطعام اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه إلا اللبن : فاشتريت اللبن واشتريت تمرأ جيداً ، وجئت ، وقدمت إليه ، فأكل ما أككل ، وأخذ الباقي وخرج ، فلما خرج قال بشر لمن كان عنده : هذا فتح الموصلي جامنى يزورنى تدرون لم لم يقل لى : كل ؟ قال : لأنه ليس للضيف أن يقول لصاحب الدار كل ، تدرون لم قلت : اشتر طعاماً طيباً ؟ لأن الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر ، تدرون لم حمل ما بقى ؟ لأنه إذا صح التوكل لم يضر الخلل .

وقيل لمعروف الكرخي رحمه الله تعالى : كل من دعاك تمرأ إليه ! فقال : إنما أنا ضيف أنزل حيث أنزلونى .

وحُكي عن أبي بكر السكتاني رحمه الله تعالى أنه قال : اجتمع سنة من السنين ها هنا ، يعني بمكة ، مقدار ثلثمائة نفس من الفقراء والمشايع ، فكانوا كلهم في موضع واحد ، وكان لا يجري فيما بينهم العلم والمذاكرة ، ويكون أخلاق بينهم ومكارم وإيثار بعضهم مع بعض ، وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول : إذا أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فلا تأكل حتى تقضيها فإن الأكل يمت القلب . وحُكي عن زَوْنَم رحمه الله أنه قال . منذ عشرين سنة لم يخطر بقلبي ذكر الطعام حتى يحضر .

وسمعت أحمد بن عطاء أبا عبد الله الروذباري يقول : كان أبو علي الروذباري رحمه الله ، اشترى أحمالاً من السكر الأبيض ، ودعا جماعة من الحلاويين فأنخذوا من ذلك السكر جداراً عليه شُرُفات ، وفي الجدار محاريب على أعمدة منقوشة كلها من السكر ، ثم دعا الصوفية حتى هدموها وكسروها واتهبوها ، وسمعت أبا عبد الله الروذباري أنه كان يقول : اتخذ رجل ضيافةً ، فأوقد ألف سراج ، فقال له رجل : قد أسرفت ، فقال له : ادخل الدار فكل سراج أو قدته لغير الله تعالى فأطفئها ، فدخل الدار ليطفئها فما قدر أن يطفى منها سراجاً واحداً وانقطع .

وحُكي عن أبي عبد الله الحصري ، رحمه الله ، أنه قال : سمعت أحمد بن محمد الشلمي يقول : كنت بمكة ، وكان لي ثلاثة أيام لم آكل شيئاً ، فوقع في نفسي أن أجمع الناسك ومن بالحرم من الفقراء وأهل الفضل ، قال : فاكترت أحد عشر مضرباً ، وأقبلت الفتوح من كل جانب ، فلم يزل على ذلك أحد عشر يوماً ، وهو في طول تلك الأيام لم يأكل شيئاً .

باب في ذكر آدابهم في وقت السماع والوجود

قال الشيخ رحمه الله ، حُكِيَ عن الجُنَيْدِ رحمه الله تعالى : أنه كان يقول :
السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء وإلا فتركه أولى : الإخوان ، والزمان ، والمكان ،
وحُكِيَ عن الحارث المحاسبى رحمه الله تعالى أنه كان يقول : ثلاث إذا وجدتُ
مُتَعَّ بهنَّ ، وقد فقد ناهنَ ؛ حسن القول مع الديانة ، وحسن الوجه مع الصيانة ،
وحسن الإخاء مع الوفاء

وقال أحمد بن مقاتل رحمه الله تعالى : [لما] دخل ذو النون رحمه الله تعالى :
بفداد اجتمع إليه جماعة من الصوفية ، ومعهم قَوَالٌ يقول : فاستأذنوه بأن يقول :
شيئاً بين يديه ، فأذن لهم ، فابتدأ يقول :

صَغِيرُ هَوَاكَ عَذَّبَنِي فَكَيْفَ بِهِ إِذَا أَحْتَنَكَ
وَأَنْتَ جَمَعْتَ مِنْ قَلْبِي هَوًى قَدْ كَانَ مُشْتَرَكَا
أَمَا تَرَنَى مُكْتَشِبِ إِذَا ضَحِكَ الْخَلِيءُ بَكَى

فقام ذو النون وسقط على وجهه والدم يقطر من جبينه ولا يسقط على الأرض ، قال :
ثم قام رجل من القوم يعني يتواجد ، فقال له ذو النون رحمه الله تعالى : « أَلَدَى
بِرَّاكَ حِينَ تَقُومُ » ^(١) فجلس ذلك الرجل .

قال : وسئل إبراهيم المارستاني ، رحمه الله ، عن الحركة عند السماع وتخريق
النياب ، فقال : بلغني أن موسى عليه السلام قصَّ في بني إسرائيل ، فترق واحدٌ
قيصه ، فأوحى الله تعالى : إلى موسى عليه السلام ، قلْ له : مَرَّقْ لِي قَلْبَكَ
ولا تمرَّقْ ثيابَكَ .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : ويذكر في باب وصف السماع ، وبيان الوجد تمام هذا الباب إن شاء الله تعالى :

وقد حكي عن الجنيد أنه قال : لا يضرب نقصان الوجد مع فضل العلم ، وإنما يضرب فضل الوجد مع نقصان العلم ، والمعنى في ذلك ، والله أعلم ، أن فضل العلم يوجب ضبط الجوارح ، عن الحركات ، عند السماع على قدر طاقة المستمع حتى يفيض على جوارحه بعد جهده ، وليس من الأدب استدعاء الحال والتكلف للقيام ، والفقراء المجرّدون يليق بهم القيام والمطايبة من غير تذهب ولا تساكن إلى ذلك ، وتركه أولى بهم ، وليس من الأدب المداخلة والمزاحمة في السماع مع أهل السماع ، والسكون مع حضور القلب والوقوف على سراى المستمعين ومعانيهم أولى من المداخلة معهم بالتكلف ، وربما يصير التكلف عادةً فيكون ذلك أغلظها على القلوب وأظلمها للوقت ، وكلّ قلب ملوث بحُب الدنيا ، فسماعه كهُوْءٍ ، وإن تلفت نفسه فيه وذهب روحه .

باب في ذكر آدابهم في اللباس

قال الشيخ رحمه الله : حُكي عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى : أنه لبس قيصاً أبيض ، يعني غسيلاً ، فقال له أحمد : لو لبستَ قيصاً أجودَ من هذا ، أو كما قال ، فقال له : يا أحمد ، ليت قلبي في القلوب مثل قيصي في الثياب ، وحُكي عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى أنه قال : يلبس أحدكم عباءة بثلاثة دراهم ، وشهوته في قلبه خمسة دراهم ، فباستحي أن تُجاوز شهوته لباسه ، وبلغني عنه أنه كان يقول : في قِصرِ الثوب ثلاث خصال عمودة : استعمال السُّنة ، والنظافة ، وزيادة خِرقة .

قال : ودخل جماعةٌ على بشر بن الحارث رحمه الله تعالى ، وعليهم المرقعات ، فقال لهم بشر : يا قوم ، اتقوا الله ولا تُظهروا هذا الزي ، فانكم تُعرفون به وتُكْرَمون له ، فسكتوا كلهم ، فقام شابٌ من بينهم فقال : الحمد لله الذي جعلنا ممن يعرف به ويكرم له ، والله لنُظهرن هذا الزي حتى يكون الدين كله لله ، فقال له بشر : أحسنتَ يا غلام ! مثلك من يلبس المرقعة .

وسمعت الوجيبي يقول : سمعت الجريري يقول : كان في جامع بغداد فقير لا تسكاد تجده إلا في ثوب واحد في الشتاء والصيف ، فسُئِلَ عن ذلك ، فقال : قد كنت ولمتُ بكثرة لبس الثياب ، فرأيت ليلة ، فيما يرى النائم ، كأنني دخلتُ الجنة ، فرأيت جماعةً من أصحابنا ، من الفقراء ، على مائدة ، فأردت أن أجلس معهم ، فإذا بجماعة من الملائكة أخذوا بيدي وأقاموني ، وقالوا لي : هؤلاء أصحاب ثوب واحد وأنت فلك قيصان فلا تجلس معهم ، فانتبهتُ ، فنذرت أن لا ألبس إلا ثوباً واحداً إلى أن ألقى الله عز وجل .

وقال أبو حفص الحداد رحمه الله تعالى : إذا رأيتَ ضَوْءَ الفقير في ثوبه فلا ترجُ خيره .

وحُكي عن يحيى بن مُعَاذ الرازي أنه كان يلبس الصوف والخُلُقَان في ابتداء أسره ، ثم كان في آخر عمره يلبس الخَزَّ واللين ، فقيل ذلك لأبي يزيد رحمه الله تعالى ، فقال : مسكين يحيى ؟ لم يصبر على الدون فكيف يصبر على البُخْت ^(١) .

وسمعت طَنْفور يقول : مات أبو يزيد ولم يترك إلّا قيصه الذي مات فيه ، وكانت ^(٢) عاريةً عليه ، فردوه إلى صاحبها ، ومات ابن السكرّ بني ، وكان أستاذ الجنيد رحمه الله ، وعليه مرقعته ، فكان فرد كُمة ومخاريزه عند جعفر الخَلْدِي فيه ثلاثة عشر رطلاً كما بلغني .

ويقال إن أبا حفص النيسابوري ، رحمه الله ، كان يلبس قيصاً خَزّاً ، وثياباً فاخرةً ، وكان له بيت فرش فيه الرمل .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وآداب الفقراء في اللباس ، أن يكونوا مع الوقت ، إذا وجدوا الصوف أو اللَّبَدَ أو المِرْقعة لبسوا ، وإذا وجدوا غير ذلك لبسوا ، والفقير الصادق أَيْشَ ما لبس يحسن عليه ، ويكون عليه في جميع ما يلبس الجلالة والمهابة ، ولا يتكلف ولا يختار ، وإذا كان عليه فضلٌ يواسي من ليس معه ، ويؤثر على نفسه إخوانه بإسقاط رؤية الإيثار ، ويكون الخُلُقَان أحب إليه من الجلديد ، ويتبرم بالثياب الكثيرة الجيدة ، ويضن بالخُرَيْقات الخلق القليلة ، ويتكلف للنظافة والطهارة ؛ وإن أخذت في ذكر ما يجب في هذا الباب يطول وفيما ذكرته كفاية .

(١) في نسخة أخرى : البخت

(٢) قوله : وكانت . الصواب أن يقال : وكان لأن ، القميص مذكر وليس بمؤنث

باب في ذكر آدابهم في أسفارهم

قال الشيخ رحمه الله تعالى : حُكي عن أبي عليّ الروذباري ، رحمه الله تعالى ، أنه جاء إليه رجل ، وكان عزّمه أن يسافر ، فقال : يا أبا عليّ تقول شيئاً ؟ فقال : يافتي ، كانوا لا يجتمعون عن مَوَّعد ، ولا يفترقون عن مشورة .

قيل : وسُئِلَ رُوَيْمٍ رحمه الله تعالى ، عن أدب المسافر في سفره إذا أراد أن يسافر ، فقال : لا يجاوزهم قَدَمُهُ ، وحيث ما وقف قلبه يكون منزله .

سمعت هذه الحكاية عن عيسى القصّار الدينوري قال : سألتُ رُوَيْمًا .

وحُكي عن محمد بن إسماعيل أنه قال : كنّا نساfer منذ عشرين سنة ، أنا وأبو بكر الزقاق وأبو بكر الكتّاني رحمه الله عليهم ، لا نختلط بأحد من الناس ، ولا نناشر أحداً ، فإذا قدمنا [إلى] البلد ، إن كان فيه شيخ سلّمنا عليه وجالسناه إلى الليل ، فإذا جاء الليل رجنا إلى مسجد ، فيقدم الكتّاني فيصلّي من أول الليل إلى أن يُصبح ، ويحتم القرآن ، ويجلس الزقاق مستقبل القبلة ، وأنا متفكّر إلى أن نُصبح ، ثم يصلي كلّنا صلاة الغداة بوضوء الصّلة ، فإذا وقع معنا إنسان ينسام كنّا نرى أنه أفضلنا .

وقال أبو الحسن المزين رحمه الله تعالى : حكم الفقير أن يكون كل يوم في منزل ، ولا يموت إلا بين منزلين . وفيما حُكي عن المزين الكبير رحمه الله أنه قال : كنت يوماً مع إبراهيم الخواص رحمه الله ، في بعض أسفاره ، فإذا عقربُ بسمي على فخذ ، ففقت لأتلقها ، فنعني من ذلك وقال لي : دعها ، كل شيء مفتقر إلينا ، ولنا مفتقرين إلى شيء .

وكان الشيلي ، رحمه الله تعالى ، إذا نظر إلى من يسافر من أصحابه ، ويرى تقطعهم في أسفارهم يقول : وَيَلِكُمْ ! أَبَدٌ مما ليس منه بد .

وحكى عن أبي عبد الله النصيبي ، رحمه الله تعالى ، قال : سافرت ثلاثين سنة ما خِطْتُ قط خرقة على مِرْقَمَتِي ، ولا عدلت إلى موضع علمت أن فيها رقفاً ، ولا تركت أحداً يحمل معي شيئاً .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : ليس من آدابهم أن يسافروا للدُّوران والنظر إلى البلدان وطلب الأرزاق ، ولكن يسافرون إلى الحج والجهاد^(١) ، ولقاء الشيوخ ، وصلة الرحم ، ورد المظالم ، وطلب العلم ، ولقاء من يفيدون منهم شيئاً في علوم أحوالهم أو إلى مكان له فضل وشرف ، ولا يتركون في أسفارهم شيئاً من أخلاقهم وأورادهم التي كانوا يعملونها في الحضر ، ولا يفتنمون قصر الصلاة ، وإفطار شهر رمضان ، وإذا كان جماعة يمشون يمشى أضفهم ، ويخدمهم الأشفق عليهم ، وإذا جلس واحد لقضاء حاجة وقفوا لقراغه ، وإن يخلف^(٢) واحد انتظروه ، وإن عجز أحدهم عن المشي أو اعتل أقاموا عليه ، وإذا دخل وقت الصلاة لم يبرحوا من موضعهم حتى يصلوا ، إلا أن يكون معهم ماء أو بقرب منهم الماء ، وهذا حال الضعفاء .
وأما حال الأقوياء ، فكما قال إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى : ما هابني شيء قط إلا رَكِبْتُهُ .

وكما سئل أبو عمران رحمه الله عن الجزع والمعجز الذي يلحق المسافر في سفره

(١) يعتقد كثير من الناس أن الصوفية لاشأن لهم بالناحية العملية قط ، ويسرنا هنا ، أن نذكر هؤلاء ، أن الصوفية كانت لهم جولات موقفة في الحروب وكانوا يبيعون أنفسهم لله ، مجاهدين صابرين . وها هو المؤلف ينبه إلى أن من أغراض الصوفية في أسفارهم : الجهاد . (٢) قوله : وإن يخلف : الصواب . تخلف

فقال : إذا خفتَ عليه فأنقه في اليم ، يعنى : لا تبال أينش ما لحقك بعد ما تسكون متوجهاً إلى الله تعالى وهو أبو عمران الطبرستانى .

وقال أبو يعقوب السومى رحمه الله تعالى : يحتاج المسافر فى سفره إلى أربعة أشياء ، وإلا فلا يسافر : علم يسوسه ، وورع يحجزه ، ووجد يحمله ، وخلق يصونه .

وقال أبو بكر السكتانى ، رحمه الله : إذا سافر الفقير إلى اليمين ، ثم رجع إليه مرة أخرى ، هجره ، وتآمروا بهجرانه .

ويقال : إنما سُمى « السفر » سفرًا ، لأنه يُسفر عن أخلاق الرجال .
فهذا ما حضرنى من آدابهم فى أسفارهم . وبالله التوفيق .

باب في ذكر آدابهم في بذل الجاه والسؤال والحركة

من أجل الأصحاب

قال الشيخ رحمه الله تعالى : سمعت جماعة من أصحاب الشيخ أبي عبد الله الصبيحي يقولون : لا يصح الفقر للفقير حتى يخرج من الأملاك ، فإذا خرج من الأملاك يتوله له جاه من ذلك ، فينبغي أن يبذل جاهه حتى لا يبقى له جاه ، فإذا بذل جاهه بقي عليه قوة نفسه فيبذل ذلك ، يعني نفسه ، لأصحابه بالخدمة لهم والحركة في أسبابهم ، فبذل ذلك يصح له الفقر . سمعت أبا عبد الله الروذباري يقول : دخل المظفر القرميسيني الرملة ومعه السيد ، وكان لهما جاء عظيم عند أغنياء البلد ، فزالوا يبذلون جاههم وينفقون على الفقراء حتى لم يبق لهم جاه عند أحد ، وكان لا يعطيهم أحد شيئاً بسؤال ولا بدين ولا برهن ، فبذل ذلك كان يطيب وقتهم . وقيل لإبراهيم بن شيخان رحمه الله : أبش حال مظفر القرميسيني الخرقان والسؤال والخدمة لأصحابه ، فقال : قد رفع قدماً في الفتوة فلا يريد أن يتأخر عن قدم رفعتها لله تعالى .

وكان بعض الصوفية ينفذون لا يكاد أن يأكل شيئاً إلا بذل السؤال ، فبذل عن ذلك ، فقال : اخترت ذلك لشدة كراهية نفسي ذلك . ودخل شيخ من أجرة الشيوخ بلداً ، فرأى فيها سريراً قد أجابته نفسه لكل شيء من الطاعات والمبادات والفقر والتقل ، وكان قد تولد له من ذلك قبول عند العامة ، فقال له هذا الشيخ : لا يصح لك جميع ما أنت فيه إلا أن تسكدي الكسر من الأبواب ولا تأكل شيئاً غيرها ، فصعب ذلك على المريد وعجز عن ذلك ، فلما كبر سنه اضطر إلى السؤال والحاجة ، فكان يرى أن ذلك عقوبة لخالفته لذلك الشيخ في أيام إرادته .

قال أبو نصر رحمه الله تعالى : كان هذا الشيخ أبو عبد الله بن المقرئ ، والشيخ الذي أمره بالسؤال أبو عبد الله السجزي رحمه الله .

و سئف عن شيخ من الأئمة أنه كان يصوم ويطلب لإفطاره كسراً من الأنواع ولا يأكل غيرها شيئاً إلى وقت إفطاره من الليلة الثانية ، ففطن به رجل ، فوضع بين يديه طعاماً فلم يأكل منه ، وفارق ذلك الموضع الذي عُرِف به ، ولم يرجع إليه بعد ذلك .

وحكى عن ممشاذ الدينورى أنه كان ربما يقدم عليه جماعة من إخوانه من الفقراء ، فكان يدخل السوق ويجمع في حجره كسراً من الدكاكين ، ويحمل إليهم .

وحكى عن بنان الحمّال أنه قال ما علمت قط بأنى صَفْعانٍ إلا مرة واحدة ، رأيت فقيراً يصوم النهار ، ويخرج بعد المغرب إلى السوق ، ويأخذ من كل دكان لقمة ، فإذا سد رمقه رجع إلى موضعه ، فأخذه مولى ليلة ، وكنت آخذ من الناس الخبز الكثير واللحم والحلواء والفواكه وأدفع إليه حتى أجمع معه من ذلك شيء كثير ، فلما أراد أن ينصرف ، قال لى : يا شيخ ، أنت صاحب شُرطة ؟ فقلت : لا ، أما بنان الحمّال ، فرمى جميع ما كان معه فى وجهى ، وقال لى : يا صَفْعان ، هذا الذى تفعله أفت إنما يفعله عندنا صاحب الشرطة لا المشايخ ، كل من تقول له : هات فيعطيك ما تريد .

وحكى عن بعض المريدين ، وطلب شيئاً لأصحابه وأكل معهم ، فأنكر عليه جماعة من المشايخ أكله معهم ، وقالوا : خدعتك نفسك وطلبت نفسك ، ولو كنت طلبت لأصحابك وبذلت جاهك لهم لم تأكل معهم .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وحكم من يفعل ذلك أن يترك ذلك إذا صارت عادته ، وسكنت إلى ذلك نفسه ، ومن سأل الضرورة لم يأخذ إلا ما لا بد له من ذلك فإن أعطوه الكثير فيأخذ منه حاجته ويخرج الباقي .

والأكل بالسؤال أجمل من الأكل بالتقوى ، والفقير إذا اضطر إلى السؤال فسكفارته صدقه ، وصر على بعض المشايخ أياماً ولم يأكل شيئاً ، وكان في بلد غريبة حتى كاد يتلف ، ولم يسأل ، ف قيل له في ذلك ، فقال : منعى عن السؤال قول النبي صلى الله عليه وسلم : لو صدق السائل ما أفلح من رده ، وكرهت أن يردني مسلم فلا يفلح أقول النبي صلى الله عليه وسلم .

باب في ذكر آدابهم إذا فتح عليهم شيء من الدنيا

قال الشيخ رحمه الله: قال أبو يعقوب التهرجوري رحمه الله تعالى: سمعت أبا يعقوب السوسي رحمه الله تعالى، يقول: جاءنا فقير، ونحن بأرجان، وسهل بن عبد الله رحمه الله تعالى يومئذ بها، فقال: إنكم أهل العناية، فقد نزلت بي محنة، قال سهل بن عبد الله رحمه الله: في ديوان الحن، وقعت منذ تعرضت لهذا الأمر، فما هي؟ قال: فتح لي شيء من الدنيا، فاستأثرت بها في غير ذي محرم، ففقدت إيماني وحالي، فقال سهل لأبي يعقوب رحمهما الله تعالى: أبشّ تقول في هذا؟ قال: فقلت: محنته بحاله أعظم من محنته بإيمانه، فقال سهل: مثلك يقول هذا.

وحكى عن خير النساء رحمه الله تعالى، قال: دخلت بعض المساجد وإذا فيه فقير من الفقراء، وكنت أعرفه، فلما رآني تعلق بي، وبكى، وقال لي: أيها الشيخ، تمطّف عليّ، فإن محنتي عظيمة، فقلت: يا هذا وما محنتك؟ قال لي: فقدت البلاء وقورنت بالمافية، وأنت تعلم أن هذه محنة عظيمة، قال: وكان قد فتح عليه شيء من الدنيا.

وقال أبو تراب النخشي رحمه الله تعالى: إذا توافرت النعم على أحدكم فليبيك على نفسه فإنه سلك به غير طريق الصالحين.

وسمعت الوجيهي رحمه الله تعالى يقول حمل إلى بنان الحمال ألف دينار، وصبوها بين يديه، فقال للذي صبه: ارجع وخذه، ووالله لولا ما عليه من كتابة اسم الله تعالى كُلبت عليها، هو ذا يفرر بي ببريقه. قال: وفتح لابن بنان رحمه الله تعالى أربعمائة درهم، وهو نائم، فوضعوها عند رأسه، فرأى في المنام كأن قائلا يقول: من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أعمى الله تعالى قلبه، فانتبه فأخذ منها دنانير وترك الباقي.

وسمعت ابن علوان رحمه الله تعالى يقول حُمل إلى أبي الحسين النورى رحمه الله ثلثمائة دينار ، قد باعوا عقاراً له ، فجلس على قنطرة الصّراة وهو يحذف بواحد واحد منها إلى الماء ، ويقول : سيدى تريد أن تحذعنى عنك بهذا .

وحكى جعفر الخَلْدَى رحمه الله تعالى ، قال : كان ابن زيرى من أصحاب الجنيد رحمه الله تعالى ، وكان قد فُتِح عليه شيء من الدنيا ، فاقطع من الفقراء ، فاستقبلنا يوماً وفى كفه منديل فيه دراهم كثيرة ، فلما رأنا من بعيد قال : يا أصحابنا ، إذا كنتم أنتم متميزين بالفقر ، ونحن متميزون بالثقى ، فتى نلتقى ؟ قل : ثم رعى إلينا بجميع ما كان فى كفه .

وقال أبو سعيد بن الأعرابى : كان فتى يصحب أبا أحمد القلانسى رحمه الله ، ثم غاب عنه مدة ، ثم رجع من سفره وقد فُتِح عليه شيء من الدنيا واجتمع عنده مال ، فقلنا لأبى أحمد : تأذن لنا أن نزوره ؟ فقال : لا ، فإنه كان يصحبنا على الفقر ، ولو بقى حاله ، كان ينبغي لنا أن نزوره ، فإذا رجع من سفره على هذه الحالة فيجب عليه أن يزورنا .

وحكى أبو عبد الله المصرى رحمه الله تعالى ، قال : مكث أبو حفص الحداد رحمه الله بالزُّمَّة ، وعليه خِرْقَتان ، وفى وَسَطه ألف دينار ، وهو يمكث اليومين والثلاثة والأربعة وأبى أن يأكل منها ، وهو يواسى الفقراء منها إلى أن فنى عن آخرها .

وقال المصرى رحمه الله تعالى ، خرجت مع الشبلَى فى أيام القحط نطلب شيئاً لصبياننا ، فدخل على إنسان فأعطاه دراهم كثيرة ، قال : فخرجنا من عنده وكُنْى ملائى من الدراهم ، فكلما لقينا إنساناً من الفقراء أعطاه منه حتى لم يبق إلا القليل فقلت له : يا سيدى ، الصبيان فى البيت جِيعٌ ، فقال لى : أَيْشَ أَعْمَلُ ؟ فَبَعَدَ الجهد حتى اشتريت شيئاً من الكُشْب والجَزَر بما بقى من الدراهم ، وحملته إلى صبياننا .

وحكى عن أبي جعفر الدراج رحمه الله تعالى ، قال : خرج أستاذي يوما يتطهر ، فأخذت كنفه ففقدته ، فوجدت فيه شيئاً من الفضة مقدار أربعة دراهم ، فتحيرت في أمره ، وكان لنا أوقات لم نأكل شيئاً ، فلما رجعت قلت له : كان في كنفك كذا ونحن جوع ، قال : هاه أخذته ، رُدّه ، ثم قال لي بعد ذلك : خذ واشتر به شيئاً ، فقلت بحق معبودك ما أمرُ هذه الفضة ؟ فقال : لم يرزقني الله تعالى شيئاً من الدنيا [لا] صفراء ولا بيضاء غيرها ، فأردت أن أوصي أن تدفن معي ، فإذا كان يوم القيامة أردّها إلى الله تعالى ، أقول : هذه الذي ^(١) أعطيتني من الدنيا ، أو كما قال قال ودفع وزير المعتضد مالاً إلى أبي الحسين النوري ، رحمه الله تعالى ، حتى يفرقه على المتصوفة ، فصبه في بيت ، وجمع صوفية بغداد فقال لهم : كل من يحتاج منكم إلى شيء فليدخل البيت وليأخذ حاجته منه ، فكان يأخذ الرجل مائة درهم ، والآخر أكثر والآخر أقل ، ومنهم من لا يأخذ شيئاً ، فلما فنيتم الدراهم ، ولم يبق شيء قال لهم : بُعدكم من الله تعالى على مقدار أخذكم من الدراهم ، وقربكم من الله تعالى على مقدار ترككم لها .

(١) قوله : الذي الصواب أن يقال : التي

باب في ذكر آداب من اشتغل بالمكاسب والتصرف في الأسباب

قال الشيخ ، رحمه الله تعالى : قال سهل بن عبد الله رحمه الله : من طمن على
الاكساب فقد طمن على السنة ، ومن طمن على التوكل فقد طمن على الإيمان .

وسئل الجنييد رحمه الله عن الكسب ، فقال : يستقى الماء ويلقط النوى .
وكتب إسحق المازلي رحمه الله تعالى ، وكان من أحد المشايخ ، إلى بشر بن
الحارث رحمه الله تعالى ، وكان بشر يعمل المازل ، فكان في كتابه : بلفظي عنك
أنك استغنيت عن أمر معاشك بعمل هذه المازل ، أرايت إن أخذ الله تعالى سمك
وبصرك الملتجأ إلى من ؟ قال ، فترك بشر ذلك العمل واشتغل بالعبادة .

وسأل رجل ابن سالم ، بالبصرة ، رحمه الله تعالى ، وأنا حاضر في مجلسه ، وكان
يتكلم في فضل المكاسب ، فقال له : أيها الشيخ ، نحن مستمبدون بالكسب أم
بالتوكل ؟ فقال ابن سالم : للتوكل حال الرسول ، والكسب سنة الرسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وإنما استن لهم الكسب لعله بضعفهم ، حتى إذا سقطوا عن درجة
التوكل التي هي حاله لا يسقطوا^(١) عن درجة طلب المعاش التي هي سنته ، ولولا
ذلك لهلكوا .

وحكى عن عبد الله بن المبارك أنه كان يقول : لا خير فيمن لا يذوق
ذل المكاسب .

وكان عبد الله بن المبارك يقول : مكاسبك لا تمنحك عن التفويض والتوكل
إذا لم تضيئهما في كسبك ، ويقال : إن أبا سعيد الخراز ، رحمه الله ، خرج سنة

(١) قوله : لا يسقطوا . الصواب : لا يسقطون

من السنين من الشام إلى مكة مع القافلة ، فجلس ليلة إلى الصباح يخرز نعال أصحابه من الفقراء والصوفية .

وقال أبو حفص رحمه الله تعالى : تركتُ الكسب مرةً ، ثم عاودتهُ ، ثم تركتُ الكسب ، فلم أعاود إليه بعد ذلك .

وحكى عن بعض الفقراء أنه كان بدمشق رجل أسود وبصحب الصوفية ، وكان يمر كل يوم يدق الجص بثلاثة دراهم ولا يأكلها إلا في ثلاثة أيام ، فإذا أخذ الأجر ، يشتري به طعاماً [ما] ، ويحیی إلى أصحابه ، ويأكل معهم أكلةً ، ويرجع إلى عمله .

وحكى عن أبي القاسم البنادي رحمه الله تعالى ، أنه كان يخرج من منزله ، فإذا كان وقع في يده مقدار دانتين يرجع من الطريق إلى منزله أى وقت كان .

وحكى عن إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى ، [أنه] كان يقول : إذا خرجت المريد على الأسباب بعد ثلاثة أيام فالعمل في المكاسب ودخول السوق أولى به .

وحكى عن إبراهيم بن آدم أنه كان يقول : عليك بعمل الأبطال ، الكسب من الحلال والنفقة على العيال .

قال أبو نصر رحمه الله تعالى : ومن اشتغل بالمكاسب فأدبه أن لا يشتغل عن أداء الفرائض في أوقاتها ، ولا يرى رزقه من ذلك ، وينوى بذلك معاونة المسلمين ، ويُنصفهم ، فإذا فضل شيء من كسبه ونفقة عياله ، لا يجمع ، ولا يمنع ، ويُنفق على إخوانه من الفقراء الذين ليس لهم معاش ولا معلوم ولا سؤال ، لأنه

وإن امتحن بذلك ، فهو واحدٌ منهم ، وكذلك هؤلاء الذين ليس لهم علاقة إذا
 فُتِحَ عليهم شيءٌ ساعدوه ، ويهتمون بأسبابه أكثر من اهتمامهم بأنفسهم .
 وحُكي عن أبي حفص الحداد رحمه الله تعالى ، أنه كان أكثر من عشرين
 سنة يعمل في كل يوم بدينار ، ويُنفقه عليهم ، يعني الصوفية ، ولا يسأل عن مسألة
 ويصوم ، ثم يخرج بين العشاءين فيتصدق من الأبواب
 وقال الشبلي رحمه الله : أينسَ حِرْفَتُكَ ؟ فقال : خِرَازُ ، فقال له : نسيت الله تعالى
 بين الخرز والخرز^(١) .
 وقال ذو النون رحمه الله تعالى : إذا طلب العارف المداش فهو لا شيء ، والله
 تعالى أعلم .

(١) قوله : بين الخرز والخرز الأظهر أن يقال : بين الخرزة والخرزة

باب في أداء الأخذ والعطاء، وإدخال الرفق على الفقراء

قال الشيخ رحمه الله تعالى : أخبرني جعفر الخلاقي ، رحمه الله ، قال : سمعت
الجُنَيْد ، رحمه الله تعالى ، يقول : سمعت سَرَى السَّقَطِي ، رحمه الله تعالى ، يقول :
أعرفُ طريقاً مختصراً إلى الجنة : لا تسأل أحداً شيئاً ، ولا تأخذ من أحد شيئاً ،
ولا يكون ^(١) معك شيء تعطى أحداً .

وحُكِيَ عن الجنيد ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : لا يصح لأحد الأخذ حتى
يكون الإخراج أحبَّ إليه من الأخذ .

وقال أبو بكر [أحمد] بن حمويه صاحب الصُّبَيْحِي رحمه الله تعالى : من أخذ
لله أخذ بعز ، ومن ترك لله ترك بعز ، ومن أخذ لغير الله أخذ بذل ، ومن ترك لغير
الله ترك بذل .

سمعت أحمد بن علي الوجيهي يقول : سمعت الزقاق يقول : استقبلني يوسف
الصايف بمصر ومعه كيس فيه دراهم ، فأراد أن يناولني ، فرددتُ يده إلى صدره ،
فقال : خذها مني ولا تردّها عليّ ، فلو علمتُ أني أملك شيئاً أو أني أعطيتك شيئاً
ما أعطيتك هذا .

سمعت أحمد بن علي يقول : سمعت أبا علي الروذباري رحمه الله تعالى يقول : مارأيت
أحسن أدباً من ابن ربيع الدمشقي في إدخال الرفق على الفقراء ، وذلك أني بثُّ
عنده ليلة ، فحكيت عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله تعالى ، أنه قل : علامة الفقير
الصادق أن لا يسأل ولا يرُد ، ولا يحبس ، فلما أردتُ أن أفارقه : حمل معه شيئاً
من الدراهم ، ووقف على الجانب الذي حملتُ رُكُوتِي ، وقال لي : كيف حكيت
عن سهل الحكاية ؟ فلما حكيت له الحكاية ، وقلت له : لا تسأل ولا ترد ، فطرحها
في رُكُوتِي ، وانصرف .

(١) قوله : ولا يكون . سياق الكلام يقتضي أن يقال : ولا يكن ، بالجزم عطفاً على ما قبله

وقال أبو بكر الزقاق رحمه الله تعالى : ليس السخاء أن يعطى الواحدُ المعدمُ ،
إنما السخاء أن يعطى المعدمُ الواحدُ .

وحكى عن أبي محمد المرتضى ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : لا يصح الأخذ
عندى حتى تقصد من تأخذ منه فتأخذ له لالك

وحكى عن جعفر الخليلي ، عن الجنيد رحمه الله تعالى أنه قال : ذهبت يوما
إلى ابن الكركري ومعي دراهم أريد أن أدفعها إليه ، وكان عندى أنه لا يعرفنى ،
وسألت أن يأخذ ذلك فقال : أنا عنه مستغن ، وأبى أن يأخذ منى ، فقلت له : إن
كنت [أنت] عنها مستغنيا فأنا رجل من المسلمين أسرُ بأخذك لها فتأخذها لإدخال
السرور على ، فأخذها منى

وذُكر عن أبي القاسم النادى ، رحمه الله تعالى ، أنه كان إذا رأى دخاناً
يخرج من [بيت] بعض جيرانه ، فيقول لبعض من يكون عنده : مرَّ إلى
هؤلاء فقل لهم : أعطونا من هذا الذى تطبخون ، فقال له قائل : فسى يستخون
الماء ، فقال : مرَّ إليهم ، لأى شىء يصلح هؤلاء الأغنياء غير أن يبطونا شيئاً
ويشفعوا لنا فى الآخرة .

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : حملتُ دراهم إلى حسين بن المصرى ، وكانت
امراته قد ولنت ، وهم فى الصحراء ، وليس لهم جارٌّ ، فأبى أن يقبلها منى ،
فأخذتُ الدراهم ، ورميت فى الحجرة التى كانت فيها المرأة ، وقلت : أيتها المرأة
هذه لك ، فلم يكن له حيلة فيما فعلتُ .

وسئل يوسف بن الحسين ، رحمه الله تعالى ، إذا واخيت رجلاً فى الله ،
فخرجتُ إليه بكلِّ مالى ، هل أكون قائماً بحقه فيما ملّسكنى الله تعالى ؟ قال :
أنّى لك بما ألزمتَهُ من ذلِّ الأخذ ، واستدركتَ من عِزِّ الإعطاء ، إذا كان فى العطاء
رفعة وفى الأخذ مذلة ؟

باب في آداب المتأهلين ومن له ولد

قال الشيخ رحمه الله تعالى : قال أبو سعيد بن الأعرابي : كان سبب تزويج أبي أحمد القلانسي ، واسمه مُصعب بن أحمد ، أن شاباً من أصحابه خطب ابنة لصديق لأبي أحمد ، فلما حضر وقت عقد النكاح امتنع الشاب واستحيا من ذلك الرجل الذي كان يزوجه بابنته ، فلما رأى ذلك أبو أحمد قال : يا سبحان الله يزوج رجل بكر يمته فتمتنع عليه ، فاعقدوا النكاح على أبي أحمد وقبل رأس أبي أحمد ، قال : ما علمت أن لي عند الله تعالى من القدر أن يكون لي مثلك ختن ، وما علمت أن لابنتي عند الله تعالى من القدر أن يكون لها مثلك زوج .

قال أبو سعيد : بقيت عنده ثلاثين سنة وهي بكر ، أو كما قال .

وحكى عن محمد بن علي القصّار ، رحمه الله تعالى ، أنه كان له أهل وولد ، وكانت له بُنية ، وكان جماعة من أصدقائه عنده يوماً فصاحت الصبية يارب السماء تريد العنّب ، فضحك محمد بن علي وقال : قد أدبهم بذلك حتى إذا احتاجوا إلى شيء يطلبون من الله تعالى ولا يطلبون مني .

وسمعت الوجيبي يقول : كان لُبّان الحُمّال رحمه الله تعالى أولاد ، فرمما كان يجيء ابنته ويقول : يا أبي ، أريد خبزاً ، وكان يصفه ويقول : مرّ كدّ مثل أهلك وقال : وجاء يوماً فقال : يا أبي ، إني أريد مشمشاً ، قال : فأخذ بيده وجاء به إلى من يبيع المشمش وقال له : ادفع إليه مشمشاً بغيراط حتى أصبح على مشمشك إلى أن تبينه ، فدفع إليه الرجل ، ووقف بنان يصيح : يا أيها الناس اشترُوا من هذا الصغير الغذاء الذي يقنى ولا يبقى ، فالبث طويلاً حتى باع الرجل مشمشه كله

وحُكي عن إبراهيم بن آدم رحمه الله تعالى أنه قال : إذا تزوج الفقير فثله مثل رجل قد ركب السفينة ، فإذا وُلد له قد غرق ، وهذه الحكاية تُعرف لسفيان الثوري رحمه الله تعالى .

وحُكي عن بشر بن الحارث ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : لو دفعتُ إلى الاهتمام بمؤنة وحاجة ما أمنتُ على نفسي أن أصبح شُرْطِيًّا ، وكان لأبي شعيب البرائي كوخٌ ، فمَرَّت به امرأة من أبناء الدنيب فقالت له : إني أريد أن أتزوج بك وأخدمك ، فخرجت من جميع ما كانت تملكه ، وتزوج بها أبو شعيب ، فلما أرادت أن تدخل الكوخ نظرت إلى قطعة خُصاف فقالت : ما أنا بداخله حتى تُعْرِجها ، أليس سمعتك تقول : تقول الأرض لابن آدم تجمل [اليوم] بيني وبينك شيئاً وأنت غداً في بطني ؟ فإ كنتُ لأجمل بيني وبينك حجاباً ؛ فأخذ الخُصاف وأخرجها فرمى بها ، ثم قال : ادخلي ، فدخلتُ ، فمكثنا يتعبدان في ذلك المكان سنين كثيرة ، حتى توفيا وما على تلك الهيئة .

قال الشيخ رحمه الله : وليس من آداب من تزوج ، أو كان له ولدٌ ، أن يَكِلَ أمرَ عياله إلى الله تعالى ، ويجب عليه أن يقوم بفرضهم ، إلا أن يكونوا مثله في الحال ، وليس من آدابهم أن يتزوجوا ذوات اليسار ، ويدخلوا في رفق نساءهم ، ومن أدب الفقير أن يتزوج بفقيرة مُقَلَّة ، وأن يُنصفها ، وإن رغب في امرأة غنية أن لا يرتفق منها .

وحُكي عن فتح الموصلي ، رحمه الله تعالى ، أنه أخذ يوماً صبيّاً له فقَبَله ، قال فتح : سمعتُ هاتفاً يقول : يا فتح ، ألا تستحي أن تحب معنا غيرنا ؟ قال : فما قَبَلت ولها لي بعد ذلك .

فإن قال قائل قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أولاد وكان يقبلهم ويمانهم ويضمهم إلى صدره ، وقال الأقرع بن حابس لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ،

لى عشرة من الولد ما قبلتُ واحداً منهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : من لا يُرَحِّمَ
لا يُرَحِّمَ ، يقال لقائل هذا القول : قد أبعدت القياس ، لأن النبي عليه الصلاة
والسلام إمام الخلق إلى يوم القيامة ، ومصحوبُهُ المعصمة وقوة النبوة وأنوار الرسالة
فى جميع الأشياء ، لا تأخذ منه الأشياء ، ولا يكون فى الأشياء بحظه : لأن
جميع حركاته تأديبٌ للغير من أمته ، وهؤلاء ليس لهم تلك القوة ولا ذلك
التخصيص ، وإذا لاحظهم بعنايته يفار عليهم أن يدعهم أن يلتفتوا بمخاطبهم
إلى من سواه .

باب في ذكر آدابهم في الجلوس والمجالسة

قال الشيخ رحمه الله تعالى : حُكِيَ عن سَرَى السَّقَطِي رحمه الله تعالى أنه كان يقول : الجلوس في المساجد حوانيت ليس لها أبواب .

ارُسِّل سَرَى عن المرومة ، فقال : صيانة النفس عن الأذناس ، وإنصاف الناس في المجالسة ، فإن زاد كان متفضلاً .

وقال بعض المشايخ : الفقير يذنبى له أن تكون سجّادته على أليتيه ، يعنى من كثرة الجلوس .

وحُكِيَ عن أبي يزيد رحمه الله أنه قال : قمت ليلة أصلى ، فصليت ، فجلست ومددت رجلى ، فسمعت هاتفاً يقول : من يجالس الملوك يذنبى له أن يُحسن الأدب .

وعن إبراهيم بن آدم رحمه الله تعالى أنه قال : تربّعتُ مرة فهتف بى هاتفٌ هكذا تجالس الملوك ؟ فما تربّعت بعد ذلك أبداً .

وقال إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى : رأيت فقيراً له جلسة حسنة ، فتقدمت إليه ومعى درهم ، فصبيتها فى حجره ، فقال : اشتريت هذه الجلسة بمائة ألف درهم ، تريد أن أبيعها بهذا ؟ .

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى : مجالسة الخائفين تُعْمى الروح ، ورؤية الأضداد تمنع الذرق .

وسمعت الوجهي يقول : رأيت ابن مملوكة المطار الدينورى ، وقد تبرّم بجليس له ، فقلتُ : تجالس مثل هذا ؟ فقال ابن مملوكة : لا تمكن مقارفته :

ويقال : إذا أشكل عليك أمر أخيك فاعتبره بجليسه .

قال : وكان حسن القرّاز رحمه الله تعالى له أخذ فكان يكثر الجلوس بالليل ، فسئل عن ذلك ، فقال : بُني هذا الأمر على ثلاثة أشياء : أن لا نأكل إلا عن فاقة ، ولا نتكلم إلا عن ضرورة ، ولا ننام إلا عن غلبة .

وقال جعفر : كان الجنيّد رحمه الله تعالى يقول : لو علمت أن صلاة ركعتين أفضل من جلوسى عندكم ما جالسْتُكم .

باب في ذكر آدابهم في الجوع

قال الشيخ رحمه الله تعالى : قال يحيى بن مُعَاذ رحمه الله تعالى : لو علمت أن الجوع يباع في السوق ما كان ينبغي لطلاب الآخرة إذا دخلوا السوق أن يشتروا غيره .

وقال : الجوع على أربعة أوجه : للمريد في رياضة ، وللتائبين تجربة ، وللزهاد سياسة ، وللعارفين مكرمة .

قال : وكان سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى كلما جاع قوى ، وإذا أكل شيئاً ضعف .

وقال سهل رحمه الله تعالى : إذا شبعتم فاطلبوا الجوع من ابتلاكُم بالشبع ، وإذا جعتم فاطلبوا الشبع من ابتلاكُم بالجوع وإلا تماديتُم وطفيتُم .

وقال أبو سليمان رحمه الله : الجوع عنده في خزائن مدخرة لا يعطيه إلا لمن يحبه خاصة

وسمعت ابن سالم يقول كلاماً في معنى أدب الجوع : أن لا ينقص من عادته إلا مثل أُذُنِي السَّنُور ، فقلت له : قد حكيت بالأمس ، وقيل ذلك عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله تعالى ، أنه كان لا يأكل الطعام نيفاً وعشرين يوماً ، فقال : كان سهل رحمه الله تعالى لا يترك الطعام ، وإن كان الطعام يتركه ، إنه كان يردُّ على قلبه ما يأخذه ويشغله عن أكل الطعام .

وسمعت عيسى القصَّار رحمه الله يقول : من أدب الجوع أن يكون الفقير معانقاً للجوع في وقت الشبع ، حتى إذا جاع يكون الجوع أنيسه .

وسمع شيخ من المشايخ رجلاً من الصوفية يقول : أنا جائع . فقال له : كذبت ،
فقال له : لم قلت ذلك ؟ فقال : لأن الجوع سِرٌّ من سِرِّ الله تعالى ، موضوع في
خزائن من خزائن الله تعالى ، لا يضعه عند من يُفشيهِ .

قال : ودخل [رجلٌ] من الصوفية على شيخ ، فقدم إليه طعاماً ، فأكله . فقال له :
مذ كم لم تأكل الطعام ؟ قال : مذ خمس ، فقال : ليس بك جوع الفقر ، جوعك
جوع بخل ، عليك ثيابٌ وأنت تجوع ؟ أو كما قال .

باب في ذكر آداب المرضى في مرضهم

قال الشيخ رحمه الله تعالى : سمعت بعض أصحاب ممشاذ الدينوري يحكي عن ممشاذ رحمه الله تعالى : أنه اعتلّ عنة شديدة ، فدخل عليه أصحابه عائدين له ، فقالوا : كيف تجدك ؟ قل : لأدري ، ولكن سلوا العلة كيف تجدني ، فقالوا له : كيف تجد قلبك ؟ فقال : قد فقدت قلبي منذ ثلاثين سنة .

وسمعت محمد بن معبد البانياسي يقول : رأيت السكردي الصوفي رحمه الله تعالى ، وقد اعتلّ ، فعيد ستة أشهر ، وكان قد وقع الدود في موضع من بدنه ، فإذا وقع منها دودة ردها إلى موضعها .

ودخل ذو النون على مريض من أصحابه يعود فقال [له] : ليس بصادق في حبه من لم يصبر على ضربه ، فقال المريض : ليس بصادق في حبه من لم يتلذذ بضربه .

وكان سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى ، إذا مرض أحد من أصحابه يقول له : إذا أردت أن تشكي قل : أوه ، فإنه اسم من أسماء الله تعالى ، يستروح إليه المريض ، ولا تقل : له : أوخ ، فإنه اسم من أسماء الشيطان .

وسمعت أبا بكر أحمد بن جعفر الطوسي بدمشق يقول : كان أبني يعقوب الشهرجوري رحمه الله تعالى : وجع في بطنه سنين ، وكانت نخسه في جوفه ، وكان يقول : أعرف دواءه بقيراط فضة يذهب بهذه للعلة ، ولكن لا يداويه ، إلى أن خرج من الدنيا ، فسألت عن ذلك بعض المشايخ فقال : كان السكراني ، فكان لا يداويه من أجل السني .

ومرض الثوري رحمه الله تعالى ، مرضه ، فتخلف عن عيادته رجل من أصحابه ، ثم أتاه فجعل يمتذر إليه ، فقال له : لا تعتذر ، فقل من اعتذر إلا كذب .

وكان بسهل ابن عبد الله رحمه الله تعالى : البواسير الظاهرة ، فكان يحتاج أن يتوضأ لكل صلاة ، وكان يقول : أعرف له دواء بغير ط ، ولم يداوه إلى أن خرج من الدنيا ، فسألت عن ذلك فقالوا : كان لا يداويها حتى لا تنكشف عورته ولا ينظر إلى عورته أحد .

ويقال : إن يشرأ الخافى رحمه الله تعالى : مرض مرضه ، فدخل عليه الطبيب ، فأخذ بشر يصف للطبيب ما به ، فقليل له : يا أبا نصر ، أما تخشى أن تكون هذه شكايّة ، فقال : لا ، إنما أخبره بقدره القادر [على] .

ووجدت في كتاب أظنه بخط جعفر الخلدي رحمه الله قال : احتل الجنيد رحمه الله تعالى : علة شديدة ، فكان يقول : ليس إلا ما قال ذو النون رحمه الله تعالى : يا من يشكر ما يهب هب لنا ما نشكر ، وربما كان يقول : هذا غذاؤم من كل شيء يحضره .

باب في آداب المشايخ ورقمهم بالأصحاب وعظفهم عليهم

قال الشيخ رحمه الله تعالى : حُكي عن الجنيد ، رحمه الله تعالى ، أنه كان يقول لأصحابه : لو علمتُ أن صلاة ركعتين أفضلُ من جلوسى معكم ما جلستُ عندكم .

وحُكي عن بشر الحافي ، رحمه الله تعالى ، أنه قد كان تعرّى في يوم شديد البرد وهو ينتفض ، فقلنا له : يا أبا نصر ما هذا ؟ فقال : ذكرتُ الفقراء وأن ليس لهم شيء ، ولم يكن لي ما أواسيهم به ، فأحببتُ أن أواسيهم بنفسى .

وسمعتُ الدُّقّ يقول : كنتُ بمصر ، وكنا في المسجد جماعة من الفقراء جلوس ، فدخل الزقاق ، فقام عند أسطوانة يركع ، فقلنا : يفرغ الشيخ من صلاته ونقوم ونسلم عليه ، فقام وجاء إلينا ، وسلم علينا ، فقلنا : نحن كنا أولى بهذا من الشيخ ، فقال : ما عذب الله تعالى قلبي بهذا قط .

وسمعتُ الوجيبي يقول : سمعتُ الجريري يقول : وافيتُ من الحج ، فابتدأتُ بالجنيد رحمه الله تعالى وسلمتُ عليه ، وقلت : حتى لا يتعنى ، ثم أتيتُ منزلى ، فلما صليت الغداة التفتُ فإذا بالجنيد رحمه الله تعالى : خلّقى ، فقلت : يا سيدى ، إنما ابتدأتُ بالسلام عليك لئسكى لا تتعنى إلى هاهنا ، فقال لى : يا أبا محمد ، هذا حقك ، وذلك فضل لك .

وقال أبو سعيد بن الأعرابي : كان شاب يعرف إبراهيم الصايغ ، وكان لأبيه نعمة ، فانقطع إلى الصوفية ، وصحب أبا أحمد القلانسى ، فربما كان يقع بيد أبى أحمد شيء من الدراهم فكان يشتري له الدُّقّاق والشَّوَاء والحلواء ويؤثره عليه .

وعن جعفر الخلابي قال : [دخل] رجل إلى الجنيد رحمه الله تعالى ، فأراد أن يخرج من ماله كله ويجلس معهم على الفقر ، قال : فسمعت الجنيد رحمه الله تعالى يقول له : لا تُخرج كل ما مملك ، احبس مقدار ما يكفيك ، وأخرج الفضل ، وتقوت بما حبست ، واجتهد في طلب الحلال ، لا تُخرج كلها عندك ، فليست آمنٌ عليك أن تطالبك نفسك والنبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يعمل عملاً أثبتته .

سمعت الوجيبي يقول : سمعت أبا علي الروذباري رحمه الله تعالى يقول : كنا في البادية جاعة ، ومعنا أبو الحسن المطوفي ، فربما كانت تلحقنا الفاقة وتظلم علينا الطريق فكان أبو الحسن يصمد تلاً ويصيح صياح الذئب حتى يسمع كلاب الحى فينبهون ، فيمر على صوتهم ، ويحمل إلينا من عندهم معونة .

وقال أبو سعيد الخراساني رحمه الله تعالى : دخلت الرملة ، فذهبت إلى أبي جعفر القصاب ، فبتُ عنده ، ثم خرجت من الرملة إلى بيت المقدس ، فجاء إلى بيت المقدس خلقي وقد حمل معه كُسبرات وقال : اجعلني في حل . كانت هذه في البيت ولم أذر .

باب في ذكر آداب المريدين والمبتدئين

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وجدت في كتاب أبي تراب النخشي ، رحمه الله ، الحكمة جند من جنود الله تعالى يُقوى بها آداب المريدين .

وحكى عن الجنيّد ، رحمه الله تعالى ، أنه قد سأل بعض الفقهاء أو بعض الشيوخ ، فقال له : ياسيدي ، ما المريدين في مجازاة الحكايات ؟ فقال : الحكايات جند من جنود الله تعالى ، يُقوى بها قلوب المريدين ، قال : قلت : هل في ذلك شاهد من كتاب الله تعالى ؟ فقال : نعم ، قال : « وَكَلَّا تَقْصُ عَلَيكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا تُنَبِّئُ بِهِ قَوْمًا كَذِبًا » ^(١) وقال يحيى : الحكمة مِرْوَحَةُ قلوب المريدين تروّح عنها وهمج الدنيا .

وحكى عن عمشاذ الدينوري ، رحمه الله تعالى ، أنه كان يقول : إن هيناً لتفر بالفقير ، [الصادق] وإن قلبي ليفرح بالمريد المتحقق . وقال أبو تراب رحمه الله تعالى : رياء العارفين إخلاص المريدين .

وقال أبو علي ابن السكاكيب رحمه الله تعالى : إذا انقطع المريد إلى الله تعالى : بكايته : أول ما يُنيده الله تعالى الاستغناء به عن سواه .

وسئل الشبلي رحمه الله عن المريد إذا وقعت به الحيرة ، فقال : الحيرة من وجهين ، حيرة تقع من شدة خوف اقتراف الذنوب ، وحيرة [تقع من] كشف التعظيم للقلوب .

وقال الشبلي رحمه الله تعالى : كنت في أول بدايتي إذا غلبني النوم أكتمل بالملح ، فإذا زاد عليّ الأمر أحميت الميل فأكتمل به .

وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله تعالى : من أدب المريد ، وعلامة صدق إرادته ،

أن يكون الغالب عليه الرقة والشفقة والتلطّف والبذل ، واحتمال المسكاره كلها عن عبده وعن خلقه حتى يكون لعبيده أرضاً يَسْعَوْنَ عليها ، ويكون للشيع كالابن البار ، وللصبي كالأب الشفيق ، ويكون مع جميع الخلق على هذا ، يتشكى بشكواهم ويقيم لمصائبهم ، ويعبر على أذامهم ، فإن هذا مراد الله تعالى من المريد بن الصادقين : أن يعطفوا على الخلق من حيث عطف الله تعالى عليهم ويتأدبوا بآداب الأنبياء والصدّيقين ، وآداب أوليائه وأحبابه حتى تُرْفَعَ الحُجُبُ التي بينه وبين الله تعالى ، فإدام هو متمسكا بهذه الآداب ، ومتخلقا بهذه الأخلاق ، ويكون مستمينا في ذلك بالله : متوكلا على الله عز وجل راضيا عنه .

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى : سُئِلَ المريد في قلبه ، إقامة الغرض ، والاستغفار من الذنب ، وطلب السلامة من الخلق .

وسئل يوسف بن الحسين رحمه الله تعالى : ما علامة المريد ؟ فقال : ترك كل خليط لا يريد مثل ما يريد ، وأن يسلم منه عدوه كما يسلم منه صديقه ، وعلامة المريد وجدانه في القرآن كل ما يريد ، واستعمال ما يعلم ، وتعلم ما لا يعلم وترك الخوض فيما لا يعنيه ، وشدة الحرص على إرادة النجاة من الوعيد مع الرغبة في الوعد ، والتشاغل بنفسه عن غيره .

وقال أبو بكر البارزى رحمه الله تعالى : إذا سلك المريد الموهل في أول قدم فلا يبالي ، فإنه لن يلقاه بعد ذلك إلا راحة .

باب في ذكر آداب من يتفرد ويختار الخلوة

قال الشيخ رحمه الله تعالى : حُكِيَ عن بشر الحافي ، رحمه الله تعالى ، أنه كان يقول : لِيَتَّقِ اللهُ تعالى عند [خلواته] ، وليَكْزَمْ بيته ، وليَكُنْ أُنيسَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ وكلامه .

سمعت الدقي يقول : سمعت الدراج يقول : كان أبو المسيب رجلاً كبيراً ، وكان يتفرد في المساجد الشعبة ، فصادثه ليلة في مسجد ، فقلت له : من أين أنت ؟ فقال لي : أنا من كل مكان ، فقلت : من كان من كل مكان فأبشَ علامته ؟ قال : لا يستوحش من شيء ، ولا يستوحش منه شيء ، قال : فجملتُ إليه الشبلي رحمه الله تعالى ، فنظر إليه ، وقال : ليس هذا من دواب الإصطبل والا فأينَ سمتهُ ؟ قال : فصاح الشبلي رحمه الله تعالى ، ولطم وجهه ، وهام وهو يقول : صدق والله ، إن كان من دواب الإصطبل فأين سمته ؟

وسئل الجنيّد رحمه الله تعالى عن الخلوة ، فقال : إن السلامة مصاحبة لمن^(١) طلب السلامة فترك المخالفة وترك التطلع إلى ما أوجب العلم مفارقه .
وحكى عن أبي يعقوب السوسى ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : الانفراد لا يقوى عليه إلا الأقوياء من الرجال ، ولأمثالنا الاجتماع أنفع ، يعملون^(٢) بعضهم برؤية بعض .

وسمعت أبا حفص عمر الخطاط رحمه الله تعالى يقول يقول : رأيت أبا بكر بن الملم رحمه الله تعالى بأطاكية [يقول] : طولبتُ شهادة أن لا إله إلا الله بعد ستين سنة ، فسئلَ عن ذلك فقال : كنت ستين سنة أدعو الخلق إلى الله تعالى ، فلما انفردت ودخنتُ اللُكْكامَ إذا أردتُ أن أقوم إلى أورادى التى كانت عادى بين الناس لم يهيا لي ، فوقع في قلبي أنى ما آمنت بالله تعالى بعدُ فجددتُ إيماني ،

(١) قوله : لمن . الأصح أن يقال : من .

(٢) قوله يعملون . نادر . تصواب : يعملون .

وأقيمتُ هناك عشر سنين حتى صفالي في الخلوة أورادى كما كانت نصفولى في الأوقات التى كنت بين المعارف .

وحكى عن إبراهيم الخواص ، رحمه الله تعالى ، أنه رأى رجلا في البادية حسن الأدب حاضر القلب ، فسأله ، فقال : كنت أعمل بين الناس والمعارف في التوكل والرضا والتفويض ، فلما فارقتُ المعارف لم يبق معى من ذلك ذرّة ، فجئت حتى أطلب نفسى ها هنا بدعاويها إذا انفردت عن المعلومات والمعارف .

باب في ذكر آدابهم في الصداقة والمودة

قال الشيخ رحمه الله تعالى : قال ذو النون رحمه الله تعالى : ما يمدّ الطريق إلى صديق ، ولا ضاق مكان من حبيب . سمعت أبا عمرو إسماعيل بن نجيد يقول : سمعت أبا عثمان يقول : لا تثق بمودة من لا يحبك إلا معصوماً .

وفيا حكى جعفر الخلدی عن ابن السماك رحمه الله تعالى ، أنه قال له صديق : الميعاد بيني وبينك غداً تتعاتب ، فقال له ابن السماك رحمه الله تعالى : [بل] بيني وبينك غداً تتخاف ، ويقال : إن كل مودة يزداد فيها باللقاء فهي مدخولة في المودات .

وشئل عن حقيقة المودة فقال : هي التي لا تزداد بالبر ولا تنقص بالجفاء . وهذه الحكاية عن يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى . وقال بعضهم : الإعراض عن الصديق إبقاء على المودة .

قال أبو العباس بن مسروق رحمه الله تعالى ، فيا بلغني : وفي هذا سنة عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله لأبي هريرة رضي الله عنه : رُزْ غِبًّا تزداد حبا وقيل ليحيى بن معاذ رحمه الله تعالى : كيف حالك ؟ فقال : كيف حال من يكون عدوه دأؤه وصديقه بلاؤه ؟

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : لقد كنت أرى أقواماً تجزئني منهم النظرة فهي زادي من الجمعة إلى الجمعة .

وقال بعض المشايخ : إذا صح لي مودة أخ فلا أبالي متى لقيته .

وعن النوري ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : الصديق لا يحاسب بشيء ، والمدو لا يحاسب له شيء .

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : إذا كان لك صديق فلا تسوّه فيك بما يكرهه .

وعن جعفر الخلدی قال : سمعت أبا محمد الخازلي رحمه الله تعالى يقول : من أراد أن تدوم له المودة فليحفظ مودة إخوانه القدماء .

باب في ذكر آدابهم عند الموت

قال الشيخ رحمه الله تعالى : بلغني عن أبي محمد المروى ، رحمه الله تعالى أنه قال : مكثتُ عند الشَّيْبِلِي ، رحمه الله تعالى ، ليلة غداة التي مات فيها ، فكان يقول طول الليل هاتين البيتين :

كُلَّ يَتِيٍّ أَنْتَ سَاكِنُهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى السَّرْجِ
وَجْهَكَ السَّامُولُ حُجَّتْنَا يَوْمَ يَأْتِي النَّاسُ بِالْحَجَجِ

وحُكِيَ عن ابن الفَرَّاجِي ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : رأيت حول أبي تُرَابِ النخشي رحمه الله تعالى ، أصحاب مائة وعشرين ركوة ، فمات منهم على الفقر إلا نَفْسَانِ قال بعضهم : أحدهما ابن الجلاء ، والآخر أبو عَبِيدِ البُسْرى .

وورد على قلب ابن بُنَانِ المِصرِي ، رحمه الله شيء ، فهم على وجهه ، فلهحقوه في وسط متاهة بني إسرائيل في الرمل ، ففتح عينيه ، ونظر إلى أصحابه ، وقال : ارتعُ فهذا مَرَّتَعُ الأَحْبَابِ ، وخرجتُ روحه . هذه الحكاية عن الوجيبي .

وسمعت الوجيبي ، رحمه الله تعالى ، يقول : سمعت أبا عليّ الروذباري ، رحمه الله تعالى يقول : دخلتُ مصر ، فرأيت الناس مجتمعين ، فقالوا : كنّا في جنازة فتى سمع قائلًا يقول :

كَبُرَتْ حِمَّةُ عَبِيدِ طَمِعَتْ فِي أَنْ يَرَاكَ

فشق شفقةً فمات .

وسمعت بعض أصحابنا يقول : قال أبو زيد رحمه الله عند موته : ما ذكرُكُ إلا عن غفلة ، ولا قبضتني إلا عن فترة .

وحُكِيَ عن الجُنَيْدِ ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : جلست عند أستاذي ،

ابن السكرتيني ، رحمه الله تعالى ، عند موته ، فنظر إلى السماء ، فقال : بَعْدَ .
فطأطأتُ رأسي إلى الأرض ، فقال : بَعْدَ : يعني إنه أقرب إليك من أن تنظر
إلى السماء ، أو إلى الأرض ، وتشير إليه بذلك .

وقال الجريري رحمه الله تعالى : حضرتُ وفاة أبي القاسم الجَنْفِيد رحمه الله
تعالى ، فلم يزل ساجداً ، فقلت له : يا أبا القاسم ، أليس بلغتَ هذا المكان وبلغ
منك ما أرى من الجهد لو استرحت ؟ فقال لي : يا أبا محمد ، أخَوَجُ ما كنتُ إليه
هذه الساعة ، فلم يزل ساجداً ، حتى فارق الدنيا ، وأنا حاضره .

وقال بكران الدينوري ، رحمه الله تعالى : حضرتُ وفاة الشَّيْلِي رحمه الله تعالى ،
فقال لي : على قلبي درهمٌ مظلمة ، تصدقتُ عن صاحبه بالسوق ، فما على شغلٍ
أعظم من ذلك ، ثم قال : وضعتُ للصلاة ، ففعلتُ ذلك ، فذسبتُ تحليل لحيته ،
وقد أُمِيتَ لسانه ، فقبض على يدي فأدخلتها في لحيته ، ومات .

وكان سبب وفاة أبي الحسين النوري ، أنه سمع بهذا البيت :

لَا زِلْتُ أَنْزِلُ مِنْ وِدَادِكَ مَنَزِلًا * تَتَحَبَّرُ الْأَلْبَابُ عِنْدَ نَزْوِلِهِ

فتواجد ، وهام في الصحراء ، فوقع في أجمة قَصَب قد قطعت ، وبقيت أصولها
مثل السيوف ، فكان يمشي عليها ، ويميد البيت إلى الغداة ، والدم يسيل من
رجليته ، ثم وقع مثل السكران ، فوومت قدماء ، ومات رحمه الله تعالى ، وسمعت
اللقى يقول : كنا عند أبي بكر الزقاق ، رحمه الله تعالى غداة ، فكان يقول : اللهم كم
تُبْقيني هاهنا ؟ فما بلغ الأولى حتى مات .

وكان سبب موت ابن عطاء ، رحمه الله تعالى ، أنه أدخل على الوزير ، فكلّمه
الوزير بكلام غليظ ، فقال ابن عطاء : ارفقْ يا رجل ، فأمر بضرب خُفّه على رأسه ،
فمات فيه .

ومات إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى ، في جامع الرى ، وكانت به علة الجوف ، فكان إذا قام مجلساً يدخل الماء ، ويفسل نفسه ، فدخل الماء مرة فخرج روحه ، وهو في وسط الماء .

وقال أبو عمران الإسطخري ، رحمه الله تعالى : رأيت أبا تراب النخسى ، رحمه الله تعالى في البادية ، قائماً ميتاً لا يمسه شيء .

وسمعت أبا عبد الله أحمد بن عطاء يقول : سمعت بعض الفقهاء يقول : لما مات يحيى الإسطخري ، رحمه الله تعالى ، جلسنا حوله ، فقال له رجل منا : قل أشهد أن لا إله إلا الله ، فجلس جالساً ، ثم أخذ يد واحد ، فقال : قل أشهد أن لا إله إلا الله وخلى يده ، وأخذ بيد الآخر الذى بجانبه ، وقال : قل أشهد أن لا إله إلا الله وخلى يده ، وأخذ بيد الآخر الذى بجانبه ، حتى عرض الشهادة على كل واحد منا ، ثم استلقى على قفاه ، وخرج ووجه .

وقيل للجنيد : كان أبو سعيد الخراز ، رحمه الله تعالى ، كثيراً ما كان يتواجد عند الموت ، فقال الجنيد رحمه الله : لم يكن بسبب أن تكون تطير روحه إليه اشتياقاً .

فهذا ما حضرني في الوقت من آدابهم ، والذي لم نذكره أكثر وبالله ، التوفيق .

كتاب المسائل واختلاف أقاويلهم في الأجوبة

قال الشيخ رحمه الله تعالى : أذكرُ طرقاً من اختلافهم في مسائل ، تفرّدوا بها ، بأجوبة شتى ، ببيان ما يُشكل من ذلك على العلماء والفقهاء ، وسائر الناس من أهل الظاهر ، الذين ليس هذا من شأنهم .

مسألة في الجمع والتفرقة .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : الجمع والتفرقة اسمان ، فالجمع جمعُ المتفرقات ، والتفرقة تفرقة المجموعات ، فإذا جمعت قلت : الله ولا سواء ، وإذا فرقت قلت : الدنيا والآخرة والسكون ، وهو قوله « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » ^(١) فقد جمع ثم فرق فقال : « وَالتَّلَاحُكَةُ » ، وأولوا العلم قائماً بالقسطِ « كذلك قوله » قولوا آمَنَّا بِاللَّهِ ^(٢) ، وقد جمع ثم فرق ، فقال : « » وما أنزل إلينا وما أنزلَ إلى إبراهيمَ « الآية ، فالجمع أصلُ والتفرقة فرعٌ ، فلا تُعرف الأصول إلا بالفروع ، ولا تثبت الفروع إلا بالأصول ، وكل جمع بلا تفرقة فهو زندقة ، وكل تفرقة بلا جمع فهو تعطيل .

وقد تكلم في معنى الجمع والتفرقة ، المشايخ المتقدمون فقال أبو بكر عبد الله بن طاهر الأبهري ، رحمه الله تعالى ، وسئل عن ذلك فقليل له : إلى ما ذا أشار القوم إلى معنى الجمع والتفرقة ؟ فقال : « أشار قوم إلى أن جَمَعهم في آدم عليه السلام ، وفرَّقهم في ذريته » . وأشار قوم إلى أن جَمَعهم في المعرفة ، وفرَّقهم في الأحوال .

وللجنيد في معرفة الجمع والتفرقة :

فَتَحَقَّقْتَكَ فِي مِرَى فَنَاجَاكَ إِسَانِي فَاجْتَمَعْنَا لِمَعَانٍ وَأَفْتَرَقْنَا لِمَعَانِي
إِنْ يَكُنْ غَيْبُكَ التَّعْظِيمُ عَنْ لَحْظِ عِيَانِي فَلَقَدْ صَبَّرَكَ الْوَجْدُ مِنَ الْأَحْشَاءِ دَانِي

وقال ، أظنه النورى ، : الجمع بالحق تفرقة عن غيره ، والتفرقة عن غيره جمع به ، وقال غيره : الجمع اتصال ، لا يشهد الإنابة متى يشهد الإنابة ، فما وصل والتفرقة شهود ؟ لمن شاهد البايئة وقال قوم : لا مجموع بحق إلا مفردا عن نعت ، ولا مجموع بنعت إلا مفردا عن حق ، وهما متناقضان ، لأن الجمع بالحق خروج عن حُجته ! وتفرقتها ، والجمع بالحق حجب بالحق وتفرقة عنه ، وقال قوم : « الجمع ما جمع البشرية في شهود البشرية ، والتفرقة ما فرقها عن تقسيم الرسوم »
وقد ذهب الجنيدُ ، رحمه الله تعالى ، إلى أن قرّبه بالوجد جمعٌ ، وغيبته في البشرية تفرقةٌ .

وقال أبو بكر الواسطي ، رحمه الله : « إذا نظرتَ إلى نفسك فرقتَ ، وإذا نظرتَ إلى ربك جمعتَ ، وإذا كنت قائما بغيرك فأنت ميت » وهذه أحرف مختصرة في معنى الجمع والتفرقة ولمن يتدبر في فهمه إن شاء الله تعالى .
مسألة في الفناء والبقاء ، قال الشيخ ، رحمه الله تعالى ، سئل أبو يعقوب النهرجورى ، عن صحة الفناء والبقاء ، فقال : هو فناء رؤية قيام العبد لله عز وجل ، وبقاء رؤية قيام الله تعالى في أحكام العبودية .

وسئل أبو يعقوب ، رحمه الله تعالى ، عن صحة علم الفناء والبقاء ، قال : تصحبه العبودية في الفناء والبقاء ، واستعمال علم الرضا ، ومن لم تصحبه العبودية في الفناء والبقاء ، فهو مدّعى .

قال الشيخ رحمه الله تعالى ، الفناء والبقاء اسمان ، وهما نعتان لعبدٍ موحدٍ ، يتعرّض الارتقاء في توحيده من درجة العموم ، إلى درجة الخصوص . ومعنى الفناء والبقاء في أوائله ، فناء الجهل ببقاء العلم ، وفناء المعصية ببقاء الطاعة ، وفناء الغفلة ببقاء الذكر ، وفناء رؤيا حركات العبد لبقاء رؤيا عناية الله تعالى في سابق العلم .

وقد تكلم في ذلك المشايخ المتقدمون ، فقال سُنون رحمه الله تعالى : العبد في حال الفناء محمول وفي حال الحمل مورود ، وهي نعوت تؤدي إلى نعوت . وقال : أول مقلمات الفناء الوجود والمجاهدات للبقاء .

وقال أبو سعيد الخراز ، رحمه الله تعالى ، في معنى قوله « وما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ » ^(١) قال : « أخلاص في أفعالهم من أفعالهم ، وهو أول حال الفناء » .

ومن جعفر الخلدي ، قال : سمعت الجنيد رحمه الله تعالى ، يقول ، وسئل عن الفناء فقال : « إذا فنى الفناء عن أوصافه ، أدرك البقاء بتمامه » قال : وسمعت الجنيد رحمه الله تعالى يقول ، وقد سئل عن الفناء ، فقال : « استجمام كللك عن أوصافك » واستعمال لكل منك بكليتك » .

وقال ابن عطاء : « من لم يفن عن شاهد نفسه بشاهد الحق ، ولم يفن عن الحق بالحق ، ولم يصب في حضوره عن حضوره ، لم يقع بشاهد الحق » .

وقال الشبلي رحمه الله تعالى : « من فنى عن الحق بالحق ، بقيام الحق بالحق ، فنى عن الربوبية ، فضلاً عن العبودية » وقال ، أظنه رؤيتم ، رحمه الله تعالى ، وقد سئل عن الفناء والبقاء ، فقال : « أول علم الفناء ، هو النزول في حقائق البقاء ، وهو الأثر لله تعالى على جميع ما دونه ، وتفقد كل حال معه حتى يكون هو الحظ ، وسنور ما سواه حتى نفى عبدانهم لله تعالى بأنفسهم ، ببقاء عبادتهم لله بالله ، وما بعد ذلك ، لا يُدركه المقول بالقول ، ولا تنطق به الألسن .

وقد قال الله تعالى : « كل من عليها فان » ^(٢) فأول علامة الفانى : ذهاب حظه من الدنيا والآخرة ، بورود ذكر الله تعالى ، ثم ذهاب حظه من ذكر الله تعالى :

عند حظه بذكر الله تعالى له ، ثم تنفى رؤية ذكر الله تعالى له ، حتى يبقى حظه بالله ، ثم ذهاب حظه من الله تعالى برؤية حظه ، ثم ذهاب حظه برؤية حظه بفناء الفناء وبقاء البقاء .

والكلام في هذا طويل ، وفيما ذكرناه كفاية إن شاء الله تعالى .

مسألة في الحقائق :

قال الشيخ رحمه الله تعالى : أخبرني جعفر قال : سمعت الجنيد رحمه الله تعالى قال : سمعت سرياً يقول ، وقد وصف أهل الحقائق ، فقال : أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الفرقي ، وسئل الجنيد رحمه الله تعالى عن الحقيقة ، فقال : « أذكره » ثم أدع هذا وهذا « وقال أبو تراب رحمه الله تعالى : « علامة الحقيقة البلوى »^(١) وقال غيره : « علامة الحقيقة رفع البلوى »^(٢) .

حكى عن رُويم رحمه الله تعالى أنه قال : « أتم الحقائق ما قارن العلم » ، سمعت الوجيبي يقول : سمعت أبا جعفر الصيدلاني رحمه الله تعالى يقول : « الحقائق ثلاث ، حقيقة مع العلم ، وحقيقة مع العلم ، وحقيقة تشطع عن العلم » ، وقال أبو بكر الزقاق رحمه الله تعالى : كنت في تيه بني إسرائيل ، فوقع في قلبي أن علم الحقيقة ، يخالف علم الشريعة ، فإذا بشخص تحت شجرة أم غيلان ، صاح : يا أبا بكر كل حقيقة تخالف الشريعة ، فهي كفر .

وقيل لبعضهم ، وأظنه رُويم ، رحمه الله تعالى : ، والله تعالى أعلم ، متى يتحقق العبد بالبودية ؟ قال : إذا سلم القياد من نفسه إلى ربه ، وتبرأ من حوله وقوته ، وعلم أن السكل له وبه .

(١) في بعض النسخ : التلويح

(٢) في بعض النسخ : التلويح

وقال رُوِّبَ رحمه الله تعالى : أصبح الحقائق ، ما قارن العلم . وقال الجُنَيْد رحمه الله : أبت الحقائق أن تدع في القلوب مقالة للتأويلات .

وقال المزين الكبير رحمه الله تعالى : « الذي حصل عليه أهل الحقائق في حقائقهم ، أن الله تعالى غير مفقود فيطلب ، ولا ذو غاية فيذكر ، فن أدرك موجوداً فهو بالموجود مفرور ، وإنما الموجود عندنا معرفة حال ، وكشف علم بلا حال » .

وسمعت الحسين بن عبد الله الرازي ، رحمه الله تعالى ، يقول : سُئِلَ عبد الله ، ابن طاهر الأبهري ، رحمه الله تعالى ، عن الحقيقة ، فقال : « الحقيقة كلها علم ، فسئل عن العلم فقال : العلم كله حقيقة » ، وعن الشبلي رحمه الله تعالى ، أنه قال : « الألسنة ثلاثة : لسان علم ، ولسان حقيقة ، ولسان حق ، فلسان العلم ما تأدّي إلينا بالوسائط ، ولسان الحقيقة ما أوصل الله تعالى إلى الأسرار بلا واسطة ، ولسان الحق فليس له طريق » .

وحكى عن أبي جعفر القروي ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : حقيقة الإنسانية أن لا يتأدّي منك إنسان ، لأن حقيقة الاسم في نفسه : أن يكون كل شيء بك مستأنساً .

وسئل بعض الصوفية عن حقيقة الوصول ، فقال : ذهب العقول . وقال الجُنَيْد رحمه الله تعالى : إن الحقائق اللازمة والقصود القوية المُخَصَّكة ، لم تُبَقَّ على أهلها سبباً إلا قطعته ، ولا ممتزجاً إلا منعت ، ولا تأويلاً مؤمها لصحة المراد إلا كشفت ، فالحق عندم لصحة الحال مجرد ، والجد في دوام السير محدود ، على براهين من العلم واضحة ، ودلائل من الحق بيّنة . وقال الواسطي رحمه الله تعالى : « الحقائق المحترنة إذا بدت حجب الحقائق المستقرة » .

مسئلة في الصدق .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : أخبرني جعفر الخليلي ، رحمه الله تعالى ، قال :

سمعت الجنيد ، رحمه الله تعالى ، يقول : ما من أحد طلب أمراً بصدق ، وجدَّ إلا أدركه ، وإن لم يدرك الكل أدرك البعض .

قال أبو سعيد الخراز رحمه الله تعالى : « رأيتُ كأن مَلَكين نزلا على من السماء ، فقالا لي : ما الصدق ؟ قلت : الوفاء بالعهد ، فقالا لي : صدقت ، فمرجا إلى السماء ، وأنا أنظرُ إليهما ، يعني في النوم » .

وقال يوسف بن الحسين رحمه الله تعالى : « الصدق عندي حُب الانفراد ، ومناجاة الرب جل وعلا ، وموافقة السر والملاينة مع صدق الالهجة ، والتشاغل بالنفس دون رؤية الخلق بعدمة النفس ، وتعلم العلم والاتباع مع تصحيح المعظم والمبلس ، وأخذ القوت » .

وسئل حكيم : ما علامة الصادق ؟ قال : « كتمان الطاعة ، قيل : ما أروحُ الأشياء على قلوب الصادقين ؟ قال : استنشاق عفو الله تعالى ، وحسن الظن بالله تعالى » ، وقال ذو النون ، رحمه الله تعالى : الصدق سيف الله تعالى في أرضه ، ما وُضع على شيء إلا قطعه » .

وسئل حارث ، رحمه الله تعالى ، عن الصدق ، فقال : « مصحوب على جميع الأحوال » ، وقال الجنيد رحمه الله تعالى : « حقيقة الصدق تجري بموافقة الله تعالى في كل حال » .

وقال أبو يعقوب رحمه الله : « الصدق موافقة الحق في السر والملاينة ، وحقيقة الصدق القول بالحق في مواطن الملسكة » .

وسئل آخر عن الصدق ، فقال : « صحة التوجه في المقصد » .

مسألة في الأصول ، يعني أصول مذهب القوم .

حكى عن الجنيد رحمه الله تعالى ، أنه قال : انفق أهل العلم ، على أن أصولهم خمس خلال : صيام النهار ، وقيام الليل ، وإخلاص الصلوة ، والإشراف على الأعمال بطول الرعاية ، والتوكل على الله في كل حال .

وحُسكى عن أبي عثمان رحمه الله تعالى ، أنه قال : أصلنا السكوت والاكتفاء بعلم الله عز وجل . وقال أَلْجَنِيد رحمه الله تعالى : « النقصان في الأحوال ، هي فروع لا تضر ، وإنما يضر التخلف مثقال ذرة في حال الأصول ، فإذا أحكمت الأصول ، لم يضر نقصٌ في الفروع » .

وقال أبو أحمد الفلانسى ، رحمه الله تعالى : « بُنيتُ أصول مذهبنا على ثلاث خصال : لا نطالب أحداً من الناس بواجب حقنا ، ونطالب أنفسنا بحقوق الناس ، ونلزم أنفسنا التقصير في جميع ما نأتيه » ، وقال سهل بن عبد الله رحمه الله : أصولنا سبعة أشياء التمسك بكتاب الله تعالى ، والافتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكل الحلال ، وكف الأذى ، واجتناب الآثام ، والتوبة ، وأداء الحقوق » .

وسمعت الحصرى رحمه الله تعالى يقول : « أصولنا ستة أشياء : رفع الحدث ، وإفراد القِدَم ، وهجر الإخوان ، ومفارقة الأوطان ، ونسيان ما علم ، وما جهل » وقال بعض الفقهاء : « أصولنا سبعة أشياء : أداء الفرائض ، واحتساب المحارم ، وقطع العلائق ، ومعاينة الفقر ، وترك الطلب ، وترك الادخار لوقتٍ ثانٍ ، والانقطاع إلى الله تعالى ، في جميع الأوقات » .

مسألة في الإخلاص .

سُئِلَ أَلْجَنِيد رحمه الله ، عن الإخلاص ، فقال : « ارتفاع رؤيتك ، وفناؤك عن الفعل » .

وقال ابن عطاء : الإخلاص ما تخلص من الآفات .

وقال الحارث المحاسبى رحمه الله تعالى : « الإخلاص إخراج الخلق من معاملة الله تعالى ، والنفس أول الخلق » .

وقال ذو النون رحمه تعالى : « الإخلاص ما خلس من المدو أن يُفسده » .

قال أبو يعقوب السوسى رحمه الله : « الإخلاص ما لم يعلم به مَلَأٌ فيسكتبه ،

ولا عدو فيفسده ، ولا تُعْجَب النفس به ، ، وحُكي عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : « أهل لا إله إلا الله كثير ، والمخلصون منهم قليل » .

وقال سهل بن عبد الله ، رحمه الله تعالى : « لا يعرف الرياء إلا المخلص » .
وسئل الجنيّد ، رحمه الله تعالى مرة أخرى عن الإخلاص ، فقال : « إخراج الخلق من معاملة الله تعالى ، والنفس أول الخلق » .

وعن بعض المشايخ قول : إذا قال لك قائل ، ما الإخلاص ؟ فقل : إفراد القصد إلى الله تعالى ، وإخراج الخلق من معاملة الله عز وجل ، بترك الحول والقوة مع الله عز وجل .

وعلمة المخلص ، محبة الخلوات لمناجاة الله تعالى ، وقلة التعرف إلى الخلق بعبودية الله عز وجل ، وكراهية علم الخلق في معاملة الله تعالى .
وسئل الظنّي ، أبا الحسين النوري رحمه الله تعالى ، عن الإخلاص ، فقال :
« ترك الموافقة للخلق » .

مسألة في الذكر .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : سمعت ابن سالم يقول ، وسئل عن الذكر ، فقال :
« الذكر على ثلاث فذكر باللسان ، فذاك الحسنة بعشرة ، وذكر بالقلب ، فذاك الحسنة بسبعائة ، وذكر لا يوزن ثوابه ، ولا يُعَدُّ ، وهو الامتلاء من المحبة ، والحياء من قرب » . قيل لابن عطاء رحمه الله تعالى ، ما بفعل الذكر بالسرائر ؟ فقال :
ذكر الله تعالى ، وإذا ورد على السرائر بإشراقه أزال البشرية في الحقيقة برعوناتها .
وقال سهل بن عبد الله ، رحمه الله تعالى : « ليس كل من ادعى الذكر ، فهو ذا كره »
وسئل سهل بن عبد الله ، رحمه الله تعالى ، عن الذكر ، فقال : تحقيق العلم بأن الله تعالى مشاهدك ، فترام بقلبك قريباً منك ، وتستحي منه ، ثم تؤثره على نفسك وعلى أحوالك كلها .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : قال الله عز وجل « فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ » .

أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا»^(١)، ثُمَّ قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: «أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا»^(٢)، فَهُوَ أَخْصَرُ مِنَ الْأَوَّلِ. ثُمَّ قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: «فَإَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ»^(٣)، فَصَارَ الذاكرون لله متفاوتين في ذكركم، كمتفاوتتهم في المخاطبة لهم في الذكر. قَوْلُ وَسْثَلٍ بِمَضَى الشَّيْخِ عَنِ الذِّكْرِ، فَقَالَ: «الْمَذْكُورُ وَاحِدٌ، وَالذِّكْرُ مُخْتَلَفٌ، وَمَحَلُّ قُلُوبِ الذَّاكِرِينَ مُتَفَاوِتٌ».

وَأَصْلُ الذِّكْرِ إِجَابَةُ الْحَقِّ مِنْ حَيْثُ الْإِذَازِمُ.

وَالذِّكْرُ عَلَى وَجْهَيْنِ: فَوَجْهٌُ مِنْهُ: التَّهْلِيلُ، وَالتَّسْبِيحُ، وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ، وَوَجْهٌُ مِنْهُ: تَنْبِيهِ الْقُلُوبِ عَلَى شُرَاطِطِ التَّذْكِيرِ عَلَى إِفْرَادِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَنَشْرِ إِحْسَانِهِ، وَنَفَازِ تَقْدِيرِهِ، عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ، فَذَكَرَ الرَّاجِعِينَ عَلَى وَعْدِهِ، وَذَكَرَ الْخَائِفِينَ عَلَى وَعِيدِهِ وَذَكَرَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَى مَا كَشَفَ لَهُمْ مِنْ كِفَايَتِهِ وَذَكَرَ الْمُرَاقِبِينَ عَلَى مَقْدَارِ مَا طَلَعَ عَلَيْهِمْ بِاطِّلَاعِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ، وَذَكَرَ الْمُحِبِّينَ عَلَى قَدَرِ تَصَفُّحِ النِّعْمَاءِ.

وَسْثَلُ الشُّبْلِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، عَنْ حَقِيقَةِ الذِّكْرِ، فَقَالَ: نِسْيَانُ الذِّكْرِ. يَعْنِي نِسْيَانُ ذِكْرِكَ اللَّهُ تَعَالَى، وَنِسْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

مَسْأَلَةٌ فِي الْغِنَاءِ.

سُئِلَ الْجَنَيْدُ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: أَيُّمَا أَيْتَمٌ؟ الِاسْتِغْنَاءُ بِاللَّهِ تَعَالَى، أَمْ الْإِفْتِقَارُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَ: الْإِفْتِقَارُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُوجِبٌ لِلْغِنَاءِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَذَا صَحَّ الْإِفْتِقَارُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَلَّ الْغِنَاءُ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَلَا يَقَالُ: أَيُّهُمَا أَيْتَمٌ؟ لِأَنَّهُمَا حَالَانِ لَا يَتِمُّ أَحَدُهُمَا إِلَّا بِتَامِ الْآخَرِ، وَمَنْ صَحَّحَ الْإِفْتِقَارَ صَحَّحَ الْغِنَاءَ. قَالَ: وَسْثَلُ يُونُسَ بْنِ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا تِلْكَ الْغِنَاءُ؟ قَالَ: «الَّذِي يَكُونُ غِنَاءَ لِلدِّينِ لَا لِلدُّنْيَا» قِيلَ: وَمَتَى يَكُونُ الْغِنَى عُمُودًا فِي غِنَاءِ غَيْرِ مَذْمُومٍ؟ قَالَ: إِذَا كَانَ هَذَا الْغِنَى آخِذَ الشَّيْءِ مِنْ

جهته ، غير مانع عن حقه ، متعاوناً في كسبه ، على البر والتقوى ، لا متعاوناً في تجارته على الإثم والعدوان ، ولم يتعلق قلبه بماله ذون الله عز وجل ، ولا استوحش لفقده ، ولا استأنس بملكه ، وكان في غناه مفتقراً إلى الله عز وجل ، وفي فقره مستغنياً بالله تعالى ، ويكون خازناً من خُزَّانِ الله تعالى ، فـسكان غناه له لا عليه ، فإذا كان بهذه الصفة كان من أهل الفوز والنجاة ، ودخل الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . « يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام » . ١١٢

وسئل عمرو بن عثمان المكي ، رحمه الله عن الفنا الذي هو جامع للفنا . فقال : « الفنا عن الفنا ، لأنك إذا استغنيت بالفنا ، كنت محتاجاً إليه من أجل استغنائك وإذا كنت غنياً بالله عز وجل لا بالفنا ، تكون مستغنياً عن الفنا ، وغير الفنا » . وقال الجنيد ، رحمه الله تعالى : « النفس التي قد أعزها الحق بحقيقة الفنا تزول عنها موافقات الفاقات » .

مسألة في الفقر .

قال الجنيد رحمه الله تعالى : « الفقر بحر البلاء ، وبلاؤه كله عز » .

وسئل عن الفقير الصادق ، متى يكون مستوجباً لدخول الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام ؟ فقال : « إذا كان هذا الفقير ، مامللاً لله عز وجل بقلبه ، موافقاً لله فيما منع ، حتى بُعِدَ الفقر من الله نعمةً عليه ، يخاف على زوالها كما يخاف على زوال غناه ، وكان صابراً محتسباً مسروراً باختيار الله له الفقر ، صائناً لدينه ، كاتماً للفقر ، مظهرراً للإيأس من الناس ، مستغنياً بربه في فقره ، كما قال الله عز وجل : « للفقراء الذين أُخْصِرُوا في سبيل الله » ^(١) الآية ، فإذا كان الفقير بهذه الصفة يدخل الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام ، ويُكفى يوم القيامة مؤونة الوقوف والحساب ، إن شاء الله تعالى .

وقال ابن الجلاء ، رحمه الله تعالى : « من لم يصحبه الورع في فقره أكل الحرام النص وهو لا يدري » .

وسئل الجنيد ، رحمه الله تعالى ، عن أعز الناس ، فقال « الفقير الراضى » .
وقال المزين رحمه الله : حد الفقر ، أن لا ينفك الفقير من الحاجة . وقال المزين رحمه الله تعالى : إذا رجع الفقير إلى الله عز وجل ، كان موصوفاً مع العلوم فيتمتع به في وجوده ، وقال الجنيد رحمه الله تعالى : « لا يتحقق الإنسان بالفقر حتى يتقرر عنده أنه لا يرد القيامة أفقر منه » .

مسألة في الروح ، وما قالوا فيه .

قال الشبلى رحمه الله تعالى : « بالله قامت الأرواح ، والأجساد ، والخلطرات لا بذواتها » ، وقال الشبلى ، رحمه الله تعالى : « الأرواح ناطقت ، فتعلقت عند لدغات الحقيقة ، فلم تر معبوداً يستحق العبادة ، عن أن تقترب إلى ذلك الشاهد بغير ذلك المشاهد ، وأيقنت أن الحدث لا يدرك القديم بصفته المعلولة » .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : ورأيت في كلام الواسطى ، رحمه الله تعالى ، في الروح ، فقال : « الروح روحان : روح به حياة الخلق ، وروح به ضياء القلب ، وهو الروح الذى قال الله عز وجل : « وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا »^(١) وسمى الروح روحاً لطافته ، وإذا أساءت الجوارح في أوقاتها الأدب حُجب الروح عن ملادغات السبب ، قال : وكلما وقع للروح من الملاحظات رقت^(٢) على الأيام والأوقات [و] عرفت المخاطبات ، وأشارت إلى المعانيات^(٣) ، وقال الواسطى ، رحمه الله تعالى : « إنما هما شيئان : الروح والعقل ، فالروح لا تُسدى إلى الروح محبوباً ، ولا العقل يتبين أنه أن يدفع عن العقل مكروهاً » .

(٢) في نسخة : ذاب

(١) الثورى : ٥٢

(٣) في نسخة : الملامات

وحُكي عن أبي عبد الله النَّبَاجِي ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : إن العارف إذا وصل فكان فيه روحان : روح لا يجري عليه التغير والاختلاف ، وروح يجري عليه التغير والتلوين .

وقال بعضهم : الروح روحان ، الروح القديمة ، والروح البشرية . واحتج بقول النبي صل الله عليه وسلم : تمام عيناى ولا ينام قلبى ، قال : فظاهره ينام بروح البشرية ، وباطنه يقظان لا يجري عليه التغير ، وكذلك قوله : إنما أنسى لأسن ، وقد أخبر أنه لا يُنسى ، وإنما هو خبر عما هو فيه من الروح القديمة ، وكذلك قوله : استُ كأحدكم ، إني أظن عند ربى ، وهو صفة الروح القديمة ، لأنه أخبر عنها بما ليس من وصف الأرواح ،

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وهذا الذى قال القائل فى الروح لا يصح ، لأن القديم لا يفصل من القديم ، والمخلوق غير متصل بالقديم ، وبالله التوفيق .

سمعت ابن سالم ، وقد سُئل عن الثواب والعقاب ، يكون للجسد وللجسد ، أو للجسد وحده ؟ فقال : الطاعة والمعصية ، لم تظهر من الجسد دون الروح ، ولا من الروح دون الجسد ، حتى يكون الثواب ، والعقاب ، على الجسد دون الروح ، أو على الروح دون الجسد ، ومن قال فى الأرواح بالتناسخ ، والتنقل ، والقِدَم ، فقد ضلّ ضلالاً بعيداً وخسر خسراناً مبيناً .

مسألة فى الإشارة :

قال الشيخ رحمه الله تعالى : إن سأل سائل ، ما معنى الإشارة ؟ فيقال له : قول الله عز وجل : « تَبَارَكَ الَّذِي ^(١) » و « الَّذِي » كالسكناية ، والسكناية كالإشارة فى لطافتها ، والإشارة لا يدركها إلا الأكابر من أهل العلم ، وقال الشبلى رحمه الله تعالى :

كل إشارة أشار الخلق بها إلى الحق ، فهي مردودة عليهم ، حتى يشيروا إلى الحق بالحق ، ليس لهم إلى ذلك طريق .

وقال أبو يزيد رحمه الله تعالى : « أَبْتَدُمُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ، أَكْثَرُ مِنْ إِشَارَةِ إِلَيْهِ »
قال : ودخل رجل على الجنيد ، رحمه الله تعالى : فسأله عن مسألة ، فأشار الجنيد بيده إلى السماء ، فقال له الرجل : « يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، لَا تُشِيرْ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ أَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ » ، قال الجنيد رحمه الله تعالى : صدقت وضحك .

حكى عن عمرو بن عثمان السكيّ أنه قال : « أَصْعَابُنَا حَقِيقَتُهُمْ تَوْحِيدٌ ، وَإِشَارَتُهُمْ شِرْكٌ » . وقال بعضهم : كل يريد أن يشير إليه ، ولكن لم يحمل لأحد إليه سبيلاً .

وحكى عن الجنيد رحمه الله تعالى ، أنه قال لرجل : « هُوَ ذَا تُشِيرُ بِهِ هَذَا ؟ فَكَمْ تُشِيرُ إِلَيْهِ ؟ دَعُهُ يُشِيرْ إِلَيْكَ » .

وقال أبو يزيد رحمه الله تعالى : « مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ بِلَمْ قَدْ كَفَرَ ، لِأَنَّ الْإِشَارَةَ بِلَمْ لَا تَحْتَ إِلَّا عَلَى سَلَمٍ ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ بِمِرَّةٍ قَدْ أَخْلَدَ ، لِأَنَّ الْإِشَارَةَ بِالْمِرَّةِ لَا تَحْتَ إِلَّا عَلَى مَحْدُودٍ » .

سمعت الدققي يقول : سئل الرزاق ، رحمه الله عن المريد ، قال : « حَقِيقَةُ الْمُرِيدِ أَنْ يُشِيرَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، فَيَجِدَ اللَّهَ مَعَ خُصِّ الْإِشَارَةِ » وقيل له : فأنقضى بِتَوَجُّعٍ حَالُهُ ؟ قال : « هُوَ أَنْ يَجِدَ اللَّهَ تَعَالَى بِإِسْقَاطِ الْإِشَارَةِ » وهذه المسألة تُعَرَّفُ لِلْجُنَيْدِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

وقال القوري رحمه الله تعالى : قُرْبُ الْقُرْبِ ، فَمَا أَشْرَفْنَا إِلَيْهِ ، يُبْدِ الْبُيُودَ .
وقال يحيى بن مُسَاذٍ رحمه الله تعالى : « إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُشِيرُ إِلَى الْعَمَلِ ، فَطَرِيقُهُ طَرِيقُ الْوَرَعِ ، وَإِذَا رَأَيْتَ يُشِيرُ إِلَى الْعِلْمِ ، فَطَرِيقُهُ طَرِيقُ الْعِبَادَةِ ، وَإِذَا رَأَيْتَ يُشِيرُ إِلَى الْأَمْنِ فِي الرِّزْقِ ، فَطَرِيقُهُ طَرِيقُ الزُّهْدِ ، وَإِذَا رَأَيْتَهُ يُشِيرُ إِلَى الْآيَاتِ ، فَطَرِيقُهُ طَرِيقُ الْأَبْدَالِ ، وَإِذَا رَأَيْتَهُ يُشِيرُ إِلَى الْآلَاءِ ، فَطَرِيقُهُ طَرِيقُ الْخَلْقَيْنِ » .

وقال أبو علي الروذباري رحمه الله تعالى : « عَلِمْنَا هَذَا إِشَارَةً ، فَإِذَا صَارَ عِبَارَةً خَفِيَ » .

وسأل رجل أبا يعقوب السوسني ، رحمه الله تعالى ، مسألة ، وكان يشير في سؤاله ، فقال له : « يَا هَذَا نَحْنُ نَبْلِغُ مُجَابِلَكَ ، مَنْ غَيْرَ هَذِهِ الْإِشَارَةِ ، كَأَنَّهُ يَكْرَهُ ذَلِكَ مِنْهُ :

مسائل شتى :

مسألة في الظرف : سئل الجُنَيْدُ رحمه الله تعالى ، عن الظرف ما هو ؟ فقال : « اجْتَتابَ كُلَّ خُلُقٍ دَنِيٍّ ، وَاسْتَعْمَلَ كُلَّ خُلُقٍ سَنِيٍّ ، وَأَنْ تَعْمَلَ لِلَّهِ ، ثُمَّ لَا تَرَى أَنَّكَ عَمِلْتَ .

مسألة في الروية : سئل أحمد بن عطاء ، رحمه الله تعالى عن الروية فقال : « أَنْ لَا تَسْتَكْثِرَ لِلَّهِ عَمَلًا عَمَلْتَهُ ، وَكَلِمًا عَمِلْتَ عَمَلًا كَأَنَّكَ لَمْ تَعْمَلْ شَيْئًا ، وَتَرِيدُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ .

مسألة ، لم سميت هذه الطائفة بهذا الاسم ؟ بمعنى الصوفية ، قال ابن عطاء : رحمه الله تعالى ، لصفاتها من كدر الأغيار ، وخروجها من مراتب الأشرار .

وقال النوري رحمه الله تعالى : سميت بهذا الاسم ، لاشتغالها عن الخلق بظواهر العابدين ، واطّاعها إلى الحق بمراتب الواجدين

وقال الشبلي رحمه الله تعالى : سميت بهذا الاسم ، لبقية بقيت عليهم من نفوسهم ، ولولا ذلك لما لاقى بهم الأسماء .

وقال بعضهم : سميت بهذا الاسم ، لئلا يروى بوجوه الكفاية ، وتظاهرها بوصف الإنابة .

مسألة في الرزق : قال يحيى بن مُعَاذٍ رحمه الله تعالى : في وجود العبد الرزق من غير طلب ، دلالة على أن الرزق مأمور بطلب صاحبه

وقال بعضهم : إن طلبتُ الرزق قبل وقته لم أجده ، وإن طلبت الرزق بعد وقته لم أجده وإن طلبته في وقته كُفيتُهُ

وحكى عن أبى يعقوب ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : اختلف الناس في سبب الرزق ، فقال قوم : سبب الرزق التكلف والعناية ، وهو قول القدرية ، وقال قوم : سبب الرزق التقوى ، وذهبوا إلى ظاهر القرآن « وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ »^(١) وغلطوا في ذلك

والعلم عند الله تعالى ، أن سبب الرزق الخلقة ، لقوله عز وجل : « خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ »^(٢) : فلم يخص مؤمناً دون كافر ، وقال أبو يزيد رحمه الله : أنشئت على رجل من المريدين عند بعض العلماء خيراً . فقال العالم : من أين معاشه ؟ قلت : لم أشك في خالقه حتى أسأله عن رازقه ، فحبل العالم وانقطع .

مسألة : سئل الجنيد رحمه الله تعالى ، إذا ذهب اسم العبد ؛ وثبت حكم الله تعالى ؟ قال : اعلم رحمك الله تعالى ، أنه إذا عظمت المعرفة بأفقه ذهب آثار العبد ، وأباحت رسومه ، فعند ذلك يبدو علم الحق ، وثبت اسم حكم الله تعالى .

مسألة : سئل الجنيد رحمه الله تعالى ، متى يستوى عند العبد حامده وذامه ؟ فقال : إذا علم أنه مخلوق ، ويكون ممناً .

مسألة : سئل ابن عطاء رحمه الله تعالى ، متى ينال سلامة الصدر ؟ أو يم ينال سلامة الصدر ؟ قال : بالوقوف على حق اليقين وهو القرآن ، ثم يُعطى علم اليقين ، ثم يطالع بدمه عين اليقين فيسلم صدره عند ذلك ، وعلامة ذلك أن يرضى بقضائه وقدره . عيبة وبخمة ، وبراءة حفيظاً ووكيلاً ، من غير شهمة اعترضت .

مسألة ، سئل أبو عثمان رحمه الله تعالى ، عن النعم الذي يجده الإنسان ، ولا يدري من أين هو ، فقال أبو عثمان رحمه الله تعالى ، إن الروح تتحفظ الذنوب ،

(١) الطلاق : ٣ و ٢ (٢) الروم : ٤٠ نص الآية : الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء ؟ سبحانه وتعالى عما يشركون

والجنائات على النفس ، وتنساها النفس ، فإذا وجدت الروح صحواً من النفس ،
عُرِضَ عليها جنائياتها فينشاها الانكسار والذوبان ، وهو النعم الذي يحده ، ولا
يدري من أين دخل عليه .

مسألة في القراءة ، مثل يوسف بن الحسين ، رحمه الله تعالى ، عن حديث
١٤٦ النبي صلى الله عليه وسلم « اتقوا قراءة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى ، قال : هذا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم حق ، وخصوصية لأهل الإيمان . وزيادة كلمة لمن
نور الله تعالى قلبه ، وشرح صدره ، وليس لأحد أن يحكم لنفسه بذلك ، وإن
كثر صوابه ، وقل خطؤه ، ومن لم يحكم لنفسه بحقيقة الإيمان والولاية والسلطة ،
فكيف يحكم لنفسه بفضل الكرامة ؟ وإنما ذلك فضل لأهل الإيمان ، من غير
إشارة إلى أحد بعينه .

مسألة لإبراهيم الخواص رحمه الله تعالى في الوم ، مثل إبراهيم الخواص رحمه
الله تعالى ، عن الوم ، قال : الوم : هو قيام بين العقل والفهم ، لا منسوب
إلى العقل ، فيكون شيئاً من صفاته ، ولا منسوب إلى الفهم ، فيكون شيئاً من
صفاته ، وهو قيام ، وهو شبه بضوء بين شمس وماء ، فلا ينسب إلى الشمس ، ولا
ينسب إلى الماء ، وشبهه بوتر بين النوم واليقظة ، فلا نائم ولا يقظان ، فهذه
صحوه^(١) وهو نفاذ العقل إلى الفهم ، أو الفهم إلى العقل ، حتى لا يكون بينهما
قيام ، والفهم صفوة العقل ، كما أن خالص الشيء له .

مسألة : مثل أبو يزيد رحمه الله تعالى عن معنى قوله تعالى : ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ
الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا^(٢) الآية .

(١) في رواية أخرى : صحوه .

(٢) فاطر ٣٢ وتكلم الآية : فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق
بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير

قال أبو يزيد رحمه الله تعالى : السابق مضروب بسوط الحجة ، مقتول بسيف الشوق ، مضطجع على باب الهيبة ، والمقتصد مضروب بسوط الحسرة ، مقتول بسيف الندامة ، مضطجع على باب الكرم ، والظالم مضروب بسوط الأمل ، مقتول بسيف الحرص ، مضطجع على باب العقوبة .

وقال غيره : الظالم لنفسه معاقب بالحجاب ، والمقتصد والنج داخل الباب ، والسابق بالخيرات ساجد على البساط الملك الوهاب .

وقال غيره : الظالم معاقب بالندامة على الإفراط ، والمقتصد مُشْتَمِلٌ بالكلاءة والاحتياط ، والسابق بالخيرات ساجد بقلبه للحق على البساط ، الظالم لنفسه بتلويح الإشارة محبوب ، والمقتصد بتصریح الإشارة مكثوف ، والسابق بالخيرات بتصحيح الإشارة محبوب .

وقال غيره : الظالم لنفسه د والمقتصد ب والسابق بالخيرات م .

مسألة في التمني .

سُئِلَ رُوَيْمُ بْنُ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، هَلْ الْمُرِيدُ أَنْ يَتَمَنَّى ؟ فَقَالَ : لَيْسَ لَهُ أَنْ يَتَمَنَّى ، وَلَهُ أَنْ يَأْمَلَ ، لِأَنَّ فِي التَّمَنَّى رُؤْيَا النَّفْسِ ، وَفِي الْأَمَلِ رُؤْيَا السَّبْقِ ، وَالتَّمَنَّى مِنْ صِفَاتِ النَّفْسِ ، وَالتَّأْمَلَ صِفَةُ الْقَلْبِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

مسألة في سر النفس

قال سهل بن عبد الله رحمه الله ، وسئل عن سر النفس ، فقال : « النفس مِرَّةٌ مَا ظَهَرَ ذَلِكَ السِّرُّ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا عَلَى فِرْعَوْنَ ، فَقَالَ : أَمَا رَبِّكُمْ الْأَعْلَى ، وَلَهَا سَبْعُ حُجُبٍ سَمَآوِيَّةٍ ، وَسَبْعُ حُجُبٍ أَرْضِيَّةٍ ، فَكَلِمًا يَدْفِنُ الْعَبْدُ نَفْسَهُ أَرْضًا أَرْضًا ، سَمَا قَلْبَهُ سَمَاءَ سَمَاءٍ ، فَإِذَا دَفِنَتْ النَّفْسُ تَحْتَ الثَّرَى ، وَصَلَتْ بِالْقَلْبِ إِلَى الْعَرْشِ . »

مسألة : سُئِلَ الشَّيْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ الْغِيْرَةِ فَقَالَ : الْغِيْرَةُ غَيْرَتَانِ : غِيْرَةُ الْبَشَرِيَّةِ ، وَغِيْرَةُ الْإِلَهِيَّةِ ، فَغِيْرَةُ الْبَشَرِيَّةِ عَلَى الْأَشْخَاصِ ، وَغِيْرَةُ الْإِلَهِيَّةِ عَلَى الْوَقْتِ أَنْ يَضِيعَ فِيمَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى

مسألة : قال فتح بن شخرف رحمه الله تعالى ، سألتُ إسماعيل أستاذ ذى النون رحمه الله تعالى ، فقلت له : أيها الشيخ هل تُعَذِّبُ الأسرار^(١) قبل الزل ؟ فلم يجبني أيّاماً ، ثم قال : يفتح إن نويت قبل العمل فتعذب الأسرار قبل الزل ، قال ثم صرخ صرخة عاش ثلاثة أيام ثم مات .

مسألة : سُئِلَ أبو بكر محمد بن موسى الفرغانى ، المعروف بالواسطى رحمه الله تعالى عن صفة القلوب فقال : القلوب على ثلاثة أحوال : قلوب ممتحنة ، وأخرى مصطلمة وأخرى منتسفة وأوائل أحوالها الانتساف ، وهو المتحقق بأوائله أنه لم يكن قبل شيئاً مذكوراً فإذا حضرت وقمت إلى الاصطلام ، وهو الموت ، ثم الطمس وهو : ذهاب . فهذا أولئك وآخرك ، كى لا تقول : أنا اقبلتُ وأدبرتُ ، وهذه الثلاثة أخرت الألسن عن النطق .

مسألة : سُئِلَ الجريرى رحمه الله تعالى عن البلاء ، فقال البلاء على ثلاثة أوجه : على المخلصين نعم وعقوبات ، وعلى السابقين تمحيص وكفارات ، وعلى الأنبياء والصدّيقين ، من صدق الاختبارات

مسألة : فى الفرق بين الحب والود ، الحب فيه بُعد وفيه قرب ، والود لا فيه قطع ولا بُعد ولا قرب ، إن شاهد الحب حقّ اليقين ، وشاهد الود عين اليقين ، وشاهد الصيانة علم اليقين ، والود وصل بلا مواصلة ، لأنّ الوصل ثابت والمواصلة تصرف الأوقات

مسألة : فى البكاء

سُئِلَ أبو سعيد الخراز رحمه الله تعالى عن البكاء ، فقال : « البكاء من الله وإلى

(١) الأسرار جمع سر ، السر قوة روحانية غذائها الحجاب ، يقول أحد الصوفية اللهم مهّمها عذبتنى بشيء فلا تعذبني بذلك الحجاب .

الله وعلى الله ، فالبكاء من الله لطول تعذيبه بالحنين عنه إذا ذكر طول المدة إلى لقائه ، والبكاء من خوف الانقطاع ، والبكاء من الفرق لما تواعده من المكافأة لمن قصر ، والبكاء من الفزع إذا قام الإشفاق من الحادثات التي تحرم الوصول إليه والبكاء إليه ، وهو أن يتكاف سره الهيجان إليه ، والبكاء من طيران الأرواح بالحنين إليه ، والبكاء من وله العقل إليه ، والبكاء من التأوه ، والبكاء من الوقوف بين يديه ، والبكاء برقة الشكوى إليه ، والبكاء بالتمرغ على بساط الذل طلب الزلفى لديه ، والبكاء عند المنافسة إذا توهم أنه بُطئ به عنه ، والبكاء خوفاً أن ينقطع الطريق ، فلا يصل إليه ، والبكاء خوفاً أن لا يصلح للاقائه والبكاء من الحياء منه بأى عين ينظر إليه ، ثم البكاء عليه إذا بُطئ به عنه ، في بعض الأوقات مما عودته والبكاء من الفرح في نفس وصوله إليه ، إذا اكتنفه ببره ، كالصبي الرضيع يرتضع ثدى أمه وهويكي ، فهذا ثمانية عشر وجهاً

مسألة : في الشاهد .

سئل الجنيد رحمه الله تعالى ، لم سُمي الشاهد شاهداً؟ فقال: الشاهد الحق ، شاهد في ضميرك وأسرارك مطمناً عليها ، وشاهداً لجلاله في خلقه وعباده ، فإذا نظر الناظر إليه شهد علمه بنظره إليه . وشاهد الصوفية هو : أن يقطع منزل المريدين ، فيشهد عموم العارفين ، وسملة اسم الشاهد الحاضر في الغيب ، لا يخرج ولا يفتر ولا يتناقل فإن غفل غفلة صريد فليس بشاهد ، وكلما يجرى فيه غير هذا في ظاهر الخليقة فهو باطل ، فليس هو طريق الصوفية .

مسألة : في صفاء المعاملة والعبادة .

قال : اجتمع مشايخ حرم الله تعالى ، على أبي الحسين على بن هند القرشي الفارسي رحمه الله تعالى ، فسألوه عن صفاء المعاملة والمعاملة ، فقال : إن للعقل دلالة وللحكمة إشارة ، وللمعرفة شهادة ، فالعقل يدل ، والحكمة تشير ، والمعرفة تشهد أن صفاء

العبادات لا يُقال إلا بصفاء معرفة أربعة : فأول ذلك معرفة الله تعالى ، والثاني معرفة النفس ، والثالث معرفة الموت ، والرابع معرفة ما بعد الموت ، من وعد الله ووعيده ، فمن عرف الله تعالى قام بحقه ، ومن عرف النفس استعد لمخالفتها ومجاهدتها ومن عرف الموت استعد لوروده ، ومن شهد وعيد الله تعالى ، ينزجر عن نهيه ، وينتدب لأمره ، فإعانة حق الله تعالى على ثلاثة أوجه : على الوفاء ، والأدب ، والمروءة ، فأما الوفاء فانفراد القلب بفردانيته ، والثبات على مشاهدة وحدانيته بنور أزيته ، والعيش معه ، وأما الأدب فإعانة الأسمار من الخطرات ، وحفظ الأوقات ، والانقطاع عن الحسد والمداوات ، وأما المروءة فالثبات على الذكر نطقاً وفعلاً ، وصيانة اللسان ، وحفظ النظر ، وحفظ المأكل والملبس ، وينال ذلك بالأدب ، لأن أصل كل خير في الدنيا والآخرة الأدب . وبالله التوفيق .

مسألة : ما الكريم ؟

قال حارث رحمه الله تعالى : « الكريم الذي لا يبالي لمن أعطى .

وقال الجنيد رحمه الله : الكريم من لا يُجوجك إلى وسيلة .

مسألة : في الكرامة .

قال قوم : الكرامة أن يبلغ المراد قبل ظهور الإرادة .

وقال قوم : الإعطاء فوق المأمول .

مسألة : في الفكر .

سُئل الحارث المحاسبى رحمه الله تعالى عن الفكر فقال : الفكر في قيسام

الأشياء بالحق .

وقال قوم : التفكير صحة الاعتبار .

وقال آخرون : الفكر ما ملأ القلوب من حال التعظيم لله عز وجل .

والفرق بين الفكر والتفكر ، أن التفكر جولان القلب ، والفكر وقوف القلب على ما عرف .

مسألة: في الاعتبار : قال الحارث المحاسبي أبو عبد الله بن أسد رحمه الله تعالى : الاعتبار استدلال الشيء على الشيء ، وقال قوم : الاعتبار ، ما وضع فيه الإيمان ، واستوفته العقول .

وقال قوم : الاعتبار ، ما نفذ في الغيب ولم يردّه مانع .
مسألة : ما النية ؟ قال قوم : النية العزم على الفعل ، وقال قوم : النية معرفة اسم العمل .

وقال الجنيّد رحمه الله تعالى : النية تصوير الأفعال ، وقال آخر : نية المؤمن ، الله عزّ وعلا

مسألة: ما الصواب ؟ قال قوم : الصواب التوحيد فقط
وقال الجنيّد رحمه الله تعالى : الصواب كل نطق عن إذن
مسألة : سئل الجنيّد عن الشفقة على الخلق ما هو ؟ قال : تعطيهم من نفسك ما يطلبون ، ولا تحمّلهم ما لا يطيقون ، ولا تخاطبهم بما لا يملكون
مسألة : في التقيّة ، قال قوم : استعمال الأمر والنهي ، وقال قوم : ترك الشبهات ، وقال قوم : التقيّة : حرّم المؤمن كما أن السكينة حرّم مكة ، وقال قوم : التقيّة : نور في القلب يفرق بها بين الحق والباطل

وقال سهل والجنيّد والحارث وأبو سعيد رحمة الله تعالى عليهم أجمعين : التقيّة : استواء السر والعلانية

مسألة في السر ، قال بعضهم السر : ما لا يحسّ به هاجس النفس ، السر ما غيبه الحق ، وأشرف عليه به ، وقال قوم : السر سرّان ، سرٌّ للحق ، وهو ما أشرف عليه بلا واسطة ، وسر للخلق ، وهو ما أشرف عليه الحق بواسطة ، ويقال : سر من السرّ لا سرّ ، وهو حق لا يظهر إلا بحق ، وما ظهر بخلق فليس بسر .

وحكى عن الحسين بن منصور الحلاج رحمه الله تعالى ، أنه قال : أسرارنا بكر
لا يفتضحها وهم وامم

وقال يوسف بن الحسين ، رحمه الله تعالى : قلوب الرجال قبور الأسرار^(١) .
وعنه أيضاً أنه قال : لو اطلع زرى على سرى قاعته .

[وقال بعضهم] شمر :

حاسل سير قد أسر جميعها وكلاهما في سيرها مشرور
ما سير مشرور يشير سيره منه إليه مساوياً مفرور

وقال آخر :

يا سير سير بدق حتى بخنق على وهم كل حتى
وظاهر باطن تجلى من كل شيء ليكل شيء

وقال النورى رحمه الله تعالى :

أعمري ما استودعت سري وميرها سوانا حذاراً أن تشيع السرائر
ولا لأخطئه مقلتاى بالخطئة فذشهد نجوانا العميون النواظر
ولسكن جملة الوهم بيني وبينه رسولاً فأدى ما تسكن الضمائر

فهذا ما حضرني في الوقت من مسائلهم ، ومسائل هؤلاء أكثر من أن
ينتهي ذكرها .

وقد حكي عن عمرو بن عثمان المكي ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : العلم كله
نصفان : نصفه سؤال ، ونصفه جواب ، والله التوفيق .

(١) وفي رواية : صدور الأحرار قبور الأسرار

كتاب المكاتبات والصدور والأشعار والدعوات والرسائل

باب في مكاتبات بعضهم إلى بعض

سمعت أحمد بن علي الكرجي رحمه الله تعالى يقول : كتب الجنيد إلى ممشاذ الدينوري رحمه الله تعالى كتاباً : فلما وصل الكتاب إليه ، قلبه وكتب على ظهره ، ما كتب صحيح إلى صحيح قط ، ولا افترقا في الحقيقة . وكتب أبو سعيد الخراز إلى أبي العباس أحمد بن عطاء رحمهما الله : يا أبا العباس تعرف لي رجلاً قد كملت طهارته ، وبرى من آثار نفسه عنه به له ، موقوف مع الحق بالحق للحق ، من حيث أوقفه الحق ، حيث لا له ولا عليه ، فالحق يعطيه امتحان له ، وامتحان للخلق به ؟ فإن عرفت لي هذا ، فدأني عليه حتى إن قبلني كنت له خادماً .

وكتب عمرو بن عثمان السكي رحمه الله كتاباً إلى بغداد ، إلى جماعة للصوفية بها فكان في كتابه : وإنكم لن تصلوا إلى حقيقة الحق ، حتى تجاوزوا تلك الطرقات المنطسة ، وتسلخوا تلك المفاوز المهلكة . فحضر عند قراءته الجنيد والشبل وأبو محمد الجري رحمه الله ، فقال الجنيد رحمه الله : ليت شعري من الداخل فيها ؟ وقال الجري : ليت شعري من الخارج منها ؟ وقال الشبل : يا ليتني لم يكن لي منها مشام الرياح .

وفيا ذكر عن الشبل رحمه الله ، أنه كتب إلى الجنيد رحمه الله كتاباً ، فكتب فيه : يا أبا القاسم ، ما تقول في حال علا فظهر ، وظهر فقهر ، وقهر فبهر ، فاستنوخ واستقر ؟ فالشواهد منطسة ، والأوهام خلسة ، والألسن خريسة ، والعلوم مندرسة ، ولو تكاثفت الخليفة على من هذا حاله ، لم يزد ذلك إلا توحشاً ، ولو أقبلت الخليفة إليه تمطفاً ، لم يزد ذلك إلا تبعداً ، فالخالص في هذا الحال قد صُفد بالأغلال

والأنسكال ، وغلبه على عقله فحل وحاد الحق بالحق ، وصار الخلق عقلا ، وكتب تحتها هذين البيتين :

يَا هِلَالَ السَّامِ الْإِطْرَفِ^(١) كَالِيلِ فَإِذَا مَا بَدَأَ أَضَا طَرْفِيهِ
كُنْتُ أُنْسِكِي عَلَى مِنْهُ فَمَا أَنْ تَوَلَّى بِكَيْتُ مِنْهُ عَلَيْهِ

قال : فترك الرقعة عنده من الأربعاء إلى الأربعاء ، وكتب تحتها : يَا أَبَا بَكْرٍ :
الله الله في الخلق ، كنا أخذ الكلمة فننشقها ، ونقرظها ، ونسكلم بها في السرايب
وقد جئت أنت فخلعت العذار ، بينك وبين أكابر الخلق ألف طبقة ، في أول
طبقة يذهب ما وصفت .

قال الشيخ رحمه الله ، وكنت بالرملة ، وكان بها إنسان هاشمي ، وله جارية
مشهورة بحسن الصوت ، والحادقة في القول ، فسالنا أبا علي الروذباري ، أن
يكتب إليه رقعة ، يستأذن لنا بالدخول عليها ، حتى نسمع منها شيئا ، فكتب
إليه على البديهة بحضرتي :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بَلْفَنِي - بَلْفَنِكَ اللَّهُ سَوَالِكَ ، وَأَعْطَاكَ مَأْمُولِكَ - أَنْ عِنْدَكَ
مِنْ مَنَاهِلِ الْوُرُودِ ، مِنْهَا لَا يَرِدُ عَلَيْهِ قُلُوبُ أَهْلِ الْوُجُودِ ، فَيُشْرَبُونَ مِنْهُ بِعَقْدِ الْوَفَاءِ ،
شَرَابًا يورثهم حقائق الصفاء ، فَإِنْ أُذِنَ لَنَا بِالْدُخُولِ عَلَيْهِ ، فَلَنَا عَلَى رَبِّ الْمَنَهْلِ
أَنْ يَرْزُقَ الْجُلُوسَ بِفَقْدِ الْأَغْيَارِ ، وَيُحْجِبَهُ عَنْ نَوَاطِرِ الْأَبْصَارِ ، وَنُحْيِيْنَا مَقْرُونِ
بِإِذْنِكَ وَالسَّلَامِ .

وسمعت أبا علي بن أبي خالد الصوري بصورة يقول : كتبتُ إلى أبي علي
الروذباري رحمه الله كتاباً ، وكتبت فيه هذين البيتين :

إِنْ كَتَمْتَنِي أَبَا عَلِيٍّ لِحُبِّيكَ فِرَارًا مِنَ التَّشَارُكِ فِيهِ
حَمْدًا رُوذْبَارُ مَاذَا عَلَيْنَا لَكَ حَقٌّ وَذَكَ مِنْهُ بَقِيهِ

(١) في رواية أخرى : كطرف . (٢) في رواية أخرى : السر

قال ثم استقبلني بعد ذلك بأيام ، وكان في يدي جزأ ، وأخذته من يدي وكتب على ظهره :

أغراك بالحبِّ حُبٌّ في تخيئه لطفُ الجنانِ وعطفٌ في تعثيه
يا ابنَ الصَّبَابَاتِ عن وِرْدٍ بلا صَدَرٍ نجمت صفوةُ الهوى في غيرِ مطلبه
قف تحتَ صَفْتِهِ بالودِّ منك له مُستَهْتَرًا بتباريحِ الشجونِ به

قال ومرض رجل من أصحاب ذى النون ، فكتب إليه : أن ادعُ الله لى ، فكتب إليه ذو النون رحمه الله : يا أخى سألتنى أن أدعو الله لك ، أن يزيل عنك النعم ؟ واعلم يا أخى أن المرض والعلّة يأنس بها أهل الصفاء ، وأصحاب الهمم والصفاء لأنها في حياتهم دركٌ للشفاء ، ومن لم يعد البلاء نعمة فليس من الحكماء ، ومن لم يأمن الشفيق على نفسه ، فقد أَمِنَ أهلَ التهمة على أمره ، فليكن معك يا أخى من الله حياء بمنحك من الشكوى والسلام .

وكتب رجل إلى ذى النون رحمه الله : آنسك الله تعالى بقربه . فكتب إليه ذو النون رحمه الله : أوحشك الله من قربه ، فإنه إذا آنسك بقربه ، فهو قدَرُكَ ، وإذا أوحشك من قربه فهو قدَرُهُ ، ولأنهاية لقدره حتى يتركك ملهوقاً إليه .

وسمعت جعفر الخَلَدِي رحمه الله يقول : سمعت الجُنَيْد رحمه الله تعالى يقول : دفع إلى سري السقطي رقعةً ، قل : هذا مكان قضائك لحاجتي . ففتحت الرقعة فإذا فيها مكتوب : سمعتُ حادياً في البادية يحدو ويقول :

أُبْكِ وَهَلْ تَذَرِينِ مَا يُبْكِينِ
أُبْكِ حِذَاراً أَنْ تُفَارِقِينِ
وَتَقْطَعِي وَضْلِي وَتَهْجُرِينِ

وقال الروذباري رحمه الله ، كتب إلى بعض أصدقائي : كتاني إليك كودتي لك ، نورٌ منك دلّ عيني عليك ، وحجبتها عن النظر إلا إليك ، والسلام .

وكتب أبو عبد الله أيضاً في كتاب إلى بعض أصدقائه : ما الذي أذاك إلى الصبوة ، بعد تمسكك من الخطوة ؟ وما الذي حداك على قطع حبيل الوصال ، بعد المحافظة على الاتصال ؟ أو ما علمت أن لورود السكتب فرحة تعذل فرحة القرب ؟ .

وكتب شيخ من الأجلة إلى بعض المشايخ : وجدى بك حماني عن الإشارة إليك ، وما بدا من قربك غيب عني مؤنة الذكر لك ، خفية ظاهرة ، وأعلامك زاهرة ، وسطوتك قاهرة ، ظهرت سطوتك فحنست معرفتي عند ظهورها ، وذهل عقلي عند درودها ، وقصر علمي عند شرح بيان ظهورها ، وقصرت عبارتي عند استيلاء حقيقتك بالسلام .

سمعت أبا الطيب أحمد بن مقاتل المكنى يقول : كتب أبو الخير التيناني إلى جعفر الخلدی رحمه الله كتاباً ، فكان فيه : وزرُ جهل الفقراء عليكم ، لأنكم ركتم إلى أبناء الدنيا ، واشتغلتم بأموركم فبقوا جهلة .

وقال يوسف بن الحسين رحمه الله : كتبت إلى بعض الحكماء ، وشكوتُ ركوني إلى الدنيا ، وما أجِدُ في طبعي من الأخلاق التي استأرضها من نفسي لنفسي ، فكتب إلى : بسم الله الرحمن الرحيم ، وصل كتابك ، وفهمتُ ما ذكرتُ ومُخاطبتك - أكرمك الله - شريكك في شكواك ، وناظيرك في بلواك ، إن رأيت أن تديم الدعاء وقَرَعَ الباب ، فإنه من قرع الباب ، ولم يعجز عن انقراع دخل ، وإن تهيأ لك ما تريد من الصفاء ، والطهارة ، فدع ما أنت فيه من البلاء ، من اعتراف مَساري . لا تُجِدْ عليك منفعة في دينك ، ولا دنياك ، وتجنب قرب من لا تأمن

على نفسك في مواصلة الغفلة ، والبطالة ، واستعن على ذلك كله بالقناعة والتجزي ،
وسأله أن يمن عليك بتوبة طهرى لا عملى ، والسلام .

وقال يوسف بن الحسين رحمه الله ، كتب حكيم إلى حكيم ، يسأله عما يؤديه
إلى صلاح نفسه ، فكتب إليه : إن فساد نفسى قد شغلنى عن صلاحك ، وأب
أجد في نفسى فضلةً لغيرها ، والسلام .

وقال : كتب أبو العباس أحمد بن عطاء رحمه الله إلى أبي سعيد الخراز رحمه الله
كتاباً فقال فيه : وأعلمك أن الفقراء وأصحابنا بمدك ، صاروا يناقرون بعضهم لبعض
فكتب إليه أبو سعيد رحمه الله : وأما ما ذكرت أن أصحابنا بمدى ، صاروا
يناقرون بعضهم لبعض ، فاعلم أن ذلك غيراً من الحق عليهم ، حتى لا يسكن
بعضهم إلى بعض .

وقال الروذبارى : كتب بعض المحبين إلى حبيبهِ بعاتبه : إن المودة لم تزل
موصولة ، فزُرْ بلادى ، وأكثر ودادى ، واحذر عُداء الحى أن يلقوك ، ولْيَظُنَّ
العُداء أنك جاف .

وكتب بعض المشايخ كتاباً ، فكان فيه هذا الفصل ، وأنا وجدته بخط جعفر
الخلندى : تفكّرْ في مرارة البين بمنعنى من التمتع بحلاوة الوصل ، وتكره عيني
أن تقرّ بقرْبك ، مخافة أن تسخن ببعْدك ، فلي عند الاجتماع كبد ترجف ، وعند
التفانى مقلة تكف ، وأقول كما قال الشاعر :

وَمَا فِي الدَّهْرِ أَشَقُّ مِنْ مُحِبٍّ * وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلُوَ الْمَذَاقِ
تَرَامُ بِأَكْيَا فِي كُلِّ حِينٍ * مَخَافَةَ فُرْقَةٍ ، أَوْ الْأُسْتِيقَاقِ
فَيَسْكَى إِنْ تَأَنَّى شَوْقاً إِلَيْهِمْ * وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا خَوْفَ الْفَرَاقِ
فَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّفَانِي * وَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِ

وحكى عن حسين بن جبريل المرندى رحمه الله ، وكان من المشايخ الأجلة ،
أنه قال : ورد على كتاب من مكة ، فقرأت على جماعة من أصحابنا ، وكان من

بعض تلامذته ، فكان في الكتاب : أعلمك يا شيخى أن أصحابك كلهم تراقبوا بعضهم مع بعض ، فبقيتُ بلا رفيق ، فرأيتُ يوماً في الطواف غزلاً يطوف فأعجبني ذلك ، فراقفته وكان لى قرصان شعيرٌ في كل ليلة ، قرصٌ لى وقرصٌ له ، فبقى معي أشهراً ليلها ونهارها ، فليلاً من الليالى لم أتفرغ للإفطار وتأخر ذلك ، فلما أردت أن أفطر ، فإذا به قد أكل القرصين ، فقلت : ونحك قد ظهرت منك الخيانة ، فرأيت دموعه تسيل على خده ، فذهب حياءً منى ، فأسألك أن تدعو الله تعالى أنت وأصحابك ، أن يردّه على

قال : وكتب شاه الكرمانى رحمه الله ، إلى أبى حفص رحمه الله : إذا رأيتُ أمرى كله مصيبةً ، فكيف أكون في مصائبى ؟ فكتب إليه أبو حفص رحمه الله : أليف مصائبك ، ولا تكن مع إلفك لمصائبك .

وفما حُكى عن ابن مسروق عن سري السقطى رحمه الله ، أنه قال : كتب إلى بعض إخوانى ، فكتبته إليه : يا أخى أوصيك بتقوى الله الذى يُسعد بطاعته من أطاعه ، وينتقم بمعصيته من عصاه ، فلا تدعونك طاعته إلى الأمن من عذابه ، ولا تدعونك بمعصيته إلى اليأس من رحمته ، جعلنا الله وإياكم حذرين من غير قنوط ، وله راجين من غير اغترار والسلام .

وكتب الجنيد رحمه الله كتاباً إلى على بن سهل الإصبهانى ، وكان فيه : واعلم يا أخى ، أن الحقائق اللازمة ، والقصود القوية المحككة ، والمزائم الصحيحة المؤكدة ، لم تُبق على أهلها سبباً إلا قطعته ، ولا معترضاً إلا منعتة ولا أترأى في خفى السرائر إلا أخرجته ، ولا تأويلاً موهماً لصحة المراد إلا كشفتهُ ، فالحقُ عندهم بصحة الحال مجرّداً ، والجد في دوام التأثير محدّداً على براهين من العلم واضحة ، ودلائل من الحق بيّنة .

قال الشيخ رحمه الله : فأما مكاتباتهم ، ومراسلاتهم أكثرُ من أن يتبهاً جمعها في الأجزاء الكثيرة ، وإنما ذكرنا هذا طرफاً على حسب ما أمكن في الوقت ، لأن

المراسلات الطوال نحو رسالة النورى إلى الجنيد رحمهما الله فى مسألة البلاء ، ورسالة
أبى سعيد الخراز إلى النورى ، ورسالة الجنيد إلى يحيى بن مُعَاذ ، وإلى يوسف بن
الحسين ، ومجاوِبتَهِمَا ، ورسالة عمرو السكى إلى ابن عطاء ، وغير ذلك ، لم يتهياً لنا
ذكره ، ولكن نذكر رسالة واحدة للجنيد إلى أبى بكر السكائى الديورى
رحمهما الله ، وهى مختصرة إن شاء الله تعالى .

رسالة الجنيد إلى أبى بكر السكائى رحمهما الله تعالى : أخى ابن محلك عند
تعطيل المشار^(١) ؟ وأين دارك وقد خربت الديار ؟ وأين منزلك والمنازل قاعٌ ضُفِصَتْ
قفار ؟ وأين مكانك والأما كن عواف دوارسُ الآثار ؟ وما ذا خبرك عند ذهاب
جوامع الأخبار ؟ فيم نظرك عند اصطلام محاضر النظر ؟ فيم فسركُك وليس بحين
نظر ولا افتكار ؟ وكيف هدوؤك على بحر الليل والنهار ؟ وكيف حذرُك عند وقوع
فواجع الأقدار ؟ وكيف صبرك ولا سبيل إلى عزاء ولا اصطبار ؟ فابكِ الآن إن
وجدت سبيلا إلى البكاء ، بكاء الوالهة الحزينة الموجعة الثكلى ، بفقد أعزة الألاف
وفناء أجلة الأخلاف ، وإيادة ما مضى من الا كتنف ، وذهاب مشايخ الاعتطاف
وورود بداية الاختطاف ، وروادف عواصف الارتجاف ، وتتابع قواصف الانتساف ،
وبواهر قواهر الاعتكاف ، وثواقب ملامح الاعتراف ، فإلى أين موثلك ، وإلى ما يبلغ
مصدرك ، والأحلام متمزقة ، والقلوب متصدعة ، والمقول منخلعة ، والأنباء كلها
مرتفعة ، وأنت فى أوابد مندمسة ، ونجوم منطمسة ، وسبل ملتبسة ، قد أضلكت فى
اختلاف سناجها ظلموها ، وانطبقت عليك أرضها وسمائها ، ثم أفضى بك ذلك
إلى لجة اللجج ، والبحر الزاخر الغامر المختلج ، الذى كل بحر دونه أو لجة ، فهو فيه
كتفلة أروجة ، فقد قذف بك فى كثيف أمواجه ، وتلاطم عليك بعظيم هوله
وارتجاجه ، فن مستنقذك من متلفات الممالك أو مخرجك مما هنالك ؟ كتابى إليك

(١) يشير إلى الآية القرآنية التى جاءت - مع آيات آخر - فى وصف هول يوم القيامة
وهى : وإذا المشار عطلت .

أبا بكر ، وأنا أحمد الله حمداً كثيراً ، وأسأله العفو والعافية في الدنيا والآخرة ، وصل
إلى منك كتبٌ فهمتُ ما ذكرتُ فيها ؛ ولم يمنعني من إجابتك عليها ما وقع في
وهلك ، وشق على ما ذكرت من غمك ، وليس حالك عندي حال معتوب عليه ،
بل حالك عندي حال مطوف عليه ، وبحسبك من بلاتك أن أكون سبباً للزيادة
في البلاء عليك ، وإني عليك لمشفق ، وإنما منعني من مكاتبتك ، لأني حذرت
أن يخرج ما في كتابي إليك إلى غيرك بغير علمك ، وذلك أرى كنت منذ مدة
كتاباً إلى أقوام من أهل إصهار ، ففتح كتابي ، وأخذت نسخه ، استعجم بعض
ما فيه على قوم ، فأتعبنى تخلصهم ، ولزمني من ذلك مؤنة عليهم ، وبالخلق حاجة
إلى الرقي ، وليس من الرقي بالخلق ملاقاتهم عما لا يعرفون ، ولا مخاطبتهم بما
لا يفهمون ، وربما وقع ذلك من غير قصد إياه ، ولا تعمده ، جعل الله عليك واقية
وجنة وسامنا وإياك فعليك ، رحمك الله ، بضبط لسانك ، ومعرفة أهل زمانك ،
وخطب الناس بما يعرفون ، ودعهم عما لا يعرفون ، قل من جهل شيئاً إلا عاداه ،
وإنما الناس كالإبل المائة^(١) : ليس فيها راحلة ، وقد جعل الله تعالى ، العلماء والحكماء
رحمة من رحمته ، وبسطها على عباده ، فاعمل على أن تكون رحمة على غيرك ، إن
كان الله قد جعلك بلاء على نفسك ، وأخرج إلى الخلق من حالك بأحوالهم ،
وخطبهم من قلبك على حسب مواضعهم ، فذلك أبلغ لك ولهم ، والسلام عليكم
رحمة الله وبركاته .

وقال الشيخ رحمه الله : وإنما وضعتُ في هذا الكتاب هذه الحِكَاية والرسالة
حتى يتأمل من ينظر فيه . ويستفيد منها بما فيها من الإشارات الصحيحة ،
والمعبرات الفصيحة ، ويقف على مقاصد القوم في مكاتبتهم ، لأن بين كل طائفة
من الناس مكاتبات ومراسلات ، على حسب ما يليق بهم . وبالله التوفيق .

(١) قوله : المائة لعليها : الهائجة

باب في صدور الكتب والرسائل

صدر للجنيّد ، رحمه الله : آثرك الله يا أخى بالاصطفاء ، وجمعت بالاحتواء ، وخصّك بعلم أهل النّهى ، وأطلعك من المعرفة على ما هو أولى ، وتمّم لك ما تريد منك له ، ثم أخلاصك منك له ، ومنه له به يُفردك في تقبّله لك ، بما يشهدك ، من حيث لا يلاحظك شاهد من الشواهد يخرجك ، فذلك : أول الأول الذى يحابه رسوم ما ترادف مما غيبه به عنك بعنو ما استتر به منه له ، ثم أفردك منك لك ، في أول تفريد التجريد ، وحقيقة كائن التفريد ؛ فكذلك إذا انفرد بذلك أباد وأفنى الإبادّة ماسلف من الحق من الشاهد بعد إفناء محاضر الخلق ، فعند ذلك يقع حقيقة الحقيقة من الحق للحق ، ومن ذلك : ما جرى بحقيقة علم الانتهاء إلى علم التوحيد على علم تفريد التجريد ، فقد عزّزه الله وحجبه عن كثير من يتحقّله ويدعيه ، ويتحقّقه ويصطفيه .

صدر آخر : موتك حقيقة الاختصاص عن لوائح الانتقاص ، وآواك الحق في خفي من الملاحظة لحظك شعلا بالإجلال له عن ذكر نفسك وحالك في أوان ذكره ، ثم أذكرك أنه ذكرك في قديم الأزل قبل حين البلوى ، وقبل حال البلوى ، إنه فعال لما يشاء ، وهو قدير .

صدر آخر : أكرمك بطاعته ، وخصّك بولايته ، وجملك بسعته ، ووفّقك لسنة نبية صلى الله عليه وسلم ، وأطلعك على فهم كتابه ، وأنطقك بالحكمة ، وأنسك بالقرب ، وخصّك بالفوائد ، ومنحك الزيادات ، وألزمك بابه ، وكفّك خدمته ، حتى تكون له موافقاً ، ولسكأنس محبته ذاتقاً ، فيتصل العيش بالعيش ، والحياة بالحياة ، والروح بالروح ، فتتمّ النعمة ، وتسلم من العقبة ، فتصح العافية ، وتكمل السلامة .

صدر آخر . بدت لك عجائب مافي الغيوب من أنبيائها ؛ وكشفت لك عن حقائق ما تكن من أكنانها ، وأوضحت لك عن سر غرائب إخفائها ، وخطبتك بكل ما كن من عطاياها ، بلسانه الذي ينطق به عن خفي مكانه ، فأوضح منطق يوضح عن حكم بيانه ، ليس بما صرح به من الفصح من لسانه ، لكن بما أوقفه الحق من مراد إعلانه ، وذلك : غير كائن قبل حينه وأوانه ، والمراد بفهم ذلك : هو المفرد الموجود من أهل دهره وزمانه .

صدر آخر : حاطك الله بحياطته التي يحوط بها المستخلصين من أحبابه ، وثبتك وإيانا على سبل مرضاته ، وأولج بك قباب أنسه ، وأرقاك في رياض فنون كرامته ، وكلاك في الأحوال كلها كلاءة الجنين في بطن أمه ، ثم أدام لك الحياة المستخلصة من قيمومية الحياة على دوام ديمومية أبديته ، وأفردك عما لك به وعما له بك ، حتى تكون فرداً به في دواصها ، لأنك ولا مالك ولا العلم به ، ويكون الله وحده .

هذه الصدور كلها للجنيّد ، رحمه الله ، وفيها إشارات لطيفة ، ورموز خفية ، تعبر عن الحقائق المشكّلة وتنبئ عن المراتب والخصوصية التي تنفرد بها هذه العصابة في تجريد التوحيد ، وحقيقة التفريد ، فن نظر فيه فلي تأمل ، فإن فيه لأهل الفهم فوائد ، ولأهل العناية بهذا العلم زوائد ، وعلى القلوب من المعرفة بذلك جميل عوائد ، والله الموفق للصواب .

ولنبر الجنيد صدور حسنة ، أذكر من ذلك طرفاً إن شاء الله .

صدر لأبي عليّ الروذباري ، رحمه الله : آنسك الله في كمال الأحوال ونماها ، وبلوغ الغايات ونظامها ، وآنس بك قلوب أهل مصافاتك وموالاتك ، في دوام فضلك ومعافاتك ، وجعل لك ما اتضح لك موصولاً بك في حياتك ، وبعد وفاتك ، ومن علينا بما يقصر عنه بلوغ الآمال ونهاية الأحوال ، وزادك من فضله الذي عودك من برّه وأطافه وإحسانه ، والله عن علينا في ذلك بما نرجوه .

صدر لأبي سعيد ابن الأعرابي : كلاًكم الله كلاءة الوليد ، وألحقنا وإنا كم
بصالح العبيد ، الذين كشف عن قناع قلوبهم ، فشهدوا الوعد والوعيد ؛ فمن كان
منهم خائفاً فالرجاء منهم غير بعيد ، ومن كان منهم راجياً فالخوف في قلبه عتيد ،
فهم بمحبته صائلون ، ولهيئته خاضعون ، بسطتهم المحبة والرجاء أن يكونوا قانطين ،
وقبضهم الخوف أن يكونوا مخدوعين أو آمنين ، فهم بين الخوف والرجاء واقفون ،
فقد ألقمهم الشوق ، وأزججهم الذوق ، فحسن الظن قاندهم ، وخوف الفتوت سائقهم ،
والتوفيق رائداهم ، والحب مطيئهم ، طالبين مطلوبين ، منورة لهم أعلام الطريق ،
معمورة لهم المناهل تلوح لهم بالموائد ، منقلبين بالطرف والفوائد .

صدر آخر له : أمانك الله عنك ، وأحياك به وأيدك بالفهم ، وفرغ قلبك من كل
وم ، وأفذك بالقرّب عن المسافة ، وبالأنس عن الوحشة .

صدر آخر له : كلاًكم الله كلاءة الوليد المرحوم ، وحفظك حفظ الولي المصوم ،
ووهب لك معرفة ما أنعم به عليك ، واستخرج منك ما جبلك عليه ، وحجبتك عن
نفسك القاطعة دونه ، وكفأك عواقبها وبواطنها ورؤية عمالك ؛ وآثار سعيك ،
وتركية نفسك ، وأعتقك من رقها ، وكفأك عوارض تحيرها ، وفضول تكلفها ؛
واستخلصك لنفسه منها ، ليحقق فيك العبودية ، فيزكو عملك وإن خف ، وينمو
سعيك وإن قل ، وتطليب حياتك وإن مت ، حتى يوصلك بالحياة التي لا موت
فيها ، والبقاء الذي لا فناء بعده ؛ وتولى أمرك بالحسنى في عواقبها ، كما كفأك التحير
في أوائلها ؛ إنه ولي التمام لما ابتداء .

صدر لأبي سعيد الخراز : عصمك الله بذركه عن نفسك ، وكاشفك بشكره عن
وصفك ، وقسم لك من العلم به في فعلك ، حتى تكون ممن جمع له حبل الرشاد
وأعلى في ذلك مكانك ، وكوشفت في ذلك بالبيان ؛ وأنا أسأل الله تعالى : أن
يجمع لك من نفسك ما فرق ، ويبين عنك منها ما جمع ، إنه الولي لذلك
والتقادر عليه .

صدر آخر له : حماك الله عن نفسك بذكره ، وصدقك في ذلك بشكره ، ولا أخلاك في ذلك بإقباله ، وقسم لك من جزيل نواله ، وأعاذك من شديد محاله ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

صدر آخر له ، وأظنه للخراز : قسم الله لك من العلم الرفيع ، وأفردك في الذكر المنيع ولا أخلاك من رعايته ، وأفردك بولايته ، وتولاك فيما استرعاك ، وكان لك في ذلك وكفك ، وأقبل عليك وشفاك ، وقسم لك من ذكره ووالاك ، وآنسك بطاعته وأعلاك ، ولا وكلك إلى نفسك وهواك .

صدر للسكردي الصوفي الأرموي : منحك الله بما به منحك ، وحماك عن طويات الصفات بالإجابة لمن رتب الرويات ، وحماك عنك ، بشاهد ما فيه بذاك ، وعظيم ما به ابتدأك ، وأحلك في محل التجلية لما أراد ولما به أريد ، وأظلمهم واقع براءة التسليم [التي] تحوى أسرارهم لمن يفاني ، فتسرى همومهم لمن يعانى ، قد باشروا منه ما له استبشروا ، وفي ميادين محبته انتشروا ، ألمأبهم سواطع أنوار التوحيد ، ولوامع التجريد ، بائين عما له وبه بانوا ، فهم كالذى كانوا .

صدر كتاب للدققي ، رحمه الله : هناك الله كرامته ، فأنت غيث لأهل مودته ، وكهف لأهل موافقته ، ودال على معرفته ، ومنتسب إلى وحدانيته ، ونخب من عنه به ، ومن اصطنعه لنفسه في قديم أزايته ، وأظلمه على مكنون سره ، وأشهده مجازى قدرته ، وأنطق لسانك بحكمته ، وأقنمك لدلائله ، وجعلك معياراً على المريدن ، والمحققين البالغين ، المتأهبين بحسن استبانتهم ؛ إنه ولي ذلك ، ولا سبيل إليه إلا به ، والسلام .

صدر آخر للدققي : أكرمك الله وأعلاك ، وقربك بعطائه وأدناك ، وقسم لك من نواله وأرضاك ، وأعاذك من بلائه وشفاك ، وتولاك فيما ألزمتك وكفأك ؛ إنه ولي قدر ، ذورافة لمن التجأ إليه ، ومهيم على من استند إليه ، نموذ بالله لنا ولك من كل بلية ، ونستعيذه ونستغفره من كل خطية .

صدر آخر . تودّد الله إليك بمطفه ، ولا أخلاك من نائله واطفه ، وأعاذك من
بلائه وعنفه ، ولا حجبتك بفعلك عن ذِكْره ، ولا سترك بعملك عن شُكْره ،
إنه وليّ قديرٌ .

صدر آخر ، عصمتك الله بما عصم به المتقين ، وأودعك من العشق السليم ،
وكشفك بذِكْره الرفيع ، وآنسك بدوام إقباله عليك ، إنه وليّ قدير .

قال الشيخ ، رحمه الله : والدبى حملنا على جمع هذه الرسائل والصدور
والمكاتبات في هذا الكتاب : ما أودع فيها من المعاني والإشارات ، لينظر الناظر
فيه ، ويستدل بذلك على مراتب القوم ، واطائف إشاراتهم ، وطهارة أسرارهم ،
وخصوصيتهم بالفهم ، والعلم ، والعقل ، والأدب ؛ لأن من عادة أهل المعرفة والأدب
أن يعرفوا أشكلهم بمخاطباتهم ، وأشعارهم ، ومكاتباتهم ، إذا قاتهم المجالسة والمخاطبة
وبالله التوفيق .

باب في أشعارهم في معاني أحوالهم وإشاراتهم

حكى عن يوسف بن الحسين أنه قال : سمعت بعض الثقات يحكى عن
 ذى النون المصري ، رحمه الله ، أنه قال :

إذا ارتحل الكرامُ إليك يوماً ليلتمسوك حالا بعد حالٍ
 فإنَّ رحالنا حُطَّتْ رِضاءُ بحمك عن حُلُولِ وارتحالٍ
 أخفنا في فناءك يا إلهي إليك مُفَوِّضِينَ بلا اعتلالٍ
 فَسُنَّا كيف شئتَ ولا تَبْكُلنا إلى تديبرنا يا ذا العِلى

ولذى النون ، رحمه الله أيضاً :

مَنْ لاذَ باللهِ نجا باللهِ وَسَرَّهُ مَرُّ قضاءِ اللهِ
 إن لم تكن نفسى بكف الله فكيف أنقادُ لحكمِ اللهِ
 لله أنفاسُ جرتُ لله لاحولُ لى فيها بغيرِ اللهِ

أنشدنى أبو عمرو بن علوان للجنيـد ، رحمه الله ، هذه الأبيات :

تقرَّبُ أمرى عند كلِّ غريبٍ فصرتُ عجيباً عند كلِّ عَجيبٍ
 وذلكَ لأنَّ العارفينَ رأيتهمُ على طبقاتٍ فى الهواءِ رُتوبُ
 فأصبحَ أمرى ليسَ يُدركُ غوره سِوَى أنى للعارفينَ خطيبُ

وللجنيـد ، رحمه الله ، فى الاحتراق والتعذيب :

يا مُوقِدَ النارِ فى قلبى بقدرتهِ لو شئتَ أطفأتُ عن قلبى بك النارِ
 لا عارَ إنِ مِتُّ من خوفٍ ومن حذرٍ على فمالكِ بى لا عارَ لا عارا
 وله أيضاً :

يا مُشعِرى أسفاً يا مُتلفى شغفاً لو شئتَ أنزلتَ تعذيبى بمقدارِ
 حاشاك من استغاثاتى فكيف وقد أوليتنى نعماً طاحتْ بأذكارِ

سمعت أحمد بن علي الوجيبي بالرملة يقول : كتب أبو الحسين النوري كتاباً
إلى أبي سعيد الخراز ، رحمه الله ، فكتب فيه هذه الأبيات :

لَعَمْرِي مَا اسْتَوْدَعْتُ سِرِّي وَسِرَّهُ سَوَانَا حَذَاراً أَنْ تَشِيعَ السَّمَرَاتُ
وَلَا لَاحِظَتُهُ مُقْلَتَايَ بِنَظَرَةٍ فَتَشْهَدَ بِجَوَانَا الْقُلُوبُ النَّوَاطِرُ
وَلَسَكُنْ جَمَلْتُ نَوَاحِي بَيْتِي وَبَيْنَهُ رَسُولَا فَأَدَى مَا تَسْكِنُ الضَّمَائِرُ
وَأُنْشِدُ الْقَنَادَ لِأَبِي الْحُسَيْنِ النَّوَرِيِّ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، بِصِفِ فَقْدِ حَالِهِ وَبَيْنَاهُ :

أُنَمِّي إِلَيْكَ إِشَارَاتِ الْقُلُوبِ مَعَا لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا دَارِسُ الْعِلْمِ
أُنَمِّي إِلَيْكَ قُلُوباً طَالَ مَا هَطَلَتْ سَحَابُ الْجُودِ مِنْهَا أُبْحَرُ الْحِكْمِ
أُنَمِّي إِلَيْكَ نَفُوساً طَاحَ شَاهِدُهَا فِيمَا وَرَا الْحَيْثُ بَلْ فِي شَاهِدِ الْقَدَمِ
أُنَمِّي إِلَيْكَ أَسَانَةَ الْحَقِّ مُذْ زَمَنَ أَوْدَى وَأَذْكَارُهُ فِي الْوَمِّ كَالْعَدَمِ
أُنَمِّي إِلَيْكَ بَيَانًا تَسْكِنُ لَهُ أَسْمَاعُ كُلِّ فَصِيحٍ مِقُولَ قَهْمِ
أُنَمِّي وَحَقِّكَ أَخْلَاقًا لِعَاطِفَةٍ كَانَتْ مَطَايِمُهُ فِي مَكْنِ السَّكْظَمِ

قال الشيخ ، رحمه الله : أنشدني جعفر الخلدي للجنيدي ، رحمه الله ، هذين

البيتين :

مَالِي جُفَيْتُ وَكُنْتُ لَا أَجْنَى وَدَلَائِلُ الْمَجْرَانِ لَا تَخْفَى !
وَأَرَاكَ نَسَقِيَنِي وَتَمَزُّجُنِي وَقَدْ عَهْدَتْكَ شَارِبِي صَرْفَا

وفيما ذكر عبد الله بن الحسين ، قال : سمعت أحمد بن الحسين البصري يقول :

خَضِرْتُ مَجْلِسَ الْجَنِيْدِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ مَسْأَلَةً ، فَأَنْشَدَ :

نَمَّ عَلَى سِرِّ وَجْدِهِ النَّفْسُ وَالْدَمْعُ مِنْ مُقْلَتِيهِ يَنْبَجِسُ
مُدَّةً هَائِمَةً لَهُ حَرَقٌ أَنْفَاسُهُ بِالْحَيْنِ تَخْتَلِسُ
مَهْزُوبٌ عَارِفٌ لَهُ فُطْنٌ مِنْ نَوْرِ أَنْسِ الْحَبِيبِ يُقْبَسُ
يَا ، بِأَبَى الْأَشْمَثِ التَّرِيْبُ قَتَى لَيْسَ لَهُ دُونَ سُؤْلِهِ أَنْسُ

يا ، بأبي جسمه الزكي وإن كان عليه خَلِيقٌ دَنَسُ
قال : وأنشدني أبو بكر الدقي بدمشق قال : أنشدني أبو علي ، أحمد بن محمد
الروذباري ، رحمه الله ، لنفسه :

حدُّ القناعةِ نحوُ الكلِّ منك إذا لاحَ المزيدُ بجدِّه عنه مُطْلِعُ
فإنْ تحققَ وصفُ الوجدِ مُشْتَمِلًا على الإشاراتِ لم يَلَوِ على الطمعِ

قال : وأنشدني الوجيبي قال : أنشدني أبو علي الروذباري لنفسه :
كُتِبَتْ إليكم بماءِ الجفونِ وقلبي بماءِ الهوى مُشْرَبُ
وكفَى نَحْطُ وقلبي يَمَلُّ وعينايَ تمحو الذي تكتبُ
قال : وأنشدني أبو عبد الله ، أحمد بن عطاء الروذباري لخاله أبي علي ،
رحمه الله :

تأملَ منْ بعدِ تأمِيلِهِ حُلُولَ فَنَائِكَ صَفْوُ الوصالِ
موانعَ عنِ احتواءِ الوصالِ إليك منِ الوصلِ في كلِّ حالِ
على أنْ يَرُدَّ عليكِ الصفاتِ بنعتِ التمكنِ عندَ الكمالِ
فاقنعِ بقنمته أنْ تَراءُ قُنْتُ مَدَى لحظه في النوالِ
وله :

إني أَجِلُّكَ عن رُوحِي وأبذلُها فداءَ عبدِكَ رُوحُ أَنْتَ واهبُها
وكيفَ تَفْدِيكَ رُوحُ أَنْتَ واهبُها وقد مَنَنْتَ على من يفتديكَ بها !!
قال : وأنشدني أبو بكر : أحمد بن إبراهيم المؤدب البيروني بمصر للخواص
رحمه الله :

صبرتُ على بعضِ الأذى خوفاً كله ودافعتُ عنِ نفسي لنفسي فَعَزَّتْ
وجرَّعتها المكروه حتى تَدَرَّبَتْ ولو جرَّعته جملَةً لا شَمَّازَتْ
ألا رَبُّ ذُلِّ ساقِ للنفسِ عِزَّةَ ويا رَبُّ نفسٍ بالتعزُّزِ ذَلَّتْ

إِذَا مَدَدْتُ الْكَفَّ الْتَمِسُ الْغِنَى إِلَى غَيْرِ مَنْ قَالَ أَسْأَلُونِي فَشَلَّتِ
سَاصِرُ نَفْسِي إِنْ فِي الصَّبْرِ عِزَّةٌ وَأَرْضِي بِدُنْيَائِي وَإِنْ هِيَ قَلَّتِ
وَأَنشَدَنِي أَبُو حَفْصٍ عَمْرَ الشُّنْشَاطِي بِالرَّمْلَةِ لِلخَوَّاصِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ :

لَقَدْ وَضَحَ الطَّرِيقُ إِلَيْكَ قَصْدًا فَا أَحَدُ أَرَادَكَ بَسْتَدِلُّ
فَإِنْ وَرَدَ الشِّتَاءُ فَأَنْتَ صَيْفٌ وَإِنْ وَرَدَ الْمَصِيفُ فَأَنْتَ ظِلُّ
قَالَ عَمْرٌ : مَعْنَاهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ : « كَلَّا إِنْ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِي »
وَلَسْمَتُونِ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ : سَمَنُونَ الْمُحِبَّ بِعَيْفٍ ، الْوَجْدُ :

هَبْنِي وَجَدْتُكَ بِالْمَلُومِ وَوَجِدَهَا مِنْ ذَا بِحْدِكَ بِلا وَجُودٍ يَظْهَرُ
أَبْقَظَتْنِي بِالْمِلْمِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي حَزِيرَانٍ فِيكَ مَلَدًا لَا أَبْصُرُ
يَا غَائِبًا وَاللَّهِ مُرُّ يَبْرُزُ عِزَّةٌ مَا لَاحَ مِنْكَ صَغِيرَةٌ قَدْ يُبْهِرُ
قَدْ كُنْتُ أَطْرَبُ لِلوُجُودِ مُرَوَّعًا طَوْرًا يُفَيِّئُنِي وَطَوْرًا أَحْضَرُ
أَفْتَى الْوُجُودَ بِشَاهِدٍ مَشْهُودُهُ يُفْنِي الْوُجُودَ وَكُلَّ مَعْنَى بِحْضَرُ
وَطَرَحْتَنِي فِي بَحْرِ قَدْصِكَ سَابِحًا أَبْنِيكَ مِنْكَ بِلا وَجُودٍ يَظْهَرُ
وَلَهُ :

شَفَلْتُ قَلْبِي عَنِ الدُّنْيَا وَقَدَّرْتُهَا فَأَنْتَ فِي الْقَلْبِ شَيْءٌ غَيْرُ مُفْتَرَقٍ
وَمَا تَطَابَقَتْ الْأَجْفَانُ عَنْ سِنَتِهِ إِلَّا وَجَدْتُكَ بَيْنَ الْأَجْفَنِ وَالْحَدَقِ
أَخْبَرَنِي جَمْفَرُ الْخَلْدِيِّ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَمَا قَرَأْتُ عَلَيْهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ الْجَنْتِيْدَ ،
رَحِمَهُ اللَّهُ ، يَقُولُ : كَانَ أَبُو الْحَسَنِ سَرَى السَّقَطِيِّ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، كَثِيرًا يُنْشَدُ
هَذِهِ الْآيَاتُ :

وَلَمَّا دَعَيْتُ الْحُبَّ قَالَتْ : كَذَبْتَنِي فَالِي أَرَى الْأَعْضَاءَ مِنْكَ كَوَاسِيَا
فَا الْحُبُّ حَتَّى يَلْصُقَ الْجِلْدُ بِالْحَشَا وَتَذُبُّلٌ حَتَّى لَا تُجِيبَ الْمُنَادِيَا
(٢١) - (العلم)

وَتَنَحَّلَ حَتَّى لَا يُبْقَى لَكَ الْهَوَى سَوَى مُقْلَةٍ تَبْكِي بِهَا أَوْ تُنَاجِيَا
قال الجنيد ، رحمه الله : دخلتُ غُرْفَتَهُ وهو يَكْنُسُ بيته بخرقة ويقول :

وَمَارُمْتُ الدُّخُولَ عَلَيْهِ حَتَّى حَلَلْتُ مَحَلَّةَ الْعَبْدِ الذَّلِيلِ
وَأَغْضَيْتُ الْجَفُونَ عَلَى قَذَاهَا وَصُنْتُ النَّفْسَ عَنْ قَالَ وَقِيلِ

قال : وكان يقول كثيراً هذا البيت :

مَا فِي النَّهَارِ وَلَا فِي اللَّيْلِ لِي فَرَجٌ فَمَا أَبَالِي أَطَالَ اللَّيْلُ أَمْ قَصُرَا

أُشَدَّنِي أَبُو عَمْرٍو الزَّيْجَانِي ، بتبريز قال : كان الشُّبْلِي ، رحمه الله يقول :

عند موته :

قَالَ سُلْطَانُ حُبِّهِ : أَنَا لَا أَقْبَلُ الرَّشَا
فَلَوْهَ قَدَيْتُهُ لِمَ قَتَلِي تَحَرُّشَا

وله :

أَظَلْتُ عَلَيْنَا مِنْكَ يَوْمًا غَمَامَةً

أَضَاءَتْ لَنَا بَرْقًا ، وَأَبْطَى رِشَاشَهَا

فَلَا غَيْمُهَا يَجْلُو فَيَأْبَسَ طَامِسٌ وَلَا غَيْثُهَا يَأْتِي فَيَرْوِي عِطَاشَهَا

ثم قال للنَّسَاج : أين موضعك من هذا ؟ قال : بحيث القل ، فقال : آه تذكر

الذل بحضرتي ، غيرة منه على المكان ! ثم أنشأ يقول :

لَقَدْ فَضَّلْتُ لَيْلِي عَلَى النَّاسِ كَالْتِي عَلَى أَلْفِ شَهْرٍ فَضَّلْتُ لَيْلَةَ الْقَدَرِ

فِي حُبِّهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ وَيَا سَلَوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدُكَ الْحُمْرُ

وقال الشُّبْلِي ، رحمه الله ، في مجلسه يوماً :

وَعَيْنَانِ قَالَ اللَّهُ : كَوْنَا فَكَانَتَا فَمَوْلَانِ بِالْأَبَابِ مَا تَفْعَلُ الْحَمْرُ

ثم قال : لستُ أعني العيون الثَّجَلَّ ولكني أعني عيون القلوب ذوات الصدور !

فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ لَهُ عَيْنٌ فِي قَلْبِهِ ، وَأُذُنٌ وَاعِيَةٌ ، وَأَلْفَاظُ مَرْضِيَّةٌ .

قال الشيخ ، رحمه الله : وسألتُ بعض المشايخ عن الدعاء ، ما وَجَّهه لأهل التسليم والتفويض ؟ فقال : يدعو الله ، عز وجل ، على وجهين : أحدهما يزيد بذلك تزيين الجوارح الظاهرة بالدعاء لأن الدعاء ضرب من الخدمة يريد أن يزين جوارحه بهذه الخدمة ، والوجه الثاني أن يدعو اثماراً لما أمره الله تعالى بالدعاء .

دعاء للجنيد ، رحمه الله تعالى ، إلهي ، سيدي ، ومولاي ، من أحسنُ منك حُكماً لمن يقن بك ؟ ومن أوسع منك رحمة لمن اتقاك وقصدك ؟ ومن أسرع منك عطفاً ورأفة لمن أراذك وأقبل على طاعتك ؟ فكلهم في نعمائك يتقلبون ، ولك بفضلك عليهم يعبدون ، سرت همومهم بك إليك ، وانفردت إرادتهم لديك ، وأقبلت قلوبهم بك عليك ، وفنيت حظوظهم من دونك واجتمعت لك وحدك ، فهم إليك في الليل والنهار متوجهون ، وعليك في كل الأحوال مقبلون ، ولك على الأحوال مؤثرون ، فأنا أسألك إلهي وسيدي ومولاي أن تكون لي بفضلك كالئاً كافياً حاصاً راحماً ، فإني إليك لآحر ، وبك مستغيث ، وإليك راغب ، ومنك راهب وعليك في أمور الدنيا والآخرة متوكل ، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين .

فهذه طرف من دعواتهم في معاني مقاصدهم وأحوالهم ، مختصرٌ لمن أراد أن يظفر فيها ، ويتبرك بذلك ، وبالله التوفيق .

باب في وصاياهم التي أوصى بها بعض لبعض

قال بعض المشايخ : قلتُ لرؤيم ، رحمه الله : أوصني بوصية ، فقال لي : يا بني ليس غير بذل الروح ، فإن قدرت على ذلك وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية . واجتمع أصحاب يوسف بن الحسين عند يوسف ، رحمه الله ، فقالوا له : أوصنا ، فقال : اقتدوا بجميع ما رأيتم مني إلا اثنيين : لا تستدينوا على الله تعالى ، ولا تصحبوا المردان .

وقيل لسرى السقلى رحمه الله : أوصنا بشيء ، فقال : لا تستدينوا على الله تعالى ولا تنظروا في وجوه المُرَد .

وقال رجل لأبي بكر البارزى : أوصني ، فقال : احذر ألفتك ، وعادتك ، والسكون إلى راحتك .

وقال أبو العباس بن عطاء ، رحمه الله ، في بعض وصاياه لإخوانه : احذروا أن تكون غمومكم من أجل ما يظهر لكم ، وعليكم بما شاء الله دون ما تشامون وعن جعفر الخلالى ، رحمه الله ، أنه قال : كان الجنيد رحمه الله يوصى لرجل ، ويقول : قدّم نفسك وأخر عزمك ، ولا تقدم عزمك وتؤخر نفسك فيكون فيها إبطاء كثير .

ووجدت في كتاب لأبي سعيد الخراز ، رحمه الله ، يوصى مريداً أو صديقاً له فيقول : يا أخى ، خالص أصحابك مخالعة ، وخالط أهل الدنيا مخالطة ، شاهدكم بظاهرك ، وخالفهم بفعلك ، ودينك لا تقلب ، إن ضحكوا فابك ، وإن فرحوا فاحزن ، وإن استراحوا فاجتد ، وإن شبعوا فتنجوع ، وإن ذكروا الدنيا فاذكر الآخرة واصبر على قلة الكلام والنظر والحركة والطعام والشراب واللباس حتى يسكنك الله من الفردوس حيث يشاء برحمته ؟

وقال أبو سعيد الخراز ، يوصى بوصية لبعض أصحابه : احفظ وصيتي أيها المريد

سمع ، ففتح رأس البئر ونزل ، فتعلق أبو حمزة برجله ، فأخرجه من البئر ،
فسمع هاتفاً يقول : هذا حسنٌ يا أبا حمزة : نجيتك من التلف بالتلف : من البئر
بالسمع ، فقال عند ذلك :

نهاني حباي منك أن أكتنم الهوى وأغنيتني بالقهم منك من الكشف
تلطفت في أمري فأبديت شاهدي إلى غائب واللفظ يدرك باللفظ
ترأيت لي بالغيب حتى كأنما تبشّرني بالغيب أنك في الكف
أراك وبى من هيبتي لك وحشة فتوانسني باللفظ منك وباللفظ
وتعني محباً أنت في الحب حتفه وإذا عجب كون الحياة مع الخلف

ولأبي نصر بشر بن الحارث ، رحمة الله عليه :

لا تمنعني لوحدني وتفردي ومن التفرّد في زمانك فازدري
ذهب الإخاء فليس ثم أخوة إلا التملق باللسان وباليد
فإذا تكشّف لي بما في قلبه عاينت ثم تقيع سم الأسود

وليوسف بن الحسين الرازي ، رحمة الله عليه :

أحب من الإخوان كل مؤاني وكل غصبي الطرف عن عثراني
يوافقني في كل أمر أحبّه ويحفظني حياً وبعد وفائي
فن لي بهذا ليتني قد وجدته تقاسمته مالى ومن حسناني

ولأبي عبد الله القرشي ، رحمة الله عليه :

وأنت خليط النفس في كل شأنها ولكن نفس الذات منك مبينة
تخامرّها حتى كأنك أنها وتنفق قواها فالقوى بك فانية
يعارضها الواشون فيك بكل ما يعلقها في سرّها والعلانية
وبلغتها ما كنت أنت لها به فتذرهم في كل ما كان كائنه

لَقَدْ قَرَحْتُ أَمَاقَهَا فِيكَ مَرَّةً وَقَدْ قَرَحْتُ مِنْهَا السَّوْبِدَاءُ ثَانِيَةً

وكتب أبو عبد الله الميكنلي إلى أبي عبد الله القرشي ، رحمه الله تعالى :

ذَاتُ هَوِيَّتُهُ تَكُونُ مَذْكُورَةً مَعْرُوفَةٌ تَحْتَ الْخَوَاطِرِ مُنْكَرَةً
لَا تَحْتَلِي عَيْنُ الْعُقُولِ ضِيَاءَهَا فَلَهَا بِهَا الْأَبْصَارُ عَنْهَا مُبْصَرَةٌ
وَأَعَزُّ مَتَمِّعٍ مَكَانُ تَنَاوُلِهِ مِنْهَا عَلَى مَنْ لَا يَرَاهَا مُخْبِرَةٌ
سُبُلُ الْمَعَارِفِ كُلُّهَا إِلَّا بِهَا مَسْدُودَةٌ عَنْهَا الْمَذَاهِبُ مُقْفِرَةٌ
فَإِذَا عَلِقَتْ بِهَا وَغَبَتْ بِمِيزَانِهَا عَنْهَا تَجَلَّتْ لِلْعُقُولِ مُخْبِرَةٌ

ولأبي سعيد الخزاز ، رحمه الله عليه :

قَلْبٌ يُجْبِكُ لَا يُبَوِي إِلَى أَحَدٍ تَكَادُ هِمَّتُهُ تَلْقَاكَ بِالْمُسْبِرِ
فَوَادُهُ بِكَ مَشْفُوفٌ وَمُهَبَّتُهُ تَذُوبٌ مِنْ قَلْقِ الْقَرِيبِ وَالنَّظَرِ
قَلْبٌ بِهَا نَجْتِي الْأُذْهَانَ فُطْنَتُهُ إِذَا تَمَّتْ بِكَ يَا عَزَى وَمُفْتَحِرِي
مُرَبَّجَاتٍ مِنَ الشَّجْوَالِ دَفِينِ لَهَا كَوَامِينُ جُمِعَتْ فِي السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
سُبْحَانَ مَنْ لَوْ بَشَا أَبْدَى عَجَائِبِهَا حَتَّى تَرَى سِرَّهَا فِي الْوَجْهِ كَالْقَمَرِ

جواب أبي عبد الله القرشي للميكنلي ، وهو فيما قيل : قول أبي سعيد الخزاز :

إِذَا أَلَسَ الْحَقُّ الْحَقَّ حَقِيقَةً مِنْ الْوَجْدِ بَانَتْ عَنْ نَعْوَتِ السَّرَائِرِ
وَلَيْسَ لِأَنَّ السَّرَّ سُمِّيَ بِمَا يَلِي عَلَيْهِ بِهِ لَكِنَّ أَوْصَافَ قَادِرِ
وَلَا تَابَ عَنْ مَكْنُونِهَا لَفْظَ عَارِفٍ وَلَكِنْ بِتَمَثُّلِ اللَّطِيفِ الْمَآثِرِ
إِذَا طَلَعَتْ شَمْسٌ عَلَيْهَا بَنُورُهَا فَأَنْتَ خَلِيطٌ لِلشَّمْعِ الْمُبَاشِرِ
بَعِيدٌ مِنَ الذَّاتِ الْعَزِيزِ مَكَانِهَا وَلَمْ تَعْرِ مِنْ نَفْتٍ لِنَمْتِكَ قَاهِرِ

ولأبي الحديد كتبها إلى القرشي :

أَهَابَكَ أَنْ أَقُولَ هَلَكْتُ وَجَدًا عَلَيْكَ ، وَقَدْ هَلَكْتُ عَلَيْكَ وَجَدًا
وَلَوْ أَنَّ الرَّقَادَ دَنَا لِطَرْفِي جَلَدْتُ جُفُونَهَا بِاللَّامِعِ جَلَدًا

جواب أبي عبد الله :

وَلَكِنِّي أَقُولُ حَيِّتُ حَقًّا إِذَا الْوَجْدُ الْمَبْرَحُ مِنْكَ يَهْدَا
وَأِنْ حَلَّ الرِّقَادُ بِجَفْنِ عَيْنِي رَقَدْتُ إِبْجَابَةً لَكَ لَا لَأَهْدَا

قال الشيخ ، رحمه الله : وهذه الأشعار فيها ما هي مشككة ، وفيها ما هي جلية ، ولم فيها إشارات لطيفة ، ومعان دقيقة ؛ فمن نظر فيها فليتبذرها حتى يقف على مقاصدهم ، ورموزهم ، حتى لا ينسب قائلها إلى ما لا يليق بهم ، وإذا أشكل عليه ولم يفهم فليبحث بالسؤال عن من يفهم لأن لكل مقام مقالا ، ولكل علم أهلا ، ولو اشتغلنا بشرحه لطال الكتاب .

باب الدعوات التي كان يدعو بها المشايخ المتقدمون

من أهل الصفوة

دعاء كان يدعو به ذو النون ، رحمه الله : اللهم الحَوْلَ حَوْلَكَ ، والطَوْلَ طَوْلَكَ ،
ولَكَ في كُلِّ خَلْقِكَ مدد قوَّةٍ وحول ، وأنتَ الفَعَالُ لما يشاءُ لا المعجز ولا الجمل
يعارضُكَ ، ولا النقصان والزيادة يُحِيلَانِكَ ، وأنى يعارضُكَ ، وهما ما أحدثتَ ؟
أو يرومان إحالتَكَ ، وهما ما خلقتَ ؟ وكيف لا يكونان مما أحدثتَ وما خلقتَ ،
وأنتَ الموجود بالدلائل عليك ؟ فلن يخلقَ خَلْقَكَ غيرُكَ أنتَ ؟ فتباركتَ يا مَنْ كُلُّ
مدرُوكٍ فَمِنْ خَلْقِهِ ، وكلُّ محدود المدروكات فَمِنْ صَنْعِهِ ، أنتَ الذى لا يُدْرِكُكَ
فى الدُّنيا العيان ، ولا يستغنى عنكَ مكان ، ولا يعرفُكَ غيرُكَ إلَّا بإقراره لك
بالوحدانية ، ولا يجهلُكَ من خَلْقِكَ إلَّا ناقصُ المعرفة ، ولا يُسْهِيكُ شَيْءٌ عن شَيْءٍ ،
ولا يَجِدُ قَدْرَتَكَ أَحَدٌ ، ولا يَخْلُو مِنْكَ مَكَانٌ ، ولا يَشْفُكَ شَأْنٌ عن شَأْنٍ .

دعاء آخر لذي النون ، رحمه الله : اللهم اجعل العيون منا فواراتٍ بالعبرات ،
والصدور منا محشوةً بالمير والخُرْقَاتِ ، واجعل قلوبنا غواصةً فى موج قَرَعِ أبواب
السموات ، تأتيةً من خوفِكَ فى البوادي والفلوات افتحْ لأبصارنا باباً إلى معرفتك ،
ولمعرفة أُنْهَاماً إلى النظر فى نور حكمتِكَ ، يا حبيب قلوب الوالدين ، ومنتهى رغبة
الراغبين . ولذى النون رحمه الله : اللهم أنتَ آتَى المؤمنين لأوليائِكَ ، وأقرُّ بِهِمْ
بالسكافية من التوكلين عليك لمشاهدتهم فضائِرُهُمْ تَطْلُعُ على أسرارِهِم . إلهى ،
سرى إليك مكشوف ، وأنا إليك ملهوف ، إذا أوحشنى الذنبُ آتَسْنِي ذِكْرُكَ
علماً بأن أزيمة الأمور بيدِكَ وأن مصدرها عن قضائِكَ . إلهى ، من أوتى بالذل
والتقصير مَنى وقد خلقتنى ضعيفاً ؟ ومن أوتى بالعفو منك وعلمك بى سابقٌ وأمرُكَ
بى مُحِيطٌ ؟ أطمعتُكَ بإذْنِكَ وإمْنَةً لَكَ على ، وعصيتُكَ بعلمِكَ والحُجَّةُ لَكَ على .

أَسْأَلُكَ بِوَجُوبِ رَحْمَتِكَ وَانْقِطَاعِ حُجَّتِي وَتَفَقُّرِي إِلَيْكَ وَغَنَاكَ عَنِّي ، أَنْ تَنْقُرَ لِي خَطِيئَتِي الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ .

دعاء ليوسف ابن الحسين رحمه الله : اللهم إنا نباتُ نعمك فلا تجعلنا حصائدَ نِقَمِكَ . اللهم أعطنا ما نريدُه منا ، يا مَنْ أعطانا الإيمانَ به من غيرِ سؤالٍ لا تمنعنا عَفْوِكَ مع السَّوَالِ فَإِنَّا إِلَيْكَ آيِبُونَ وَمِنَ الإِصْرَارِ عَلَى مَعْصِيَتِكَ تَائِبُونَ ، فَإِنَّا إِلَيْكَ ذَاغِنُونَ تَائِبُونَ . اللهم تقبلْ ما مننتَ به عَلَيْنَا مِنَ الإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ الَّذِي بِهِ هَدَيْتَنَا ، وَأَعَفُ عَنَّا . إِلَهِي نِعْمَكَ مُحِيطَةٌ بِنَا ، وَأَنْتَ الْمَذْخُورُ لَشُكْرِهَا ، وَعِزَّتِكَ مَا شُكِرَكَ أَحَدٌ إِلَّا بِكَ .

وقال يوسف رحمه الله : سمعت حكيماً يقول في دعائه : الحمد لله الذي شكر على ما به أنعم ، وذم على ما لو شاء منه عصم . شكرَ نفسه بنفسه عن خلقه ، لأنه الله الذي لا إله إلا هو .

قال : سمعت بعض المشايخ يقول في مناجاته :

أَيَا جُودَ رَبِّي نَاجِرَ رَبِّي بِحَاجَتِي فَمَا لِي إِلَى رَبِّي سِوَاكَ شَفِيعُ
دعاء للجنيد ، رحمه الله عليه ، مستخرج من كتاب النجاة ، اللهم إني أسألك يا خير السامعين ، وبجودك ومجودك يا أكرم الأكرمين ، وبكرمك وفضلك يا أسمع السامعين ، وبإحسانك ورأفتك يا خير المطيعين أسألك سؤال خاضع خاشع متذل متواضع ضارع اشتدت إليك فاقته ، وأنزل بك على قدر الضرورة حاجته ، وعظمت فيما عندك رغبته ، وعلم أن لا يكون شيء إلا بشيئتكَ ، ولا يشفع شافع إليك إلا من بعد إذنك ، فكلم من قبيح قد سترته ، وكلم من بلاء قد صرفته ، وكلم من عثرة قد أقلتها ، وكلم من زلة قد سهلت بها ، وكلم من مكروه قد رفعته ، وكلم من نناء قد نشرته ، أسألك يا سامع أصوات المستغيثين ، وعالم خفي إضمار الصامتين ، ومطلع في الخلوات على أفعال المتحركين وناظر إلى مَادِقِ وَجَلٍ مِنْ آثَارِ السَّاعِينَ ،

أَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَحْبِبَ - بِسُوءِ فِعْلٍ - عَنْكَ صَوْتِي ، وَلَا تَفْضَحْنِي - بِخَفْيِ مَا اطَّلَعْتَ عَلَيْهِ مِنْ سِرِّي ، وَلَا تَمَاجِلْنِي الْعُقُوبَةَ عَلَى مَا عَلِمْتَهُ مِنْ خُلُوعِي ، وَكُنْ بِي فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ رَافِقًا ، وَعَلَى كُلِّ الْأَحْوَالِ عَاطِفًا ، إِلَهِي وَسَيِّدِي وَسَنَدِي أَنَا بِكَ عَائِذٌ لَا تُذْ مَسْتَفِيتٌ مُسْتَجِيرٌ مِنْ تَسْكَاتِفِ تَحَاوِفِ عِلَالِ سِرِّي وَمِنْ لُزُومِ ذَلِكَ ضَمِيرِي وَقَلْبِي ، حَتَّى يَكَادَ ذَلِكَ أَنْ يَمْلَأَ صَدْرِي ، وَيُوقِفَ عَلَى الْإِنْسِاطِ إِلَى ذِكْرِكَ عَقْلِي وَلِسَانِي ، وَيَمْنَعُ مِنَ الْحَرَكَةِ فِي الْخِدْمَةِ جَسْمِي ، فَأَنَا فِي حَبْسِ مَا يَمَارِضُنِي مِنْ ذَلِكَ مِنَ النِّقْصِ وَالْقَصْرِ أَسْأَلُكَ أَنْ تَخْرِجَ ذَلِكَ عَنْ ذِكْرِي ، وَتَمْنَعَهُ مِنْ قَلْبِي ، وَاجْعَلْ أَوْقَاتِي مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِذِكْرِكَ مَمُورَةً ، وَبِخِدْمَتِكَ وَعِبَادَتِكَ مَوْصُولَةً ، حَتَّى يَكُونَ الْوُرُودُ وَرُودًا وَاحِدًا وَالْحَالُ حَالًا وَاحِدًا لَا سَامَةَ فِيهِ وَلَا فَتُورَ وَلَا مَلَلٌ وَلَا تَقْصِيرٌ ، حَتَّى أَسْرِعَ بِهِ إِلَيْكَ فِي حَبْنِ الْمَادِرَةِ ، وَأَسْرَحَ بِذَلِكَ إِلَيْكَ فِي مِيَادِينِ الْمَسَابِقَةِ وَأَرْزُقْنِي مِنْ طَعْمِ ذَلِكَ اللَّذَائِذِ السَّابِقَةِ يَا كَرَّمَ الْأَكْرَمِينَ .

سَمِعْتُ أَبَا سَمِيدٍ الدِّينَوْرِي بِأَطْرَابِلِسَ يَدْعُو بِهَذَا الدَّعَاءِ فِي مَجْلِسِهِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ عَلَيْكَ فَلَا حَقَّ أَحَقُّ مِنْ حَقِّكَ ، عَلَيْكَ بِحَقِّكَ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ ، وَبِحَقِّ أَهْلِ الْحَقِّ عَلَيْكَ ، وَبِحَقِّ كُلِّ ذِي حَقٍّ بِأَنْ لَكَ بِقَدَمِكَ بِعِلْمِكَ بِكُلِّ شَيْءٍ وَمِلْكِكَ لِكُلِّ شَيْءٍ وَقُدْرَتِكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَنْ تَفْعَلَ بِي كَذَا وَكَذَا .

وَحُكِيَ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ مَجْرٍ قَالَ : هَذَا دَعَاءُ حَفِظْتُهُ عَنْ الشُّبْلِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهِ ، اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ يَا ضِيَاءَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَيَا بَهَاءَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَيَا قِيَوْمَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَيَا نُورَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، بِحَقِّ أَسْمَائِكَ عَلَيْكَ ، وَبِحَقِّكَ عَلَيْكَ فَلَا حَقَّ أَجَلَ مِنْكَ عَلَيْكَ ، وَبِحَقِّ مَا أُنْزِلَتْ وَبِحَقِّ مَنْ جُعِلَتْ لَهُ فِهْمًا فِيمَا أُنْزِلَتْ يَا اللَّهُ وَيَا مَنْ لَا سِوَاكَ اللَّهُ ، وَيَا مَنْ أَنْتَ اللَّهُ : صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، وَاجْمَعْهُمْ وَلَا تَشْتَبِهِمْ ، وَارْحَمْ ظُلُومَهُمْ ، وَاقْصِرْ بُعَاطَتَهُمْ ، وَقُمْ لَهُمْ بِالسَّكَلَةِ

والسكفابة ، وكن لهم عوضاً من كل عوض ، وارحمهم ، ولا تردهم إليهم طرفة عين ولا أقل من ذلك ، بحق كل حق أنت ذلك الحق ، واجعلهم أقياء وأجلاء في معانيك الدنيّة ، واجعلهم ممن إذا قال ، قال على التحقيق ، وإذا سكّت فلا سواك .

ومن دعوات يحيى بن مُعَاذ الرازي رحمة الله عليه : إلهي وسيدى وأملى ومن به يتم على . وكان يقول : إلهي أدعوك بلسان أمل حين كلّ لسان على ، وإلهي ما أطيب واقعات الإلهام منك على خطرات القلوب ، وما أقدّ مناجاة الإسرار إليك في وطنات الغيوب . إلهي ، إذا قلت لي في القيامة : عبدي ما غرتك بي ؟ فأقول : سيدي ، بركت بي . وإن أدخلتني النار بين أعدائك لأخبرتهم بأنى كنت في الدنيا أحبك لأنك مولاي ومن جميع الأشياء مفضلي . وكان يقول : اللهم إن نجيتني نجيتني بفوك وإن عذبتني عذبتني بدلك رضيت ما بي لأنك ربي وأنا عبدك ، إلهي أنت تعلم أنى لأقوى على النار وأنا أعلم أنى لأصلح للجنة فما الحيلة إلا عفوك ، وقال : إلهي وسيدى وسرورى تكررهم شغلنى عن قبيح على وإن كان فيه شغائى ، وسرورى بصمتك شغلنى عن حسن على وإن كان فيه نجائى ، وسرورى بك أنسانى السرور بنفسى . وكان يقول : اللهم إني أتقرب إليك ، وبك أدلّ عليك ، وحُبّتى نعمة لا عملى ، وما أظنك تحاسب غداً بمدلك من غشيتة اليوم بفضلك ، وعفوك يستغرق الذنوب ، ورضوانك يستغرق الآمال ، ولولا أنك بالمفو تجود ما كان عبدك بالذنب يعود .

وكان يقول ، إلهي وسيدى ومولاي ومن جميع الأشياء مفضلي ، ضيعت نفسى بالذنوب فردّها على بالتوبة ، أنت تعلم أن الكريم من عبادك يعفو عن ظلمه وقد ظلمت نفسى وأنت أكرم الأكرمين فاعف عني ، إلهي ، أنت تعلم أن إبليس عدو لك ولي ، وليس شيء أنكى لكده وأقطع لكيد من غفراك لي فاعفر

يا أرحم الراحمين . سمعتُ عمر الملقى بأنطاكيا يقول : قلتُ لبعض المشايخ ينبغي أن تدعوني ، فقال يا فتى ، أنا أدعوك ، ولكن ينبغي لك أيضاً أن تكون بالحضرة ، فإذا دعوتُ لك ولم تكن بالحضرة لم ينفع دعائي .

وحكى عن إبراهيم بن آدم ، رحمه الله ، أنه كان في سفينة ، فاج البحر ، وأمرؤ الناس أن يرموا بأمقتهم إلى البحر ، فقيل له : يا أبا إسحق ، ادع الله لنا فقال : ليس هذا وقت الدعاء ، هذا وقت التسليم .

وقال بعضهم : صدق الإجابة من ربك في صدق الدعاء من قلبك ، قال : وسمعت جعفرأ قال : سمعت أبا جعفر رحمه الله قال : كان سرى السقطي ، رحمه الله ، إذا دعا ، يقول : اللهم مهبا عذبتني بشيء فلا تمذبنى بذل الحجاب ، وعن أبي حمزة ، رحمه الله ، قال : قلت لسرى السقطي رحمه الله : ادع لي ، فقال : جمع الله بيني وبينك تحت شجرة طوبى ، فإنه بلغني أنه أول ما يدخل الأولياء الجنة يستريحون تحت شجرة طوبى .

وفيما حكى عن أبي محمد الجري قال : سمعت إبراهيم المارستاني رحمه الله تعالى يقول : رأيت الخضر ، رحمه الله ، في المنام ، فعلمني عشر كلمات وأحصاها على يده : اللهم إني أسألك حسن الإقبال عليك ، والإصغاء إليك ، والفهم عنك ، والبصيرة في أمرك ، والنفاد في طاعتك ، والمواظبة على إرادتك ، والمبادرة في خدمتك ، وحسن الأدب في معاملتك ، وبرد التسليم إليك ، والنظر إلى وجهك وحكى عن أبي عبيد البُسرى ، رحمه الله تعالى ، قال : رأيت عائشة ، رضي الله عنها ، في المنام ، فقلت لها : يا أمي ، علميني دعاء ، قال قالت : يا أبا عبيد ، قل : اللهم أقلل مؤنتي ، وأحسن معونتي ، وأعني على أمر دنياي وآخرتي ، قال قلت : يا أمي ، زيديني ، قالت : يكفيك يا أبا عبيد .

وكان بعض المشايخ إذا دعا ، يقول في دعائه : إلهي أدعوك في الملأ كما تدعني الأرباب ، وأدعوك في الخلاء كما تدعني الأحباب .

فقال أبو الفرج المَكْبَرِيُّ: سألتُه عن الغيرة، فقال: غيرة البشرية
للأشخاص، وغيرة الإلهية على الوقت أن يضيع فيما سوى الله، ثم أنشأ
وهو يقول:

ذابَ بما في فؤادي بَدَنِي وفؤادي ذابَ بما في البَدَنِ
فاطموا حَبْلِي وإن شتمَ صِلُوا كل شيءٍ منكم عندي حَسَنُ
صحَّ عند الناس أني عاشقٌ. غير أن لم يعلموا عِشْقِي لِمَن! أ
وجرى شيء من العلم فأنشأ يقول:

وشغِلْتُ عن فهمِ الحديثِ سيوى ما كان منك وحُبُّكم شُغْلِي
وأدبُهم نَحْوُ مُحَدَّثِي نظري أن قد فهمتُ وعندكم عَقْلِي
وكان يُنشد هذين البيتين كثيراً في مجلسه:

رَأَيْتُ فَأَوْرَانِي عَجَائِبَ لُطْفِهِ فَهَمْتُ وَقَلْبِي بِالْفِرَاقِ يَذُوبُ
فلا غائبٌ عني فأسألوا بِذِكْرِهِ ولا هوَ عني مَمْرُضٌ فَأَغِيبُ
وله:

جَرَى السَّيْلُ فَاسْتَبَكَنِي السَّيْلُ إِذْ جَرَى وَفَاضَتْ لَهُ مِنْ مُقَلَّتِي غُرُوبُ
يَكُونُ أَجْجَا دُونَكُمْ فَإِذَا أَتَيْتُمُ إِلَيْكُمْ تَلَقَى طَيْبِكُمْ فَيَطِيبُ

ويقال: إن هذه الآيات لسهل بن عبد الله رحمه الله في الصبر على المكروه:

أَنْذَكُرُ سَاعَةً أَلِيقَتْ فِيهَا وَأَنْتَ وَلِيدُهَا عَلَا وَصَبْرَا
لَتَلَمَّ أَنْ هَذَا الدَّمْرُ يُمَسِّي وَيُصْبِحُ طَمَعُهُ حُلُوءًا وَمُرَا
فَلا يَمْلَأُكَ حُبُّ سُرُورَا وَإِنْ وَأَفَاكَ مَكْرُوهٌ فَصَبْرَا
وَإِنْ فَارَقَتْ فِي دُنْيَاكَ دُنْيَا قَلَّ فِي إِثْرِهِ يَارَبُّ غَفْرَا

وليحيى بن مُسَاذٍ الرَّازِي، رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ:

أَمُوتْ بِدَاءِ لَا يُصَابُ حَوَانِيَا وَلَا فَرْجٌ يَمَازِي فِي بَلَايَا

يقولون : يَحْيَى جُنَّ مِنْ بَعْدِ صَحَّةٍ
إِذَا كَانَ دَاءُ الْمَرْءِ حُبُّ مَلِيكِهِ
مَعَ اللَّهِ يَقْضِي دَهْرَهُ مُتَلَذِّذًا
ذَرُونِي وَشَأْنِي لَا تَزِيدُونِ كَرْبَتِي
أَلَا فَاهْجُرُونِي وَأَرْغَبُوا فِي قَطِيعَتِي
كَأَنِّي إِلَى الْمَوْتِ ، وَكُنُوا مَلَأَمَتِي
وَلَا يَفْلَحُ الْعَذَالُ مَا فِي حَشَائِبِهَا
فَنَ غَيْرَهُ يَرْجُو طَبِيبًا مَدَارِيَا
تَرَاهُ ، مُطِيعًا كَانَ أَوْ كَانَ عَاصِيَا
وَحَلَّوْا عِنَانِي نَحْوَ مَوْلَى الْمَوَالِيَا
وَلَا تَنْكَشِفُوا عَنَّا يَحْنُ فَوَادِيَا
لَأَنْتَ بِالْمَوْلَى عَلَى كُلِّ مَا بَيَا

لَأَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَطَاءٍ فِي الشُّكْرِ :

وَكَمْ يَدُكَ عِنْدِي مَا شَكَرْتُ لَهَا
ضَعُفْتُ عَنْ حَمِيلِهَا مَجْزَأً لِحَمِيلِهَا
وَلَهُ :

كَيْفَ شَكَرِي لِمَنْ بِهِ يَحْسُنُ الشُّكْرُ
إِنَّمَا يَشْكُرُ الْمُحِبُّونَ وَجَدًّا
وَمِنْهُ شُكْرِي لَهُ فِي الْوِدَادِ
وَصَفَاءٍ مِنْ خَاصَّةِ الْأَفْرَادِ
وَلَهُ :

حَقًّا ، أَقُولُ لَقَدْ كَلَفْتَنِي شَطَطًا
جَمَعْتَ شَيْئِينَ فِي قَلْبِي لَهُ خَطَرُ
نَارٍ تُفَلِّقُنِي وَالشُّوقُ يُضَرِّمُهَا
لَا كُنْتُ إِنْ كُنْتُ أُدْرِي كَيْفَ بُنِيتُنِي
لَمَّا نَحَقَقَ بِالْبَسْوَى أَقْشَمَرُ لَهَا
قَدَمَتْنِي الضَّرُّ وَالشَّيْطَانُ يَنْصَبُ لِي
فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي فَيُظْفَرُ بِي
حَتَّى هَوَاكَ وَصَبْرِي إِنْ ذَا لَعَجِبُ
نَوَّعْتَ ضِدِّيْنِ : تَبْرِيدُ وَتَلْهِيبُ
فَكَيْفَ يَجْتَمِعَا : رَوْحُ وَتَعْذِيبُ
صَبْرِي عَلَيْكَ وَصَبْرِي : صَبْرُ أَيُّوبَ
فُظِّلَ مِنْ قِيْلِمَا عُرْيَانُ مَكْرُوبَا
وَأَنْتَ ذُو قُوَّةٍ وَالْعَبْدُ مَنَكُوبُ
مَنْ كَانَ يَقْرُبُنِي إِذْ كُنْتُ مُحْجُوبَا

وَلَأَبِي حَمِزَةَ الصُّوفِيِّ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، يَقَالُ : إِنَّهُ وَقَعَ فِي بئرٍ فَطَمَوْا رَأْسَهَا لِحَاءٍ

وارغب في ثواب الله تعالى ، وإنما هو أن ترجع إلى نفسك الخبيثة فتذيبها بالطاعة ، وتفارقها وتميتها بالمخالفة ، وتذبحها بالإيثار في سبيل الله ، وتقتلها بالحياة من الله عز وجل ، ويكون الله حسبك ، وتسارع في جميع الخيرات ، وتعمل في جميع المقامات وقلبك وجل أن لا يُقبَلَ منك ، فهذا حقائق القبول والإخلاص والصدق ، حتى تتخلص وتسير إلى الله تعالى ، والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

وصية أوصى بها ذو النون لبعض إخوانه ، فقال : يا أخى ، اعلم أنه لا شرف أعلى من الإسلام ، ولا كرم أعز من التقى ، ولا عقل أحرز من الورع ، ولا شفع أنجح من التوبة ، ولا لباس أجل من العافية ، ولا وقاية أمتع من السلامة ، ولا كنز أغنى من القنوع ، ولا مال أذهب للفاقة من الرضا بالقوت ، ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة ، والرغبة مفتاح النصب ومطية النصب ، والحرص داع إلى التعجم في الذنوب ، والشره جامع لمساوى الميوب ، ورب طمع كاذب وأمل خائب ورجاء يؤدي إلى الحرمان وإرباح يشول إلى الخسران .

وقال الجنيد ، رحمه الله ، في كلام له لبعض أصحابه : أوصيك بقلة الالتفات إلى الحال الماضية عند ورود الحال الكائنة ، قال : وقلت لأبى عبد الله الخياط الدينورى رحمه الله : أوصنى بشئ ، فقال : أوصيك بمخلة ما أعلم أن يكون خصلة لم تصحبه آفة غيرها ، قلت : وما هي ؟ قال : ذر ترك لأخيك بالجليل في ظهر الغيب ، ودعائك له . وحكى عن أبى بكر الوراق رحمه الله ، أنه قال : يمتُّ العز من شهوة العز ، واشترت الدل من خوف الدل ، هذا جزاء من خالف وصية الله تعالى .

وأنى رجل ذا النون المصرى ، رحمه الله ، فقال له : أوصنى ، فقال له : أوصيك إن كنت أيدت في علم الغيب بصدق التوحيد فقد سبق لك قبل أن تخلق من لدن آدم عليه السلام إلى يومك هذا دعوة النبيين والمرسلين فذلك خير لك ، وإن تكن غير ذلك ، فأنى ينقذ النداء الفرق ١٩

سمعت أبا محمد المهبلي بن أحمد بن مرزوق المصري يقول : لما حضرت أبا محمد المرتضى رحمه الله ، الوفاة أوصى إلى " بأن أقضى دينه ، وكان عليه ثمانية عشر درهما ، فلما دفناه قومت ثياب بدنه ثمانية عشر درهما فبعتها بثمانية عشر درهما ، فخرج رأسا برأس ، وقضينا دينه ، واجتمع للشيخ فأخذوا كنفه ، وكان فيه قاش مثل ما يكون في الكنف ، فأخذ كل واحد منهم شيئا وتفرقوا .

ودخل رجل على إبراهيم بن شيبان ، رحمه الله ، فقال له : أوصني بشيء ، فقال له إبراهيم : اذكر الله ولا تنسه ، فإن لم تستطع ذلك فلا تنس الموت ، قيل لبعض المشايخ : أوصني ، فقال : أمح اسمك من ديوان القراء^(١) . وقيل لأبي بكر الواسطي رحمه الله : أوصنا ، فقال : عدوا أنفاسكم وأوقاتكم والسلام ، وقيل لآخر : أوصني ، فقال : القلة والقلة واللاحق بالله عز وجل .

وقال ذو النون رحمه الله : بينا أنا أسير في جبل المقطم إذا أنا برجل على باب كهف ، فسمعت يقول : سبحان من عطل قلبي من الإياس وعمره بالآمال فاليأس منه قد فارقتي والأمل فيه قد أوصلني ، فتأملت ، فإذا هو رجل قد أكدته العبادة وأفرحت الزهادة ، فذنوت منه ، فتركتني وولى ، قلت له : أوصني ، قال : انظر أن لا تقطع أمك عن الله تعالى طرفة عين ، واجمع بين السراء والضراء ، وصل بينك وبين الله تعالى ، تر السرور في يوم يخسر فيه البطلون . قلت : زدني ، قال : حسبك حسبك .

وقال رجل لدى النون رحمه الله : زدني كلمة ، فقال : لا تؤثرن الشك على اليقين ، ولا ترض من نفسك بغير التسكين ، وإن تأتاك نائبة الدهر ،

(١) كان هناك دواوين للقراء يكتب فيها اسم القارئ ليأخذ أجرا شهريا وتكون له شهرة بأنه قارئ .

فَتَحَمَّلَهَا بِحُسْنِ الصَّبْرِ ، وَأَزَمَ بِأَمَّاكَ نَحْوَ الدَّائِمِ الْخَبِيرِ تَجِدُهُ بِأَمَّاكَ قَائِمًا ، وَاغْتَنِمْ
مَوَاصِلَ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ اللَّهَ عِبَادًا أَلْفَوْهُ فَاسْتَأْنَسُوا بِهِ ، وَعَرَفُوهُ فَأَتَمُّوهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ ،
وَوَاصِلُوهُ عَلَى عَيْنِ يَقِينٍ ، فَسَمَتْ أَبْصَارُهُمْ نَحْوَ عَظِيمٍ ، جَلِيلٍ قُدْرَتُهُ ، فَسَقَامٍ
مِنْ حِلَاوَةِ مَوَاصِلَتِهِ ، وَالْعَقْمِ مِنْ قِلَادَةِ مَخَالَصَتِهِ ، فَلَبِسُكَائِهِمْ حَوْلَ الْعَرْشِ دَوَى ،
وَلَدُعَاتِهِمْ حَنْبِنٌ تَقَعُّعُ أَبْوَابِ السَّمَاءِ لِمِرْعَةٍ تَفْتُحُهَا لِإِجَابَةِ دَعَائِهِمْ .

وَاللَّجْنِيْدُ ، فِي بَعْضِ وَصَايَاهُ ، يَقُولُ : يَا أَخِي ، فَاعْمَلْ ، ثُمَّ اِهْجَلْ قَبْلَ
أَنْ يَهْجَلَ الْمَوْتُ بِكَ ، وَبَادِرْ ، ثُمَّ بَادِرْ قَبْلَ أَنْ يُبَادِرُ إِلَيْكَ ، وَقَدْ وَعَظَكَ
اللَّهُ تَعَالَى فِي الْمَاضِيْنَ مِنْ إِخْوَانِكَ ، وَالْمُنْقُولِيْنَ مِنَ الدُّنْيَا مِنْ أَقْرَانِكَ
وَأَخْدَانِكَ ، فَذَلِكَ حُظُّكَ الْبَاقِي عَلَيْكَ ، وَالنَّافِعُ لَكَ ، وَكُلُّ مَا سِوَى ذَلِكَ
فَعَمَلُكَ لَا لَكَ ، وَهَذِهِ مَوْعِظَتِي لَكَ ، وَوَصِيَّتِي إِيَّاكَ ، فَاقْبَلْهَا تَحْمَدَ الْأَمْرِ بِقَبُولِهَا
وَتَفُوزَ بِاسْتِمَالِهَا وَالسَّلَامُ .

فَهَذَا طَرَفٌ مِنْ وَصَايَاهُمْ ، وَتَخْصِيصٌ مَقَاصِدِهِمْ فِي ذَلِكَ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

كتاب السماع

باب في حُسن الصوت والسماع وتفاوت المستمعين

قال الشيخ ، رحمه الله ، قال الله عز وجل : « يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ » (١)
قالوا في التفسير : الْخَلْقُ الطَّيِّبُ ، والصوت الحَسَنُ .

وروى في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما بعث الله نبياً
إِلَّا حَسَنَ الصَّوْتِ . ١٤٧

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما أذن الله تعالى شيئاً كَأَذْنِهِ لَنَبِيٍّ
حَسَنَ الصَّوْتِ — الحديث . ١٤٨

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهُ أَشَدُّ أَذَانًا بِالرَّجُلِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ
من صاحب القَيِّنة بقينته .

وفي الحديث : أن داود عليه السلام قد أُعْطِيَ من حُسْنِ الصوت حتى كان
يَسْمَعُ لِقَرَاءَتِهِ إِذَا قَرَأَ الزُّبُورَ الْجَنَّةَ ، وَالْإِنْسَ ، وَالْوَحْشَ ، وَالطَّيْرَ . وكان بنو إسرائيل
يَجْتَمِعُونَ فَيَسْتَمِعُونَ ، وكان يُحْمَلُ من مجلسه أربعمائة جنازة ممن قد مات كما روى
في الحديث .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لقد أُعْطِيَ أبو موسى مِزْمَاراً
من مِزَامِيرِ آلِ داود ، لِمَا أُعْطِيَ من حُسْنِ الصوت .

وفي الحديث : أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ يوم الفتح فمدَّ مدّاً ، وأنه
كان يَرْجِعُ . ١٥٠

وعن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ هُوَ ذَا تَسْمَعُ لِحَبْرَتِهِ ^(١) تَحْيِيْرًا ، وَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ .

قال الشيخ رحمه الله : يحتمل هذا معنيين ، والله أعلم ؛ أحدهما : أنه أراد بذلك ، أن يزين قراءته للقرآن ، وهو رَفَعُ صَوْتِهِ بقراءة القرآن ، فيحسن الصوت عند قراءته ، ويعطي النعمة ؛ لأن القرآن كلام الله غير مخلوق فلا يزين ذلك بصوت مخلوق ونعمة مكتسبة . والمعنى الآخر : يحتمل أنه أراد بذلك أي زينوا أصواتكم بالقرآن ، فيكون مقدّمًا ومؤخرًا في المعنى ، كقوله : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ وَآلِهِ يَجْمَلُ لَهُ عِوَجًا قِيمًا » ^(٢) معناه مقدّم ومؤخر على معنى : أنزل الكتاب على عبده قِيمًا ولم يجعل له عِوَجًا . ومثل ذلك في القرآن كثير .

وقد ذم الله تعالى الأصوات المنكرة بقوله عز وجل : إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ^(٣) . وفي ذمّه الأصوات المنكرة عمدة الأصوات الطيبة .

وقد تكلم الحكماء في معنى الأصوات الحسنة ، والنفات الطيبة ، وأكثروا في ذلك ، فقال ذو النون ، رحمه الله ، وقد سئل عن الصوت الحسن ، فقال : مخاطبات وإشارات إلى الحق ، أو دَعَاهَا كُلُّ طَيْبٍ وَطَيِّبَةٍ .

وعن يحيى بن مُعَاذِ الرَّازِيِّ ، رحمه الله ، أنه قال : الصوت الحسن رَوْحَةٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ، لِقَلْبٍ فِيهِ حُبُّ اللَّهِ تَعَالَى .

وقال آخر : النعمة الطيبة رَوْحٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ، يَرُوحُ بِهَا قُلُوبًا مُحْتَرِقَةٌ بِنَارِ اللَّهِ تَعَالَى .

وسمعت أحمد بن علي الوجيبي يقول : سمعت أبا علي الروذباري ، رحمه الله يقول : إن أبا عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي ، رحمه الله ، كان يقول : ثلاث إذا وجدن مُتِمَّعَ بهن ، وقد فقدناهن أجمع : حسن الصوت مع الديانة ، وحسن الوجه مع الصيانة ، وحسن الإخاء مع الوفاء .

وعن بُنْدَاز بن الحسين ، رحمه الله : أنه كان يقول : الصوت الطيب حكمة مجيبة وآلة سلمية ، بصوت رخيم ، لسان لطيف ذلك تقدير العزيز العليم .
ومن اللطيفة التي جمل الله في الأصوات الطيبة : أن الطفل في المهد يبكي لوجود ألم ، فَيَسْمَعُ الصوت الطيب فيسكت وينام .
ومشهور : أن الأوائل كانوا يعالجون من به العلة من السوداء بالصوت الطيب ، فيرجع إلى حال صحته .

وقال الشيخ ، رحمه الله : ومن السر الذي جمل الله في الأصوات الطيبة التي فيها إنداء : ترى في البوادي إذا عيت الجبال ، وقصرت عن السير : يحدو لها الحادي ، فتسمع وتمد أعناقها وتصفى بأذنها نحو الحادي . وتجد في السير ، حتى تنزعزع محاملها من شدة سيرها ، وربما تتلف أنفسها إذا انقطع عنها حدو الحادي من ثقل حملها وسرعة سيرها بمد ما كانت لا تحس بذلك من إصفاؤها إلى حدو حاديا واستماعها إلى حسن نغمته وطيب صوت حاديا .

قال الشيخ ، رحمه الله : وقد حكى لي في هذا المعنى ، الدُّقِيُّ بدمشق ، وقد كان سئل عن ذلك ، فقال : كنت في البادية ، فوافيت قبيلة من قبائل العرب فأضافني رجل منهم وأدخلني خبائه ، فرأيت في الخباء عبداً أسود مقيداً بقيد ، ورأيت جمالا قد مانت بين يدي البيت ، ورأيت جملاً قد نحل وهو ذابل كأنه هو ذا ينزع روحه ، قال : فقال لي الغلام المقيد : أنت الليلة ضيف لمولاي ، وأنت عنده كريم ، فقتنع فيَّ حتى يحمل عنى هذا القيد ، فإنه لا يردك ، قال : فلما قدّموا

لى الطعام ، أيت أن آ كل ، فاشتد ذلك على صاحبي ، فقال لى : مالك ؟ قلت : لا آ كل طعاماً إلا بعد أن تهب لى جناية هذا الغلام وتحمل عنه قيده ، فقال : يا هذا إن هذا الغلام قد أقرنى ، وأهلك جميع مالى ، وأضررتى وبيعالى ، فقلت له : ما فعل ؟ قال : إن هذا الغلام له صوت طيب ، وكنت أعيش من ظهر هذه الجبال ، فغلبهم أحمالاً ثقيلة ، وحدّألم حتى قطعوا مسيرة ثلاثة أيام فى ليلة واحدة ، من طيب نفسته فى حدّوه لم ، فلما وافونا وحطوا أحمالهم ماتوا كالمم إلا هذا الجمل الواحد وأنت ضيفى ، ولسكرامتك قد وهبت لك ، قال : لخل عنه قيده ، وأكلنا الطعام ، فلما أصبحنا أحببت أن أسمع صوته ، قال : فسأته أن يسمعنى صوته ، قال : فأمره أن يحدو على جمل كان يُسقى عليه الماء من بئر هناك ، قال : فتقدم هذا الغلام وجمل يسوق ذلك الجمل ويحدو ، قال : فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقعت أما على وجهى ، وما أظن أنى قط سمعت صوتاً أطيب من صوته ، وكان مولاه يصيح ويقول : يا رجل أيش تريد منى ؟ قد أفسدت على جملى !! اذهب عنى حكامه الحق على هذا المنى ، أو كما قال ، والله أعلم ؟

سمعت أحمد بن محمد اللؤلؤ بأنطاكية ، يقول : سمعت بشراً يقول : سألت إسحق بن إبراهيم الموصلى : من الخاذق فى القول ؟ يعنى فى الغناء ، فقال : من تمكن من أنفاسه ، وتفرغ فى إجابته ، ولطف فى اختلاسه .

باب في السماع واختلاف أقوالهم في معناه

قال الشيخ رحمه الله : بلغنى أنه سئل ذو النون ، رحمه الله ، عن السماع ، فقال :
وارد حق يزعم القلوب إلى الحق ، فمن أصنى إليه بحق تحقق ، ومن أصنى إليه
بنفس تزندق .

وعن أحمد بن أبي الحواري ، رحمه الله أنه قال : سألت أبا سليمان الداراني ،
رحمه الله ، عن السماع واستماع القصائد التي تنشد بالألحان ، فقال : من اثنين أحب
إلى منه من واحد .

وسئل أبو يعقوب النهرجوري ، رحمه الله ، عن السماع ، فقال : حال يبدى
الرجوع إلى الأسرار من حيث الاحتراق .

وقال بعضهم : السماع لطف غذاء الأرواح لأهل المعرفة ، لأنه وصف يدق عن
سائر الأعمال ، ويدرك برقة الطبع لرفته ، ويدرك بصفاء السر لصفائه واطفئه
عند أهله .

وعن أبي الحسين الدراج ، أنه كان يقول : جال بي السماع في ميدان من ميادين
البهاء ، فأوجدني في وجود الحق عند العطاء ، فأسقاني بكأس الصفاء ، فأدركت به
منازل الرضا ، وأخرجني إلى رياض النزهة والفضاء .

وسئل الشبلي ، رحمه الله ، كما بلغنى ، عن السماع ، فقال : السماع : ظاهره
فتنة ، وباطنه : عبدة ، فمن عرف الإشارة حل له استماع العبدة ، وإلا فقد استدعى
الفتنة وتعرض للبلية ،

وحكى عن الجنيد ، رحمه الله ، أنه كان يقول : من سمع السماع يحتاج إلى
ثلاثة أشياء ، وإلا فلا يسمع ، قيل له : وما تلك الثلاثة ؟ قال : الزمان ،
والمكان ، والإخوان .

ويقال: إن كل من لا يحب السماع الطيب من الآدميين فلنقص فيه واشتغال قد ورد على خاطره فأذهله .

وحكى عن جعفر ، عن الجنيد ، رحمه الله ، أنه قال : تنزل الرحمة على الفقراء في ثلاثة مواطن : عند السماع ، فإنهم لا يسمعون إلا عن حق ، ولا يقومون إلا عن وجد ، وعند مجازاة العلم ، فإنهم لا يتكلمون إلا في أحوال الصديقين والأولياء ؛ وعند أكلهم الطعام ، فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة :
قال : وسئل أبو علي الروذباري ، رحمه الله ، عن السماع ، فقال : ليتنا خلصنا منه رأساً برأس .

وسئل أبو الحسين النوري ، رحمه الله ، عن الصوفي ، فقال : الصوفي الذي سمع السماع ، وآثر على الأصحاب .
وسمعت أبا الطيب : أحمد بن مقاتل المكي يقول : قال جعفر : كان أبو الحسين بن زيري من أصحاب الجنيد ، وكان شيخاً فاضلاً ، فربما كان يحضري موضع يكون فيه السماع ، فإن استطابه فرش إزاره وجلس ، وقال : الفقير مع قلبه ، أين ما وجد قلبه جلس ، وإن لم يستطع قال : السماع لأرباب القلوب ، وأخذ نمله وانصرف .
وسمعت المصري ، رحمه الله ، يقول في بعض كلامه : أبش عمل بالسماع ؟
ينقطع إذا انقطع من يُسمعُ منه ، ينبني أن يكون سماعك متصلاً غير منقطع .
واسئل عن السماع فقال : ينبني أن يكون ظمأً دائماً وشراباً دائماً ، فكلما ازداد شربه ازداد ظمؤه .

باب في وصف سماع العامة

وإباحة ذلك لهم إذا سمعوا ذكر الترغيب والترهيب

بالأصوات الطيبة ، وبحتمهم ذلك على طلب الآخرة

قال بُنْدَار بن الحسين ، رحمه الله : كل من لم يحب السماع الطيب من الأدمين فلنفسه في حاسته ، لأن كل تمتع يتمتع به الإنسان فيه تكلف وإن كان من المباحات إلا السماع ، فإنه إذا خلص من المقاصد الفاسدة إباحة لا تحتاج إلى التكلف ، وكل من سمع السماع من طريق الطيبة والتلذذ بالنعمة واستحسان الصوت فليس ذلك محرماً عليهم ولا محظوراً ، إن لم يكن قصدم في ذلك الفساد والخالفه واللهو وترك الحدود ، إن شاء الله تعالى .

فصل

قال الشيخ ، رحمه الله : وما يستدل بذلك على إباحة السماع قوله تعالى : « وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ » ^(١) ، وقوله تعالى : « سَنَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ » ^(٢) ، وما أَرَانَا الله في أنفسنا ، وأبصرنا ذلك في الحواس الخمسة التي قد يميز بها بين الشيء وضده ، كالمعين تميز بالنظر بين الحسن والقبيح ، والأنف يميز بين الرائحة الطيبة والمنفنة ، والفم يميز بالذوق بين الحلاوة والمرارة ، واليد تميز باللمس بين اللين والخشن ، وكذلك الأذن تميز بين الأصوات الطيبة وغير الطيبة والمنسكرة . قال الله تعالى : « إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ أَصْوْتُ الْخَمِيرِ » ^(٣) ففي مذمته الأصوات المنسكرة محمدة للأصوات الحسنة ، ولا يميز بينهما إلا بالسمع وهو الإصغاء والاستماع بحضور القلب ، وإدراك الفهم ، وإزالة الهم .

فصل آخر

قال الشيخ ، رحمه الله : وذلك أن الله ، تعالى ، وصف ما أعد لأهل الجنة من النعيم ، فذكر ما ذكر في كتابه من السدر المخضود ، والطلح المنضود ، والفاكهة السكينة ؛ وذكر لحم الطير ، والخور العين ، والسندس ، والإستبرق ، والرحيق المختوم ، والأرائك ، والقصور ، والغرف ، والأشجار ، والأنهار ، وغير ذلك ، وذكر أنهم في روضة يحبرون . قال مجاهد : وهو السماع الذي يسمعون في الجنة بأصوات شجية ، ونغمات شبيهة من الجوارى الحسان والخور العين ، يقلن بأصواتهن : نحن الخالدات فلا نموت أبداً . ونحن الناعبات فلا نبؤس أبداً ، كما جاء ١٥١ في الحديث .

وقد ذكر الله ، تعالى ، تحريم الخمر من جميع ذلك ، فقال النبي صلى الله عليه ١٥٢ وسلم : من شربها في الدنيا لم يشربها في الآخرة ، إلا أن يتوب ، فقد دخل السماع في جملة ما أباح الله تعالى للمؤمنين في الدنيا من جميع ما ذكر من نعيم أهل الجنة ، وصار الخمر مخصوصاً من جميع ذلك بالتحريم بنص الكتاب والأثر وظاهر الخبر .

فصل آخر

وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم ، دخل بيت عائشة رضي الله عنها فوجد ١٥٣ فيه جاريتين تغنيان وتضربان بالدف ، فلم ينهما عن ذلك ، وقال لعمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، حين غضب ، وقال : أمزمار الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : دعمهما يا عمر ، فإن لكل قوم عيداً .

ولو كان محظوراً لكان سواء في العيد وغير العيد ، والأخبار في مثل ذلك تكثر ،

ومثل ما روى عن أبي بكر الصديق ، رضى الله عنه ، حين دخل على عائشة ،
رضى الله عنها ، وقد وعك ، وكان يقول :

كل امرئ مُمصِحٌ في أهلهِ والموتُ أدنى من شركِ نعله

ومثل بلال ، كان يرفع حنجرته إذا اشتد به الوعك ويقول :

ألا ليتَ شعري هل أيتنَّ ليلةَ بواهِ وحولِي إذ خيرٌ وجليلُ

وهل أردنَ يوماً مياهَ بحنةٍ وهل يبدون لي شامةً وطَفيْلُ

وكذلك عائشة رضى الله عنها ، كانت تقول شعر لبَّيد :

ذهبَ القَيْنُ يُمَاشِ في أكنافهمُ وبقيتُ في خلفِ كجلدِ الأجرَبِ

ثم قالت : رحمة الله على لبَّيد كيف لو أدرك زماننا هذا ؟! وقد أنشد الشعر
جماعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذِكْرُه يطول ، أنشدني أبو عبد الله
الحسين بن خالويه النحوى ، قال : أنشدني ابن الأنباري بإنشاد رفته قال : أنشد
كعب بن زهير بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذه الأبيات :

بانتَ سعادُ قلبي اليومَ متبولُ مُتَمِّمٌ لِمَرِّها لم يُفدَ مَكْبُولُ

وما سعادُ غداةَ البينِ إذ ظَمَنُوا إِلَّا أَعْنُ غَضِيضِ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

شَجَّتْ بذى شَيمٍ مِن ماءِ محنيةٍ صافٍ بأبطحِ أضْحى وهو مَشْمُولُ

تَنفَى الرِّيحُ القَدَى عنه ، وأفرطَه مِن صَوْبِ ساريةِ بَيْضٍ يَعالِيلُ

أكرمُ بها خَلَّةٌ لو أنها صَدَقَتْ مَوْعودَها ، أو لو أن النُّصْحَ مَقْبُولُ

لكنها خَلَّةٌ قد سَيطَ مِن دِمِها فَجَعٌ ، ووَلَعٌ ، وإِعراضٌ ، وتَبْدِيلُ

كانت مواعيدُ عُرُقوبِ لها مثلاً وما مواعيدُها إِلَّا الأباطيلُ

أرجو وأُمَلُّ أن يَعلَنَ في أبدٍ وما لهنَّ إِدخالُ الدهرِ تَعبيلُ

ولا تَمَسَّكُ بالوصلِ القَدَى زَعَمَتْ إِلَّا كما يَمَسُّكُ الماءُ النِّسْرَabilُ

فلا يَضرُّ نَكَ مامَنَّتْ وما وعدتْ إن الأمانى والأحلامَ تَضاليلُ

أَمَسْتُ سَعَادُ بِأَرْضٍ لَنْ يُبْلَغَهَا إِلَّا الْعِتَاقُ النَجِيَّاتُ الْمَرَاثِيلُ
وَلَنْ يُبْلَغَهَا إِلَّا عُذَافَرَةٌ فِيهَا عَلَى الْإَيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ
صَخْمٌ مُقْلَدُهَا قَمَمٌ مَقِيدُهَا فِي خَلْقِهَا عَنِ بَنَاتِ الْفَعْلِ تَفْضِيلُ
حَرَفٌ أَخُوهَا أَبُوهُمَا مِنْ مُهْجَنَةٍ وَعَمُّهَا خَالُهَا قَوْدَاهُ شِمْلِيلُ

وقد روى من النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : إن من الشعر لحكمة ، وقد قيل : إن الحكمة ضالة المؤمن ، ولما صح جواز الإنشاد للشعر ، فسواء كان إنشاده بالنعمة الطيبة والصوت الحسن ، أو يكون إنشاده بالحدو ، والحدو ، والنصب ، وانزاع ، والرجز ، إذا لم يكن لذلك مقاصد فاسدة ، وإرادة باطلة ، ومجاوزة الحد ومخالفة ومعاودة ، والله أعلم .

فصل آخر

قال الشيخ ، رحمه الله : وقد رخص في السماع ، واستجازه جماعة من أئمة العلماء والفقهاء ، منهم مالك بن أنس ، ذكر عنه : أنه سمع رجلا في وقت الهجرة يجتازاً بباب داره وهو يغنى ويقول :

مَا بَالُ قَوْمِكَ يَا رَبَّابُ خُزْرًا كَأَنَّهُمْ غِيَابُ ١٩

قال فقال له مالك : لقد أسأت العادية ومنعت القائلة ، قال : فسأله ذلك الرجل عن تأديته ، فقال له : تريد أن تقول : أخذتها من مالك بن أنس ؟ .

والمشهور عنه وعن أهل المدينة أنهم كانوا لا يكرهون ذلك ، وفي تجويز ذلك أخبار عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنه ، وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنه ، وعن غيرهما من الصحابة والتابعين .

وقد أجاز الشافعي رحمة الله عليه أيضاً السماع والقرنم بالشعر ما لم يكن فيه إسقاط المروءة .

وقد ذكر عن ابن جريج ، مع جلالة ، أنه قال : ما كان سبب قدومي من اليمن ومقاي بمكة إلا بيتان من الشعر سمعتهما يوماً وهما :

بِاللهِ قَوْلِي لَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْتَبَةٍ ماذا أَرَدْتَ بطولِ المكثِ باليمن ؟

إِنْ كُنْتَ أَلْتَمِثَ ذَنْباً أَوْ هَمَمْتَ بِهِ فَاوْجَدْتَ بِتَرْكِ الْحِجِّ مِنْ ثَمَنٍ

وقد ذكر عن ابن جريج أيضاً : أنه كان يرخص في السماع ، قليل له : إذا أتني

بك يوم القيامة ، وتوأتى بحسناتك وسيئاتك ، ففي أي الجنبتين يكون سماعك ؟

قال ابن جريج : لا يكون في الحسنات ولا في السيئات ، لأنه شبيه باللفظ

لا يدخل في الحسنات ولا في السيئات ، قال الله تعالى : « لَا يُؤْخَذُكُمْ أَفْهٌ بِالْأَفْهِ »

في أيمانكم .^(١)

قال الشيخ رحمه الله : فهذه فصول مختصرة في إباحة السماع للعامة إذا لم يصحبه

في ذلك مقاصد فاسدة .

ودخول في نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم : سماع الأوتار والمزامير

والمعازف والكوبة والطبل ، لأن ذلك سماع أهل الباطل ، وهو المخطور النهي عنه

بالأخبار الصحاح الروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٥٤

باب في وصف سماع الخاصة

وتفاضلهم في ذلك

سمعت أبا عمرو : إسماعيل بن نُجَيْد ، قال : سمعت أبا عثمان سعيد بن عثمان الرازي الواعظ ، يقول : السماع على ثلاثة أَوْجُه : فوجهٌ منها للرُّيدِينَ والمبتدئين ، يستدعون بذلك الأحوال الشريفة ، وَيُخَشَى عليهم في ذلك الفتنة والمراعاة .

والوجه الثاني : للصدِّيقين يطلبون الزيادة في أحوالهم ، ويسمَّون من ذلك ما يوافق أحوالهم وأوقاتهم .

والوجه الثالث : لأهل الاستقامة من العارفين ، فهم لا يمترضون ، ولا يتأبَّون على الله فيما يَرِدُ على قلوبهم في حين السماع من الحركة والسكون ، أو كما قال .

وحُكي عن أبي يعقوب إسحاق بن محمد بن أيوب النهرجوزي أنه قال : أهل السماع على ثلاث طبقات : طبقةٌ منهم مُقَلَّرَحٌ بحسبكم الوقت في سكونه وحركته ، وطبقةٌ منهم صامت ساكن الصفة ، وطبقةٌ منهم متخبط عند ذوقه فهو الضعيف منهم .

وعن بُنْدَارِ بن الحسين أنه قال : السماع على ثلاثة أَوْجُه : فمنهم مَنْ يسمع بالطبع ، ومنهم من يسمع بالحال ، ومنهم من يسمع بالحق .

قال الشيخ ، رحمه الله : فمن يسمع بطبعه اشترك فيه الخاصّ والعامّ وكلّ ذى رُوح يستطيع الصوت الطيّب لأنه من جنس الروح روحانيّ وقد تقدّم ذكر ذلك ، ومن يسمع بحاله فإنه يتأمل إذا سمع حتى يَرِدَ عليه مَعْنَى من

ذِكْرُ عتاب أو خطاب ، أو ذِكْرُ وَصْلٍ أو هَجْرٍ ، أو قُرْبٍ أو بُعْدٍ ، أو تَأْسِفٍ
 على فائت أو تعطشٍ إلى ما هو آتٍ ، أو ذِكْرُ طَمَعٍ أو يَأْسٍ ، أو بسط
 أو استئناس ، أو خوف الافتراق ، أو وفاء بالعهد ، أو تصديق بالوعد ، أو نقض
 للعهد ، أو ذِكْرُ قلق واشتياق ، أو فَرَحٍ الاتصال ، أو تَرَجُّحِ الانفصال ،
 أو التحسّر على ما لم ينل ، أو القنوط على الذي أُمِّلَ ، أو ذِكْرُ صفاء الحُبَّةِ ،
 أو التمكن من المودّة ، أو ذِكْرُ اعتراض الصبوة بعد تمكنه من الخطوة ،
 أو ذِكْرُ محافظة الرقيب عند ملاحظة الحبيب ، أو تباريح الشجون وفنون الفنون ،
 وإهمال الجفون ، وسُكُوب العبرات ، وتردد الزفّرات ، وتجدّد الحسرات ،
 فإذا طرق نَمَمَةٌ من ذلك حالٌ ممّا يوافق حاله فيكون كالقادر يقدح في سيره
 على قدر صفاء وَقْتِهِ ، وقوّة قادِحِهِ ، فتشتعل نارٌ ترمى بشريرها ، فيبين ذلك
 على الجوارح ، ويظهر على ظاهر صفاته التخيير والحركة والاضطراب والتهيج ،
 فعلى قدر طاقته يضبط ، وعلى قدر قوّة وارِدِهِ يعجز عن الضبط ، فسبحان من
 يتولّى سياستهم وحفظهم ، ولولا فَضْلُ عليهم ورحمته ورفقه بهم لطارت عقولهم ،
 وتَلَفَّتْ نفوسهم ، وذهبت أرواحهم .

ومن يسمع بالحقّ ومن الحقّ فإنه لا يترسم بهذه الرسوم ، ولا يلتفت
 إلى هذه الأحوال ، ولا يشهد هذه الأفعال ؛ لأنها وإن كانت شريفةً فعلى
 نمزوجة بمحظوظ البشرية ، مرتبطة بحدود الإنسانية ، وهى مُنْتَفَاةٌ مع الْعِلَلِ ،
 ولا يُؤْمَنُ عليها الزَّلَلُ ، حتى يكون سماعه باقّه والله ومن الله وإلى الله ،
 وهم الذين وصلوا إلى الحقائق ، وعبروا الأحوال ، وفنّوا عن الأفعال
 والأقوال ، ووصلوا إلى محض الإخلاص ، وصفاء التوحيد ، فخدمت بشريتهم ،
 وفنيت حظوظهم ، وبقيت حقوقهم ، فشهدوا مَوَارِدَ الحقّ بالحقّ بلا علة
 ولا حظّ للبشرية ولا تنعم الروح بالنعمة ، فشهدوا من مَوَارِدِ السماع على أسرارهم

إظهار حكمته وآثار قُدْرَتِهِ وعجائب لُطْفِهِ وغرائب عِلْمِهِ « ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » (١) .

وقال بمضمونهم : أهل السماع في السماع على ثلاثة ضروب : فضرب منهم أبناء الحقائق ، وهم الذين يرجعون في سماعهم إلى مخاطبة الحق لم فيما يسمعون ، وضرب منهم يرجعون فيما يسمعون إلى مخاطبات أحوالهم وأوقاتهم ومقاماتهم ، وهم مرتبطون بالعلم ومطالبون بالصدق فيما يشيرون إليه من ذلك ، والضرب الثالث هم الفقراء المجردون الذين قطعوا العلائق ولم تتلوث قلوبهم بمحبة الدنيا والاشتغال بالجمع والنفع ، فهم يسمعون بطيبة قلوبهم ، ويليق بهم السماع ، وهم أقرب الناس إلى السلامة ، وأسلمهم من الفتنة . والله أعلم .

باب في ذكر طبقات المستمعين

قال الشيخ رحمه الله : اختلف المستمعون في السماع على طبقات ؛ فطبقة منهم اختاروا سماع القرآن ولم يَرَوْا غير ذلك ، واحتجوا بقوله تعالى : « وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً » ^(١) ، وقوله : « أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ » ^(٢) ، وقوله : « مَنَانِي تَقْشِرُهُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ » ^(٣) ، وقوله : « الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ » ^(٤) ، وقوله : « لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ » الآية ^(٥) ، وقوله : « وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ » ^(٦) ، وقوله : « الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ » ^(٧) . والآيات في ذلك تكثر .

- ١٥٥ واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : زينتوا القرآن بأصواتكم ، وقول النبي
- ١٥٦ صلى الله عليه وسلم لابن مسعود رضى الله عنه : اقرأ ، فقال : أنا أقرأ وعليك
- ١٥٧ أنزل ؟ قال : أنا أحب أن أسمع من غيري . وقول البراء سمعت رسول الله
- ١٥٨ صلى الله عليه وسلم يقرأ بالتين والزيتون ، فما رأيت أحسن من قراءته ، وقوله
- ١٥٩ عليه الصلاة والسلام : شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا ، وقوله لأبي موسى : لقد أوتى مزماراً
- ١٦٠ من مزامير آل داود ، وقوله حين سئل : مَنْ أَحْسَنُ قِرَاءَةٍ ؟ قال : من إذا قرأ
- ١٦١ رأيت أنه يخشى الله تعالى ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ على عصابة من أهل

(٣) الزمر : ٢٣

(٢) الرعد : ٢٨

(١) المزمل : ٤

(٥) الحشر : ٢١ وتكلمة الآية : لرأيت خاشعاً متصدعاً

(٤) الحج : ٣٥

من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون .

(٧) الزمر : ١٨

(٦) الإسراء : ٨٢

الصفحة بسائر بعضهم بعضاً من العزى وقارىء يقرأ لهم ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ : « فَكَيِّفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ » ^(١) فصمق ، ١٦٣ وأنه قرأ : « إِنَّ تَعَذُّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ » ^(٢) ، فبكى . وأنه عليه السلام كان إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر ، وإذا مر بآية عذاب دعا واستعاذ .

والأخبار في ذلك كثيرة ، فمن اختار استماع القرآن فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا خير في قراءة يس بها تدبر ، وقد ذكر الله تعالى المستمعين القرآن في مواضع من كتابه على وجهين : فوجهٌ منها قوله عز وجل : « وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ » ^(٣) إلى قوله « عَلَى قُلُوبِهِمْ » فهؤلاء كانوا يستمعون القرآن بأذانهم ولم يحضروا بقلوبهم ، فذمهم الله عز وجل بذلك ، وطبع على قلوبهم ، وهم الذين قال الله عز وجل « وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا : سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ » ^(٤) .

والوجه للثاني : هم الذين وصفهم الله عز وجل فقال : « وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَىٰ رَسُولٍ » ^(٥) الآية . فهؤلاء هم الذين سمعوا القرآن لأنهم حضروا بقلوبهم عند استماعهم القرآن ، فمدحهم الله تعالى بذلك . ومثل ذلك في القرآن كثير .

ولو ذكرت ما يدخل في هذا الباب من سمع القرآن فصمق وبكى ، ومن مات ومن انفصل بعض أعضائه ، ومن غشي عليه من الصحابة والتابعين وبعد للتابعين إلى وقتنا هذا لطلال به الكتاب ، وخرج عن حد الاختصار ، إن لو ذكرنا مثل

(١) النساء : ٤١ (٢) المائدة : ١١٨

(٣) محمد : ١٦ وتكلمة الآية : قالوا للذين أوتوا العلم : ماذا قال آتينا ؟ أولئك الذين

طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم

(٤) الأنفال : ٢١ (٥) المائدة : ٨٣ وتكلمة الآية : ترى أعينهم تفيض من

الدمع مما عرفوا يقولون : ربنا آتينا فكتبنا مع الشاهدين

زرارة بن أوفى من الصحابة: أمم الناس ققرأ آية من كتاب الله فصمق وملأه به
ومثل أى جهر من التابعين ، قرأ عليه صالح المري فشوق ومات .

وقد حكى عن الشبل رحمه الله أنه سأل أبو على الغازلى رحمه الله فقال : ربما
تطرق سمي آية من كتاب الله تعالى فتحذرنى على ترك الأشياء والإعراض عن
الدنيا ، ثم أرجع إلى أحوالى وإلى الناس ، ثم لا أبقى على هذا وأدفع إلى الوطن
الأولى : فقال : ما طرق مسامعك من القرآن فاجتذبك به إليه فذاك عطف منه
بك ، وما رددت إلى نفسك فهو شفقة منه عليك : لانه لم يصح لك التبرئ من
الحول والقوة فى التوجه إليه .

وقد حكى عن أحمد بن أبى الحوارى عن أبى سليمان الدارانى رحمه الله أنه
قال : ربما أبقى فى الآية خمس ليال ، ولولا أنى أترك الفكر فيها ما جزتها أبداً ،
وربما جاءت الآية من القرآن فيطير فيها العقل ، فسبحان الذى يرده
بعد ذلك .

وقد حكى عن الجعيد رحمه الله أنه قال : دخلت على سرى السقطى رحمه الله
فرايت بين يديه رجلاً قد غشى عليه ، فقال لى : هذا رجل سمع آية من كتاب الله
عز وجل ففشى عليه ، فقلت : اقرأ عليه هذه الآية التى قرئت عليه ، قرأ ، فأفاق ،
فقال لى : من أين لك هذا ؟ فقلت : رأيت بمقوب عليه السلام كان عماء من أجل
مخلوق ، فبمخلوق أبصر ، ولو كان عماء من أجل الحق ما أبصر بمخلوق ، فاستحسن
منى ذلك .

وحكى عن بعض الصوفية أنه قال : كنت أقرأ ليلة هذه الآية : « كُلُّ نَفْسٍ
ذَائِقَةُ الْمَوْتِ » ^(١) فجعلت أرددها وإذا أنا بها ناف يهتف : إلى كم تردد هذه
الآية ؟ وقد قتلت أربعة من الجن لم يرفعوا رؤوسهم إلى السماء منذ خلقوا .

سمعت أبا الطيب أحمد بن مقاتل الحكفي يقول : كنت مع الشبلي رحمه الله في مسجد ليلة في شهر رمضان وهو يصلي خلف إمام له وأنا بجانبه ، فقرأ الإمام هذه الآية : « وَآيُنْ شِدْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ » ^(١) الآية ، فزعى زينة قلت : قد طارت روحه ، ورأيت قد اخضر وهو يرتعد ، وكان يقول : بمثل هذا تخاطب الأحباب يردد ذلك مراراً .

فمن اختار سماع القرآن اختاره لما ذكرنا من هذه الآيات ، والأخبار .
والمعول عند استماع القرآن حضور القلب ، والتدبر والتفكير والتذكر وعلى ما يصادف قلبه عليه من قرآته فيكون الغالب على وقته في استماعه القرآن ، فإذا لم يكن له حال ولم يكن في قلبه وجدٌ يطرقه ما سمعه من القرآن ويوافقه ويرجحه فمثلته « كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ » ^(٢) .

(١) الإسراء : ٨٦ (٢) البقرة ١٧١ وتكلم الآية : إلا دعاء ونداء صمكم عنى فهم لا يملكون

باب ذكر من اختار سماع القصائد والآيات من الشعر

قال الشيخ رحمه الله : فأما الطبقة التي اختارت السماع : سماع القصائد وهذه
 ١٦٥ الآيات من الشعر ، فحجتهم من الظاهر في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : إن
 ١٦٦ من الشعر حكمة ، وقوله : الحكمة ضالة المؤمن ، وزعمت هذه الطائفة : أن القرآن كلام الله
 وكلامه صفة ، وهو حق لا يطيقه البشر إذا بدا ، لأنه غير مخلوق لا يطيقه الصفات المخلوقة ،
 ولا يجوز أن يكون بعضه أحسن من بعض ، ولا يزيّن بالنصائح المخلوقة ، بل به
 تزيّن الأشياء ، وهو أحسن الأشياء ، ومع حسنه لا تستحسن المستحسنات ، قال
 الله تعالى : « وَلَقَدْ يَمْرُنَا الْقُرْآنَ لَلَّذِ كَرَفَهُلْ مِنْ مَدِّ كَر » ^(١) وقال : « لَوْ أَنزَلْنَا
 هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ » ^(٢) الآية ، فكذلك لو أنزله الله تعالى على القلوب
 بمخافته ، وكُشِفَتْ للقلوب ذرة من التنظيم والهيبة عند تلاوته لتصدعت وذهلت
 ودهشت وتحيرت .

ولما رأوا في المعارف بين الخلق ، أن أحدهم ربما يختم القرآن ختمات ولا يجد
 رقة في قلبه عند التلاوة فإذا كان مع القراءة صوت حسن ، أو نغمة طيبة شجية
 وجد الرقة وتلذذ بالاسماع ، ثم إنه إذا كان ذلك الصوت الحسن والنغمة الطيبة
 على شيء غير القرآن أيضاً فوجد تلك الرقة وذلك التلذذ والتتيم ، علموا أن الذي هو
 ذا يظنون من الرقة والصفاء والتلذذ والوجد أنه من القرآن . لو كان كذلك لكان
 في حين التلاوة ووقت القراءة غير منقطع منهم على الدوام .

والنغمات الطيبة موافقة للطبائع ، ونسبته نسبة الحفظ لاسبة الحقوق ، والقرآن
 كلام الله ونسبته نسبة الحقوق لاسبة الحفظ ، وهذه الآيات والقصائد أيضاً

نسبتها نسبة المخلوق لانسبة الحقوق ، وهذا السماع وإن كان أهله متفاوتين في درجاتهم وتخصيصهم فإن فيه موافقة للطبع ، وحظا للنفس ، وتنمعا للروح ، انشا كلام بتلك اللطيفة التي جُمعت في الأصوات الحسنة ، والنفحات الطيبة ، وكذلك الأشعار فيها معان دقيقة ، ورقة وفصاحة ولطافة وإشارات ، فإذا علقت هذه الأصوات والنفحات على هذه القصائد والأبيات يشاكل بعضها بعضا بموافقتها ومجانستها ، ويكون أقرب إلى المخلوق ، وأخف محملا على السرائر والقلوب ، وأقل خطرا لتشاكل المخلوق بالمخلوق .

فن اختار استماع القصائد على استماع القرآن اختار حرمة القرآن ، وتعظيم ما فيه من الخطر : لأنه حق ، والنفوس تحس عندنا ، وتموت عن حركاتها ، وتفنى عن حظوظها وتنمئذ إذا أشرقت عليها أنوار الحقوق بتشمسها وأبدت بها عن معانيها ، فقلوا : ما دامت البشرية باقية ونحن بصفاتها وحظوظنا وأرواحنا متنعمة بالنفحات الشجية والأصوات الطيبة فانبساطنا بمشاهدة بقاء هذه المخلوقات إلى القصائد أولى من انبساطنا بذلك إلى كلام الله عز وجل الذي هو صفته وكلامه الذي منه بدا وإليه يعود

وقد كره جماعة من العلماء القراءة بالتطريب ، ووضع الألفان الموضوعة على القرآن غير جائز عندهم ، قال الله تعالى : « وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً » ^(١) وإنما فعل من فعل ذلك لأن الطبائع البشرية متنافرة عن سماع القرآن وتلاوته : لأنه حق ، فملقوا على تلاوتهم هذه الأصوات المصوغة ليجذبوا بذلك طبائع العامة إلى الاستماع ، ولو كانت القلوب حاضرة ، والأوقات معمورة ، والأسرار طاهرة ، والنفوس مؤدبة ، وطبائع البشرية منخنة ، لما احتيج إلى ذلك . وبالله التوفيق .

باب في وصف سماع المريدين والمتدينين

قال الشيخ رحمه الله: سمعت أبا عمرو عبد الواحد بن علوان بالرحبة ، رحبة مالك ابن طوق ، قال : كان شابٌ يذهب الجنيد رحمه الله ، فكان إذا سمع شيئاً من الذكر يزعم ، فقال له الجنيد يوماً : إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبني ، قال : فربما كان يتكلم الجنيد رحمه الله في شيء من العلم ، فيتغير ، ويضبط عند ذلك نفسه حتى يقطر عن كل شعرة من بدنه قطرة من الماء . وحكى لي أبو عمرو : أنه صاح يوماً من الأيام صيحة فانشق وتلفت نفسه .

ورأيت أبا الحسين السبرواني صاحب الخواص بدمياط ، وكان يحكى عن الجنيد رحمه الله أنه قال : رأيت رجلاً قد سمع السماع حتى تفتخ ، ورأيت رجلاً سمع الذكر حتى مات ، أو كما قال . وسمعت الدقي يقول : سمعت الدراج يقول : كنت أنا وابن الفوطي مارئين على الدجلة بين البصرة والأبلة وإذا بقصر حسن ، له منظر وعليه رجل بين يديه جارية تفتي وتقول :

كلَّ يومٍ تَلَوْنَ غيرُ هذا بك أَجَلُ
في سبيلِ اللهِ وَدَّ كَانَ مِنِّي لَكَ يُبْذَلُ

قال : وإذا شاب تحت المنظر بيده ركوة وعليه مرقعة يتسمع ، فقال : يا جارية بالله وبحياة مولاك إلا أعدت علي هذا البيت ، قال : فأقبلت الجارية عليه وهي تقول هذا البيت :

كلَّ يومٍ تَلَوْنَ غيرُ هذا بك أَجَلُ

وكان الشاب يقول : هذا والله تلون مع الحق في حالي ، قال فشق شهقة ، وحمد ، فتأملناه فإذا هو ميت ، قال : فقلنا : قد استقبلنا فرض ، فوقفنا ، فقال صاحب القصر للجارية : أنت حرة لوجه الله تعالى ، قال ثم خرج أهل البصرة

وصلوا عليه ، فلما فرغوا من دفنه قام صاحب القصر وقال : أليس تعرفوني؟ أنا فلان ابن فلان أشهدكم أن كل شيء لي في سبيل الله تعالى ، وكل جوارى أحرار ، وهذا القصر للسبيل ، قال : ثم رمى بتيابه ، واتزر إزار ، وارتدى بالآخر ، ومروا على وجهه والناس ينظرون إليه حتى غاب عن أعينهم وهم يبكون ، فآرآه أحد بعد ذلك ولا سُمع له خبر ، وما رأيت يوما أحسن من ذلك اليوم ، أو كلاما هذا معناه ، والله أعلم .

قال : وسمعت الوجيبي يقول : سمعت أبا علي الروذباري يقول : دخلت مصر فرأيت الناس مجتمعين أو منصرفين من الصحراء ، فسألتهم ، فقالوا : كنا في جنازة ففنى سمع قائلا يقول :

كَبُرَتْ همة عبدٍ طمعت في أن تراكا

وزعق زعقة ومات . وما حكى الحقى قال : سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول : رأيت بالمغرب شيئين عجيبين ، رأيت في جامع قَيْرَوَان رجلا يتخطى الصفوف ، ويسأل الناس ويقول : تصدقوا علي فإني كنت رجلا صوفيا فضعت . والآخري رأيت شيخين اسم أحدهما جَبَلَة والآخري زُرَيْق ، ولكل واحد منهما تلامذة ومريدون ، فزار يوما من الأيام جبلة زريق مع أصحابه ، فقرأ رجل من أصحاب زريق شيئا من القرآن ، فصاح من أصحاب جبلة رجل صيحة فأت ، فلما كان غداة يومئذ قال جبلة لزريق : أين صاحبك الذي قرأ بالأمس؟ فدعاه وقال له : اقرأ ، فقرأ شيئا فصاح جبلة صيحة فأت القاري . في مكانه ، فقال : واحد بواحد والباديء أظلم ، أو كلاما هذا معناه .

وحكى محمد بن يعقوب عن جعفر البرقع ، وكان من الأجلة ، أنه حضر في موضع فيه سماع ، فقام وتواجد وقال في قيامه : ختم بنا المريدون .

قال الشيخ رحمه الله : ولا يصح السماع للمريد حتى يعرف أسماء الله تعالى وصفاته : حتى يضيف إلى الله ما هو أولى به ، ولا يكون قلبه ملوثا بحب الدنيا وحب

الثناء والمحمدة ، ولا يكون في قلبه طمع في الناس ولا تشوف إلى الخلقين ، مراعيًا لقلبه ، حافظاً لحدوده ، متعاهداً لوقته ، فإذا كان كذلك يسمع ما يكون من إخلال في صفة الثائمين والقاصدين والطامعين والفتيين والخاشعين والخائفين ، و يسمع ما يحته على المعاملة والمجاهدة ، ولا يسمع على الجملة ، ولا يتكلف ، ولا يسمع للاستطابة والتلذذ : لكيلا يصير عادته فيشغله عن عبادته ورعاية قلبه ، فإن لم يكن كذلك يجب عليه ترك ذلك ، والاجتناب والتباعد عن المواضع التي يحضر فيها ذلك ، ولا يحضر السماع إلا في مواضع يجري ذكر ما يحته على المعاملة ويحدد عليه ذكر الله تعالى والثناء على الله وما فيه رضا الله .

وإن كان مبتدئاً لا يعلم شرائط السماع فيقصد من يعلم ذلك من المشايخ حتى يتعلم منه ذلك ، حتى لا يكون سماعه لهواً ولعباً ، ولا يضيف إلى الله تعالى ما هو منزّه عنه فيكفر ولا يدري ، ولا تدعوه نفسه وهواه إلى اتباع الحظوظ ويحتل إليه الهوى والشیطان أنه من الحقوق فيهلك عند ذلك . والله ولي التوفيق .

باب في وصف المشايخ في السماع وهم المتوسطون العارِفون

قال الشيخ رحمه الله : سمعت الوجيهي يقول : سمعت الطيالسي الرازي يقول : دخلت على إسماعيل أستاذ ذي النون رحمه الله وهو جالس ينكت بأصبعه على الأرض ويترنم مع نفسه بشيء ، فلما تراءى قال : أنحسن تقول شيئاً ؟ قلت : لا ، قال : أنت بلا قلب . سمعت أبا الحسن علي بن محمد الصيرفي قال : سمعت رؤيماً ، وقد سئل عن المشايخ الذين لقيهم : كيف كان يخدم في وقت السماع ؟ فقال : مثل قطع الغنم إذا وقع في وسطه الذئب . قال : وسمعت قيس بن عمر الحنصلي يقول : ورد علينا أبو القاسم بن مروان النهاوندي وكان قد صحب أبا سعيد الخراساني رحمه الله وكان قد ترك الحضور عند السماع سنين كثيرة ، فحضر معنا في دعوة فيها إنسان يقول أبياتاً فيها هذا البيت :

واقِفٌ في الماء عَطِشاً نَ وَلَـكِنْ لَيْسَ يُسْقَى (١)

قال : فكان أصحابنا يقومون ويتواجدون ، فلما سكتوا سأل كل واحد منهم عن معنى ما وقع له في هذا البيت ، فكان أكثرهم يقولون على معنى التعطش إلى الأحوال ، وأن يكون العبد ممنوعاً عن الحال الذي يتعطش إليه ، فكان لا يُقنمه منهم ذلك ، فسألناه ، وقلنا : هات ما عندك ، فقال : يكون في وسط الأحوال ويُكْرَم بجميع الكرامات ، ولا يعطيه الله منه ذرة . أو كما قال كلاماً هذا معناه ، والله أعلم .

وسمعت يحيى بن الرضا العلوي ببغداد يقول : وكتب لي هذه الحكاية بخطه ،

(١) وما يشبه هذا المعنى قول بعضهم :

واعطشنا والماء نخوض غماره واوحشتنا والؤنسون كثير

قال : سمع أبو حنبلان الصوفي رجلاً يطوف وينادي : يَا سَقْتَرَا بَرَى^(١) ، فسقط
وغشى عليه ، فلما أفاق ، سئل عن ذلك وقال : سمعته يقول : اسعَ تَرَى يَرَى . قال
الشيخ رحمه الله : فكذلك قال المشايخ الذين هم من العلماء بهذا الشأن وأهل اللهم
بهذه القصة : أن السماع على حسب ما يَقَرُّ في القلوب من حيث شُغْلُهُ ووقته
وحضوره ، ألا ترى أن صوت الصائت حيث أدَّى إلى أبي حنبلان سَمِعَهُ من حيث
وقته وشُغْلُهُ :

وما يُستدل بذلك على ما قلناه ، والله أعلم ، حكايةً حُكيت عن عُتْبَةَ الفلام
رحمه الله أنه سمع رجلاً يقول :

سُبْحَانَ جَبَّارِ السَّمَاءِ * إِنَّ الْمُحِبَّ لَنَى عَنَّا

فقال عتبة رحمه الله : صدقت . وسمعه رجل آخر فقال : كذبت . فقال بعض
من هو عارف بهذا الشأن : كلاهما أصابا ، أمَّا عتبة رحمه الله صدقه لوجود نعيه في
محبته ، وأما الآخر فكذب لوجود راحته وأنسه في محبته . وعن أحمد بن مقاتل
أن ذا النون المصري رحمه الله دخل بغداد ، فاجتمع إليه قوم من الصوفية ومعهم
قوال ، فاستأذنوه في أن يقول شيئاً ، فأذن له في ذلك ، فأنشأ يقول :

صَغِيرُ هَوَاكَ عَذَّبَنِي * فَكَيْفَ بِهِ إِذَا أَحْتَنَكَ

وَأَنْتَ جَمَعْتَ فِي قَلْبِي * هَوَى قَدْ كَانَ مُشْتَرَكَا

أَمْ تَرَى لِمُكْتَنِبٍ * إِذَا ضَعِكَ انْثَلَى بَكَى

قال : فقام ذو النون رحمه الله ، ثم سقط على وجهه ، ثم قام رجل آخر ، فقال
ذو النون رحمه الله : « الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ^(٢) » قال : فجلس ذلك الرجل .

(١) في هامش إحدى النسخ : من يشتري زعتر أبرى والزعرنبت معروف عند المطارين

(٢) الشعراء : ٢١٨

قال الشيخ رحمه الله : والمعنى في قوله «الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ» ، أشار إلى قيامه ومزاحمته لغيره بالتسكف ، فمعرفة بأن إيتيهم في مجلسهم ، ولو كان الرجل صادقاً في قيامه لم يجلس ، وذلك أن المشايخ منهم مشرفون على أحوال من هو دونهم بفضل معرفتهم ، ولا يجوز لهم أن يسامحهم إذا جاوزوا حدودهم وادّعوا حال غيرهم . وعن أبي الحسين النوري رحمه الله أنه حضر مجلساً فيه سماع ، فسمع هذا البيت :

مَا زِلْتُ أَنْزِلُ مِنْ وَدَادِكَ مَنَزِلًا

تَنَحَّيْتُ الْأَلْبَابُ عِنْدَ نَزْوِلِهِ

قال : فقام وتواجد وهام على وجهه ، فوقع في أجرة قَصَبٍ قد كُسحت وبقي أصولها مثل السيوف ، فأقبل يمشي عليها ويعيد البيت إلى الغداة والدم يخرج من رجله ، ثم ورمت قدماء وساقاه وعاش بعد ذلك أياماً قلائل ومات :

وحكى عن أبي سعيد الخزاز رحمه الله أنه قال : رأيت علي بن الموفق ، وكان من أجلة المشايخ ، وقد حضر في وقت السماع ، وقد سمع شيئاً ، فقال : أقيموني فأقاموه ، وتواجد ، ثم قال في تواجده : أنا الشيخ الزّفّان ، قال أبو نصر رحمه الله : والمعنى في ذلك ، والله أعلم ، أنه يريد أن يعطى بذلك حاله على جلسائه وقرنائه ، يقول : أما الشيخ الزّفّان ، ومن حُسْنِ أدبه أنه يتكلم حتى يجتنب بذلك عن التّساكن والذهاب ، لأنه من أحوال المريدين والمبتدئين .

وحكى لي بعض إخواني عن أبي الحسين الدراج أنه قال : قصدت يوسف بن الحسين من بغداد للزيارة والسلام عليه ، قال : فلما دخلت الرّئيّ سألت عن منزله فكل من أسأل عنه يقول أَيْشَ تَعْمَلُ بذلك الزّنديق ؟ فضيّقوا صدرى ، حتى عزمت على الانصراف ، فبتُ تلك الليلة في بعض المساجد ، فلما أصبحت قلت في نفسي : قد جُبتُ هذا الطريق كله لا أقلّ من أن أراه ، فلم أزل أسأل عنه حتى دفعت إلى مسجده ، فدخلت عليه وهو قاعد في الحراب وبين يديه رجل وفي حجره

مصحف وهو يقرأ ، وإذا شيخ بهي حسن الوجه والالحية فدنوت إليه وسامت عليه فردّ على السلام ، وقعدت بين يديه ، فأقبل على وقال لي : من أين أنت ؟ قلت : من بغداد ، فقال : وما الذي جاء بك ؟ قلت : قصدت الشيخ للسلام عليه ، فقال لي : لو أن في بعض هذه البلدان قال لك إنسان : تقيم عندنا حتى أشتري لك داراً وجارية ، أو كما قال ، كان يُعصدك عن هذا الهوى ؟ قال : قلت : ما امتحنني الله بشيء من ذلك ، ولو امتحنني ما كنت أدرى كيف أكون ، ثم قال : تحسن أن تقول شيئاً ؟ قلت : نعم ، قال لي : هات ، فابتدأت أقول :

رَأَيْتُكَ تَنْبِي دَائِباً فِي قَطِيعِي * وَلَوْ كُنْتَ ذَا حَزْمٍ أَهْدَمْتَ مَا تَنْبِي
كَأَنِّي بِكُمْ وَالْأَيْتُ أَفْضَلُ قَوْلِكُمْ * أَلَا لَيْتَنَا كُنَّا إِذِ الْآيَةُ لَا تُنْفِي

قال : فأطبق المصحف ، ولم يزل يبكي حتى ابتل لحيته وثوبه ، حتى رحمته مما يبكي ، ثم قال لي : يا بني تلوم أهل الرى يقولون يوسف زنديق ، من صلاة الغداة هو ذا أقرأ في المصحف لم تقطر من عيني قطرة ، وقد قامت على القيامة بهذين البيتين :
قال : وكان الشبلي رحمه الله يتواجد كثيراً ، إذا سمع هذا البيت :
وَدَادُكُمْ هَجْرٌ ، وَحُبُّكُمْ قَلِي * وَوَضْلُكُمْ صَرَمٌ ، وَسِلْكُمْ حَرْبُ
وقام الدقي ليلة إلى شطر الليل وهو يتخبط ويسقط على رأسه ويقوم ، والخلق يبيكون ، والقولون يقولون هذا البيت :

بِاللَّهِ فَاَرَدُ دُفُودًا مُسَكَّتِي * أَيْسَ لَهُ مِنْ حَبِيبِهِ خَافُ

وأشبه ذلك كثير ، ولا يخفى على العاقل إذا تأمل في مقاصدهم واختلاف ثمرتهم وأما كنهم في السماع ، إذا تأمل في هذا القليل الذي ذكرت ووقف على مرادى من ذلك إن شاء الله ، وبالله التوفيق .

باب في وصف خصوص المخصوص

وأهل الكمال في السماع

قال الشيخ رحمه الله : سمعت أبا الحسن محمد بن أحمد بالبصرة قال : سمعت أبي يقول : خدمت سهل بن عبد الله ستين سنة فما رأيت تغييراً عند شيء كان بسمه من الذكر والقرآن أو غير ذلك ، فلما كان في آخر عمره قرأ رجل بين يديه هذه الآية : « قَالِيَوْمَ لَا يُوَفِّدُ مِنْكُمْ فِدْيَةً » ^(١) الآية ، فرأيت قد ارتعد ، وكاد أن يسقط ، فلما رجع إلى حال صحوه سأله عن ذلك ، فقال : نعم يا حيي قد ضفتاً .

وحكى ابن سالم أيضاً عن أبيه أنه قال : رأيت سهلاً مرةً أخرى ، وكنت أضطلي بين يديه بالنار ، قرأ رجل من تلاذته سورة الفرقان ، قال : فلما بلغ إلى قوله تعالى : « الْفُجْءُ يَوْمَئِذٍ لِلرَّحْمَنِ » ^(٢) اضطرب ، وكاد أن يسقط ، قل : فسأله عن ذلك لأنه لم يكن مهدي به ذلك ، فقال : قد ضفت .

وسمعت ابن سالم يقول : قلت لسهل بن عبد الله رحمه الله كلاماً هذا معناه والله أعلم : إن الذي ذكرت أنه ضفت حالك نفي تنزيك واضطرابك ، فالذي يوجب قوة الحال ؟ قال : لا يردُّ عليه واردٌ إلا وهو يبتله بقوة حاله ، فن أجل ذلك لا تتم الواردات وإن كانت قوية .

قل الشيخ رحمه الله : ولعلك أصل في العلم وهو قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين سمع رجلاً وهو يبكي عند قراءة القرآن قال : فكنا كنا حتى قُتت القلوب ، يعني اشتلت وثبتت ، فلا يتغير إذا طرقة ضرب من السماع لأن حاله قبل السماع وبطله سواء .

وَمَعْنَى آخِر : وذلك أن سهل بن عبد الله رحمه الله قد حُكي عنه أنه قال :
 حالى فى الصلاة وقبل الدخول فى الصلاة شئ واحد ، وذلك أنه يراعى قلبه
 ويراقب الله تعالى بسرّه قبل دخوله فى الصلاة ، ثم يقوم إلى الصلاة بحضور قلبه
 وجمع همه ، فيدخل فى الصلاة بالمعنى الذى كان به قبل الصلاة ، فيكون حاله
 فى الصلاة وقبل الصلاة واحداً ، وكذلك حاله قبل السماع وبعده بمعنى واحد ،
 فيكون سماعه مُتَّصِلاً ووجدته مُتَّصِلاً وشربه دائماً وعطشه دائماً ، وكلما ازداد
 شربه ازداد عطشه ، وكلما ازداد عطشه ازداد شربه ، فلا ينقطع أبداً .

وسمعت أحمد بن على الكرجى المعروف بالوجيهى يقول : كان جماعة من
 الصوفية مستجمعين فى بيت حسن القزاز ، وعندهم قوالون يقولون ، وهم يتواجدون ،
 فأشرف عليهم بمشاذ ، فلما نظروا إليه سكتوا جميعاً ، فقال لهم بمشاذ : مالكم
 قد سكتتم ؟ ارجعوا إلى ما كنتم فيه ، فلو جمعت ملاهى الدنيا فى أذنى ما شغلت
 همى ولا شفت بعض ما بى .

قال الشيخ رحمه الله : وهذا أيضاً من صفات أهل الكمال ، لا يكون فيهم
 فضلة لطارق يطرقهم ولوارد يرد عليهم ، ولم يبق من طبائصهم ونفوسهم وبشريتهم
 حاشة إلا وهى مبدلة ومهذبة لا تأخذ من النفات حظوظها ولا تتلذذ بالأصوات
 الطيِّبة ولا تنغم بها ؛ لأن همومهم مفردة ، وأسرارهم طاهرة ، وصفاتهم لا يعارضها
 كدورة الحسوس وظلمات النفوس وتغيير البشرية ومقارنة الإنسانية « ذَلِكَ فَضْلُ
 اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ » (١) .

وبلغنى عن أبى القاسم الجنيد رحمه الله أنه قيل له : كنت تسمع هذه القصائد
 وتحضر مع أصحابك فى أوقات السماع ، وكنت تتحرك ، والآن فأنت هكذا

ساكن الصفة ، فقرأ عليهم الجنيده هذه الآية : « وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ » ^(١) ، فكانه يشير بذلك ، والله أعلم ، بمعنى أنكم تنظرون إلى سكون جوارحي وهُدوء ظاهري ، ولا تدرون أين أنا بقلبي . وهذه أيضاً صفة من صفات أهل الكمال في السماع .

قال الشيخ رحمه الله : وهؤلاء ربما يحضرون في هذه المواضع التي فيها السماع لأحوال شتى ، وجهات مختلفة ، وربما يجتمعون معهم من جهة مساعدة آخر من إخوانهم ، وربما يحضرون لعلهم وثباتهم وكبر عقولهم حتى يعرفون ما لهم وما عليهم من شرائط السماع وآدابه ، وربما يجتمعون مع غير أبناء جنسهم من سعة أخلاقهم وتحملهم فيكونون معهم بائنين منهم ومنفردين عنهم ببواطنهم وإن كانوا مع جلسائهم بظواهرهم ، وبالله التوفيق .

باب في سماع الذكر والمواعظ

والحكمة وغير ذلك

قال : سمعت أبا بكر محمد بن داود الدينوري الدقني يقول : سمعت أبا بكر الزقاق يقول : سمعت من ألبغيد رحمه الله تعالى كلمة في التوحيد هيمنني أربعين سنة ، سنة ، وأنا بعد في غمار ذلك .

وقال : جعفر الخلدي رحمه الله : دخل رجل من أهل خراسان على الجعيد رحمه الله وعنده جماعة من المشايخ فقال : يا أبا القاسم متى يستوى على العبد حامده وذامه ؟ فقال ، بعض أولئك المشايخ : إذا أدخل المارستان وقيدَ بقيدَيْن ، فقال له الجعيد رحمه الله : ليس هذا من شأنك ، ثم أقبل على الرجل فقال : يا حبيبي إذا علم وتيقن أنه مخلوق ، فشقق الرجل شققة وخرج .

وقال يحيى بن مُعَاذ رحمه الله : الحكمة جُندٌ من جنود الله تعالى يُقَوِّمُ بها قلوب أوليائه ، ويقال : إن الكلام إذا خرج من القلب يقع على القلب ، وإذا خرج من اللسان لم يجاوز الأذنين .

قال الشيخ رحمه الله : ومثل هذا في الأخبار كثير : من ذكر من سمع كلمة أو ذكر أوحى حصة راقه ذلك وثار من ذلك في سره وجداً أو في قلبه احترافاً ويقال : كل من لا يُزهدُك لَعظه عن لَفظه لم يُمنك وعظه عن لَفظه .

وقال أبو عثمان : فعل من حكيم في ألف رجل ، أنفع من موعظة ألف رجل ، وإنما هي مصادفات للقلوب من حيث صفاء القلوب عند ما يطرقها من واردات الغيوب من السموعات والمنظورات ، فإذا اتفقت قويت ، وإذا اختلفت وتضادت ضمنت ، إلا لأهل الاستقامة والصدق والكمال فإنهم قد جاوزوا ذلك وسقطت عنهم رؤية التمييز فلا يتغيرون ، واسكن ربنا تجدد لم أذكرهم بما يسمعون ونصبر

لهم المشاهدات وقتاً بعد وقت ، وذلك زيادات الصفاء تجدد لهم عند سماع الحكمة والإصغاء إلى طرائف الحكمة .

والمراد فيما ذكرتُ : أن مقصود القوم في السماع الذي يسمعون من القرآن والقصائد والذكر وغير ذلك من أنواع الحكم ليس كله لحسن النغمة ولطيب الصوت والتنم والتلذذ بذلك ، لأن الرقة والبهيجان والوجد كامن فيهم أيضاً عند فقدان الأصوات والنغمات ، والسكون والهدوء كامن فيهم عند وجدان الأصوات والنغمات ، فعلنا أن المقصود في جميع ما يسمعون ما تصادف قلوبهم من خفس ما في قلوبهم من المواجهيد والأذكار ، فيقوى الوجد بما تصادفه بمشاكلته .

باب آخر في السماع

قال الشيخ رحمه الله : قد ذكرنا أن المَوَلَّ والمقصود في ذلك على مقاصد المستمعين فيما يسمعون ، وعلى حسب مصادقات أسرارهم من ذلك ، ومن حيث أوقاتهم وما يكون الغالب على قلوبهم ، فإذا سمعوا شيئاً يوافق ما هم به في الوقت تقوى بذلك مَكَمَّنات سرائرهم وما انضمت عليه ضمايرهم ، فينطقون من حيث وجدهم ، وبشيرون من حيث قصدهم وصدقهم وإلى ما يليق بحالمهم ، ولا يخطر ببالهم قصدُ الشاعر في شعره ومراد القائل بقوله ، وكذلك لانصطلمهم غفلة القاري عند قراءته إذا كانوا متبهين ، ولا يؤحشهم تشتت الذاكر عند ذكره إذا كانوا مستجمعين ، وربما تتفق الحالان ، وينشأ كل الوقتان ، وتتجانس الإرادتان ، فيكون القادح أقوى والوقت أضعف والمِلَلُ أخفى ، وإذا شملتهم العناية وصحبهم التوفيق فهم محفوظون عن الزلل ومُبَرِّونَ من الميل في جميع أحوالهم .

وبيان ما ذكرت في هذه الحكايات التي أذكرها إن شاء الله . ذكر عن محمد بن مسروق البغدادي أنه قال : خرجت ليلة في أيام جاهليتي وأنا نشوان وكنت أغنى بهذا البيت :

«يَطْبِزُ نَابِذًا»^(١) كَرَمٌ مَامَرَزْتُ بِهِ إِلَّا تَعَجَّبْتُ مِمَّنْ يَشْرَبُ الْمَاءَ
قال فسمعت قائلاً يقول :

وَفِي جَهَنَّمَ مَاءٌ مَا تَجَرَّرَ عَنْهُ حَلَقٌ فَأَبْقَى لَهُ فِي الْجَوْفِ أَمْعَاءُ

قال : فكان ذلك سبب توبتي واشتغالي بالعلم والعبادة أو كما قال ، ألا ترى أنه حين أدركته العناية امتحق الباطل الذي كان فيه بمصادفة الحق له وكان باطله سبباً لنجاته حين صحبه التوفيق وشملته الرعاية ، وقد حُكِيَ أيضاً عن أبي الحسن بن رزغان أنه

قال : كنت أمشي مع رجل من أصحابنا بين بساتين بالبصرة إذ سمعنا ضاربا بالطنبور وهو يقول :

يا صِبَاحَ الْوُجُوهِ مَا تُنْصِفُونَا طُولَ ذَا الدَّهْرِ كُلِّكُمْ تَظْلِمُونَا
كَانَ فِي وَاجِبِ الْحَقُوقِ عَلَيْكُمْ إِذْ بُلِينَا بِحُبِّكُمْ تُنْصِفُونَا
قال : فشمق صاحبي شهقة ثم قال : وما ذا عليك لو قلت ؟ :

يا صِبَاحَ الْوُجُوهِ سَوْفَ تَمُوتُونَ وَتَبْلَى خُدُودُكُمْ وَالْعِيُونَا
وَتَصِيرُونَ بَعْدَ ذَلِكَ رَسْمًا فَأَعْلَمُوا ذَلِكَ إِنَّ ذَلِكَ يَقِينَا

الأنرى أنه أجابه من حيث وقته وأبان عما في ضميره ، ولم يحشمه قبح مقصد القائل في قوله ، لاستيلاء الحقائق عليه وامتلائه بوجده ؟ وقد حُكي في هذا المعنى أيضاً عن الشبلي رحمه الله : أنه سئل عن معنى قوله « وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ » ^(١) فقيل له : قد علمتُ موضع مكرهم فما موضع مكر الله بهم ؟ فقال : تركهم على ما هم فيه ولو شاء أن يغير لغير . قال : فشهد الشبلي رحمه الله في السائل أنه لم يُفِئْهُ جوابه فقال : أما سمعتَ بفلانة الطنبرانية في ذلك الجانب تقول ؟ : وَيَقْبَحُ مِنْ سِوَاكَ الْفِعْلُ عِنْدِي وَتَقَمَلُهُ فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذَلِكَ قال الشيخ رحمه الله : فانظر أين تقع إشارته من قصدها ؟ وجميع ذلك داخل في الذي قيل : إن الحكمة خالة المؤمن .

وصاحب المسئلة والسؤال أبو عبد الله بن خفيف رحمه الله كما بلغنى ، والله أعلم .

باب فيمن كره السماع ، والذي كره الحضور في المواضع التي

يقرون فيها القرآن بالألحان ، ويقولون القصائد

ويتواجدون ويرقصون

فقد كره ذلك من جهات شتى : فقومٌ كرهوا ذلك لأخبار رُويت عن بعض الأئمة المتقدمين والعلماء والتابعين أنهم كرهوا ذلك ، فكره من كره ذلك اقتداء بهم ومتابعة لهم ؛ إذ كانوا هم الأئمة في أحكام الدين والمقدمين في عصرهم على جماعة المسلمين .

وقوم كرهوا ذلك للمريدين والقاصدين والتائبين لعظم ما فيه من الخطر إن استلذوا ذلك وتابعوا حظوظهم فتنحلَّ عند ذلك عقودهم وتنفسخ عزيمتهم ويركضوا إلى شهواتهم ويتعرضوا للفتنة ويقعوا في البلية .

وطائفة أخرى كرهت ذلك وزعمت أن الذي يتعرض لاستماع هذه الرذائل لا يخلو من أحد وجهين : إما هم قوم متلذذون من أهل الدُّعابة والفتنة ، أو هم قوم وصلوا إلى الأحوال الشريفة وعانقوا المقامات الرضوية وأماتوا نفوسهم بالرياضات والمجاهدات وطرحوا الدنيا وراء ظهورهم وانقطعوا إلى الله عز وجل في جميع معانيهم ، قالوا : ولسنا نحن من هؤلاء ولا من هؤلاء فلا معنى لاشتغالنا بذلك وترك ذلك أولى بنسبنا ، والاشتغال بالطاعات وأداء المفترضات واجتناب المحرمات يشغلنا عن ذلك .

قال : سمعت أحمد بن عليّ الوجيهي يقول : سمعت أبا عليّ الروذباري رحمه الله يقول : قد بلغنا في هذا الأمر إلى مكان مثل حدِّ السيف فإذا ملنا كذب في النار .

قال : وأخبرني جعفر الخُلدي فيما قرأتُ عليه قال : سمعت الجنيدَ رحمه الله يقول : جئتُ إلى سَري السَّقَطِي رحمه الله يوماً فقال لي : أبشَ خَبرَ أصحابك يقولون قصائد ؟

قلت : نعم

قال : يقولون عاشقٌ دَيفٌ ؟ لو شئتُ أن أقول هذا الذي بي من هذا اللون لقلت .

قال الجنيد رحمه الله : وكان معه هذا كثيراً ، كان يستره وكان معوَّله الخوف .

وكرهت طائفة أخرى ذلك من جهة أن العامة لا تعرف مقاصد القوم فيما يسمعون ، فربما غلطوا في مقاصدهم وزلوا ، فكروهوا ذلك : شفقةً على العامة وصيانةً للخاصة وغيره على الوقت الذي إذا فات لا يدرك .

وطائفة أخرى كرهت ذلك : لما قد فقد من إخوانه ، وعدم من أشكاله وقرنائه ومن كان يصلح لذلك ، ولما قد بُلى من الاختلاط بغير أبناء جنسه ولما قد دُفع إلى مجالسة الأضداد ومخالطة أهل العناد ، فقد ترك ذلك طلباً للسلامة : لإقباله على شأنه ومعرفته بأهل زمانه .

وطائفة أخرى كرهت ذلك أقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه أنه قال : ١٦٧ « من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » فقالوا : هذا ما لا يعنيننا : لأننا ما أمرنا بذلك ، وليس هو من زاد القبر ، ولانما يُطلب به النجاة في الآخرة ، فكروهوا ذلك لهذا المعنى .

وطائفة أخرى من أهل المعرفة والسكال كروهوا ذلك ؛ لأن أحوالهم مستقيمة وأوقاتهم معمورة وأذكارهم صافية وأسرارهم طاهرة وقلوبهم حاضرة وهمومهم مجتمعة ، لم يخطر ببالهم خاطر ولا يجري في أفكارهم عارض إلا وهم مُشْرِفون

عليه ، يعلمون من أين مَوْرده وإلى أين مَصْدره ، ليس فيهم فضلة لطوارق سمع
الظاهر من معارضة طوارق سمع الباطن من دوام المناجاة ولطائف
الإشارات وخفي العاتبات والمخاطبات والمجاوبات فينكره جليسه ولا يعرفه أنيسه ،
فهم مع الله تعالى بيواظبهم ، وإن كانوا مع الخلق بظواهرهم « ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ
مَنْ يَشَاءُ ^(١) » .

فهذا مما حضرني في هذا الوقت وبالله التوفيق .

كتاب الوجد

باب في ذكر اختلافهم في ماهية الوجد

قال الشيخ رحمه الله : اختلف أهل التصوف في الوجد : ما هو ؟ فقال عمرو ابن عثمان المسكي رحمه الله : لا يقع على كيفية الوجد عبارة ؛ لأنها سر الله تعالى عند المؤمنين الموقنين .

وذكر عن الجنيد رحمه الله أنه قال : كما أعلن أن الوجد هو المصادقة بقوله عز وجل : « وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا » ^(١) يعني صادفوا ، وقال : « وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ » ^(٢) أى تُصادفوا ، وقال : « حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا » ^(٣) يعني لم يصادفه .

وكل ما صادف القلب من غم أو فرح فهو وجد ، وقد أخبر الله تعالى عن القلوب : أنها تنظر وتبصر وهو وجد لها ، قال الله تعالى : « فَإِنَّمَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ » ^(٤) أى عن وجدها ، ففرق بين التي تجمد وبين التي لا تجمد .

وقد قيل أيضاً : إن الوجد مكاشفات من الحق ، ألا ترى أن أحدهم يكون ساكناً فيتحرك ويظهر منه الزفير والشفيق ؟ وقد يكون من هو أقوى منه ساكناً في وجدده لا يظهر منه شيء من ذلك ، قال الله تعالى : « الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ » ^(٥) .

(٣) النور : ٣٩

(٢) البقرة : ١١٠

(١) الكهف : ٤٩

(٥) الحج : ٣٥

(٤) الحج : ٤٦

قال بعض المشايخ من المتقدمين : الوجد وجدان : وجدٌ مُلك ، ووجد لقاء
لقول الله عز وجل : « فَمَنْ لَمْ يُجِدْ » يعنى من لم يملك ، وقوله تعالى : « وَوَجَدُوا مَا
عَمِلُوا حَاضِرًا » يعنى لقوا .

وقال بعضهم : كل وجد يجذبك فيملكك فذاك وجدٌ مُلك ، وكل وجد نجده
فذاك وجدٌ اللقاء تلقى بقلبك شيئاً ولا يثبت .

وسمعت أبا الحسن الحضري رحمه الله يقول : الناس أربعة ، مدع مكشوف ،
ومعترض تارة له وتارة عليه ، ومتحقق قد اكتفى بحقيقة ته ، وواجد قد فنى بما يجد .
وحكى عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنه قال : كل وجد لا يشهد له
الكتاب والسنة فهو باطل .

وقال أبو سعيد أحمد بن بشر بن زياد بن الأعرابي رحمه الله : أول الوجد رفع
الحجاب ، ومشاهدة الرقيب ، وحضور الفهم ، وملاحظة النيب ، ومحاذاة السر ،
وإيناس المفقود ، وهو فناؤك أنت من حيث أنت .

قال أبو سعيد رحمه الله : الوجد أول درجات الخصوص وهو ميراث التصديق
بالغيب ، فلما ذاقوها وسطع في قلوبهم نورها ، زال عنهم كل شك وريب .

وقال أيضاً : الذى يحجب عن الوجد رؤية آثار النفس والتعلق بالملائق
والأسباب ؛ لأن النفس محجوبة بأسبابها ، فإذا انقطعت الأسباب ، وخلص الذكر
وصح القلب ورق وصفا ، ونجمت فيه الموعظة والذكر وحل من المناجاة في محل
غريب ، وخوطب وسمع الخطاب بأذن وإعية وقلب شاهد وسر طاهر ، فشاهد
ما كان منه خائياً ، فذلك هو الوجد ؛ لأنه وجد ما كان عنده عدماً مدوماً .

باب في صفات الواجدين

قال الشيخ رحمه الله: قال الله عز وجل: مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ^(١) اللَّهِ هـ هذه صفة من صفات الواجدين. وقوله تعالى: وَجِئَتْ قُلُوبُهُمْ^(٢) فالوجل صفة من صفات الواجدين، وفي الحديث ١٦٨ أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ: فَكَيِّفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً^(٣) فصق، فالصفة صفة من صفات الواجدين.

والأخبار تسكث من مثل الزفير والشهيق والبكاء والغشية والأنين والصفقة والصراخ والصيحة فبكل ذلك من صفات الواجدين.

وهم على طبعين: واجدٌ، ومتواجدٌ.

فأما الواجدون فهم على ثلاثة أصناف: فصنف منهم وجدُّهم مصحوبهم، إلا أنه يعارضهم في الأحايين دواعي النفوس والأخلاق البشرية ومزاج الطبع فيكدر عليهم الوقت ويغير عليهم الحال، والصنف الثاني وجدُّهم مصحوبهم إلا أنه إذا طرأ عليهم ما يشاكل وجدِّهم من طوارق السمع تنعموا بذلك وعاشوا وانتعشوا ثم يغير عليهم الوجد، والصنف الثالث وجدُّهم مصحوبهم على الدوام، وقد أفتاهم ذلك الوجد: لأن كل واحد قد فنى بما وجد، فليست فيهم فضة عن موجودهم، لأن كل شيء عندهم كالمفقود عند وجدِّهم بموجودهم بذهاب رؤية وجدِّهم.

فأما المتواجدون فهم أيضاً على ثلاثة أصناف في تواجدهم: فصنف منهم المتكفون والمنشغون وأهل الدعاية ومن لا وزن له، وصنف منهم: الذين يستعدون الأحوال الشريفة بانعراض محل قطع العلايق المشغلة والأسباب المقطرة، فذلك المتواجد يحسن

منهم ، وإن كان غير ذلك أولى بهم ؛ لأنهم نبذوا الدنيا وراء ظهورهم ، فتواجدتم مطاوعة وتسلياً وفرحاً وسروراً بما قد عانقوا من خلع الراحة وترك المعلومات .
 قال الشيخ رحمه الله : فن أنكر ذلك ويقول : ليس هذا في العلم . فيقال له : قد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا دخلتم على هؤلاء المعذبين فابكوا ، فإن لم تبكوا فتنباكوا .

فالتواجد من الوجد ، بمنزلة التباكي من البكاء . والله أعلم .
 وصنف ثالث : أهل الضعف من أبناء الأحوال ، وأرباب القلوب ، والمتحقيقين بالإرادات ، فإذا عجزوا عن ضبط جوارحهم وكتمان ما بهم تواجدوا ونفضوا مالا طاقة لهم بحمله ولا سبيل لهم إلى دفعه عنهم وردِّه ، فيسكون تواجدهم طلباً للتفرج والتسلي ، فهم أهل الضعف من أهل الحقائق .

قال : سمعت عيسى القصار يقول : رأيت الحسين بن منصور حين أخرج من الحبس ليقتل فكان آخر كلامه أن قال : حسب الواجد أفراد الواحد . قال : وما سمع أحد من المشايخ الذين كانوا ينفدوا هذا ، إلا استحسنا منه هذه الكلمة .
 وسئل أبو يعقوب النهرجوري رحمه الله عن صحة وجد الواجد وسقمه فقال : صحته قبول قلوب الواجدين له ، وكذلك سقمه إنكار قلوب الواجدين له ، وتبرّم جلسائه ؛ إذ كانوا أشكالا غير أخداد وليس ذلك أخير أبناء جنسهم .

باب فی ذکر تواجد المشايخ الصادقين

قال الشيخ رحمه الله : حُكي عن الشَّيْخِ رحمه الله : أنه تواجد يوماً في مجلسه فقال : آم ليس بدرى ما بقلبي سواء ، فقيل له : آم من أى شيء ؟ فقال : من كل شيء ، وذكر عنه أيضاً أنه تواجد يوماً ففُضِرَ يده على الحائط حتى سَمِعَتْ عليه يده قال : فعمدوا إلى بعض الأطباء ، فلما أتاه قال للطبيب : وَيْلَكَ ! بأى شاهد جئتني ؟ قال : جئت حتى أعالج يدك ، فلطمه الشَّيْخُ رحمه الله وطرده ، قال : فعمدوا إلى طبيب آخر الطَّيِّفَ منه ، فلما أتاه قال له : ويحك ، بأى شاهد جئتني ؟ قال : بشاهده ، قال : فأعطاه يده فبَطَّلَهَا وهو ساكت ، فلما أخرج الدواء يحملها عليها ، صاح وتواجد ، وترك إصبعه على موضع الداء وهو يقول :

أَنْدَبْتُ صَبَابَتَكُمْ قَرْحَةً عَلَى كَبِدِي
بِتُّ مِنْ تَفْجُعِكُمْ كَالْأَسِيرِ فِي الصَّفَدِ

وذكر عن أبي الحسين النوري رحمه الله : أنه اجتمع مع جماعة من المشايخ في دعوة ، فخرى بينهم مسألة في العلم ، وأبو الحسين النوري رحمه الله ساكت ، قال : ثم رفع رأسه فأنشده هذه الأبيات :

رُبَّ وَرَقَاءٍ هَتُوفٍ فِي الصَّحَى ذَاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ فِي فَنَنِ
فَبُكَائِي رُبَّمَا أَرْقَاهَا وَبُكَاهَا رُبَّمَا أَرْقَانِي
هِيَ إِنْ تَشْكُو فَلَا أَفْهَمُهَا وَإِذَا أَشْكُو فَلَا تَفْهَمُنِي
غَيْرَ أَنِّي بِالْجَوَى أَعْرِفُهَا وَهِيَ أَيْضًا بِالْجَوَى تَعْرِفُنِي

قال : فما بقي في القوم أحد إلا قام وتواجد لما أنشد النوري هذه الأبيات :
وقال بعض الصوفية : هو ذى أشتهى منذ سنين أن أسمع كلمة في المحبة من رجل واحد يتكلم بها عن وجده .

ويقال : إن أبا سعيد الخراز رحمه الله : كان كثير التواجد عند ذكر الموت فسئل عن ذلك الجَنيد رحمه الله فقال : العارف قد أيقن أن الله لم يفعل شيئاً من المكارم بفضله ولا عقوبة ، ويشاهد في صنائع الله تعالى الحالة به من المكارم صفو المحبة بينه وبين الله عز وجل : وإنما يُنزل به هذه النوازل ليردَّ روحه إليه اصطفاً له واصطفاً له ، فإذا كوشف العارف بهذا وما أشبهه لم يكن بمجب أن تطير روحه إليه اشتياقاً ، وتنقلب من وطنها اشتياقاً ، فلذلك ما رأيت من التواجد عند ذكر الموت ، ورُبَّما أنى ذلك على قرب مُنيته ؛ والله يفعل بوليّه ما يشاء وما يُحبّ .

وسئل بعض المشايخ عن الفرق بين الوجود والتواجد فقال : الوجود يوادى الغيبة وإرسالات الحقيقة ، والتواجد داخل في الاكتساب ، راجع إلى أوصاف العبد من حيث العبد .

والذي كره الوجد ، لمشاهدة علة في الذي يتواجد . عن أبي عثمان الحيري الواعظ حكى عنه أنه رأى رجلاً قد تواجد فقال له : إن كنت صادقاً فقد أظهرت كتمانته وإن كنت كاذباً فقد أشركت ، والله أعلم بمقصده من ذلك . ويُشبهُ أنه أراد بذلك شفقة عليه ، وحذراً من الفتنة والآفة ، والله أعلم .

باب في قوة سلطان الوجد وهيجانه وغلباته

قال: أخبرني جعفر بن محمد الخَلْدِي رحمه الله فيما قرأت عليه قال: سمعت الجـ رحمه الله يقول: قال: ذُكر يوماً عند سَري السَّقَطِي رحمه الله تعالى المواجهيد الحادة في الأذكار القوية وما جانس هذا مما يقوى على العبد فقال سري رحمه الله وقد سأله فيه فقال: نَعَمْ يُضْرَبُ وجهه بالسيف وهو ولا يحسه .

قال أبو القاسم رحمه الله: كان عندي في ذلك الوقت أن هذا لا يكون، فراجعت أنا في ذلك الوقت فقلت له: يضرب بالسيف ولا يحس؟ إنكاراً مني لذلك! فقال: نعم، يضرب بالسيف ولا يحس، وأقام على ذلك .

وعن الجنيد رحمه الله أنه كان يقول: إذا قوى الوجد يكون أتم من يستأثر العلم . وذكر عنه أيضاً أنه قال: لا يضرب نقصان الوجد مع فضل العلم، وفضل العلم أتم من فضل الوجد . وقد ذكر عنه جعفر الخَلْدِي رحمه الله أنه قال: الحملان في الوجد بعد الغلبة أتم من حال الغلبة في الوجد، والغلبة في الوجد أتم من المحمول قَبْلَ الغلبة، فقيل له: كيف نزلت هذا التنزيل؟ فقال: المحمول عن حال غلبته بالحمل بعد القهر أتم، والمخلوب بعد خُلْائِهِ عن نفسه وشاهده أتم .

قال الشيخ رحمه الله، وبيان ما قل والله أعلم: أن من يكون محمولا يعني ساكناً بعد غلبات الوجود وقوة الوارد يكون أتم في معناه عن يغلبه حتى يظهر على ظاهر صفاته، والغلبة لسلطان الوجد من قوة الوارد عليه والمصادفة لقلبه تكون أتم من حال الساكن الذي لا يقدح فيه القادح ولا ينجع فيه الوارد .

سمعت ابن سالم يقول عن أبيه: أن سهل بن عبد الله كان يقوى عليه الوجد حتى يبقى خمسة وعشرين يوماً أو أربعة وعشرين يوماً لا يأكل فيه طعاماً، وكان يعرق عند البرد الشديد في الشتاء وعليه قميص واحد، وكانوا إذا سألوه عن شيء من العلم يقول: لا تسألوني فإنكم لا تنتفعون في هذا الوقت بكلامي .

سمعت أبا عمرو بن علوان يقول : سمعت الجنيد رحمه الله يقول : الشبلى رحمه الله سكران ولو أفاق من سكره لجاء منه إمام ينتفع به .
وحكى عن الجنيد رحمه الله أنه كان يقول : ذكرت الحبة بين يدي سرى السقلى رحمه الله فضرب يده على جلد ذراعه فدها ثم قال : لو قلت إنما جف هذا على هذا من الحبة لصدقت قال : ثم أغنى عليه حتى غاب ، ثم تورّد وجهه حتى صار مثل دارة القمر فما استطعنا أن ننظر إليه من حسنه حتى غطينا وجهه .
وقال عمرو بن عثمان المسكى رحمه الله : الذى يحل بالقلوب من الامتلاء والوجد حتى لم يبق فيه فضل لوجود حال كان يعرفها قبل ذلك ، إنما هى زيادة للنفس فى معرفتها ؛ اعظم قدر الحق وقدر ما يستحق حتى يتبين لها عن الحال التى يكون هو منفرداً بها عن كل شيء حتى لا تجد غيره ، فعند ذلك انقطع عنها حس كل محسوس ، وإنما أدركت انقطاعه عن المحسوسات بما أوقعه الحق عليه منه فلم يكن فيه فضل لغيره .

وعن أبى عثمان المزين رحمه الله أنه كان يقول :

فَسُكْرُ الْوَجْدِ فِي مَعْنَاهُ صَحْوٌ وَصَحْوُ الْوَجْدِ سُكْرٌ فِي الْوِصَالِ

باب في الواجد الساكن والواجد المتحرك أيهما أتم؟

قال الشيخ رحمه الله : قال أبو سعيد بن الأعرابي رحمه الله في كتابه في الوجد إن سائلاً سأله فقال : أيما أفضل وأنتم ، الحركة في الوجد أم السكون فيه ؟ وقد قال قوم : إن السكون والتمكن أفضل وأعلى من الحركة والازعاج ، قال أبو سعيد : فالجواب في ذلك والله أعلم : إن الواردات من الأذكار ، منها ما يوجب السكون ، فالسكون فيها أفضل من الحركة ، ومنها ما يوجب الحركة ، فالحركة فيها أتم : إذ حكمها القهر لأهلها ، فإذا لم يقم بهذا القهر كان الوارد ضعيفاً في وروده . ولو ورد بحقيقته لأوجب ضرورة الحركة والواردات من العلوم والأذكار السالكين عنها الوجد والاستهتار على القلوب فيشاهدوا .

ورأيت جماعة يفضلون أهل السكون لكبر عقولهم وقوتها وإشرافها على ما ورد عليها وتمكنها فيه . وهذا أمرى كذلك ، ولكن ربما ورد ما لا يلاوم^(١) القول الخلوقة فيكون نوره أقوى وبرهانه أقوى فيقوم شاهده منه ويمعز العقل عن إدراكه فيكون الوارد أقوى من العقل ، فحكم هذه الحركة أتم .

قال أبو سعيد : ومن الواردات ما يكون للعقل ملاوماً^(٢) فيدركه ويساكنه فلا يظهر مع ذلك حركة لتمكن العقل ، لأنه يشير إليه بما قد عرفه ، فمن شرف أهل السكون إنما شرفهم بفضل عقولهم وشدة تمكنهم ، ومن فضل المتحركين فضلهم بقوة الوارد من الذكر الذي ينخس دون فهم العقل ، فكان أفضل لفضل الوارد ، وإذا كان العقلان مستويين — ليس أحدهما أفضل — فالساكن أتم ، وهذا مالا أحسبه يكون : أن يستوى رجلان أو عقلان أو واردان ، وقد أبى ذلك أهل العلم ، وإذا بطل التساوى رجفناً إلى ما قلنا في أول المسألة : أن لا معنى

لتفضيل الساكن على المتحرك ، ولا المتحرك على الساكن ؛ لاختلاف الحال الواردة التي توجب الحركة ، والحال التي توجب السكون ؛ لأن الواجدين لا يستوون فيما كوشفوا به ولا ما شاهدوه من حالة الذكر الموجبة إحدى الحالتين من الحركة والسكون ، وفي الواردات التي توجب السكون ما هو أعلى من الواردات التي توجب الحركة ، وفي الواردات التي توجب الحركة ما هو أفضل من الواردات التي توجب السكون ، فليس الفضل ما هنا بالحركة ولا بالسكون حتى تعلم الحال الواردة على المتحركين وعلى الساكنين ، فإِنْ كانت الحال توجب سكوناً فلم تُسكن صاحبها فهو ناقصٌ عن غيره ، وإن كانت توجب حركةً فلم تُحركْه ذلك على نقص وإِدْرِهِ ، والشاهدات الواردات على قدر صفاء القلوب ، وتخليها عن الحجب المانعة لإدراك الواردات .

فهذه صفة الأذكار لأهل الأحوال وقيامهم بها من حيث ما يوجب العلم .
فأما أهل الغلطات والشكر فلا يجوز عليهم شيء من هذا الكلام ، والله أعلم .

باب جامع مختصر من كتاب الوجد الذي ألفه

أبو سعيد بن الأعرابي رحمه الله

قال أبو سعيد بن الأعرابي : الوجد ما يكون عند ذكر مُزَجِّجٍ ، أو خوفٍ مُقَلِّقٍ ، أو توبيخ على زلة ، أو محادثة بلطيفة ، أو إشارة إلى فائدة ، أو شوق إلى غائب ، أو أسف على فائت ، أو ندم على ماضٍ ، أو استجلاب إلى حال ، أو داعٍ إلى واجب ، أو مناجاة بسرٍّ ، وهي مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والغيب بالغيب والسرّ بالسرّ ، واستخراج ما لك بما عليك مما سبق لك ؛ لتسهي فيه فيكتب لك بعد كونه منك ، فيثبت لك قدّم بلا قدم وذاكر بلا ذكر ، إذ كان هو المبتدئ بالنعم والمتولّى لها ، ومُلهم الشكر عليها ، والمضيف إليك كسبها ، فيثبت لك بها درجة عاجلة ، وإليه يرجع الأمر كله ، فهذا جُملَةُ ظاهر علم الوجود .

وقال أبو سعيد رحمه الله : الوجد مباشرة رَوْح ومطالعة مزيد ، لا يُصْبِرُ عن قليله ولا يَقْدَرُ على كثيره ، التخيل منه متدارك ، والاستمحات منه إياه متواتر ، فلذلك يقع اللهب وربما كان دونه التلف ، فأما البكاء والشميق فلقربه ما يزداد إذ كان لم يُعرَف قَبْلَ وروده ولا أُنْسَ به مع سرعة تقضيه مع وقوعه . حتى كأنهما جميعاً ، فلم يتم الاستبشار بوروده حتى لحق الأسف على تقضيه ، والرعدة والفشية وزوال الأعضاء والغلبة على العقل فيعظم قدر الوارر وقوة سطوته ، وكذلك كل وارد مستغرب أو مُنزع مهول ، ففي سرعة وروده مع سرعة تقضيه حكمة بالغة ونعمة ظاهرة ، ولولا أنه أمسك أرياءه وألقى على كل قلب من ذلك ما أطاقت عقولهم وذهلت نفوسهم ، ولسكن لا حال معلومة ومناهل مورودة ، وذلك لا يدوم لحظة أو طرفة عين : رفقاً منه بأوليائه حتى يُنسيهم فيما أراد كما يريد .

وقال : الوجد في الدنيا فليس بكشفٍ ولكن مشاهدة قلبٍ وتوهم حق وظن يقين ، فيشاهد من رَوْح اليقين وصفه الذكر لأنة متبتهٌ ، فإذا أفاق من غمرته فَقَدَ ما وجد ، وبقي عليه عِلْمُهُ ، فتمتع بذلك رَوْحه مع ما زيد من اليقين بالمكاشفة ، وهذا من العبد على حسب قُرْبِهِ وُبُعْدِهِ ، وعلى ما يُشْهده من ذلك خالقه .

ومنهم من ثبت في وجدته وشاهد من ذلك بتمكينه ، فوصف بعض ما شاهده ، فيكون ذلك حُجَّةً على غيرهم ، ولولا ذلك ما خَبَرُوا به توقُّعاً عليه وصيانةً له وإشفاقاً أن يضعوه غير موضعه فيُسَلَّبوه ، وربما وقع بهم الوجد من المسموع قَبْلَ تدبره ، ومن المنظور إليه قبل الفكر فيه ، ولا يأمنون أن يكون ذلك من الطبع واستحسان النفس مع ما يجدون فيه من الرقة وبشهودن بعده من الزيادة فيلتبس عليهم تمييز الحق من الباطل ، ولا يجب لمن يدعى معرفة خالقه أن يسكن إلى سواء أو يشغل خاطره بناقص أو يقع وهمه على زائل ، وهذا وإن كان مشكلاً عليه لتشابهه ، فإنه عند أهل النظر والتحصيل يميَّز بالترفضيل ، إذ ليس ما تلقته القلوب بمشاهدتها كما توهمته بظنونها ، ولا من كان متروكاً مُهْملاً كمن كان محفوظاً ، ولا ما استجلب كونه كما قاض عن معدنه ، ولا ما نتج عن الفكر كما رشح عن الذكر ، وربما يختلط ذلك على أهل التمييز لعلته وينكشف لهم بعد زوال العلة لأن المقيِّمَ بالفكر ليس كالمستهيِّر بالذكر ولا المتخير المختار كمن غلب عليه الوجد والاستهتار ، وليس هذا صفة كل واحد لاختلاف أحوالهم ، فمنهم من وجدته عن العلم ، ومنهم من وجدته بالعلم ، ومنهم من وجدته علمً .

فأما الوجد الذي يكون لأهل الثبات من السكون عن الحركة والنَّمة بالخلوة لأن الأنس أُنْفِمْ عن الوحشة والقُرْب عن رؤية المسافة ، وربما بدا لهم بادٍ فيتعالون في وجودهم ، وربما ردم إلى صفاتهم بُقياً عليهم لما افتطروا عليه من الحاجة إلى الغذاء والنساء فيحشمهم ذلك فيترجمون من رؤيتهم ذلك انزعاجاً بظنونها لعله وقد

خافوه زماناً فيلحقهم عند ذلك الوله اطلب ماقدوره فيحملهم على الاقتحام على كل ما توقمونه أنه يوصلهم ، غلبت رؤيتهم التمييز ، فبادروا مسرعين ، كلما رأوا سراباً ظنوه ماء ، وكلما رأوا ماء ظنوه سراباً لغلبة الطمع ، فهم على وجوههم ذاهبون في كل وادٍ يهيمنون ولكل بارق يتبعون ، سبق سيابهم مطرهم وذکرهم فسكرهم ، إلى كل سبب يُسلمون ، وعليه لا يعولون ، والطمع يُطمع أبصارهم ، واليأس يزجرهم ، فلا يأسهم يدوم فينصرفوا ولا طمعهم يصح به تعلقوا ، أشبه شيء بالجهنمين ، قد سمحت أنفسهم بظف مهبتهم عند ما يطلبون ، لو توقمونه في تيه سلكوه ، أو وراء بحر سبحوه أو وراء نار تأجج اقتحموها كالأفراش إذا رأى ضوء النار لا يقصر عن تقحمها ، أو ما رأيتهم مشردين مهيبين بالمقارز والممالك والفقر ، لا يأوون ولا يؤوون ؟ إلا أنهم في ذلك محفوظون من الزلل بصدقهم في قصدهم ، فهم من العلم على سنن .

وأما من فارق العلوم الظاهرة فخير مأمون عليه الزلل ، ومن سلك غير الحاجة كان من السلامة على خطر .

وكما ذكرنا من علوم الوجد ظاهراً وما لحقته العبارة أو مينا^(١) إليه بالإشارة أو بدليل قام عليه أو مثال قاربه ، فأما ما كان غير ذلك فإنه علمه منه ، وشاهده فيه ، وحقيقته كونه ، ووصفه ذوقه ، لأن حجج الله تعالى على عباده باهرة ، وأهله غير محتاجين إلى علمها ، لقيام الشاهد فيها ، وانتفاء كل وصف عنها ، لأنها ما تولى الله كونها ، وانفرد بعلم كونها ، ومتع أهل الإيمان بها ، لما كاشفهم فيها ، فلم يبحثوا عما وراء ذلك لينام بها عن غيرها ، لأن ما أبدى لهم منه فهم له . شاهدون ظاهراً وفيه مقيمون باطناً ، وهو الغيب الذي وصف الله [به] المؤمنين فقال : « الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ »^(٢) ، فهم في غيبه معييون ، وهو وإن كان غيباً ، لا يلحقهم في ذلك شك ولا ريب .

فإن سأل سائل عن الزيادة في وصف الوجد فهيئات دون ذلك ! فكيف يوصف من ليس له صفة غيره ولا يقام عليه شاهد غيره ؟ فهو شاهد نفسه ، وحقيقته كونه ، يعرفه من وجده ، وينسكركه من لم يعرفه ، ويعجز الجميع ، من عرفه ومن لم يعرفه ، فهو بالذوق محسوس وصاحبه بالمراد مكاشف ، وهو عزيز موجود منيع مفقود محتجب بأنواره عن نوره ، وبصفاته عن إدراكه ، وبأسمائه عن ذاته : أغنى ذات الوجد واليقين والإيمان والحقائق وكذلك المحبة والشوق والقرب ، كل ذلك يَدُقُّ وصفه ولا يُدْرِكُ كنهَهُ إلا من ذاقه وتفضل عليه بآرثه به فيخيلون فيه ولا يصفونه ولا يدركونه ، يلبسهم البأس ويذهب عنهم الوحشة إيناساً ، فكلماً ازدادوا من صفته وصفاً كانوا من حقيقته أشدُّ بُعداً فخرسهم فيه أبلغُ من النطق ، فلن يعرف أهله منه إلا ما عُرِفوه ، واعترفهم بالتقصير فيها نهاية العلم بها ، فنطقهم عيٌّ ، وعيهم بلاغة ولُكْنَتُهُمْ فصاحةٌ .

فالسائل عن طعمه وذوقه يسأل عن محال ؛ لأن اللطم والذوق لا يدرك بالوصف دون التطم والذوق .

والسائل عن كنهه فسؤاله دليلٌ على جهله به ، ولا سبيل للعالم إلى جواب كل سائل ، إذ كان بعضهم يسأل عما له وبعضهم يسأل عما عليه ، فقد أخذ الله على العلماء أن لا يكتسوا العلم أهله كما أخذ الله على العلماء أن يصونوه عن غير أهله ، وقد قلنا إن أهله غير مرتابين فيسألوا ، ولا شاكين فيتمرفوا . وبالله التوفيق .

ولما كانت هذه الأحوال ليس لها نهاية كان الكلام فيها ليس له نهاية ، فقطعناه فلو وصلناه لا تصل إلى ما لا نهاية له ، لأنها ازديادات في المعارف وليست من كسب الآدميين بل هي داخلة في قوله عز وجل : وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ^(١) فهذا بعض عطاياء العمومة ^(٢) ، لانهاية لها ، ولا يُبْتِغُ وصفها فكيف باختصاصه أولياءه بما يُورد

(١) ق : ٣٥ ونص الآية : لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد

(٢) في نسخة : للعمومة

عليهم في كل وقت وزمان وطرفة عين ؟ وأقل من ذلك من الأحوال التي هي مذكورة عندنا علماء بفضلها معلومة « لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ » ^(١) ، وهذه وإن كانت ليست باكتساب الآدميين ، وإنما هي خصوص وبعضها مواريث الأعمال ، فالطالب من عند الله المزيّد ، قد أحكم الأصل الذي يوجب المزيّد ، فنفرط فيه فليس تأمون عليه أن يسلب الأصل الذي معه ، إذ لم يزعّه حقّ رعايته ، لأن التوقف مع النفوس يقطع الهجوم ، والهجوم مع مفارقة المعلوم خطأً بين ، فإذا قويت الرغبة عن التوقف فالهجوم ربما أوصل . فأما من كان مطالباً بأصل فخطأً نخطئه إلى الفرع قبل إحكام الأصل ، لا يؤمن عليه الزلل ، وبالله التوفيق .

فهذا ما اختصرته من كتاب الوجد لابن الأعرابي ، وبالله التوفيق .

كتاب إثبات الآيات والكرامات

باب في معاني الآيات والكرامات وذكر من كان له

شيء من ذلك

قال الشيخ رحمه الله : حُكي عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنه قال : الآيات لله ، والمعجزات للأنبياء ، والكرامات للأولياء وخيار المسلمين .

وحُكي عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنه كان يقول : من زهد في الدنيا أربعين يوماً صادقاً مخلصاً في ذلك تظهر له الكرامات من الله عز وجل ، ومن لم يظهر له ذلك فلما عدم في زهده من الصدق والإخلاص ، أو كلاماً نحو ذلك .

وعن الجنيد رحمه الله أنه قال : من يتكلم في الكرامات ولا يكون له من ذلك شيء مثله مثل من يضع التبن . قيل لسهل رحمه الله في الحكاية التي قبل هذه فيمن زهد في الدنيا أربعين يوماً : كيف يكون ذلك ؟ فقال : يأخذ ما يشاء من حيث يشاء .

وسمعت ابن سالم يقول : الإيمان أربعة أركان : ركنٌ منه الإيمان بالقدر ، وركنٌ منه الإيمان بالقدر ، وركنٌ منه التبرُّي من الحول والقوة ، وركنٌ منه الاستعانة بالله عز وجل في جميع الأشياء .

وسمعت ابن سالم رحمه الله وقيل له : ما معنى قولك الإيمان بالقدر ؟ فقال : هو أن تؤمن — ولا ينكر قلبك — بأن يكون له عبدٌ بالشرق ويكون من كرامة الله تعالى له أن يعطيه من القدرة وما يتقلب من يمينه على يساره فيكون بالمغرب ، يعني تؤمن بجواز ذلك وكونه .

والصحيح عن سهل بن عبد الله أنه كان يقول لشاب كان يصحبه : إن كنت تخاف من السبع بعد ذلك فلا تصحبني .

ودخلت مع جماعة بَنَسْتَرَ قصر سهل بن عبد الله رحمه الله ، فدخلنا في القصر بيتاً كان الناس يسمونه بيت السبع فسألناهم عن ذلك فقالوا : كان نجيء السباع إلى سهل بن عبد الله رحمه الله فكان يدخلها هذا البيت ويضيفها ويطعمها اللحم ثم يخليها ، والله أعلم بذلك ، وما رأيت أحداً من صالحى أهل نَسْتَرَ ينكر ذلك .

وسمعت أبا الحسين البصرى رحمه الله يقول : كان بعبادان رجل أسود فقير يأوى الخرابات ، فحلمت معى شيئاً وطلبت ، فلما وقعت عينه على " تبسم وأشار بيده إلى الأرض ، فرأيت . معنى الأرض كلها ذهباً تلعب " ثم قال لى : هات ما معك ، فتناوته ما كان معى ، وهربت منه ، وهالنى أمره .

وسمعت الحسين بن أحمد الرازى رحمه الله يقول : سمعت أبا سليمان الخواص رحمه الله يقول : كنت راكباً حماراً لى يوماً ، وكان يؤذيه الذباب فيطأطئ رأسه فكننت أضرب رأسه بخشبة كانت فى يدي ، فرفع الحمار رأسه إلى وقال : اضرب فإنك هو ذا تضرب على رأسك ، فقال أبو عبد الله : فقلت لأبى سليمان : يا أبا سليمان وقع لك ذلك أو سمعته ؟ فقال : سمته يقول كما تسمنى .

وسمعت أحمد بن عطاء الروذبارى يقول : كان لى مذهب فى أمر الطهارة فكنت أيلة من اللبائى أستنجى - أو قال كنت أتوضأ - إلى أن مضى من الليل رُبْعُهُ ولم يطب قلبى فضجرت ، وبكيت ، وقلت : يا رب المغفر ، فسمعت صوتاً ولم أر أحداً يقول : يا أبا عبد الله المغفر فى العلم ، وكان عند جعفر الخلدى رحمه الله فص ، وكان يوماً من الأيام راكباً فى سارية فى الدجلة ، فأراد أن يعطى الملاح قطعة ، فحل الشئكة . وكان الفص فيها ، فوقع الفص فى الدجلة ، وكان عنده دعاء للضالة مجرب فكان يدعو به فوجد الفص فى وسط أوراق كان يصفحها ، والدعاء اللهم يا جامع الناس يَوْمَ لا رَيْبَ فيه اجمع على ضالتي ، قال : ثم أُوْراني

أبو الطيب المكي جزء؛ قد جمع فيه ذكر كل خالة رد الله إلى من دعا بهذا الدعاء في مدة قليلة، فنظرت فيه وكان أوراقاً كثيرة .

وسمعت حمزة بن عبد الله المكي يقول: دخلت على أبي الخير التبناني وكنت قد اعتقدت في سري فيما بيني وبين الله تعالى أن أسلم عليه وأخرج، ولا أتناول عنده طعاماً، ثم دخلت فسلمت عليه وودعته وخرجت من عنده، فلما تباعدت من القرية فإذا به وقد حمل معه طعاماً فقال لي: يا فتى، كل هذا، فقد خرجت الساعة من اعتقادك، أو كلاماً هذا معناه .

وهؤلاء القوم مشهورون بالصدق والديانة، وكل واحد منهم إمام مٌشار إليه في ناحيته، ومقتدى به في أحكام الدين، فقد صدقهم المسلمون في أحكام دينهم، وقبلوا شهادتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رَوَوْا عنه وأسندوا إليه من الأخبار والآثار، ولا يجوز أن يكذبهم أحدٌ ويتهمهم في هذه الحكايات وما يشبه ذلك، وإذا كانوا صادقين في واحد، ففي الجميع كذلك . وبالله التوفيق .

باب في حجة من أنكر كون ذلك من أهل الظاهر والحجة عليهم

في جواز ذلك للأولياء والفرق بينهم وبين الأنبياء

عليهم السلام في ذلك

قال الشيخ رحمه الله : قال أهل الظاهر : لا يجوز كون هذه الكرامات لأئمة الأنبياء عليهم السلام لأن الأنبياء مخصوصون بذلك ، والآيات والمعجزات والكرامات واحدة ، وإنما سُميت بمعجزات لإعجاز الخلق عن الإتيان بمثلها ، فمن أثبت من ذلك شيئاً لأئمة الأنبياء عليهم السلام فقد ساوى بينهم ولم يفرق بين الأنبياء وبينهم . قال الشيخ رحمه الله : من أنكر ذلك فإنما أنكرها احترازاً من أن يقع وهنٌ في معجزات الأنبياء عليهم السلام ، وقد غلط قائل هذا القول لأن بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام في ذلك فرقاً من جهات شتى :

فوجهٌ منها أن الأنبياء عليهم السلام مستبدون بإظهار ذلك للخلق ، والاحتجاج بها على من يدعوهم إلى الله تعالى ، فمضى ما كنتموا ذلك فقد خالفوا الله تعالى في كتمانها ، والأولياء مستبدون بكتمان ذلك عن الخلق ، وإذا أظهروا من ذلك شيئاً للخلق لا اتخاذ الجاه عندهم فقد خالفوا الله وعصَوْه بإظهار ذلك .

والوجه الآخر في الفرق بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام : أن الأنبياء عليهم السلام يحتجون بمعجزاتهم على المشركين لأن قلوبهم قاسية لا يؤمنون بالله عز وجل والأولياء يحتجون بذلك على نفوسهم حتى تطمئن وتوقن ولا تضطرب ولا تنزع عند فوت الرزق لأنها أمانةٌ بالسوء ، جاحدةٌ مشركةٌ ، مجبولةٌ على الشك ، ليس عندها يقين بما ضمن لها خالقها من الرزق وذكر القسم عليها .

وقد سألت ابن سالم عن ذلك فقلت له : ما معنى الكرامات وهم قد أكرموا حتى تركوا الدنيا اختياراً ؟ فكيف أكرموا بأن يجعل لهم الحجارة ذهباً ، فما وجه

ذلك ؟ فقال : لا يعطيهم ذلك لقدرها ، ولكن يعطيهم ذلك حتى يحتجوا بكون ذلك على أنفسهم عند اضطرابها وجزعها من فوت الرزق الذي قسم الله لهم فيقولوا الذي يقدر على أن يصير لك الحجارة ذهباً كما هو ذا تنظر إليه ، أليس بقادر أن يسوق رزقك إليك من حيث لا تحسبه ؟ فيحتجوا بذلك على ضجيج نفوسهم عند فوت الرزق ، ويقطعوا بذلك حُجَجَ أنفسهم ، فيكون ذلك سبباً لرياضة نفوسهم وتأديباً لها .

وقد حكى لنا ابن سالم في معنى ذلك حكايةً عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنه قال : كان رجل بالبصرة يقال له إسحاق بن أحمد ، وكان من أبناء الدنيا ، فخرج من الدنيا — أعنى من جميع ما كان له — وتاب ، وصحب سهلاً رحمه الله فقال يوماً لسهل رحمه الله : يا أبا محمد ، إن نفسي هذه ليس تترك الضجيج والصراخ من خوف فوت القوت والقوام ، فقال له سهل رحمه الله : خذ ذلك الحجر وسل ربك أن يصيره لك طعاماً تأكله ، فقال له : ومن إمامي في ذلك حتى أقبل ذلك ، فقال سهل : إمامك إبراهيم عليه السلام حيث قال :

« رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُغَيِّي الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنِ ؟ قَالَ : بَلَى وَلَكِنْ لَيْطَمَّئِنَّ قُلُوبِي » ^(١) .

فالمعنى في ذلك أن النفس لا تطمئن إلا برؤية العين لأن من جبلتها الشك ، فقال إبراهيم عليه السلام : ارني كيف تطمئن نفسي ، فإني مؤمن بذلك ، والنفس لا تطمئن إلا برؤية العين .

فكذلك الأولياء يظهر الله تعالى لهم الكرامات تأديباً لنفوسهم ، وتهذيباً لها ، وزيادة لهم ، ويكون في ذلك فرق بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام ، لأنهم

يُعْطَوْنَ المعجزة للاحتجاج بها في الدعوة ، والدلالة على الله تعالى ، والإقرار بوحديته تعالى .

والوجه الثالث : في الفرق بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام لأن الأنبياء كلما زُيدت معجزاتهم ، وكثرت ، يكون أتمّ لمآنيهم وأثبتّ لقلوبهم كما كان نبينا صلى الله عليه وسلم قد أعطى جميع ما أعطى الأنبياء عليهم السلام من المعجزات ثم زيادة أشياء لم يُعْطَ أحدٌ غيره مثل : المعراج ، وانشقاق القمر ، ونبع الماء من بين أصابعه .

وشرح ذلك بطول ، ومقصودنا من ذلك أن الأنبياء عليهم السلام كلما زُيدت لهم من المعجزات يكون أتمّ لمآنيهم وفضلهم ، وهؤلاء الذين لهم الكرامات من الأولياء كلما زُيدت في كراماتهم يكون وجلُّهم أكثر ، وخوفهم أكثر حذراً أن يكون ذلك من السكر الخفى لم والاستدراج ، وأن يكون ذلك نصيبهم من الله عز وجل ، وسبباً لسقوط منزلتهم عند الله عز وجل .

باب في الأدلة على إثبات السكرامات للأولياء ، وعلة قول من قال
لا يكون ذلك إلا للأنبياء عليهم السلام

قال الشيخ رحمه الله : والدليل على جواز ذلك ، الكتاب والأثر ، قال الله تعالى
« وَهَرَمِي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ نَسَاقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا خَمِيًّا » (١) ومريم لم
تكن نبيية .

١٧٠ وحديث النبي صلى الله عليه وسلم في قصة جُريج الراهب ، وكلام الصبي ، وجريج
لم يكن نبياً .

١٧١ وقال النبي صلى الله عليه وسلم في قصة الغار : بينا ثلاثة يمشون إذ آوأم الليل إلى

١٧٢ غار . الحديث ، وما روى عنه صلى الله عليه وسلم بينا رجل يمشى ومعه بقرة فركبها

فقال : يا عبد الله ما خلقتنا لهذا إنما خلقتنا للحرث فقال القوم : سبحان الله فقال النبي

صلى الله عليه وسلم : آمنت به أنا وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما وليس هما في القوم ، ولم

يذكر أن الراكب للبقرة كان نبياً ، وكذلك حديث الذئب الذي كلم الراعي ، ولم

يذكر أنه كان نبياً .

١٧٣ وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن في أمتي مكأمون ومحدثون

١٧٤ وإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه منهم » والمكأم والمحدث أتم في معناه من جميع

السكرامات التي ذكر الله عز وجل على البلاء والأولياء والصالحين ، وحديث عمر

رضي الله عنه أنه قال في خطبته : « يا سارية الجبل » فسمع صوته بالمسكر على

باب مهوند .

وقد روى في الحديث إعل بن أبي طالب واقاطمة رضي الله عنهما كرامات

وإجابات كثيرة .

١٧٥. وقد روى عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل ذلك أشياء مثل حديث أسيد بن حضير وعتاب بن بشير أنهما خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة فأضاء لهما رأس عصا أحدهما كالسراج ، على حسب ما روى في الخبر .

١٧٦. وحديث أبي الدرداء وسلمان الفارسي رضي الله عنهما أنه كان بينهما قصعة ١٧٦
فصبحت حتى سما تسبيحها ، وقصة الطلاء بن الحضرمي حيث بعته رسول الله صلى ١٧٧
الله عليه وسلم في غزاة فخال بينهم وبين الموضع قطعة من البحر فدعا الله تعالى باسمه ١٧٨
الأعظم ومشوا على الماء كما جاء في الخبر ، وكذلك دعاؤه لما استقبله السبع .

وحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه حين لقي الجماعة الذين وقفوا على الطريق ١٧٩
من خوف السبع فطرد السبع من طريقهم ثم قال : إنا بسلط على ابن آدم من يخافه ١٧٩
ولو أن ابن آدم لم يخف شيئاً غير الله لم يسلط الله عليه شيئاً يخافه غيره ، ومثله في ١٧٩
الأخبار كثير . والصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال : رُبَّ أَشْمَثَ ١٧٩
أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لو أقسم على الله لأبرّ قسمة وإن البراء بن مالك منهم : ولا ١٧٩
يكون في الكرامات شيء أتم من أن يقسم العبد على الله تعالى فيبر قسمة وقد قال ١٧٩
الله عز وجل (أَدْعُوْنِي أَجْتَجِبْ لَكُمْ) ولم يقل في شيء دون شيء .

وقد روى أيضاً لجماعة من التابعين بالأسانيد الصحيحة كرامات وإجابات يطول ١٧٩
ذكرها إن ذكرنا بعضها فكيف كلها ؟ وقد صنف العلماء في ذكرها وروايتها عنهم ١٧٩
مصنفات .

وقد روى أشياء في الحديث من الكرامات كثيرة من ذلك لعامر بن عبد القيس ١٧٩
وللحسن بن أبي الحسن البصري ولسم بن يسار ولثابت البناني ولصالح المرمي ولبكر ١٧٩
ابن عبد الله المزني ولأويس القرني ولهرم بن حيان ولأبي مسلم الخولاني ولصلة بن ١٧٩
أشيم ولهريرة بن خنيم ولداود الطائي ولطريف بن عبد الله بن الشخير ولسميد بن المسيب ١٧٩

وامطاء السلي وانصيرهم من التابعين ، قد رووا عن كل واحد من هؤلاء وغير هؤلاء كرامات كثيرة ، وإجابات وأشياء قد ظهرت لهم ، لا يتنبأ لأحد أن يدفع ذلك لصحتها عند أهل الرواية ، وكذلك لطبقة أخرى بعدهم ، مثل مالك بن دينار وفرقد السخي وعُتْبَةُ النَّعْلَامِ وحبيب المجنى ومحمد بن واسع وراية اللدوية وعبد الواحد بن زيد وأيوب السخيتاني وغير ذلك ممن كان في عصرهم . فإذا روى عنهم العلماء والأئمة الذين كانوا في عصرهم وقد صح عنهم ذلك عندهم وقد حدثوا بها ، مثل أيوب السخيتاني وحامد بن زيد وسفيان الثوري وغيرهم من الأئمة والثقات ولم ينكر ذلك واحد منهم ، وهم أئمتنا في الدين . وبرواياتهم صح عندنا علم الحدود والأحكام وعلم الحلال والحرام ، فكيف يجوز أن نصدقهم في بعض ما يروون ولا نصدقهم في بعض ذلك ؟

وقد رأيت جماعة من أهل العلم جموا ما بشا كل هذا الذي ذكرنا من كرامات الأولياء والإجابات والذي ظهر لهم في الوقت في هذا المعنى ، فذكروا أنهم قد جموا في ذلك أكثر من ألف حكاية وألف خبر ، فكيف يجوز أن يقال: ذلك كله كذب موضوع ؟ وإن صح من الجميع واحد فقد صح الكل فإن القليل والكثير في ذلك سواء ، والذي يحتاج بأن الذي كان قبل النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك كان إكراماً للنبي ذلك الزمان الذي كان ذلك في وقته والذي كان لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك إكراماً للنبي صلى الله عليه وسلم فيقال له : فالذي كان أيضاً للتابعين ولم يعدم وما يكون من مثل ذلك إلى يوم القيامة من الكرامات فكل ذلك إكراماً للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه أفضل الأنبياء عليه السلام وأمه خير الأم .

وكما استحال أن يكون للنبي من الأنبياء عليهم السلام شيء من المعجزات إلا وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم من مثل ذلك أو أكثر من ذلك وأكثر ،

فكذلك يستحيل أن يكون في الأمم السالفة لقوم منهم شيء من الكرامات إكراماً
لأنبيائهم إلا ويكون في أمة محمد صلى الله عليه وسلم أيضاً لطائفة منهم أكثر من
ذلك إكراماً لمحمد صلى الله عليه وسلم ممّا إن في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من
لا يرى ذلك حالا ولا مرتبة ولا كرامة ويرى ذلك اختباراً ومحنة موضوعة
على طرق أصفيائه والخصوصين من أوليائه، فهم يخشون من ذلك إذا ظهر لهم سقوط
منزلتهم عند الله تعالى ونكوصهم على عقبتهم ونزولهم عن درجاتهم ولا يعدون من
ركن إلى ذلك ورضى به حالا أنه من أهل الخصوص، ونحن نذكر في ذلك باباً
نين فيه ذلك إن شاء الله. وإنما أردنا بذكر ذلك جواز كونه وبطلان قول من زعم
أن كون ذلك غير جائز في الأمة.

باب في ذكر مقامات أهل الخصوص في الكرامات

وذكر من ظهر له شيء من الكرامات فكره ذلك

وخشى من الفتنة

قال الشيخ رحمه الله : ذكر عند سهل بن عبد الله رحمه الله الكرامات فقال : وما الآيات وما الكرامات شيء تنقضي لوقتها، ولكن أكبر الكرامات أن تبدل خلقاً مذموماً من أخلاق نفسك بخلق محمود :

وهن أبي يزيد البسطامي رحمه الله أنه قال : كان في بدايتي يرينى الحق الآيات والكرامات فلا ألتفت إليها ، فلما رآني كذلك جعل لي إلى معرفته سبيلاً .

وقيل لأبي يزيد رحمه الله : فلان يقال : إنه يمر في ليلة إلى مكة فقال : الشيطان يمر في لحظة من المشرق إلى المغرب وهو في لعنة الله ، وقيل له : إن فلاناً يمشى على الماء فقال : الحيتان في الماء والطير في الهواء أعجب من ذلك .

سمعت طينور بن عيسى يقول : قال موسى بن عيسى قال أبي : قال أبو يزيد رحمه الله : لو أن رجلاً بسط مصلاه على الماء وترجع في الهواء ، فلا تفقروا به حتى تنظروا كيف تجددونه في الأسر والنهي .

قال الجنيد رحمه الله : حجاب قلوب الخاصة المختصة برؤية النعم والتلذذ بالمطاء والسكون إلى الكرامات .

سمعت ابن سالم يقول : سمعت أبي يقول : كان رجلٌ يصحب سهل بن عبد الله رحمه الله يقال له عبد الرحمن بن أحمد فقال يوماً لسهل : يا أبا محمد ، ربما أتوضأ للصلاة فيسيل الماء من يدي ، فيصير قضبان ذهب وفضة ، فقال له سهل : يا حبيبي أما علمت أن الصبيان إذا بكوا يُنْأَلُون خَشَاشَةً حتى يشتغلوا بها ، فانظر أيش هو ذا تعملُ .

وفيما حكاه جعفر الخَلْدِي رحمه الله قال : حدثني أبو بكر السكتاني قال : قال لي أبو الأزهر وغير واحد من إخواننا حكى عن أبي حمزة قال : اجتمعوا على باب يفتحونه فلم يفتح لهم ، قال أبو حمزة : تنحوا ، فأخذ العلق بيده فحرّكه فقال : بكذا إلا فتحته ، فانفتح العلق .

وذُكر عن النوري رحمه الله أنه وافى ليلة إلى المدجلة قال : فوجدتها وقد انزق الشط بالشط قال : فقلت : وعزتك لا عبرتها إلا في زورق .

وحكى عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله أنه قال : دخل على أبو علي السندي رحمه الله وكان أستاذه وكان معه جرابٌ فصبه بين يدي فإذا هو ألوان الجواهر فقلت له ، من أين لك هذا ؟ قال : وافيتُ وادياً هاهنا فإذا هي تضيء كالسراج فحملتُ هذا منها قال فقلت له : كيف كان وقتك وقت ورودك الوادي ؟ قال : كان وقتي وقت فترة عن الحال الذي كنت فيه قبل ذلك ، وذُكر الحكاية ، والمعنى في ذلك : أن في وقت فترته شغلوه بالجواهر .

قال : أملي علينا أحمد بن علي الوجيبي بالرملة حكاية عن محمد بن يوسف البناء قال : كان أبو تراب النخشي رحمه الله صاحب كرامات فسافرتُ معه سنة فاجتمع معنا أربعون رجلاً وكان يظهر لهم من الإرفق ما شاء الله قال : ثم دلم أبو تراب رحمه الله على الطريق وعدلنا فلم يبق معنا إلا شابٌ نحيل فقال أبو تراب : ابس فيهم أقوى إيماناً من هذا قال : فسرنا أياماً واحتجنا إلى طعام نأكله ، قال : فمدل أبو تراب عن الطريق ساعة ثم جاء ومعه عذقٌ من المؤز ، فوضع بين أيدينا ونحن في وسط الرمل ، قال : فجهد أبو تراب بهذا الفتى أن يأكل من ذلك المؤز فلم يأكل ، فقننا له : إيم لا تأكل ؟ فقال : الحال الذي أعتقده فيما بيني وبين الله تعالى تركُ المعلومات وأنت قد صرت معلومى ، فلا أصحبك من بعد ذلك ، قال محمد بن يوسف : قلت لأبي تراب رحمه الله : إن شئت أعزِم عليه ،

وإن شئت أنزركه، فقال له أبو تراب : كن مع ما وقع لك من ذلك . أو كما قال ، والله أعلم .

سمعتُ ابن سالم يقول : لما مات إسحاق بن أحمد دخل سهل بن عبد الله صومعته فوجد فيها سَفَطًا فيه قارورتان ، في واحدة منهما شيء أحمر ، وفي الأخرى شيء أصفر ، ووجد شوشقة ذهب وشوشقة فضة ، قال : فأمر أبي حتى رعى بالشوشقتين في الدجلة وخلط ما في القارورتين بالتراب ، وكان على إسحاق بن أحمد دينٌ ، قال ابن سالم : قال أبي : قلتُ لسهل رحمه الله : أيش كان الذي في القارورتين ؟ قال : أما الأحمر فلو طرُح وزن درهم منه على مثاقيل من النحاس لصار ذهباً ، وأما الأصفر فلو طرَح وزن درهم منه على مثاقيل من النحاس لصار فضة ، والشوشقتان كانت تجرِبة . قال : فقلتُ له : أيش منعه من أن يعمل ذلك ويؤدي دينه ؟ قال : خاف على إيمانه ، قلتُ أما لابن سالم : فلو أدى من ذلك دينه سهلُ ابن عبد الله رحمه الله ألم يكن أولى من إفساده ؟ فقال ابن سالم : كان سهل رحمه الله أخوفَ على إيمان نفسه منه ، ثم قال : منعه من ذلك الورعُ ، لأن ذلك يتغير بعد سبعين سنة .

وذُكر عن أبي حفص أو عن غيره أنه كان جالساً وحوله أصحابه ، قال : فنزل ظلي من الجبل وبرك عندهم ، قال : فبكى أبو حفص أو الشيخ وسبب ذلك الظلي فسئل عن بكائه فقال : كنتم حولي فوقع في قلبي أن لو كان لي شاة لذبحتُ لكم فلما برَك هذا الظلي عندنا شَبَّهْتُ نفسي بفرعون حين سأل الله تعالى أن يجرى معه النيل فأجراه ، فبكيتُ وسألتُهُ الإقالة مما تمنيتُ وسيبَّتُ الظلي .

وقال بعض المشايخ : لا تتمجبوا ممن لم يضع في جيبه شيئاً فيدخل يده فيخرج من جيبه ما يريد ، ولكن تمجبوا ممن وضع في جيبه شيئاً فيدخل يده في جيبه فلا يجد ، فلا يتنور .

قال ابن عطاء : سمعت أبا الحسين النورى يقول : كان فى نفسى من هذه الكرامات شئ ، فأخذتُ قَصَبَةً من الصبيان وقت بين زَورَقين ثم قلت : وعزتك آتٍ لم تخرج لى سمكة فيها ثلاثة أرطال فلأغرقن نفسى ، قال : فخرج لى سمكة فيها ثلاثة أرطال ، قال : فبلغ ذلك الجنيد رحمه الله فقال : كان حُكْمُهُ أن يخرج له أُنْمَى تلدغه ، يعنى أنه لو لدغته حَيَّةٌ كان أنفع له فى دينه من ذلك لأن فى ذلك فتنة ، وفى لدغ الحَيَّةِ تطهير وكفارة .

قال بحبى بن مُعَاذ رحمه الله : إذا رأيتَ الرجل يشير إلى الآيات والكرامات فطريقه طريق الأبدال ، وإذا رأيتَه يشير إلى الآلاء والنعماء فطريقه طريق أهل الحجة وهو أعلى من الذى قبلُ ، وإذا رأيتَه يشير إلى الذُّكْرِ ويكون معلقاً بالذكر الذى ذكره ، فطريقه طريق العارفين وهو أعلى درجةً من جميع الأحوال .

باب في ذكر من كان له شيء من هذه الكرامات فأظهرها

لأصحابه إصدقه وطهارته وسلامة قلبه وصحته

قال الشيخ رحمه الله : أخبرني جعفر الخلدي رحمه الله فيما قرأت عليه قال : حدثني الجنيد رحمه الله قال ، دخلتُ على سري السقطي رحمه الله يوماً فقال لي : أعجبك من عصفور يحيى فيسقط على هذا الرواق فأخذُ لقمة فأفتمها في كفي فيسقط على أطراف أنامل فيأكل . فلما كان في وقت من الأوقات سقط على الرواق ففتتُ الخبز في يدي فلم يسقط على يدي كما كان قبل ذلك فذكرتُ في سبب العلة في وحشته حتى فذكرتُ أي أكلت ملحاً بأبزار فقلت بسري : أنا تائب من الملح المطيب فسقط على يدي فأكل وانصرف .

وعن أبي محمد المرّتمش ، قال : سمعت إبراهيم الخواص رحمه الله يقول نهتُ في البادية أياماً فإذا بشخص واقفي ، فقال لي : السلام عليك ، فقلت : وعليك السلام فقال : نهتُ ؟ فقلت : نعم ، فقال لي : ألا أدلك على الطريق ؟ فقلت : نعم ، قال : فشي بين يدي خطوات وغاب عن عيني فإذا أنا على الجادة ، ومنذ فزقتُ الشخص ما نهتُ ولا أصابني الجوع ولا العطش .

وفي حكاية جعفر الخلدي عن الجنيد رحمه الله ، قال : جاءني أبو حفص النيسابوري رحمه الله مرةً ومعه عبد الله الرباطي رحمه الله وجماعة وكان فيهم رجلٌ أصلع قليل الكلام ، فقال يوماً لأبي حفص رحمه الله : قد كنتُ فيمن مضى ، لهم الآيات الظاهرة - يعني به الكرامات - وليس لك شيء من ذلك فقال : له أبو حفص رحمه الله : تعال ، فجاء به إلى الحدادين إلى كور عظيم نحمتُ فيه حديدة عظيمة فأدخل يده في السكور فأخذ الحديدة المصممة فأخرجها فبردت في يده فقال له : يحزبك هذا ، فسئل بعضهم عن معنى إظهار ذلك من نفسه فقال : كان

مُشْرِقاً على حاله غشى على حاله أن يتغير عليه إن لم يُظهِر ذلك له فخصه بذلك شفقة عليه وصيانة لحاله وزيادة لإيمانه .

وحكى عن إبراهيم بن شيبان أنه كان في حديثه يصحب أبا عبد الله المغربي قال : فبعثني يوماً إلى موضع أحمل له الماء قال : فوافيت الماء وإذا أنا بالسمع قد قصد الماء قال : فالتقينا جميعاً في مضيق بيننا وبين الماء قل : فكنت مرة أزاحمه ومرة يزاحمني حتى سبقته ووصلت إلى الماء قبله ، وعن أحمد بن محمد السلمي ، قال : دخلتُ على ذى النون المصري رحمه الله فرأيت بين يديه طشتاً من ذهب وحوله الندى والعنبر يُسَجَرُ ، فقال لى : أنت ممن يدخل على الملوك في أوقات بسطهم ثم أعطاني درهما فأنفقتُ منه إلى بلخ ، وحكى عن ذى النون رحمه الله أنه كان ربما يقضم الشعر قصصاً مثل الدواب ، وعن أبي سعيد الخراز رحمه الله أنه ، قال : كان حالى مع الله عز وجل أن يطعمنى في كل ثلاثة أيام ، قال : فدخلتُ البادية ففنى على ثلاثة ما طعمت شيئاً ، فلما كان اليوم الرابع وجدتُ ضعفاً فجلستُ مكاني فإذا أنا بهاتف يقول : يا أبا سعيد أيا أحب إليك سببٌ أو قوًى ؟ قال : فصحتُ وقلتُ لا . إلا القوًى ، فقامتُ من وقتى ، وقد استقلتُ فشيت بعد ذلك اثنا عشر يوماً ما طعمت شيئاً ، ولا وجدتُ الماء لذلك

وعن أبي عمر الأنماطى ، قال : كنت مع أستاذى في البادية فأخذنا المطر فدخلنا مسجداً نُكِنُ فيه من مطر ، وكان فيه خَشْفٌ في سقفه ، فصعدتُ أنا والشيخ انصاحه وكانت معنا خشبة فذهبنا لنجعلها على الحائط فقصرتُ فقال لى الشيخ : مد ، فمدتها فركبت الحائط من هاهنا ومن هاهنا ، قال عمر : وكنت عند خير الناس . رحمه الله فجاء رجل فقال : أيها الشيخ رأيتك يوم أمس وقد بعث الغزل بدرهمين فجئتُ خملك فخلاتهم من طَرْفٍ إزارك وقد صارت يدي متقبضة على كفى ، قال : فضحك وأومئ بيده إلى يده ففتحها ثم قال : امض واشتر به شيئاً لعمالك ولا تَعُدْ لِمِثْلِ ذَلِكَ .

باب في ذكر الخصوص وأحوالهم التي لا تعد من الكرامات
وهي في معانيها أنتم وأنطف من الكرامات

قال : سمعت طلحة المصائدي البصري بالبصرة يقول : سمعت المقفى صاحب
سهل بن عبد الله ، رحمه الله يقول : كان سهل بن عبد الله يصبر عن الطعام سبعين
يوماً وكان إذا أكل ضعف ، وإذا جاع قوى .

وعن أبي الحارث الأولاسي رحمه الله أنه قال : مكثت ثلاثين سنة ما سمع
لساني إلا من سرى ثم حالت الحال فكنت بعد ذلك ثلاثين سنة لا أسمع سرى
إلا من لساني .

وعن أبي الحسن المزين قال : كان أبو عبيد البشري رحمه الله ، إذا كان أول يوم
من رمضان يدخل البيت ويقول لامرأته : طيني على الباب وألقي لي كل ليلة رغيفاً
في الكوة فإذا كان يوم العيد رفس الباب ودخلت امرأته البيت فإذا بانثلاثين
رغيفاً موضوعة في زاوية البيت فلا أكل ولا شرب ولا نهياً للصلاة ولا فاته ركعة
من صلاة .

وحكى عن أبي بكر محمد بن علي الكنتاني رحمه الله قال : ما استودعت قط
قلبي شيئاً فخانني .

وعن أبي حمزة الصوفي قال : دخل علي رجل من أهل خراسان فسألني عن
الأمْن ، قال : فقلت له : أعرف من لو كان على يمينه سبع وعلى يساره مشورة
ما ميز على أيهما يتكى . قال : فقال الرجل : هذا علم ، هات حقيقة الجواب فسألني
قال : فسكت ، قال : فخذها يا أبا بذر تحت ، أعرف من لو خرج من المغرب يريد
المشرق ما تغير عليه سيره بين ذلك . قال أبو حمزة : فبقيت أربعين يوماً وابلة لم
أكل ولم أشرب ولم أنم حتى تبين لي علم ما قال .

وسمعت أبا عمرو بن علوان يقول : كان شابٌ يصحب الجنيدَ رحمه الله ، وكان له قلب فطنٌ ، وربما يتكلم بخواطر الناس ، وما يعتقدون في سرائرهم . فقيل للجنيد ذلك ، فدعاه وقال : أيشَ هذا الذي يبلغني عنك ؟ فقال : لا أدري ، ولكن اعتقدُ في قلبك ما شئتَ ، قال الجنيد رحمه الله : اعتقدتُ ، فقال الفقي : اعتقدتَ كذا وكذا ، فقال الجنيد رحمه الله : لا ، فقال : اعتقدُ مرةً أخرى ، فقال الجنيد رحمه الله : اعتقدتُ ، فقال الشاب : هو كذا وكذا ، فقال الجنيد رحمه الله : لا ، قال : فاعتقدُ ثانياً ، فقال الجنيد رحمه الله : اعتقدتُ ، فقال الشاب : هو كذا وكذا ، فقال الجنيد رحمه الله : لا ، فقال الشاب لهذا والله عجيب أنت عندي صادق ، وأنا أعرف قلبي وأنت تقول لا .

قال : فبسم الجنيد رحمه الله ثم قال : صدقت يا أخى في الأول وفي الثاني وفي الثالث ، وإنما أمتحنك هل تتغير عما أنت عليه .

وعن جعفر الخليلي رحمه الله : قال : سمعت جنيداً رحمه الله يقول : دخل الحارث المحاسبي رحمه الله دارى فلم يكن عندي شيء طيب أطعمه ، قال : فضيت إلى دار عمى فأخرجت منها شيئاً وحملت لقمةً ففتح فيه فجعلت في فيه فكان يحمله من جانب إلى جانب ولا يبتلعه ثم قام وخرج فألقاه في الدهليز فذهبت خلفه وقلت : يا عمى رأيتك لم تبتلع ثم قت وألقيته في الدهليز قال : نعم بُنى وذلك أن بينى وبين الله تعالى أنه إذا كان شيء من غير وجهه لا يتهياً لى بلعه ، وكنت فتحت فى لإدخال السرور عليك ولم يتهياً لى أن أبلعه فقتُ فألقيته في الدهليز .

وعن أبى جعفر الخداد أنه قال : أشرف على أبو تراب رحمه الله في الهادية وأنا جالس على بركة ولى ستة عشر يوماً لم آكل ولم أشرب من البركة الماء وأنا جالس فقال لى : ما جلوسك هاهنا ؟ قلت : أنا بين العلم واليقين أنتظر من يغلب ؟ فأكون معه قال : سيكون لك شأن .

قال أبو عبد الله الحصري رحمه الله: رأيت إنساناً (يعني من الصوفية) مكث سبع سنين لم يأكل الخبز، ورأيت رجلاً مكث سبع سنين لم يشرب الماء، ورأيت رجلاً إذا مدّ يده إلى طعام فيه شمة جفت، وعن جعفر المبرقع أنه قال: منذ ثلاثين سنة ما عقدت مع الله عقداً مخافة أن يفسخ ذلك فيكذبني على لساني.

وقال أبو بكر الرزق رحمه الله: سافرنا مع إسماعيل السلمي فوق من رأس جبل فكسرت قصبة ساقه فبكينا فقال: مالكم؟ لا تفتنوا إنما هو ساق من قطعة طين فإذا جف فركناه.

ومثل ذلك في الحكايات كثير، وما لم نذكره أكثر، وجميع ذلك أحسن معاني وأطاف من الكرامات التي ذكرناها، وفي ذلك كفاية لمن عقل وأنصف وفهم.

كتاب البيان عن المشكلات

باب في شرح الألفاظ الجارية في كلام الصوفية

مثل قول القائل الحق بلحق للحق ، ومنه به له ، والحال والمقام والمكان ،
 والوقت ، والبادي ، والبادي ، والوارد ، والظاهر ، والواقع ، والقادح ، والعارض ،
 والقَبْض ، والبَسْط ، والغيبة ، والحضور ، والصحو ، والشكر ، وصفو الوجود ،
 والمجوم ، والغلبات ، والفناء ، والبقاء ، والمبتدئ ، والمريد ، والمراد ، والوجد ،
 والتواجد والتساكن ، والمأخوذ والمستلب ، والدهشة والحيرة والتحير ، والطوالع ،
 والطوارق ، والكشف والمشاهدة ، واللوائح واللوامع ، والحق والحقوق والتحقيق
 والتحقق والحقيقة والحقائق ، والخصوص وخصوص الخصوص ، والإشارة
 والإيماء ، والرمز والصفاء ، وصفاء الصفاء ، والزوائد والقوائد ، والشاهد
 والمشهود ، والموجود ، والمنفود ، والمعدم ، والجمع ، والتفرقة ، والشطح ، والصول ،
 والقهاب ، وذهاب القهاب ، والنفس والحس ، وتوحيد العامة ، وتوحيد الخاص
 والتجريد ، والتفريد .

وهم مفرد ، وسير مجرد ، والاسم ، والرسم ، والوشم ، والمحادثة ، والمناجاة ،
 والمسامرة ، ورؤية القلوب ، والروح والروح ، والنعمة والصفة ، والذات والحجاب ،
 والدعوى ، والاختيار ، والبلاء ، والاسان ، والمرئ ، والمقد ، والهم ، والأخط ،
 والمخو ، والمحق ، والآثر ، والكون ، والبون ، والوخل ، والفصل ، والأضل ،
 والفرع ، والطنس ، والرئس ، والدنس ، والسبب ، والنسبة ، وصاحب قلب ،
 ورب حال ، وصاحب مقام ، وفلان بلا نفس ، وفلان صاحب إشارة ،

وَأَنَا بِلَا أَنَا ، وَنَحْنُ بِلَا نَحْنُ ، وَأَنْتَ أَنْتَ ، وَأَنَا أَنَا ، وَأَنْتَ أَنَا ، وَأَنَا أَنْتَ ،
وهو بِلَا هُوَ ، وَقَطْعُ الْعَلَاتِقِ ، وَبَادِي بِلَا بَادِي ، وَالتَّجَلَّى ، وَالتَّخَلَّى ، وَالتَّجَلَّى ،
وَالْعَلَّةُ وَالْأَزَلُ وَالْأَبَدُ وَالْأَمَدُ ، وَوَقْتِي مُسَرَّمَدُ ، وَنَحْرِي بِلَا شَاطِي ، وَنَحْنُ
مُسَيَّرُونَ ، وَالتَّلْوِينُ ، وَبَذَلُ الْمَهْجِ ، وَالتَّقَافُ ، وَاللَّجَأُ ، وَالْإِزْعَاجُ ، وَجَذَبُ
الْأَرْوَاحِ ، وَالْوَطَرُ ، وَالْوَطَنُ ، وَالشُّرُودُ ، وَالْقَصُودُ ، وَالْإِصْطِنَاعُ ، وَالْإِصْطِفَاءُ ،
وَالْمَسْخُ ، وَاللَّطِيفَةُ ، وَالْإِمْتِحَانُ ، وَالْحَدِثُ ، وَالْكَلِّيَّةُ ، وَالتَّلْيِيسُ ، وَالشُّرْبُ ،
وَالذَّوْقُ ، وَالْعَيْنُ ، وَالْإِصْطِلَامُ ، وَالْحَرِّيَّةُ ، وَالرَّيْنُ ، وَالْفَيْنُ ، وَالْوَسَاطُ ،
وما بشا كل هذه من الألفاظ .

باب بيان هذه الألفاظ

قال الشيخ رحمه الله : وأما معنى قولهم « الحق بالحق للحق » فالحق هو الله عز وجل ، وفي التفسير عن أبي صالح في قوله عز وجل : « وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ »^(١) قال : الحق هو الله تعالى .

قال أبو سعيد الخزاز ، رحمه الله ، في بعض كلامه : عبدٌ موقوف مع الحق بالحق للحق ، يعني موقوف مع الله بالله ، وكذلك « منه به له » يعني من الله بالله ، وربما يكون في مواضع يُعنى به ما يكون من اكتساب العبد بالعبد للعبد ، كما قال أبو يزيد رحمه الله : قال لي ، أبو علي السِّنْدِي : كنتُ في حالٍ مِنِّي بي لي ، ثم صرتُ في حالٍ منه به له .

والمعنى في ذلك أن العبد يكون ناظرًا إلى أفعاله ويُضيف إلى نفسه أفعاله فإذا غلب على قلبه أنوار المعرفة يرى جميع الأشياء من الله قائمَةً بالله معلومةً لله مردودةً إلى الله ، والحال نازلةٌ تنزل بالعبد في الحين ، فيحل بالقلب من وجود الرضا والتفويض وغير ذلك ، فيصفوه في الوقت في حاله ووقته ويَزُول ، وهذا كما قال : الجنيد رحمه الله .

وعند غيره ، الحال : ما يحل بالأمرار من صفاء الأذكار ولا يزول ، فإذا زال فلا يكون ذلك حالًا .

و« اللقَام » هو الذي يقوم بالعبد في الأوقات مثل مقام الصابرين والمتوكلين وهو مقام العبد بظاهره وباطنه في هذه المعاملات والمجاهدات والإرادات ، فتقَامُ العبد في شيء منه على التمام فهو مقامه حتى ينتقل منها إلى مقام آخر كما ذكرته في باب المقامات والأحوال .

و«المسكان» هو لأهل السكال والتمكين والنهاية، فإذا كل العبد في معانيه تمكن له المسكان لأنه قد عبر المقامات والأحوال فيسكون صاحب مكان : قال بعضهم :
 مكانك من قلبي هو القلب كله فليس لشيء فيه غيرك موضع
 و«المشاهدة» بمعنى المداناة، والمحاضرة، والمكاشفة والمشاهدة، تنقاربان في المعنى إلا أن الكشف أنم في المعنى .

قال عمرو بن عثمان المسكي رحمه الله : أول المشاهدة زوايد اليقين سطعت بكواشف الحضور غير خارجة عن تغطية الغيب وهو التماس القلب دوام المحاضرة لما وارتبه الغيوب ، قال الله تعالى : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ^(١) » يعني حاضر .

و«اللوائح» ما يلوح للأسرار الظاهرة لزيادة السموات والانتقال من حال إلى حال أعلى من ذلك

قال الجنيد رحمه الله : لقد فاز قوم دأبهم وإيهم على مختصر الطريق فأوقفهم على محبة المناجاة ولوح لهم على فهم الدعوة إلى المسارعة بالمناسبة إلى فهم الخطاب إذ يقول جل وعز « وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ^(٢) » فنهضت العقول مستجيبة بحسن التوجه لإقامة ما به يحفظون عنده .

و«اللوامع» معناه قريب من «اللوائح» وهو مأخوذ من لوامع البرق إذا لمعت في السحاب طمع الصادى والمطشان في المطر .

قال عمرو بن عثمان المسكي رحمه الله : إن الله تعالى يورد في صفاء الأوهام كمثل لوامع البرق بعضها في إثر بعض ويُبدى ذلك لقلوب أوليائه بلا توهم بأصل ما عقدت عليه القلوب من التصديق والإيمان بالغيب وما بدا للقلوب لوامعها من زيادة النور حتى لا يتمكن النفوس توهّم ذلك النور في صفاء الأوهام ونو توهمت انقطع ذلك ، وقال القائل :

واغترّ ذو طمع بلمع سراب

و«الحق» هو الله عز وجل قال الله عز وجل: «وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ»^(١)،
والحقوق معناه الأحوال والمقامات والمعارف والإرادات والقصود والمعاملات
والعبادات، قال الطيالسي الرازي رحمه الله: إذا ظهرت الحقوق غابت المخطوط،
وإذا ظهرت المخطوط غابت الحقوق.

ومعنى «المخطوط» حفظ النفس والبشرية لا تجتمع مع الحقوق لأنهما ضدان
لا يجتمعان.

والتحقيق تكليف العبد لاستدعاء الحقيقة جهده وطاقته.

قال ذو النون رحمه الله: قلت لبعض الحكماء الذين لقيتهم: لِمَ وقف سالكُ
الطريق في كبد فجاج المضيق؟ فقال: من ضمف دعائم التصديق وأخذ القلوب
بالتحقيق.

و«التحقق» معناه معنى التحقيق وهو مثل التعلم والتعليم، و«الحقيقة» اسم و«الحقائق»
جمع الحقيقة، ومعناه وقوف القلب بدوام الانتصاب بين يدي من آمن به، فلو داخل
القلوب شك أو خيلة فيما آمنت به حتى لا تكون به واقفة وبين يديه منتصبه
لبطل الإيمان وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم لحارثة «لكل حق حقيقة فا ١٨٠
حقيقة إيمانك» فقال: عزّمتُ نفسي عن الدنيا فأسهرتُ ليلي وأظلماتُ نهاري
وكأني أنظرُ إلى عرش ربي بارزاً و«كأني» يعبر عن مشاهدة قلبه ودوام وقوفه وانتصابه
بين يدي الله تعالى لما آمن به حتى كأنه رأى العين.

قل الجنيد رحمه الله: أثبت الحقائق أن تدع للقلوب مقالة للتأويل.

و«الخصوص» أهل الخصوص هم الذين خصهم الله تعالى من عامة المؤمنين بالحقائق
والأحوال والمقامات، وخصوص الخصوص هم أهل التفريد وتجريد التوحيد ومن

(١) النور: ٢٥ ونص الآية: يؤمنون بالله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو
الحق المبين

عبر الأحوال والمقامات وسلكها وقطع مغاورها، قال الله عز وجل «وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ» ^(١) فالقصد خصوص والسابق خصوص الخصوص .
حكى عن الشبل رحمه الله أنه قال : قال لى الجنيد رحمه الله : يا أبا بكر ما ظنك بمعنى خصوص الخصوص فيما تجرى إليه من القول عموم ثم قال : خصوص الخصوص فى نعت الإيماء إليه عموم .

وه الإشارة « ما يخفى عن المتكلم كشفه بالعبارة للطافة معناه .
قال أبو على الروذبارى ، رحمه الله : علمنا هذا إشارة فإذا صار عبارة خفى ،
وه الإيماء إشارة بحركة جارحة .

قال الجنيد رحمه الله : جلستُ عند ابن السكريّنى فأوميتُ برأسى إلى الأرض فقال: بُعْدُ . ثم أوميتُ برأسى إلى السماء فقال : بُعْدُ ، وقال الشبل : رحمه الله ومن أومى إليه فهو كعابد وثن لأن الإيماء لا يصلح إلا إلى الأوثان ، وقال القائل :
ولى عند اللقاء وفيه عتبُ إيماء الجفونِ إلى الجفونِ
فأنهتُ خيفة وأذوبُ خوفاً وأفنى عن حراكِ أو سكونِ
وه الرمز « معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر لا يظفر به إلا أهله ، قال القنّاد :
إذا نطقوا أعجزك رمى رموزهم وإن سكتوا هبّات منك انصأله
وقل بعضهم : من أراد أن يقف على رموز مشايخنا فلينظر فى مكاتبتهم
ومراسلاتهم ، فإن رموزهم فيها لا فى مصنفاتهم .

وه الصفاء « ما خلاص من ممازجة الطبع ورؤية الفعل من الحقائق فى الحين قال الجريرى
رحمه الله : ملاحظة ما صفا بالصفاء جفاء ، لأن معه ممازجة الطبع ورؤية الفعل .
قال ابن عطاء رحمه الله : لا تفتروا بصفاء العبودية ، فإن فيها نسيان الربوبية ، لأنها
ممازجة بالطبع ورؤية الفعل ، والله أعلم .

وسئل السكتانى رحمه الله : عن الصفاء فقال : مزايلة المذمومات .
وسئل عن «صفاء الصفاء» فقال : مزايلة الأحوال والمقامات والدخول إلى النهايات ،

« وصفاء الصفاء » إبانة الأسرار عن المحدثات لمشاهدة الحق بالحق على الاتصال
بلا علة قال القائل :

صفو الصفا في صفوه إذعان و صفاؤه في صكونه إيقان

من بان بين ما أبان به له حق البيان بواضح التبيان

هذا حقيقة وجوده من وجوده ولوجوده هل فوق ذاك بيان

و « الزوائد » زيادات الإيمان بالتيب واليقين كلما ازدادت الإيمان واليقين زاد
الصدق والإخلاص في الأحوال والمقامات والإرادات والمعاملات .

قال عمرو بن عثمان المكي رحمه الله : زوائد اليقين إذا سطعت بكواشف الحضور
عن تغطية القلوب لما وارته الضيوب ، والفوائد تحف الحق لأهل معاملته في وقت
الخدمة بزيادة الفهم للتنعم بها .

قال أبو سليمان النابلسي رحمه الله : رأيت الفوائد ترد في ظلم الليل .

و « الشاهد » ما يشهدك بما غاب عنك ، يعني يحضر قلبك لوجوده ، قال القائل :

وفي كل شيء له شاهد يدل على أنه واحد

و « الشاهد » أيضاً بمعنى الحاضر .

وسئل الجنيد رحمه الله عن الشاهد فقال : « الشاهد الحق في ضميرك وأسرارك

مطلع عليها ، والشهود ما يشهده الشاهد » .

قال أبو بكر الواسطي : الشاهد الحق و « المشهود » الكون ، قال عز وجل « وَشَهِدْ »

و « مَشْهُودٌ » ^(١) والموجود والمفقود اسمان متضادان ، فالموجود : ما خرج عن حيز العدم إلى

حيز الوجود ، والمفقود : ما خرج من حيز الوجود إلى حيز العدم .

قال ذو النون رحمه الله : « لا تحزن على مفقود ويكون ذكراً لعبد موجود ،

و « المدموم » الذي لا يوجد ولا يمكن وجوده ، فإذا عدمت شيئاً ويمكن وجوده

فذاك مفقود وليس بمدموم » .

قال بعض أهل المعرفة: العالم وجودٌ من بين طرفي عدم ، لأنه موجود ، كان عدماً معدوماً ، ويصير عدماً معدوماً ، ولا يشهده العارف إلا بعدم معدوم . فيجعل له عند رؤية عدمه معرفة وحدانية خالقه . و«الجمع» لفظ مجمل يعبر عن إشارة من أشار إلى الحق بلا خلق قبيل ولا كون كان ، إذ السكون والخلق مسكونان لاقوام لهما بنفسهما لأنهما وجود بين طرفي عدم ، و«التفرقة» أيضاً لفظ مجمل يعبر عن إشارة من أشار إلى السكون والخلق وهما أصلان لا يستغني أحدهما عن الآخر ، فن أشار إلى تفرقة بلا جمع فقد جحد الباري ، ومن أشار إلى جمع بلا تفرقة ، فقد أنكر قدرة القادر فإذا جمع بينهما فقد وحد ، وقال القائل :

جمعتُ وفَرَّقْتُ عني بهِ وفردُ التواصلِ مثنى العدد

يعني جمعت به وفَرَّقْتُ عني وفردُ التواصلِ في الجمع مثنى العدد في التفرقة ، و«الغيبية» غيبة القلب عن مشاهدة الخلق بحضوره ومشاهدته للحق بلا تغيير ظاهر العبد و«الفشئية» هي غيبة القلب بما يردُّ عليه ويظهر ذلك على ظاهر العبد ، و«الحضور» حضور القلب لما غاب عن عيانه بصفاء اليقين فهو كالحاضر عنده وإن كان غائباً عنه ، قال القائل :

أنت وإن غُيِّبْتَ عني سيدي كالحاضر

وقال النوري :

إذا تغيَّبتُ بدا وإن بدا غيبي

وكذلك «الصحو» و«السكر» معناهما قريب من معنى الغيبة والحضور ، غير أن الصحو والسكر أقوى وأتم وأقهر من الغيبة والحضور ، وقد قل في ذلك بعضهم :
 فلان لي حالان صحوً وسكرةً فلا زلتُ في حالي أحمو وأسكرُ
 فكيف بحال السكر والسكر أجدرُ كفك بأن الصحو أرجد كآبتي
 جحدتُ الهوى إن كنت مُذْجَعِلُ الهوى عيونك لي عيناً تَمُصُّ وتبصرُ

نَظَرْتُ إِلَى شَيْءٍ سِوَاكَ وَإِنَّمَا أَرَى غَيْرَنَا أَحْلَامَ نَوْمٍ يُقَدَّرُ

والفرق بين السكر والغشية ، أن السكر ليس نشأته من الطبع لا يتغير عند وروده الطبع ، والحواس ، والغشية ، نشأتها ممزوجة بالطبع تتغير عند ورودها الطبع والحواس ، وتنشأ منها الطهارة ، والغشية لا تدوم ، والسكر يدوم ، والفرق بين الحضور والاصحاح: أن الاصحاح حادث ، والحضور على الدوام .

ومعنى « صفو الوجد » أن لا يعارضه في وجوده شيء غير وجوده كما قال القائل :

تَحَقَّقَ صَفْوُ الْوَجْدِ مِنَّا فَمَا لَنَا عَلَيْنَا سِوَانَا مِنْ رَقِيبٍ يُخْبِرُ

و« المهجوم والغلبات » متقاربان المعنى إلا أن المهجوم فعلٌ صاحب الغلبات ، وذلك عند قوة الرغبة ، والاختلات من دواعي الهوى والنفوس عند قوة رغبة الطالب إذا لاح له أعلام الزيد في حال طلبه المطلوب ؛ فلو ظن أن مطلوبه وراء بحر سبَّحه أو في تيه سلكه بالمهجوم عند غلبات الإرادة وقوة سلطان المطالبة عليه لو رأى ناراً اقتحمها بالمهجوم بتلف الروح وبذل المهجة سواء أوصله ذلك إلى مطلوبه أو لم يوصله ، فذلك معنى المهجوم والغلبات .

و« الفناء والبقاء » قد ذكرته في بابه ، ومعنى « الفناء » فناء صفة النفس ، وفناء المنع والاسترواح إلى حائل وقع ، و« البقاء » بقاء العبد على ذلك ، وأيضاً فناء هو فناء رؤيا العبد في أفعاله لأفعاله بقيام الله له في ذلك ، والبقاء بقاء رؤية العبد بقيام الله له في قيامه لله قبل قيامه لله بالله .

والمبتدئ هو الذي يبتدئ بقوة العزم في سلوك طرق المنقطعين إلى الله تعالى ويتكلف لأداب ذلك ويتأهب للتأدب بالخدمة والقبول من الذي يعرف الحال الذي ابتداء به وأشرف عليه من بدايته إلى نهايته ، و« المريد » الذي صح له الابتداء وقد دخل في جملة المنقطعين إلى الله تعالى بالاسم ، وشهد له قلوب الصادقين بصحة إرادته

ولم يتسم بعدُ بحال ولا مقام فهو في السير مع إرادته ، و«المراد» العارف الذي لم يبق له إرادة ، وقد وصل إلى النهايات وعبر الأحوال والمقامات والمقاصد والإرادات فهو مراد أريد به ما أريد ، ولا يريد إلا ما يريد .

و«الوجد» مصادفة القلوب لصفاء ذكر كان عنه مفقوداً ، و«التواجد» والتساكر» قريباً المعنى ، وهو ما يمتزج من اكتساب العبد بالاستدعاء للوجد والسكر ، وتكلفه للتشبه بالصادقين من أهل الوجد والسكر ، و«الوقت» ما بين الماضي والمستقبل .

قال الجنيد رحمه الله : الوقت عزيز إذا فات لا يدرك : يعني تفاتك ووقتك الذي بين النفس الماضي والنفس المستقبل ، إذا فاتك بالغفلة عن ذكر الله تعالى فلا تلحقه أبداً .

و«البادى» هو الذي يبدو على القلب في الحين من حيث حال العبد ، فإذا بدا بادى الحق يُبدي كل بادٍ غير الحق ، قال إبراهيم الخواص رحمه الله : إذا بدا بادى الحق أنفى كل بادٍ .

و«الوارد» ما يرد على القلوب بعد البادى فيستغرقها والوارد له فعلٌ وليس للبادى فعل ، لأن البوادى بدايات الواردات ، قال ذو النون رحمه الله : واردٌ حق جاء بزعم القلوب .

و«الخاطر» أمر يك السر لا بداية له ، وإذا خطر بالقلب فلا يثبت فيزول بخاطر آخر مثله ، و«الواقع» ما يثبت ولا يزول بواقع آخر .

سمعت بعض المشايخ وهو أبو الطيب الشيرازي رحمه الله قال : سألت شيخاً من مشايخي مسألة فقال لى : أرجو أن يقع جوابه ، قال الجنيد رحمه الله تلخير النساج رحمه الله حين خرج إليه : هلاً خرجت مع أول خاطرك ؟ وذلك أنه خطر بقلبه بأن

الجنيد رحمه الله على باب داره فكان يدفع خاطره مراراً ؛ فلما خرج قال له الجنيد ذلك .

ويقال : إن الخاطر الصحيح أولُ الخاطر ، أى أول ما يخطر ، ومعنى الخاطر أيضاً ما لا يكون للعبد نسبةً في ظهوره في الأسرار ، و«الخاطر» أيضاً قهرٌ يستوعب الأسرار .

و«القادح» قريب من الخاطر إلا أن الخاطر لقلوب أهل اليقظة ، والقادح لأهل الغفلة ؛ فإذا تفشع عن قلوبهم غيوم الغفلة قدح فيها قادحُ الذكر ، وهى لفظة مأخوذة من قَدَحَ النارَ بالزُّناد ، والقادح الذى يستوقد النار ، قال القائل :

• يا قَادِحَ النارِ بالزُّنادِ •

وقال بعضهم : ليس ما قدحته الحقيقة كما ساكتته البشرية .
و«العارض» ما يمرض للقلوب والأسرار من إلقاء العدو والنفس والهوى ، فكل ما يكون من إلقاء النفس والعدو والهوى فهو العارض ، لأن الله تعالى لم يجعل لهؤلاء الأعداء طريقاً إلى قلوب أوليائه إلا بالعارض دون الخاطر والقادح والبادى والوارد ، قال أنشد :

يُمارِضُنِي الوَاشُونَ قَلْبِي بِكَلِمَا يُقَلِّقُهُ فِي سِرِّي وَالْمَلَانِيَّةِ

و«القبض» و«البسط» حالان شريفان لأهل المعرفة إذا قبضهم الحق أحشهم عن تناول القوام والمباحات والأكل والشرب والكلام ، وإذا بسطهم ردم إلى هذه الأشياء وتولى حفظهم في ذلك ، فاتقبض حال رجل عارف ليس فيا فضل لشيء غير معرفته والبسط حال رجل عارف بسطه الحق وتولى حفظه حتى يتأدب الخلق به ، قال الله تعالى : « وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » ^(١) .

وقال الجنيد رحمه الله في معنى «القبض» و«البسط» : يعني الخوف والرجاء ؛ فالرجاء يبسط إلى الطاعة، والخوف يقبض عن المعصية ، وقد قال القائل في صفة حال العارف المتقبض ، وصفة حال العارف المنبسط فقال :

معارفُ الحقِّ تحويها إذا نَشِرتْ	ثلاثةٌ بعدها الأرواحُ تُخْتَلَسُ
فعارفٌ بِمَحْظُوظِ الحقِّ ليس له	عنه سِواءٌ ولا منه له نفسُ
وعارفٌ بِوَلَا المَلِكِ معترفٌ	يَحْتَهُ الوجود ما وَلَّى له الفلاسُ
وعارفٌ غاب عنه العرفُ فاعتفتْ	منه السراير مطوى الذرى شريسُ
حق استكانَ وغاب الوعث في مهل	فطار شيثان عنه النطق والخرسُ
أفاته الحقُّ عما دونه فله	منه إليه يرادُّ وخيها خفيسُ

يذكر أن العارفين على ثلاثة أصناف : صنف منهم ليس لهم منه نفس ، وصنف منهم يختمهم الوجد إلى الحال الذي يتولاهم الحق بالكلاية^(١) فيها ، وصنف منهم غاب عنهم العرف والمادة واستوى عندم النطق والصمت وغير ذلك بناية الحق لهم ، فإن سكثوا فله يسكتون ، وإن نطقوا فمن الله ينطقون .

والغنية ، والحضور ، والصحو ، والسكر ، والوجد ، والهجوم ، والغلبات ، والفناء ، والبقاء . فاعلم أن ذلك من أحوال القلوب المتحققة بالذكر والتعظيم لله عز وجل .

و«المأخوذ» و«المستلب» بمعنى واحد ، إلا أن المأخوذ آثم في المعنى وهم العبيد الذين وصفهم في الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال : « يظن الناس أنهم قد خولطوا وما خولطوا ولكن خالط قلوبهم من عظمة الله تعالى ما أذهب بمقولهم » .

(١) الكلاية بمعنى الكلاءة ، وهو الحفظ

وفي الحديث رَوَى أَيْضاً عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : لَا يَبْلُغُ الْعَبْدَ حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَظُنَّ النَّاسَ أَنَّهُ مَجْنُونٌ ، وَقَدْ رَوَى عَنْ الْحَسَنِ فِي الْخَبَرِ كُنْتُ إِذَا رَأَيْتُ مُجَاهِدًا كَأَنَّهُ خَرَبَنْدَجٌ قَدْ ضَلَّ حِمَارُهُ لِمَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْوَلَهْ ، وَالْأَخْبَارُ تَكْثُرُ فِي وَصْفِ الْمَأْخُودِ وَالْمُسْتَلَبِ وَقَالَ الْقَائِلُ .

فَلَا تَلْهُنِي عَلَى مَا كَانَ مِنْ قَلْبِي إِنِّي بِمُحِبِّكَ مَأْخُودٌ وَمُسْتَلَبٌ
وَالدَّهْشَةُ سَطْوَةٌ تَعْدِمُ عَقْلَ الْحَبِيبِ مِنْ هَيْبَةِ مَحْبُوبِهِ إِذَا لَقِيَهِ عِنْدَ الْإِبَاسِ لَمْ يَجِدْ لَهَا عَاضَةً إِذَا انْقَضَتْ ، وَقَدْ رَوَى عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ : « اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَا تُرَى فِي الدُّنْيَا فَهَبْ لِي مِنْ عِنْدِكَ مَا يَسْكُنُ إِلَيْهِ قَلْبِي » قَالَ : فَغَشِيَ عَلَيْهِ فَلَمَّا أَطَاقَ قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ . فَقِيلَ لَهُ : مِمَّ سَبَحْتَ ؟ قَالَ : أَلْقَى إِلَى سَكِينَتِهِ بَدَلًا مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ وَهَلْ لَدُنْكَ مِنْ بَدَلٍ ؟ فَقُلْتُ : يَا رَبِّ دَهَشْتُ مِنْ حُبِّكَ فَلَمْ أَتَمَّاكْ أَنْ قُلْتُ مَا قُلْتُ ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ :

إِنَّ مِنْ أَهْوَاءِ قَدْ أَدْهَشَنِي لَأَخْلَوْتُ الدَّهْرَ مِنْ ذَلِكَ الدَّهْشِ
وَكَانَ الشَّبْلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ : يَادْهَشًا كُلَّهُ مَضَاءُ كُلِّ شَيْءٍ مَعَ الْخَلْقِ مِنْكَ دَهْشٌ كُلَّهُ .

وَالْحَيَرَةُ بَدِيعَةٌ تَرِدُّ عَلَى قُلُوبِ الْعَارِفِينَ عِنْدَ تَأَمُّلِهِمْ وَحُضُورِهِمْ وَتَفَكُّرِهِمْ مُجِبِّهِمْ عَنِ التَّأَمُّلِ وَالْفِكْرَةِ ، قَالَ الْوَاسِطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : حَيَرَةُ الْبَدِيعَةِ أَجَلٌ مِنْ سَكُونِ التَّوَلَّى عَنِ الْحَيَرَةِ .

وَالْتَحِيرُ مَنَازِلَةٌ تَتَوَلَّى قُلُوبَ الْعَارِفِينَ بَيْنَ الْيَأْسِ وَالطَّمَعِ فِي الْوُصُولِ إِلَى مَطْلُوبِهِ وَمَقْصُودِهِ لَا تَطْمَعُهُمْ فِي الْوُصُولِ فَيَرْجُوا وَلَا تَوَيْسُهُمْ عَنِ الطَّلَبِ فَيَسْتَرْجُوا فَمِنْ ذَلِكَ يَتَحِيرُونَ ، وَقَدْ سَثَلَ بَعْضُهُمْ عَنِ الْمَعْرِفَةِ مَا هِيَ ؟ فَقَالَ : التَّحِيرُ نِمُّ الْإِنْفَاقِ نِمُّ الْإِفْتِقَارِ نِمُّ الْحَيَرَةِ ، قَالَ : قَائِلٌ .

قَدْ تَحَيَّرْتُ فَيْكَ خُذْ بِيَدِي يَادَايِلَا لِي نَحْبِرَ فَيْكَ

و«الطوالع» أنوار التوحيد تطلع على قلوب أهل المعرفة بتشعشعها فيعطون ما في القلوب من الأنوار بسلطان نورها كاشمس الطالعة إذا طلعت ينفى على الناظر من سطوة نورها أنوار الكواكب وهي في أماكنها ، قال الحين بن منصور في هذا المعنى .

قَدْ تَجَلَّتْ طَوَالِعُ زَاهِرَاتٍ يَتَشَعَّشَعْنَ فِي كَوَامِعِ بَرْقٍ
خَصَنِي وَاحِدِي بِتَوْحِيدِ حِدَقٍ مَا إِلَيْهَا مِنْ الْمَسَالِكِ طُرُقُ

و«الطوارق» ما يطرق قلوب أهل الحقائق من طريق السمع فيجدد لهم حقائقهم ، حكى عن بعض المشايخ أنه قال : يطرق سمى علم من علوم أهل الحقائق فلا أدع أن يدخل قلبي إلا بعد أن أعرضها على الكتاب والسنة .
و«الطوارق» في اللغة ما يطرق بالليل .

١٨٢ وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو : وأعوذ بك من شر طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير .

و«الكشف» بيان ما يستتر على الفهم فيكشف عنه للعبد كأنه رأى عين ، قال أبو محمد الجربري : « من لم يعمل فيما بينه وبين الله تعالى بالتقوى والراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة » وقال النورى رحمه الله : « مكاشفات العيون بالإبصار ومكاشفات القلوب بالاتصال » .

و«الشطح» كلام يترجمه اللسان عن وجد يفيض عن مآذنه مقرون بالدعوى إلا أن يكون صاحبه مستلباً ومحفوظاً ، قال أبو حمزة : سألت رجل خراساني عن الأمن فقلت : أعرف من لو كان على يمينه سبع وعلى يساره مشورة ما ميز على أيهما أتسكى ؟ فقال لي : هذا شطح فهاه العلم .

وكان بعضهم إذا سأل إنسان مسألة فيها دعوى يقول : أعوذ بالله من شطح اللسان .

وقد فسر الجنييد رحمه الله شطحات أبي يزيد رحمه الله : ولو كان أبو يزيد رحمه الله في ذلك عنده معلولاً ما فسرّها ، وقد قال القنّاد :

شَطْحُ الْحَقِيقَةِ وَالْأَحْوَالِ بَيْنَهُمَا شَطْحُ لَدَا الْبَيْنِ بَرُّهُ وَبَيْنَ هَاتَيْنِ
فَالْحَالُ كَالْحَالِ فِي التَّلْوِينِ شَاطِحُهَا وَالْعَيْنُ تُدْنِي إِلَى شَطْحِ الْقَائِنِينَ
و«المّوّل» : الاستطالة باللسان من المریدین والمتوسّطين على أبناء جنسهم بأحوالهم وهو مذموم .

قال أبو علي الروذباري رحمه الله : « إن من أعظم الكبائر أن يخون الله في نفسك وتتوهم أن الذي أتاك لم يُنزلْ غَيْرَكَ فتجمل دعواك مَوَلَّكَ على من يستحي من الله تعالى أن يُخبرك بحاله ، وتأنتُ من المّوّل لأنه فِحةٌ إذا كان على من فوقك وقلةٌ معرقة إذا كان على من هو دونك وسوء أدب إذا كان على من هو مثلك ، فأما الصادقون وأهل النهايات يصلون بالله لقلة المساكنة إلى ما سوى الله .

وردّى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في دعائه : « اللهم بك أصولُ و بك أحولُ » وقال إبراهيم الخوّا ص رحمه الله في كتاب له : « ثمّ إنّي أقولُ وبالله أصولُ » وقال القائل :

وَكَيفَ يَطِيبُ الْعَبْسُ مِنْ بَعْدِ مَنْ بِهِ عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ كُنْتُ أَصُولُ
و«الذهاب» بمعنى التّميّة إلا أن الذهاب أنتم من الغيبة ، وهو ذهاب القلب عن حسن المحسّوسات بمشاهدة ما شاهد ، ثمّ يذهب عن ذهابه «والذهاب عن الذهاب» هذا ما لا نهاية له .

قال الجنييد رحمه الله في تفسير قول أبي يزيد رحمه الله في كلامه لَيْسَ بَلَيْسَ قال : هو ذهاب ذلك كله عنه وذهابه عن ذهابه وهو معنى قوله لَيْسَ فِي لَيْسَ يعني قد غابت المحاضر وتلفت الأشياء فليس يوجد شيء ولا يُحسّ ، وهو الذي

بسميه قومُ الفناء والفناء عن الفناء « وَفَقَدَ الْفَقْدَ فِي الْفَقْدِ » فهو الذهاب عن الذهاب ، و«النفَس» تروُّحُ القلب عند الاحتراق ، قال بعض الشيوخ : «النفس» رُوحٌ من أريج الله المسلطة على نار الله تعالى : وكذلك «التنفس» ، قال ذو النون رحمه الله :

مَنْ لاذَ بِاللَّهِ نَجَا بِاللَّهِ وَسَرَّهُ مَرُّ قَضَاءِ اللَّهِ
لِلَّهِ أَنْفَاسٌ جَرَتْ لِلَّهِ لَأَحْوَلُ لِي فِيهَا بِمَقِيرِ اللَّهِ

و«النفس» أيضاً نفسُ العبد ، قال الجنيد رحمه الله : « أَخَذَ عَلَى الْعَبْدِ حِفْظَ أَنْفَاسِهِ عَلَى مَمَرِ أَوْقَاتِهِ » قال : القائل :

وَمَا تَنْفَسْتُ إِلَّا كَفْتُ مَعَ نَفْسِي تَجْرِي بِكَ الرُّوحُ مَنَى فِي مَجَارِيهَا

و«الحس» رَسْمٌ ما يبدو من صفة النفس ، وقال عمرو المكي ، رحمه الله : من قال : إني لم أجد حساً عند غلبات الوجد فقد غلط لأنه لم يُدرك فقد الحسوس إلا بحس .

و«الوجد» و«الفقد» يُدْرَكُ كَانَ بِحَاسَةِ وَهَامِ حَسُوسَانِ ، و«توحيد العامة» معناه توحيد الإقرار باللسان والتحقيق بالقلب لما يقر به اللسان بإثبات الموحّد بجميع أسمائه وصفاته بإثبات ما أثبت ونفى ما نفى ، إثبات ما أثبت الله لنفسه ونفى ما نفى الله عن نفسه .

و«توحيد الخاصة» قد ذكرنا في باب التوحيد ، وهو وجودُ عظمة وحدانية الله تعالى ، وحقيقة قُرْبِهِ بذهاب حس العبد وحركته لقيام الله تعالى له فيما أراد منه ، وقد حَسَكِي عن الشبلي ، رحمه الله أنه قال لرجل ، وقد جرى ذِكْرُ التوحيد فقال : هذا توحيدك أنت قال : فأبشَ عِنْدِي غَيْرُ ذَا ؟ فقال الشبلي ، رحمه الله : توحيد الموحّد وهو أن يوحّدك اللهُ به ، ويُفردك له وُبُشْهَدَكَ ذَلِكَ وَيُفِيكَ بِهِ عَمَّا بُشْهَدَكَ ، وهذا صفة توحيد الخاص .

و«التفريد» أفراد المَفْرَد برفع الحدث وإفراد القِدَم بوجود حقائق الفردانية ،
قال : بعضهم «الموحدون لله من المؤمنين كثير والمفردون من الموحدين قليل»
قال : الحسين بن منصور ، رحمه الله : في بعض ما تسكلم به عند قتله : حَسْبُ
الواحد أفراد الواحد .

و«التجريد» ما تجرد للقلوب من شواهد الألوهية إذا صفا من كدورة البشرية ،
وقال : بعض الشيوخ وقد سئل عن التجريد ، فقال : «إفراد الحق من كل
ما يجزئ وإسقاط العبد في كل ما يُبْذَى .

و«التجريد» و«التفريد» و«التوحيد» ألفاظ مختلفة لمعانٍ متفقة وتفصيلها
على مقدار حقائق الواجدين وإشاراتهم ، قال : القائل .

حَقِيقَةُ الْحَقِّ حَقٌّ لَيْسَ يَعْرِفُهُ إِلَّا الْمَجْرَدُ فِيهِ حَقٌّ تَجْرِيدٌ .

و«الهمَّ المفرد» و«السِرَّ المجرد» بمعنى واحد ، وهو همَّ العبد وسِرَّه إذا تجرد من
جميع الأشغال وتفرّد بمراقبة ذى الجلال فلا تُعارضه خواطر قاطعة ولا عوارض
مانعة من التوجه والإقبال والقرب والاتصال .

قال : الجنيّد ، رحمه الله : قال لى إبراهيم الأجرى : يا غلام لأن تَرِدَ بِهَمِّكَ
إلى الله طَرَفَةً عين خيرٌ لك مما طامت عليه الشمس .

وقال الشبلى ، رحمه الله لرجل : هَيَّاكَ الهمَّ في قضاء المدم ، هُمِّكَ همَّ حاجج ،
وهى همَّ حاجج ، و«الحادثة» وصفٌ لنهاية الصديقين ، سئل : أبو بكر الواسطى عن
أعلى حال لنهاية الصديقين فقال : هو الطالع والحديث ، وقال : النبي صلى الله عليه
وسلم ، فيما روى عنه «إني أمتي مكلّمون ومحدّثون وأنَّ عمرَ رضى الله عنه لهم»
وقال : سهل بن عبد الله ، رحمه الله : خلق الله لِبَسَارَهم وِبَسَارَهم ، قال ١٨
الله عز وجل : خلقتكم لتساروني فإن لم تفعلوا فكلّموني وحدتوني فإن لم تفعلوا
فتناجوني فإن لم تفعلوا فاسمعوا منى . ١٩

و«المنجاة» مخاطبة الأسرار عند صفاء الأذكار للملك الجبار ، قال أبو عمرو بن علوان سمعت الجنيد رحمه الله ليلة إلى الصباح يقول في مناجاته : إلهي وسيدي تريد أن تقطعني عنك بوصلك أو تريد أن تمخضني عنك بترك هبهات قلت لأبي عمرو : ما معنى هبهات ؟ قال : التمكن .

و«المسامرة» عتاب الأسرار عند خفي التذكار ، قال الروذباري :
 سَامَرْتُ صَفْوَةَ صَبَابَتِي أَشْجَانَهَا حَرَّقُ الْهَوَى وَغَلِيظَهَا نِيرَانَهَا
 وسئل بعض المشايخ عن المسامرة فقال : استدامة طول العتاب مع صحة الكتمان ، ورؤية القلوب هو نظار القلوب إلى ما توارت في الذيوب بأنوار اليقين عند حقائق الإيمان ، وهو على معنى ما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين سئل : هل ترى ربنا ؟ فقال : وكيف نعبده من لم نره ، ثم قال : لم نره العيون بمعنى في الدنيا بكشف العيان ولكن رآته القلوب بحقائق الإيمان ، قال الله تعالى : « مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى » ^(١) فأثبت الرؤية بالقلب في الدنيا .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، و«الاسم» حروف جمعت لاستدلال المسمى بالتسمية على إثبات المسمى فإذا سقطت الحروف ، معناه لا ينفصل عن المسمى .

حكى عن الشبلي رحمه الله أنه كان يقول : ليس مع الخلق منه إلا اسمه وكان يقول : هات من يقول الاسم باستحقاقه قولاً ، وكان أبو الحسين النوري رحمه الله يستشهد في إشارته بهذا البيت :

إِذَا أُمُّ طِفْلٍ مَسَّهَا جُوعٌ طِفْلُهَا

غَدَّتْهُ بِاسْمِ الطِّفْلِ فَأَسْتَقْصَمَ الطِّفْلُ

وكان الشبلي رحمه الله يقول : أريد من قال الاسم وهو يتحقق ما يقول ، وكان يقول : تاهت الخليفة في العلم وتاه العلم في الاسم وتاه الاسم في القات ،

و«الرَّسْمُ» ما رُسِمَ به ظاهر الخلق برسم العلم ورسم الخلق فيمتحن بإظهار سلطان الحق عليه .

سئل الجنيّد عن رجل غاب اسمه وذهب وصفه وامتنحى رسمه فلا رسم له قال نعم عند مشاهدته قيام الحق له بنفسه لنفسه في ملكه ، فيكون ذلك معنى قوله : امتحن رسمه ، بمعنى عيّنه ، وفعله المضاف إليه بنظره إلى قيام الله له في قيامه ، قال القائل :

بِرُسُومِ دَارِيَسَاتٍ وَطَلَّلَ

و«الْوَسْمُ» ما وُسمَ الله به المخلوقين في سابق علمه بما شاء كيف شاء فلا يتغير عن ذلك أبداً ولا يطلع على علم ذلك أحدٌ ، قال أحمد بن عطاء رحمه الله : يظهر الوسمان على المقبولين والمطرودين لأنهما نبتان يجريان على الأبد بما جرىا في الأزل .

و«الروح» و«التروح» نسم تُنسَمُ به قلوب أهل الحقائق فيتروح من نصيب ثقل ما حُمِّلَ من الرعاية بمحش العنابة ، قال يحيى بن معاذ رحمه الله : الحكمة جندٌ من جنود الله يُرسلها إلى قلوب العارفين حتى تُروِّحَ عنها وهَجَ الدنيا ، وقال : روح وليّ الله في القدس تشظله بمولاه ، وقال سُفيان : مجال قلوب العارفين بروضة سماوية من درنها حُجِبُ الرب مُسَكَّرُهَا فيها ومُجَنَّى ثمارها بنعيم رَوْحِ الأُنس بالله من القُرْب .

و«النعمة» إخبار الفاعتين عن أفعال النعمت وأحكامه وأخلاقه ويُمْتَدَل أن يكون النعت والوصف بمعنى واحد إلا أن «الوصف» يكون مُجْمَلًا و«النعمة» يكون مبسوطًا ، فإذا وصف جَمَعَ وإذا فَرَّقَ .

و«الصفة» ما لا ينفصل عن الموصوف ولا يقال هو الموصوف ولا غير الموصوف .

و«الذات» هي الشيء القائم بنفسه و«الاسم» و«النعمة» و«الصفة» معالِمٌ للذات فلا

يكون الاسم والنعمة والصفة إلا لدى ذات ، ولا يكون ذو ذات إلا مسمى منهوتاً
موصوفاً وذلك أن القادر اسمٌ من أسماء الله تعالى ، والقدرة صفة من صفات
الله تعالى ، والتقدير نعت من نعوت الله تعالى ، والمتكلم اسم من
أسماء الله عز وجل والكلام صفة من صفات الله تعالى ، والغفوان نعت من
نعوت الله تعالى .

قال الواسطي : ليس مع الخلق منه إلا اسم أو نعت أو صفة ، والخلق محجوبون
بأسمائه عن نعوته وبنعوته عن صفاته وبصفاته عن ذاته ، فمتى ما ذكر العبد تدييره
وتصويره وفضله وطوله ذَكَرَ نعوته ونعته بنعوته وإذا ذكر علمه وقدرته وكلامه
ومشيئته ذكر صفاته وَوَصَفَهُ بصفاته وقال :

إِذَا طَلَعْتَ شَمْسٌ عَلَيْكَ بِنُورِهَا وَأَنْتَ خَلِيطٌ لِلشَّمْعِ الْمُبَاشِرِ
بَعِيدٌ مِنَ الذَّاتِ الْعَزِيزِ مَكَانَهَا وَلَمْ تَعْرِ مِنْ نَعْتٍ لِنَفْسِكَ قَاهِرِ

والحجاب حائلٌ يحول بين الشيء المطلوب المقصود وبين طالبه وقاصده ،
كان سَرِي السَّقَطِي رحمه الله يقول : اللهم مَهْمَا عَذَّبْتَنِي بِشَيْءٍ فَلَا تَعَذِّبْنِي
بِذَلِكَ الْحِجَاب .

وقال محمد بن علي السكتاني رحمه الله : رؤية الثواب حجاب عن الحجاب
ورؤية الحجاب حجاب عن الإعجاب ، معناه والله أعلم : أن رؤية العبد الثواب
لعبادته وذِكْرُه حجاب له عن الحجاب المنهَى عنه ورؤيته للحجاب حجاب له
عن إعجابه به .

والدعوى « إضافة النفس إليها ما ليس لها » ، قال سهل بن عبد الله : أغاظ حجاب
بين العبد وبين الله الدعوى ، وقال :

وَأَمَّا أَدْعَيْتُ الْحُبَّ قَالَتْ كَذَبْتَنِي فَأَمَّا لِي أَرَى الْأَعْضَاءَ مِنْكَ كَوَاسِيَا
وكان أبو عمرو الزجاجي رحمه الله يقول : من ليس له دعوى فليس فيه معنى

وكان يعنى بذلك أن تُضَيِّفَ النفس إليها من الطاعات التي ليست من أخلاقها وتسكون معها يئنة لما تدعى ، و«الاختيار» إشارة إلى ما يختار الله للعبد ؛ ويختار العبد ذلك بعناية الله له ، حتى يختار باختيار الله له لا باختيار نفسه .

قال يحيى بن مُمَاز رحمه الله : مادُم العبد يتعرف يقال له : لا تختار فإنك لست بأمين في اختيارك حتى تعرف فإذا عرف يقال له : إن شئت فاختر وإن شئت فلا تختَر ، فإنك إن اخترت فبنا اخترت وإن تركت اختيارك فباختيارنا تركت : فأنت بنا فيها تختار وفيما لا تختار .

و«الاختبار» : امتحان الحق للصادقين ، ليعبر بذلك منازل المخصوصين ، ويستخرج بامتحانهم لهم منهم صدقهم ، إثباتاً لحُجَّتِهِ على المؤمنين ؛ ليتأدب بهم المریدون .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَخْبِرْ تَقْلِيْه » يعنى اخبر من شئت وامتحنه حتى تَقْلًا عند استخراجك بالامتحان صدقه عن الحال الذي ^{١٨٨} هو فيه .

و«البلاء» : ظهور لمتحان الحق لِمَبْدِهِ في حقيقة حاله بالابتلاء ؛ وهو : ما ينزل به من التعذيب .

قال : أبو محمد الجَرِيرى رحمه الله الإنسان حيث ما كان بلاء .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نَعْنُ مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ أَشَدُّ ^{١٨٩} النَّاسِ بِلَاءً » الحديث ، وقال بعضهم في البلاء :

دَائِرَاتُ الْبَلَاءِ عَلَى تَدَوُّرٍ	وَأِلَى مَا تَرَى عَلَى تَنَوُّرٍ ٩١
مَا أَرَى لِلْبَلَاءِ بِلَاءً سِوَاىِ	وَبَلَاءِى عَلَى الْبَلَاءِ كُدُورٍ ٩٢
فَأَنَا مَحْنَةُ الْبَلَاءِ ؛ وَبَلَاءِى	حَاضِنٌ لِلْبَلَاءِ عَلَيْهِ غَيُورٌ
يَا بَلَاءِى عَلَى الْبَلَاءِ لَا تَمْدَى	كُنْ بِمِ مَالِكَا رَحِيماً غَفُورٌ
يَا مُعِينَ الْبَلَاءِ عَلَى أَعْنَى	فِي الْبَلَاءِ ؛ فَالْبَلَاءُ عَلَى سَمِيرٍ

و «اللسان» معناه : البيان عن علم الحقائق .

كتب أبو الحسين النورى رحمه الله إلى الجنيد كتاباً ، فقال فيه : ياستدنى لك في علم البلاء لسان ، وفي علم بلاء البلاء لسان — يعنى بيان عن علمه —
وسئل الشيبلى رحمه الله عن الفرق بين لسان العلم ولسان الحقيقة فقال : لسان العلم مأتادى إلينا بواسطة ، ولسان الحقيقة ما تأدى إلينا بلا واسطة .
ف قيل له : ولسان الحق ما هو ؟

قال : ما ليس للخلق إليه طريق — يريد به إذا قال : اللسان ، يعنى بيان علمه والكشف عنه بالمباراة —

و «السيرة» : خفياً بين القدم والوجود موجود فى معناه .

وقد قيل : المنز ما غيبه الحق ولم يُشرف عليه الخلق ؛ فيسر الخلق ما أشرف عليه الحق بلا واسطة ، وسر الحق ما يطلع عليه إلا الحق ، « وسير السيرة »
ما لا يحس به السر ، فإن أحس به فلا يقال له : سر
قال سهل بن عبد الله رحمه الله : للنفس سر ما أشاعها الحق لإعلى لسان فرعون
فقال : أنا ربكم الأعلى ، وقال القائل :

بإسِرٍ سِرٌّ يَدِقٌ حَسَتِي بِخَفَى عَلَى وَهْمِ كُلِّ حَيٍّ
وظَاهِرٌ بَاطِنٌ تَجَلَّى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ لِكُلِّ شَيْءٍ

و «العقد» عقد السر ، وهو ما يمتدّد المبدأ بقلبه بينه وبين الله تعالى أن يفعل كذا
أو لا يفعل كذا .

قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » (١)

وقيل لحكيم : بم عرفتم الله تعالى ؟ فقال : بحل العقود وفسخ المزامم .

وقال محمد بن يعقوب الفرّاجى فيما حكى عنه : منذ ثلاثين سنة ما عقدت بينى وبين الله عز وجل عقداً مخافة أن يفسخ على ذلك فيسكذبنى على لسانى

ويقال : إن الفرق بين الخاص والعام : أن العامة من المؤمنين قد أوجب الله عليهم الوفاء إذا عهدوا بآلتهم عهداً ، والخاص : قد أوجب الله عليهم الوفاء إذا عهدوا بقلوبهم عهداً ؛ و«المهم» إشارة إلى جمع الموموم فيجعلها همّاً واحداً .
قال أبو سعيد الخراز رحمه الله : اجتمع همك بين يدي الله تعالى .
وذكر عن بعضهم أنه قال : ينبغي للعبد أن يكون همه تحت قدمه ، يعني لا يهتم بحال ماض ولا بحال مستقبل ، ويكون مع وقته في وقته
و«الخط» : إشارة إلى ملاحظة أبصار القلوب لما يلوح لها من زوائد اليقين بما آمن به في القيوب .

قال الروذباري :

لا حظتهُ فرآني في مُلاحظتي فنبئتُ عن رؤيتي مني بمعناه
وصادفتُ همي لطفَ الخلقِ بما تمكنتُ من تَكُنٍّ دون منشاء
فلا إلى أحدٍ همي ولا فطقي ولا إلى راحةٍ ألو فأنشاء
اللهُ يلمُّ أي لستُ أذكرُهُ وكيف أذكرُهُ؟ إذ لست أنشاء

و«المحو» : ذهاب الشيء إذا لم يبق له أثرٌ ، وإذا بقي له أثرٌ فيكون طمساً .

قال النوري رحمه الله : الخاص والعام في قبض العبودية ، إلا من يكون منهم أرفع جذبتهم الحق ومحام عن نفوسهم في حركاتهم وأثبتهم عند نفسه .
قال الله تعالى : « يَتَّبِعُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُقْبِتُ » ^(١) .

معنى قوله : جذبهم الحق : يعني جمعهم بين يديه ، ومحام عن نفوسهم : يعني عن رؤية نفوسهم في حركاتهم وأثبتهم عند نفسه بنظرهم إلى قيام الله لهم في أفعالهم وحركاتهم .

و«الحق» : بمعنى المحو ؛ إلا أن الحق أنهم ، لأنه أسرعُ ذهاباً من المحو .

قال رجل للشبلي رحمه الله : ما لي أراك قليلاً أليس هو معك وأنت معه ؟ فقال الشبلي رحمه الله : لو كنتُ أما معه فانتى ، ولكني محو فيها هو .

يعنى : ليس منى شىء ، ولا بى شىء ، ولا عنى شىء ، والكل معى ، وبه ، وله كقول القائل :

كلُّه وبه ومنه فأين لي شىء فأوتره فطلاح لسانها
و«الأثر» : علامة لباقي شىء قد زال .

قال بعضهم : من مُنع من النظر استأنس بالأثر ، ومن عديم الأثر نطل بالذكر .
قال القائل :

فأعندى لكم أثر ولم أسمع لكم خبر
ويقال : إنه وُجد على قصر لبعض الملوك مكتوبٌ .

إن آثارنا تدلُّ علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

وقال الخواص رحمه الله : فى معنى الأثر ، وسئل عن توحيد الخواص فقال :
التفريد لله عز وجل فى كل الأشياء بالإعراض عما يلحق نفوسهم من آثار الأشياء ، وقال :

لو أن دونك بحر الصين معترضاً خللتُ ذاك سراباً ذاهب الأثر
و«الكون» : اسم مجمل لجميع ما كونه المكون بين الكاف والنون .
و«البون» معناه البينونة .

و«الكون والبون» : معناهما فى علم التوحيد : ما قال الجنيد رحمه الله فى جواب مسألة فى التوحيد يصف الموحدين فقال : كانوا بلا كون وبانوا بلا بون .

معناه : أن الموحدين يكونون فى الأشياء كأنهم لا يكونون ، ويبينون عن الأشياء كأنهم لا يبينون : لأن كونهم فى الأشياء بأشخاصهم وبأنهم عن الأشياء بأمرارهم فهذا معنى الكون والبون قال :

لقد تاه فى تيه التوحد وحده غاب بعرّ منك حين طلبته

ظَهَرَتْ لِمَنْ أَثْبَتَهُ بَعْدَ بَوْنِهِ فَكَانَ بَلَا كَوْنٍ كَأَنَّكَ كُنْتَهُ
والوصل : معناه لحوق الغائب .

قال يحيى بن معاذ رحمه الله : من لم يعلم عينيه عن النظر إلى ما تحت العرش لم يصل إلى ما فوق العرش .

يعنى : لم يلحق ما فاته من مراقبة القدى خالق العرش .

وقال الشبلى رحمه الله : من زعم أنه واصل فليس له حاصل .

وقال بعضهم : إنما حُرِّموا الوصول لتضييع الأصول ، وقال :

وَوَصَلَكُمْ هَجْرٌ وَوُدُّكُمْ قِلَاً وَقَرُّكُمْ يَغْدُ وَيَلْحُكُمْ حَرْبٌ

والفصل : فوت الشيء المرجو من المحبوب .

ذكر عن بعض الشيوخ : أنه كان يقول : من زعم أن ظن أنه قد وصل فليقتن^(١)

أنه قد انفصل ، وقال آخر : فرح اتصالك ممزوج بفرح الانفصال ، وقال القائل :

فلا وصل ولا فصل ولا يأس ولا طمع

والأصل : هو الشيء القدى يكون له تزايد ، فأصل الأصول الهداية .

والأصول : أصول الدين : مثل التوحيد ، والمعرفة ، والإيمان ، واليقين ،

والصدق ، والإخلاص .

والفرع : ما تزايد من الأصل ، فإذا تزايد من الفرع زيادة تسمى باسم الأصل .

فالأصل : حجة للزيادات التى هى الفروع ، والزيادات التى هى الفروع : مردودة

إلى الأصول ؛ والأصل : الهداية والتوحيد والمعرفة ، والإيمان والصدق والإخلاص ،

زياداتها زيادة الهداية ، والأحوال ، والقامات ، والأعمال ، والطاعات : زيادات

هذه الأصول وفروعها ، وهى مسمّاة باسم «الأصول» لتزايدها وتزايد فروعها .

قال عمرو بن عثمان المكي رحمه الله : إقرارنا بالأصول لزوم الحجة علينا فى

التقصير ، ولزوم الحجة بالإنكار بعد الإيمان ، والإقرار بالأصول .

(١) قوله فليقتن . هكذا فى الأصل ولعل الصواب : فليقتن

وقال بعض العلماء : ما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو الأصل ، وما تزايد عن ذلك الأصل فهو فرعٌ مردود إلى الأصل .
و«الطمس» : تحوُّ البَيان عن الشيء البَيِّن .
وقال الجنيّد رحمه الله في رسالته إلى أبي بكر الكسائي : وأنت في سُبُل ملتبسة ونجوم منطمسة .

قال الله تعالى : فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ^(١) ، يعنى : ذهب ضوؤها .
وقال عمرو المكي رحمه الله : وإنك لا تصل إلى حقيقة الحق حتى تسلك تلك الطرُقات المنطمسة ، يعنى : تُنازل تلك الأحوال التي لم ينازلها أحدٌ غيرك ؛ وقد ذهب أثرها .

و«الرمس» و«التمس» : يعنى الدفن ، ويقال للمقبرة : الدِّمَاس .
قال الجنيّد رحمه الله ، في رسالته إلى يحيى بن مُعَاذ رحمه الله : ثم أَدْمَسَ شاهده في دمس الاندماس ، وأرْمَسَ مَرْمَسَةً في غيب غافر الارتماس ، وأخفى في إخفائه عن إخفائه ، ثم قطع النسبة عن الإشارة إليه وعن الإيماء بما تفرّده منه به .
وهذه إشارة إلى حقيقة التوحيد بذهاب الخلق فيما كان ، كأنه لم يكن .
وقال سهل رحمه الله : إذا دَفَنْتَ نَفْسَكَ تحت التَّرى وصل قلبك فوق العرش يعنى : إذا خالفتها وقارحتها .

و«القسم» : الكسر .
حكى عن أبي بكر الزقاق رحمه الله : أنه قال : لو أن المامسى كانت شيئاً اخترتهُ لنفسي ما أحرزتهُ ذلك ؛ لأن ذلك يشبهني ، وإنما قُصِمَ ظهري حين سبق لي منه ذلك .
وقال الواسطي : ظهرت الأمور كلها في حقائقها على الدهور ، فن شاهدها بشاهد القِدَم انقسم مقابلته لتلك .
و«السبب» : الوسطة .

والأسباب والوسائط التي بين الخلق وبين الله تعالى .

قال أحمد بن عطاء رحمه الله : من شهد صُنْعَ السَّبَبِ في السبب أو ضلّه مشاهدة صنع السَّبَبِ إلى السبب ؛ لأن من شهد السبب امتلاً قلبه من زينة الأسباب ، ومن عرف الأسباب الشاغلة عن الطاعات انقطع عنها واتصل بالأسباب الداهية إلى صالح الأعمال .

ولأبي على الروذباري رحمه الله :

من لم يكن بك قانياً عن حبه وعن المولى والأنس بالأحباب
أو تيمّنه صباية جمعت له ما كان مفترقاً من الأسباب
فكأنه بين المراتب واقف لمّا لحظ أو لحسن مآب

والنسبة : الحال التي يتعرف به صاحبه ، بمعنى : انتسابه إليه .

قال جعفر الطيالسي الرازي رحمه الله : النسبة نسبتان : نسبة المخلوق ، ونسبة الحقوق ؛ إذا غابت الخليفة ظهرت الحقيقة ، وإذا ظهرت الخليفة غابت الحقيقة .

وسئل القنّاد عن الغريب فقال : الذي ليس له في العالم نسب .

وقال النوري رحمه الله : كلما رأته العيون نُسب إلى العلم ، وكلما علمته القلوب

نسب إلى اليقين .

فلذلك قلنا : معنى النسبة الاعتراف .

وقال عمرو بن عثمان رحمه الله : صفة السكوف للأمرار : أن لا يكون قائماً في

رؤية ولا متجلباً في نسبة ، يعني في الاعتراف .

وفلان «صاحب قلب» معناه : أن ليس له عبارة اللسان وفصاحة البيان من العلم

الذي قد اجتمع في قلبه .

حُكي عن الجنيد رحمه الله أنه كان يقول : أهل خُرسان أصحاب قلوب .

و «رَبُّ حال» معناه : أنه مربوط بحال من الأحوال التي ذكرنا من المحبة

والخوف والرجاء والشوق وغير ذلك ؛ فإذا كان الأغلب على العبد حال من هذه الأحوال يقال له : رَبُّ حال .

و«صاحبُ مقام» معناه : أن يكون مقبياً في مقام من مقامات القاصدين ، مثل التوبة ، والورع ، والزهد ، والصبر ، وغير ذلك ؛ فإذا عُرف بالمقام في شيء من ذلك يقال له : صاحب مقام .

حكى عن الجنيّد رحمه الله أنه قال : لا يبلغ العبد إلى حقيقة المعرفة وصفاء التوحيد حتى يعبّر بالأحوال والمقامات .

وذُكر عن بعض المشايخ أنه قال : وقتتُ على الشبلى ، رحمه الله ، غير مرة فآرايته تكلم إلا في الأحوال والمقامات .

و«فلان بلا نفس» معناه : أنه لا تظهر عليه أخلاق النفس ، لأن من أخلاق النفس الغضب ، والحدة ، والتكبر ، والشراء ، والطمع ، والحسد فإذا كان عبداً قد سلم من هذه الآفات وما شاكل ذلك يقال له : بلا نفس ، بمعنى كأنه ليس له نفس .

قال أبو سعيد الخراز رحمه الله : عبداً رجع إلى الله عز وجل فطلق بالله وركد في قرب الله : فقد نسي نفسه وما سوى الله تعالى ، فلو قلت له : من أنت ؟ وإلى أين ؟ لم يكن له جواب غير أن يقول : الله ؛ لأنه لا يعرف سوى الله تعالى ، لما قد وجد في قلبه من التظيم لله عز وجل .

و«فلان صاحبُ إشارة» معناه : أن يكون كلامه مشتملاً على اللطائف والإشارات وعلم المعارف .

قال الروذباري :

فإنْ تَحَقَّقَ صَفْوُ الْوَجْدِ مُشْتَمِلاً عَلَى الْإِشَارَاتِ لَا يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ
وأما قول القائل : أنا بلا أنا ، ونحن بلا نحن . يعني بذلك تخليه من أفضاله في أفضاله .

سئل أبو سعيد الخراز ، رحمه الله عن معنى قوله : « وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ قَمِينَ اللَّهُ » .

قال : أخلام من أفلام في أقوالهم .

وأما قول القائل لصاحبه : أنا أنت وأنت أنا ، فمعناه : معنى الإشارة إلى ما أشار إليه الشبلي ، رحمه الله : حيث قال في مجلته : يا قوم هذا مجنونٌ بنى عامرٍ كان إذا سئل عن آتيلٍ ، فكان يقول : أنا لآتيلٍ ، فكان يغيب بذيل عن ليلٍ حتى يبقى بمشهد ليلٍ ، ويُغييه عن كل معنى سوى ليلٍ ويشهد الأشياء كلها بليلى ، فكيف يدعى من يدعى محبته ، وهو صحيحٌ مُبَيَّنٌ يرجع إلى معلوماته ومألوفاته وحظوظه فيبهات أنى له ذلك ، ولم يزهّد في ذرّة منه ، ولا زالت عنه صفةٌ من أوصافه ؟ أمّا (١) أن يبدّل الجهد للمسبود أذنى رتبة عند القوم .

قال الشبلي ، رحمه الله : إن متحابين ركبا بعض البحار ، فسقط أحدهما في البحر وغرق ، فألقى الآخر نفسه إلى البحر ، فخاص النواصون ، فأخرجوهما سالمين ، فقال الأول لصاحبه : أما أنا ، فقد سقطت في البحر ، أنت لم رميت نفسك في البحر ؟ فقال له : أنا غائب بك عن نفسي ، توهمت أنى أنت .

وقال بعضهم : وقف غلام على حلقة الشبلي ، رحمه الله فقال : يا أبا بكر أخذني متى وغيّبتني متى وردتني إلى كما أنا بلا أنا !

فقال له الشبلي رحمه الله : ويحك من أين لك هذا ؟ أعماك الله ؟ فقال الغلام : يا أبا بكر من أين لي ، أن أعمى فيه ؟ ثم هرب من بين يديه .

وقال بعضهم :

ذَكَرْنَا وَمَا كُنَّا نَسِينَا فَنَذَكُرُ وَلَكِنْ نَسِيمُ الْقُرْبِ يَبْدُو فَيَمُتُّ
فَأَفْقَى بِهِ عَنِّي وَأَبْقَى بِهِ لَهُ إِذِ الْحَقُّ عَنْهُ مُخْبِرٌ وَمُعَبِّرٌ

(١) قوله : معاً . لعل الصواب أن يقال : مع أن الخ

وقال بعضهم :

أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا فَإِذَا أَبْصَرْتَنِي أَبْصَرْتَنَا
نَحْنُ رُوحَانِ مَعَا فِي جَسَدٍ أَلَيْسَ اللَّهُ عَلَيْنَا الْبَدَنَا

وقال غيره :

يَا مُنِيَّةَ الْمَقْنَى أَفْتَبِتَنِي بِكَ عَقَى
أَذْنَيْتَنِي مِنْكَ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَنَّى

وهذه مخاطبة مخلوقٍ لمخلوقٍ في هواء ، فكيف لمن ادَّعى محبة من هو أقربُ
إليه من حَبْلِ الْوَرِيدِ ١٩

وأما قول القائل : « هو بلا هو » : فهي إشارة إلى تفريد التوحيد ، كأنه يقول :
هو بلا قول القائل : هو ، ولا كتابة الكاتب ، هو ، وهو بلا ظهور هذين الحرفين ،
يعني الماء والواو ، بمعنى : هو .

قال الجنيد ، رحمه الله : في وصف التوحيد ، فقال : حُكْمُهَا عَلَى مَا جَرَتْ
عليه جارية ، وسلطانها على كلِّ حقٍّ عالٍ ، ظهرت فقهرت ، وخفيت فاستترت ،
وصالت فضالت ؛ هي هي بلا هي ، تُبْدِي فتبدي ما بَدَتْ عليه ، وتُغْفِي ما أشارت
إليه ، قريبها بعيدٌ ، وبعيدها قريبٌ ، وقريبها مُرِيبٌ .

وقد أشار الجنيد ، رحمه الله : إلى معنى ما ذكرتُ ، والله أعلم .

وأما « قطعُ الملائق » فمعنى الملائق : الأسباب التي قد علق على العبد وشغله
بذلك حتى قطعه عن الله تعالى .

قال أبو سعيد الخراز ، رحمه الله : أهل التوحيد قطعوا منه الملائق ، وهجروا
فيه الملائق ، وخلصوا الراحة ، وتوَحَّشوا من كلِّ مأنوس ، واستوحشوا من
كلِّ مألوف .

و «بادى بلا بادی» : يريد بذلك ما يبدو على قلوب أهل المعرفة من الأحوال والأنوار وصفاء الأذكار ؛ فإذا قال : «البادی» أشار إلى ذلك ، فإذا قال : «بلا بادی» أشار إلى أن البادی مُبْدَى* ، هو يُبْدِى هذه البوادی على القلوب .

قال الله تعالى : « إِنَّهُ هُوَ يُبْدِى وَيُعِيد »^(١) فإذا شاهد الحال الذى أبدأ به هو المبدى* ، فقال : بادی وأثبتته ، وإذا شاهد المبدى* الذى منه البوادی يقول بلا بادی .

قال الخواص : رحمه الله ، فى كتاب معرفة المعرفة : الحق إذا بدا ، بدا بلا بادی ، ولا بادی ، من حيث ، لا بادی ؛ لأن البادی أفنى كل بادی ، من حيث البادی ، فلا بادی ، وهو بادی ، من حيث لا بادی ؛ وإنما ذلك على قرب مشاهدة الحق منهم .

و «التجلى» : التلبس ، والتشبه بالصادقين ، بالأقوال ، وإظهار الأعمال .
رُوى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس الإيمان بالتجلى ولا بالتعنى ، ١٩٠
ولكن ما وقر فى القلب وصدقته الأعمال »

وقال بعضهم :

مَنْ تَحَلَّى بِغَيْرِ مَا هُوَ فِيهِ فَضَحَّتْهُ شَوَاهِدُ الْامْتِحَانِ

و «التجلى» : إشرق أنوار إقبال الحق على قلوب القلبين عليه .

وقال النورى ، رحمه الله : تجلى خلقة بخلقه ، واستتر عن خلقه بخلقه .

وقال الواسطى ، رحمه الله : فى قوله تعالى : « ذَلِكَ يَوْمُ التَّعَابُنِ »^(٢) قال :

تغابن أهل الحق على مقادير الفناء والرؤية والتجلى .

وقال النورى رحمه الله : يتجابه حذفت الحسن وجملت ، وبلمستاره قبحت

وسمجت .

وقال بعضهم :

قَدْ تَجَلَّى لِقَلْبِهِ مِنْهُ نُورٌ فَاسْتَضَاءَتْ بِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ

و«التَّجَلَّى» : هو الإعراض عن المعارض المشبهة ، بالظاهر والباطن ، وهو اختيار الخلوة ، وإيثار العزلة ، وملازمة الوحدة .

قال الجُنَيْدُ ، رحمه الله : القلوب المحفوظة لا يعرضها وليها ؛ لجانية محادثة غيره ، ضناً منه بها ، ونظراً منه لها ، وإبقاء عليها ؛ ليخلص لهم ما أصفاهم به وما جمعهم له ، وما عاد به عليهم .

وهذه بعض صفات من أراد الله للخلوة به ، وجمعه للأنس ، وحال بينه وبين ما يكرهه له .

وعن يوسف بن الحسين ، رحمه الله : في معنى التَّخَلَّى قال : هو العزلة ، لأنه لم يَقْوِ على نفسه وضعف ، فاعتزل من نفسه إلى ربه .

وقال بعضهم :

إِنَّ قَلْبَ الْفَقِي وَلَوْ عَاشَ دَهْرًا فِي الْهَوَى لَا يَكَادُ أَنْ يَتَخَلَّى

و«العله» : كناية عن بعض ما لم يكن فمكان .

حُكِيَ عن الشبلي ، رحمه الله : أنه كان يقول في صفة الخلق : إِنْ أَدَلَّ كَثُفُهُمْ ، وَالْعَلَّةُ كَوُفُهُمْ .

وقال ذو النون المصري ، رحمه الله : علة كل شيء : صُنْعُهُ ، ولا علة لصُنْعِهِ ، معناه - والله أعلم - : أن وجود النقصان في كل شيء مصنوع كائن ؛ لأنه لم يكن فسكان ، وليس في صُنْعِ الصانع لمصنوعاته علة .

وقال بعضهم :

يَا شِفَانِي مِنَ السَّقَا مَ وَإِنْ كُنْتَ عَلَيَّ

و«الأزل» : معناه معنى القِدَم ؛ لأن القديم يسمى به غير الباري ؛ ويقال :

شيء أقدم من شيء ؛ والأزل والأزلية لله تعالى لا يتسمى بالأزل شيء غير الله جل جلاله ، و«الأزل» اسم من أسماء الأولياء ، فهو الله الأول القديم الذي لم يزل ولا يزال ، و«الأزلية» صفة من صفاته .

قال بعض المتقدمين : الحق فيما لم يزل كهو فيما لا يزال ؛ فقوموا استحسنوا هذه المقالة ، لنفى التخيير عن الحق ؛ لأنه بجميع أسمائه وفعاله لم يزل ، وقوموا قالوا : يلزم القائل لهذا ، القول بقدم الأشياء ؛ وفرقوا بين أسماء الفعل وأسماء الذات ، وصفات الفعل وصفات الذات ، والله أعلم .

و«الأبد» و«الأبدية» : نعت من نعت الله تعالى ، والفرق بين الأزلية والأبدية : أن الأزلية لا بداية لها ولا أولية ، والأبدية لا نهاية لها ولا آخرة .
وسئل الواسطي عن الأبد فقال : إشارة إلى ترك انقطاع في المدد ونحو الأوقات في السرمد .

وقال : الوسم والرسم : نعتان يجريان في الأبد بما جزيا في الأزل .
وقال آخر : الأزل والقدم والأبد غير مرتفعة في حقيقة الأحدية ؛ لأنها عبارات وإشارات تعرف بذلك إلى خلقه خلقة .

وحكى عن الشبلى رحمه الله : أنه قال : سُبْحان من كان ولا مكان ، ولا زمان ، ولا أوان ، ولا دهر ، ولا أبد ، ولا أزل ، ولا أول ، ولا آخر ؛ وهو في حال ما أحدث الأشياء ، غير مشغول عنهم ، ولا مستعين بهم ، عدل في جميع ما حكم عليهم .

وقال عمرو بن عثمان المكي رحمه الله : سبحان الصمد ، القديم في أزل ، لم يزل في سرمد الأبد .

و«وقتي سرمد» وأما قول القائل : وقتي سرمد ، يعنى بذلك أن الحال الذي بينه وبين الله لا يتغير في جميع أوقاته ، وهو كلام واجد خبر عن نعت سره لا عن

نمت صفته ؛ لأن الصفات كائنة التغير ، وهي متغيرة إذا لم تتغير لأنها إذا لم تتغير فقد تُتغير عن الحال الذي جُبلت عليه .

قال بعضهم ، وهو الشبلي :

تَسْرَمَدَ وَقَتِي فِيكَ وَهُوَ مُسْرَمَدٌ وَأُنْفِيتَنِي عَنِّي فَصِرْتُ مُجَرِّدًا
« بَحْرِي بِلا شاطيء » وقول القائل : بحري بلا شاطيء ، معناه أيضاً قريب من
المعنى الذي ذكرنا في الوقت المسمد ؛ وهذه لفظة قد حُكيت عن الشبلي رحمه
الله تعالى أنه قال - يوماً في مجلسه في عقيب كلام جرى له - قال : أنتم أوقاتكم
مقطوعة ، ووقتي ليس له طَرَفَان ، وبحري بلا شاطيء . يعني بذلك أن الحال الذي
خصني الله تعالى به من التعميم لله ، وخالف الذكر له ، والانقطاع إليه ، لانهاية
لها ولا انقطاع ؛ والشئ إذا لم تكن له نهاية ولا غاية ، فلا يُعَبَّرُ عنه بأكثر
من ذلك .

قال : الله عز وجل : « قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ
الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَادًا » (١) لم يجعل لها غاية
لأن الموصوف بها ليس له نهاية .

وقال بعضهم : من عرف الله أحبه ، ومن أحبه عرف في بحر المم .

وقال آخر :

لَوْ أَرَادُوكَ بِحَرَ الصَّيْنِ مُعْتَرِضًا خَلَلْتُ ذَاكَ سَرَابًا ذَاهِبَ الْأَثَرِ
وقول القائل : « نحن مُسَبِّحُونَ » يريد بذلك تسيير القلوب وسيرها عند انتقالها
من حال إلى حال ، ومن مقام إلى مقام .

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله : الزاهد سيار ، والعارف طيار ؛ يعني في سرعة
الانتقال في المقامات والأحوال عند الزوائد وحُطَرَفِ الفوائد .

قال بعضهم ، وهو الشبلي :

لَسْتُ مِنْ جُمْلَةِ الْمُحِبِّينَ إِنْ لَمْ أَجْعَلِ الْقَلْبَ بَيْتَهُ وَالْقَامَا
وَطَوَاقِي إِخَالَهُ السِّرِّ فِيهِ وَهُوَ رُكْنِي إِذَا أَرَدْتُ اسْتِلاَمًا
يُرِيدُ بِنَفْسِكَ : سير القلوب .

و «التلويح» معناه : تلويح العبد في أحواله ، قال قومٌ : علامة الحقيقة التلويح ؛
لأن التلويح ظهور قدرة القادر و يُكْتَسَبُ منه النيرة ؛ ومعنى التلويح : معنى التضيير .

فن أشار إلى تلويح القلوب وتغير الأحوال فقال : علامة الحقيقة رَفْعُ التلويح ،
ومن أشار إلى تلويح القلوب والأسرار الخالصة لله تعالى في مشاهدتها وما يردُّ
عليها : من التعظيم والهيبة وغير ذلك من تلويح الواردات فقال : علامة الحقيقة
التلويح ؛ لأنهم في كل سير مع الله تعالى في زيادة من تلويح الواردات على أسرارهم
وأما تلويح الصفات فهو كما قال القائل :

كُلُّ يَوْمٍ تَتَلَوَّنُ غَيْرُ هَذَا بَكَ أَجْمَلُ

قال الواسطي : رحمه الله : من تَخَلَّقَ بِخُلُقِهِ لم تقع به طوارق التلويح في طبعه .
وبعضهم هذان البيتان في صفة السَّيِّرين :

زَجَرْتُ قَوَادِي فَلَمْ يَنْزَجِرْ وَيَطْلُبُ شَيْئًا وَمِنْهُ يَفِرْ

يَسِيرُ إِلَى الْحَقِّ مُسْتَظْهِرًا وَإِنِّي عَلَيْهِ شَفِيقٌ حَذِرٌ

« وبذل المهج » معناه : بذل مجهود استطاعة العبد على قدر طاقته في توجهه

إلى الله تعالى وإلثاره الله عز وجل على جميع محابه .

قال : الخواص رحمه الله : وكل متوجه يتوجه إلى الله عز وجل ، ومَوَاضِعُ

الاستراحة فيه قائمة ، فلا يتفد في توجهه .

قال القائل :

يَا مَلِيحَ الدَّلِّ وَالْفُنُجِ لَكَ سُلْطَانٌ عَلَى الْمُهْجِ

ومعنى «المُهَج» : جميع المحبوبات إليك ، من النفس ، والمال ، والولد .
 و«التلف» معناه : معنى الختف ؛ والختف والتلف : ما يُنْتَظَرُ منه الهلاك في حينه .
 وقد حكى عن أبى حمزة الصوفى أنه قال : وقعتُ فى بئر فطمتوا رأسها ،
 فأبستُ من نفسى وسمت الأمر إلى الله تعالى واستسلمت ؛ فإذا بسبعٍ قد نزل البئر
 فتملقتُ برجله فأخرجنى من البئر ، فسمعت هاتفاً يقول : يا أبا حمزة هذا حسنٌ ،
 نجيتك من التلف ، فقال أبيتاً وفيها هذان البيتان :

أراك وبى من هيبقى لك وحشةٌ فتؤنِسُنِي باللطف منك وبالعطف
 وتُحِبُّ مُحِبّاً أَنْتَ فى الحبِّ حَتْنُهُ وذا عجبٌ : كَوْنُ الحياة مع الختف
 قال الجريرى رحمه الله : من يقفُ على علم التوحيد بشاهد من شواهد زلّ به
 قدّمُ الغرور فى مهوَاوٍ من التلف .

و«اللجأ» : توجه القلوب إلى الله تعالى بصدق الثقة والرجاء .
 قال الواسطى رحمه الله : من لم يكن فى صدق الثقة واللجأ إلا عند الموت ،
 بقيت الآفة عليه على دوام الأوقات .

وقال بعض أهل الفهم فى معنى قوله : «وَقُلْ : رَبِّ اذْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي
 مُخْرَجَ صِدْقٍ» ^(١) قال : أظهرَ محمد ، صلى الله عليه وسلم ، من نفسه صدق اللجأ
 بصدق الثقة بين يدي الله تعالى ، وبصدق اللجأ ترتبت السرائر

و«الازدعاج» : تحريك القلب المراد باليقظة من سنة الغفلة .
 ذكر عن الجنيد رحمه الله أنه قال فى بعض كلامه : كيف لا تسود إليه السرائر ،
 وتزعج بما فيها إليه الضمائر ! وكيف لا تسرع إليه الأقدام بالطاعة ، وتنهض إليه
 بالجد والبذرة ، أنساً منها بيلايه وسروراً بعظيم عطايه !

و«الازعاج» و«الازدعاج» بمعنى الانكساب والاكتساب .

وقد قيل لبعض المشايخ، أعلمه إبراهيم الخواص رحمه الله : أصحابك يقولون : نحن نأخذ من الله إذا أخذنا ، ولا نراهم إلا يأخذون من الناس ، قال : من ذا الذي يُزجج قلوب الناس حتى يُعطوهم من غير أن يطلبوا منهم شيئاً ويسألوهم ؟
و«جذب الأرواح» .

فأما جذب الأرواح وسَوُّْ القلوب ومشاهدة الأسرار والناجاة والمخاطبة وما يشاكل ذلك ؛ فلين أثير ذلك عبارات تُعبر عن التوفيق والعناية ، وما يبدو على القلوب من أوار الهداية على مقدار قرب الرجل وبعده وصدقه وصفاته في وجده .
قال أبو سعيد الخراز : إن الله تعالى جذب أرواح أوليائه إليه ، ولقد هابذكروا والوصول إلى قربهِ ، وعجل لأبدانهم التلذذ بكل شيء ؛ فعيشُ أبدانهم عيش الحيوانيين ، وعيش أرواحهم عيش الربانيين .

وقال الواسطي رحمه الله : إنما شهدتم الطائفة التي بها جذب سرائرهم إلى نفسه وقال : إذا جذب الأرواح عن الأشباح ، ثبت الأشباح مع العقول والصفات ؛ لأنه حبها بشرط العقول ، وآيسهم أن يكون لهم شيء من غير سرائرهم بقوله تعالى : « قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ » (١) .

و«الوطر» : مُتَيَّةٌ وتمتع محودة خارجة عن نعت البشرية وحظوظ النفسانية ، ويقال : فلان هو المتسكن في وطنه والمُلى في وطره .

قال القائل :

تَرَجَلْتُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ أَقْضِ أَوْطَارِي وما زلتُ محزوناً أحنُّ إلى دارِي
وقال ذو النون رحمه الله :

أَمُوتُ وَمَا مَنَتْ إِلَيْكَ صَبَابِي وَلَا قُضِيَْتَ عَنْ وَرْدِ حَبِّكَ أَوْطَارِي
مُنَايَ الْمَنَى كُلُّ الْمَنَى لِي مُنَى وَأَنْتَ الْقَنَا كُلُّ الْقَنَا عِنْدَ يَقَارِي
وقيل لحكيم : أيُّ المواطن أحبُّ للسكون والتوطن فيه ؟

(١) يونس . ٥٨ ونص الآية : قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير

تقال : أحبّ الوطن إلى صاحبه : موطن إذا دعا فيه أوطاره أجابته ، والوطن
وطن العبد حيث انتهى به الحال واستقر به القرار .

ويقال : قد توطن في حال كذا ومقام كذا .

قال الجنيد رحمه الله في كلام له : إن لله عباداً على وطنات مطيَّ مُخلّانه بركبون ،
وبالسرعة والبدار إليه يستبقون .

وقال النوري رحمه الله :

أما ترى هَيِّبِي شرّذي عن وطني
إذا تغيّبتُ بدا وإن بدا غيبي
يقول لا تشهدُ ما تشهدُ أو تشهدني

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله : الإيمان أفضل من اليقين ؛ لأن الإيمان
وطنات واليقين خطرات .

وإنما وصف قدرَ ما شاهد من يقينه ، ووصف نفسه بذلك ، وأراد بذلك غرْبته
عنده ، لأن اليقين صفاء العلم في القلب واستقراره فيه ، والناس فيه متفاوتون .
و«الشُرود» : نقرُ الصفات من منازل الحقائق وملازمة الحقوق .

قال ابن الأعرابي رحمه الله : أوّما ترام مشرّدين ، في كل وادٍ يهيمون ، ولكل
بارق يتبعون ؟ !

قال الواسطي : غدام بتربية الأحوال ، ونمّمهم بالملاحظة لهم في الأعمال .

يجب على المرء أن يكون في صدق الفاقة واللجأ في أيام حياته ؛ لئلا يردّ عليه
ذلك الشُرود ، فيحس بذلّ الشُرود ، ويطلب من كل أحد عوناً بدعاه ويكلّمه ؛
ولو كانت صحة الوجد في الأوقات مصحوبه ، ما أصابه ذلك الشُرود .

و«القصد» : معناه : الإرادات والنيات الصادقة ، المقرونة بالتهوؤ إلىه .

حكى عن أحمد بن عطاء رحمه الله أنه قال : من قصد في قصوده غير الحق فقد عظمت استهاته بالحق .

وقال الواسطي رحمه الله : خواطر القصود ، جُحود المعبود ، وكيف يشهد القصود من هو في معاني القصود ؟ معناه : أن من يشاهد القصود في قصده سقط عنه رؤية قصده في قصده .

و«الاصطناع» : مرتبة خص بها الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والصديقون . وقال قوم : الاصطناع خص به موسى من جميع الأنبياء عليهم السلام لقوله : «وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي»^(١) .

وقال قوم : هي مرتبة الأنبياء عليهم السلام دون غيرهم . قال أبو سعيد الخراز رحمه الله : أول بادٍ من الحق قد أخفاه في أنفسهم وأما أنفهم في أنفسهم ، واصطنعهم لنفسه ؛ وهذا أول دخول في التوحيد من حيث ظهور التوحيد بالله عيومية .

وسئل بعضهم عن قوله جل جلاله : «وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي» ، «وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي»^(٢) فقال : ما نجا نبي ولا ولي من محنته ، ولا سلم أحد في ميتته من فتنه .

و«الاصطفاء» سناه : الاجتهاد في سابق العلم ، وهو اسم مشترك . قال الله تعالى : «وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ»^(٣) ، وقال الله تعالى : «اللَّهُ يُصْطَفِي مِنَ التَّلَاكُفَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ»^(٤) .

وقال الواسطي رحمه الله : ابتدأك بنفسه ، واصطفاك لنفسه ، فن استعظم ذلك حسنت إخطار نفسه فيما بذلت ؛ فإن قابلته بنفس العناية تضمنت ما منه من الهداية .

(٢) طه : ٣٩

(٤) الحج : ٧٥

(١) طه : ٤١

(٣) الأنعام : ٨٧

و«المسح» : معناه مسحُ القلوب ؛ وذلك للمطرودين من الباب ؛ كانت لهم قلوب متوجهة فَمَسَحَتْ بالإعراض عنها ، وجملت توجهها إلى الحظوظ دون الحقوق ؛ فإذا قال القائل : فلان قد مَسَحَ به معناه : أى أعرض بقلبه .

و«اللطيفة» : إشارة تلوحُ في الفهم وتلمعُ في القِهرن ، ولا تسمُّها العبارة لفظة معناها قال أبو سعيد ابن الأعرابي ، رحمه : الحق : يريدك بليطفة من لدنه تُدْرِكُ بها ما يريد بك إدراكه .

وقال أبو حمزة الصوفي ، رحمه الله :

تَلَطَّفْتُ فِي أَمْرِي فَأَبْدَأْتُ شَاهِدِي إِلَى غَاثِي وَاللَّطْفُ يُدْرِكُ بِاللَّطْفِ

و«الامتحان» : ابتلاء من الحق يحمل بالقلوب المقلبة على الله تعالى ، و«محتتها» : اقسامها وتشتتها .

حُكِيَ عن خير النساء رحمه الله أنه قال : دخلتُ بعض المساجد ، فتعلق بي شابٌ من أصحابنا فقال لي : يا شيخ ، تعطف علىَّ فإن محنتي عظيمة . فقلت : وما محنتك ؟ فقال : افتقدت البلاء وقورنت بالمافية ، وأنت تعلم أن هذه محنة عظيمة . و«الامتحان» على ثلاثة ، لقوم منهم عقوبة ، ولقوم منهم تمحيص وكفارة ، ولقوم استدعاء الزيادة ، وارتفاع درجة .

و«الحديث» : اسم لما لم يكن فكان .

قال بعضهم : إذا أراد الله ، تعالى تنبيه العامة أخذت في العالم آيةً من آياته ، وإذا أراد تنبيه الخاصة أزال عن قلوبهم ذِكْرَ حَدَثِ الأشياء .

و«الكلية» : اسم لجماع الشيء الذي لم يبق منه بقية ؛ فإذا قال القائل : الكل ، يريد بذلك : أن لم يبق منه بقية إلا بمعناه .

قال بعضهم : لا يكون العبد عبداً بالكلية ويكون منه لغير الله بقية .

وقال آخر : إن أقبلت عليه بكايته أقبلَ عليك بكل الكل ، وقال :

بَلْ كُلِّ مَا كُلِّ مِنْ كُلِّ عَلَيْكَ كَمَا بِكُلِّ كَلَّا كُلِّي كَانَ مَنَاشُ

«التليس»: تحلى الشيء بنعت ضده .

حُكي عن الواسطي ، رحمه الله . أنه قال : التليس عين الربوبية ، . . . :
أن المؤمن يُظهره في زينة الكافر ، والكافر في زينة المؤمن ، قال الله تعالى :
وَلَلْبَشَافَةِ عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ^(١) .
وقال الجنيّد ، رحمه الله : امتزج بالالتباس واختلط متلونًا بالإحساس ،
وما يتغير عنها في الالتباس يُؤخذ عنه كأسرع مأخوذٍ ، مُخَلَّسٍ ، وللفنّاد في
هذا المعنى :

بنا يُكشَفُ التليسُ في كل ما كُرِ
إذا طامسَ الدُّعوى وطاحَ انتعالهُ
«الشرب»: تلقى الأرواح والأسرار الطاهرة اِبرْدُ عليها من السكرات وتنعمها
بذلك ، فشبه ذلك بالشرب ، لتهنئته وتنعمه بما يردُّ على قلبه من أنوار مشاهدة
قُرْب سيده .

قال : ذو النون ، رحمه الله : وردت قلوبهم على بحر الحبة فاغترفت منه ريثاً
من الشراب ، فشربت منه بمخاطرة القلوب فسهل عليهم كلُّ عارضٍ عرض
لهم دون لقاء المحبوب .

وقال القائل في هذا المعنى :

شَرِبْتُ كَأْساً عَلَى ذِكْرِكَ صَافِيَةً فَا يُقَلِّلُ فِيكَ الْقَلْبُ تَهْلِيلُ
فَا وَجَدْتُ لِسْنِي عَنْكَ لِي شُغْلًا لَا عِشْتُ إِنْ قُلْتُ : إِنِّي عَنْكَ مَشْمُولُ
«الدُّوق»: ابتداء الشرب .

قال ذو النون رحمه الله : لما أراد أن يسقيهم من كأس محبته ذوقهم من
لذاته وألحهم من حلاوته .

قال القائل في هذا المعنى :

يَقُولُونَ نَسَكَلِي وَمَنْ لَمْ يَذُقْ فِرَاقَ الْأَحِبَّةِ لَمْ يَنْفَكَلِ

«والعين» : إشارة إلى ذات الشيء الذي تبدو منه الأشياء .

قال الواسطي رحمه الله : وقومٌ علموا مصادر الكلام من أين ، فوقموا على العين فأغناهم عن البحث والطلب .

وقال الجنيد رحمه الله : حكايات أبي يزيد البسطامي رحمه الله تدلُّ على أنه كان قد بانغ إلى عين الجمع ، و«عين الجمع» : اسم من أسماء التوحيد ، له نعتٌ ووصفٌ يعرفه أهله .

وقال النوري :

مَضَى الْجَمِيعُ فَلَا عَيْنَ وَلَا أَثَرَ مُضَيَّ عَادِرٍ وَقِدَّانَ الْأَلَى إِرَامٍ
و«الاصطلام» : نعت غلبة تردُّ على العقول فيستلبها بقوة سلطانه وقهره .
قال بعضهم : قلوب ممحنة وقلوب مضطمة ، وإن وقع الاصطلام فهو ذهابه وطمسه ، قال :

إِذَا مَا بَدَتْ لِي تَعَاظَمْتُهَا فَأَصْدُرُ فِي حَالٍ مِّنْ لَّمْ يَرِدْ
فَيُضْطَلَمُ الْكُلُّ مِثِّي بِهَا وَيُجْجَبُ عَنِّي بِهَا مَا أُجِدْ
و«الحرية» : إشارة إلى نهاية التحقق بالصودية لله تعالى ، وهو أن لا يملكك شيء من المكنونات وغيرها ، فتكون حرًّا إذا كنت لله عبداً ، كما قال بشرٌ
لِتَرَى رَحِمَهُمَا اللَّهُ فِيمَا حُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَكَ حُرًّا ،
فَكَنْ كَمَا خَلَقَكَ ، لَا تَرَأَى أَهْلَكَ فِي الْخَضِرَ ، وَلَا رُقَّتَكَ فِي السَّفَرِ ، اْعْمَلْ اللَّهُ
وَدَعِ النَّاسَ عَنْكَ .

قال الجنيد رحمه الله : آخرُ مقام العارف ، الحرية .

وقال بعضهم : لا يكون العبد عبداً حقاً ويكون لما سوى الله مُستترفاً .

و«الرَّيْن» : هو الصِّدَأ الذي يقع على القلوب .

قال الله تعالى : «كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (١) .

وقال بعض أهل العلم : حُجِبُ القلوب على أربعة أوجه : فمنها الختم والطبع ، وذلك لقلوب الكفار ، ومنها الرِّين والقَسوة ، وذلك لقلوب المنافقين ، ومنها الصدا والغشاوة ، وذلك لقلوب المؤمنين .

سئل ابن الجلاء : لِمَ سُمِّيَ أبوك الجلاء ؟ فقال : ما كان بجلاء الحديد ، واسكن كان ، إذا تكلم على القلوب جلاها من صدا الذُّوب .

و«التَّين» : قد أكَثَرُوا في وصفه وهو خَبَرٌ ضَعِيفٌ ، قد رَوَى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إِنَّهُ لَيَفَانُ عَلَى قَلْبِي فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ ، فقالوا : التَّين الذي كان يمرض قلب النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يتوب منه ، مَثَلُهُ مَثَلُ الْمَرْأَةِ إِذَا تَنَفَسَ فِيهَا الْغَاظُ فَيَنْقُصُ مِنْ ضَوْئِهَا نِصْفٌ ثُمَّ تَعُودُ إِلَى حَالَةِ ضَوْئِهَا . وقال قوم : هذا مُحَالٌ ؛ لِأَنَّ قَلْبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَلْحَقُهُ قَهْرٌ مِنَ الْخَلْقِ ، لِأَنَّهُ مَخْصُوصٌ بِالرُّؤْيَا .

قال الله تعالى : « مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى » ^(١) ، وليس لأحد أن يحكم على قلب النبي صلى الله عليه وسلم ، بوصف ، أو نعت ، أو يشبهه بشيء ، أو يضرب له مثلاً ، أو يمثله بعلّة خفية أو جلية .

وقال أبو علي الروذباري رحمه الله في معنى الإغانة :

الْفَيْنُ يُجَبَسُ عَنْ تَحْصِيلِ لُبِّهِ	لِقَلْبِ لَا يَسِي حَقَّ بَانَ عَنْ عِلَّةِ
فَإِنْ تَرَأَتْ يَسْبِقُ الْحَقَّ رُؤْيَاهَا	كَانَ التَّيْنُ فِي التَّصْرِيفِ مِنْ نِقَلِهِ
لَكِنِّي قُلْتُ مَا لَاحَتْ طَوَالِعُهُ	مِنْ الْمُؤَمِّلِ تَنْبِيهِ إِلَى أَمَلِهِ
وَالْتُّوبُ مِنْهُ عَلَى مَنَى الْوَفَاقِ وَمَا	تُبْدِي سَرَائِرَهَا غَيْثًا لِمُحْتَمِلِهِ

وهذه الألفاظ قد شرحناها على حسب ما فتح الله به على قلبي في الوقت ،

والذي بقي أكثر ، وإن استقصيت في شرحها يطول به الكتاب ، ويخرج عن الاختصار .

ونذكر بعد ذلك شرح الشطحيات من كلامهم الذي يكون ظاهره مستثنى ، وباطنه صحيحاً مستقيماً ، والله الموفق للصواب .

و«الوسائط» : الأسباب التي بين الله تعالى وبين العبد من أسباب الدنيا والآخرة .

سئل بعض المشايخ عن الوسائط فقال : الوسائط على ثلاثة أوجه : وسائط مواصلات ، ووسائط متصلات ، ووسائط منفصلات .

فالمواصلات بَوَادِي الحق ، والمتصلات العبادات ، والمنفصلات حظوظ النفس .

وقال أبو علي الروذباري رحمه الله : وهو الذي جعل الوسائط رحمةً للعارفين ؛

ليؤثروا عليها .

كتاب تفسير الشطحيات والكلمات التي ظاهرها

مستثنع وباطنها صحيح مستقيم

باب في معنى الشطح والرد على من أنكر ذلك برأيه

إن سأل سائل فقال : ما معنى الشطح ؟

فيقال : معناه عبارة مستغرقة في وصف وجد فاض بقوة ، وهاج بشدة غليانه وغلبته .

وبيان ذلك : أن الشطح في لغة العرب : هو الحركة ، يقال : شطح بشطح إذا تحرك ، ويقال للبيت الذي يحوزون فيه الدقيق ، الشطاح ، قال الشاعر :

قف بشط الفرات مشرعة الخيل قبيل الطريق بالشطاح
 بالطواحين من جبارة بطريق يدبر الفزلان دبر الملاح
 وإذا لاح بالسفانة ظلي قد كساه الإشراق ضوء الصباح
 فاقرب ذاك الفزال مني سلاماً كما صاح صائح بفلاح

ولما سمي ذلك البيت «الشطاح» من كثرة ما يحركون فيه الدقيق فوق ذلك الموضع الذي ينخلونه به ؛ وربما يفيض من جانبيه من كثرة ما يحركونه ؛ فالشطح : لفظة مأخوذة من الحركة ؛ لأنها حركة أسرار الواجدين إذا قوى وجدهم فصبوا عن وجدهم ذلك ببارة يستغرب سامعها ؛ ففتون هالك بالإنكار والطمع عليها إذا سمعها ، وسالم ناج برفع الإنكار عنها والبحث عما يشكل عليه منها بالسؤال عن يعلم علمها ، ويكون ذلك من شأنها .

ألا ترى أن الماء الكثير إذا جرى في نهر ضيق فيفيض من حافته ؟ ١ يقال شطح الماء في النهر ! فكذلك المرید الواحد : إذا قوى وجدّه ، ولم يطق حمل

ما يردُّ على قلبه من سطوة أنوار حقائقه ، سطع ذلك على لسانه ، فيترجم عنها بعبارة مستغرَبة مُشكلة على فهم سامعيها ؛ إلا من كان من أهلها ، ويكون مُتبحِّراً في علمها ، فسَمَّى ذلك على لسان أهل الاصطلاح : شَطْحاً .
وبعدُ فإنَّ الله تعالى فتح قلوب أوليائه وأذن لهم بالإشراف على درجات متعالية ، وقد جاد الحق تعالى على أهل صفوته والمتحققين بالتوجه والانقطاع إليه بكشف ما كان مستتراً عنهم قَبْلَ ذلك من مراتب صفوته ودرجات أهل الخصوص من عباده .

فكل واحد منهم ينطق بحقيقة ما وجد ويصدق عن حاله ، ويصف ما وُرد على سره بنطقه ومقاله ؛ لأنهم لا يرون حالاً أعلى من حالهم حتى يحكموها ، فإذا أحكموها فعند ذلك يسمون بهمهم إلى حالة أعلى من ذلك حتى تنتهي الطرق والأحوال والأماكن إلى غاية ونهاية ، هي أعلى النهايات وغاية الغايات .

قال الله تعالى : « وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ » ^(١)

وقال : « وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ » ^(٢)

وقال : « أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ » ^(٣)

وليس لأحد أن يبسط لسانه بالوقية في أوليائه ويقبس بفهمه ورأيه ما يسمع من الفاظهم وما يُشكِّل على فهمه من كلامهم ، لأنهم في أوقاتهم متفاوتون ، وفي أحوالهم متفاوتون ومتشاكلون ومتجانسون بعضهم لبعض ، ولم أشكال ونظراء معروفون ، فمن بان شرفه وفضله على أشكاله ، بفضل علمه وسمة معرفته ، فله أن يتكلم في علمهم وإصابتهم ، ونقصانهم وزيادتهم ، ومن لم يسلك سبيلهم ، ولم ينحُ نحوهم ، ولا يقصد مقاصدهم ؛ فالسلامة له في رفع الإنكار عنهم ، وأن يكل أمورهم إلى الله تعالى . ويَتَّهَم نفسه بالغلط فيما ينسبهم إليه من الخطأ . وبالله التوفيق

باب تفسير العلوم وبيان ما يُشكّل على فهم العلماء من

علوم الخاصة وتصحيح ذلك بالحجة

قال الشيخ رحمه الله : أعلم أن العلم أكثر من أن يحيط به فهمُ الفهماء أو يدركه عقولُ العقلاء ، وكفاك بقصة موسى والخضر عليهما السلام مع جلالة موسى عليه السلام وما خصه الله به من الكلام والنبوة والوحى والرسالة .

وقد ذكر الله تعالى في المحكم الناطق على لسان نبيه الصادق ، عَجَزَ موسى عليه السلام عن إدراك علم عبده إذ قال تعالى : «فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا» ^(١) الآية ، حتى سأله فقال :

«هَلْ أَتَيْتَكَ» ^(٢) الآية ؟ مع تأييد موسى عليه السلام وشرفه وعصمته من الإنكار عليه ؛ على أن الخضر عليه السلام لم يلحق درجة موسى عليه السلام في النبوة والرسالة والتكليم أبداً .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» ^{١٩٢} ولما تَلَذَّثَ بالنساء ، ولا تقارَرتَ على فرُشِك ، وخرَجتَ إلى الصدقات تجارون إلى الله تعالى ، والله لوددتُ أنى كنت شجرة تُفَضَّدُ » رواه إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن موزق عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم .
وفى هذا الخبر دليل على أن قوله : «يا أيها الرسولُ بَلِّغْ ما أنزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» ^(٣) ولم يقل ما تعرّفنا به إليك .

وقوله صلى الله عليه وسلم : «لو تعلمون ما أعلم» لو كان من العلوم التي أمر بالبلاغ لبلغهم ، ولو صلح لهم أن يعلّموه لعلّمهم ؛ لأن الله تعالى خص النبي صلى الله عليه وسلم بعلوم ثلاث :

عِلْمٌ يُبَيِّنُ لِلْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ، وهو : علم الحدود والأمس والنهي .

وعلم خُصَّ به قومٌ من الصحابة دون غيرهم : هو العلم الذي كان يعلم حُذيفة بن اليمان رضي الله عنه حتى كان يسأله عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع جلاله وفضله ويقول : يا حذيفة ، هل أنا من المنافقين ؟

١٩٣ وكذلك رَوَى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : « علمي رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين باباً من العلم لم يعلم ذلك أحد غيري » ، قال : « وكان أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إذا أشكل على أحدهم شيء ، يلتجئون في ذلك إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه

وعلم خُصَّ به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لم يشاركه فيه أحد من أصحابه : وهو العلم الذي قال : لو تعلمون ما أعلم فن أجل ذلك قلنا : لا ينبغي لأحد أن يظن أنه يحوي جميع العلوم حتى يخطئ ، برأيه كلام المخصوصين ويكفرهم ويزندقهم وهو متعز من ممارسة أحوالهم ومنازلة حقائقهم وأعمالهم .

وعلوم الشريعة على أربعة أقسام :

فالقسم الأول منها : علم الرواية والآثار والأخبار ، وهو العلم الذي ينقله الثقات عن الثقات .

والقسم الثاني : علم القياسية والنظر والاحتجاج على المخالفين ، وهو : العلم المتداول بين العلماء والفقهاء .

والقسم الثالث : علم القياس والنظر والاحتجاج على المخالفين ، وهو : علم الجدل وإثبات الحججة على أهل البدع والضلالة نصرة للدين .

والقسم الرابع : هو أعلاها وأشرفها ، وهو : علم الحقائق والمنازلات ، وعلم المعاملة والمجاهدات ، والإخلاص في الطاعات ، والتوجه إلى الله عز وجل من جميع الجهات ،

والانقطاع إليه في جميع الأوقات ، وصحة القصود والإرادات ، وتصفية السرائر من الآفات ، والاكتفاء بخالق السموات ، وإماتة النفوس بالخالفات ، والصدق في منازلة الأحوال والمقامات ، وحسن الأدب بين يدي الله في السر والعلانية في الخطوات ، والاكتفاء بأخذ البليغة عند غلبة الفاقات ، والإعراض عن الدنيا وترك ما فيها ، طلباً للرفعة في الدرجات ، والوصول إلى الكرامات .

فمن غلط في علم الرواية غلطاً لم يسأل عن غلظه أحداً من أهل الدراية .
ومن غلط في علم الدراية شيئاً لا يسأل عن غلظه أحداً من أهل علم الرواية .
ومن غلط في شيء من علم القياس والنظر فلا يسأل عن غلظه أحداً من أهل علم الرواية والدراية .

وكذلك من غلط في شيء من علم الحقائق والأحوال فلا يسأل عن غلظه إلا عالماً منهم كاملاً في معناه .

ويمكن أن توجد هذه العلوم كلها في أهل الحقائق ، ولا يمكن أن يوجد علم الحقائق في هؤلاء إلا ما شاء الله ؛ لأن علم الحقائق ثمرة العلوم كلها ، ونهاية جميع العلوم ، وغاية جميع العلوم إلى علم الحقائق ؛ فإذا انتهى إليها وقع في بحر لا غاية له ، وهو علم القلوب ، وعلم المعارف ، وعلم الأسرار ، وعلم الباطن ، وعلم التصوف ، وعلم الأحوال ، وعلم المعاملات ، أي ذلك شئت ، فعناء واحد .

قال الله تعالى : « قُلْ لَوْ كَانِ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَأَوْ جِثْتَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا » (١) .

الأتري أن هؤلاء لا ينسكرون شيئاً من علومهم ، وهم ينسكرون علوم هؤلاء إلا ما شاء الله ؟

وكل صنف من هؤلاء إذا تبحر في علمه ، فصار متقناً في فهمه فهو السيد لأصحابه لا بد لهم من الرجوع إليه فيما يشكل عليهم .

فإذا اجتمعت هذه الأقسام الأربعة في واحد فهو الإمام الكامل ، وهو القطب
والحجة والداعي إلى المنهج والمحنة .

كما روى عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه أنه قال ، في كلام له لكميل
ابن زياد : اللهم بلى ، لا تخلو الأرض من قائم لله بحججه لئلا تبطل آياته وتدحض
حُجته ، أولئك الأقلون عدداً ، الأعظمون عند الله تعالى قدراً .

وقد رجعتُ إلى معنى الشطح وتفسير الشطحيات ، وأقل ما يوجد لأهل الكمال
الشطوح ؛ لأنهم متمكنون في معانيهم ، وإنما وقع في الشطح من كان في بداية ،
وكان مراداً بالوصول إلى الكمال والغاية ، فتكون بدايته نهاية الإرادات ، وهي
في معناها : بداية الغايات والكمال والنهايات .
والله أعلم بالصواب .

باب في كلمات شطحيات تحكى عن أبي يزيد

[قد فسر الجنيد] طرفاً منها

قال الشيخ رحمه الله : قد فسر الجنيد رحمه الله شيئاً قليلاً من شطحات أبي يزيد رحمه الله ، والماقل يستدل بالقليل على الكثير ، ومن الحال أن أجد للجنيد رحمه الله تفسيراً لكلامه ، فأدع ذلك وأنكلم من عندى له جواباً غيره .

قال الجنيد رحمه الله : الحكايات عن أبي يزيد مختلفة ، والناقلون عنه فيما سمعوه مفترقون ؛ وذلك ، والله أعلم ، لاختلاف الأوقات الجارية عليه فيها ، واختلاف المواطن للتداوة بما خص منها ؛ فكل يحكى عنه ما ضبط من قوله ، ويؤدى ما سمع من تفصيل مواعنه .

وقال الجنيد رحمه الله : وكان من كلام أبي يزيد رحمه الله ، لقوته وغوره واتهاء معانيه ، مفترق من بحر قد انفرد به ؛ وجعل ذلك البحر له وحده .

قال الجنيد رحمه الله : ثم إنى رأيت الغاية القُصوى من حاله ، يعنى من حال أبي يزيد رحمه الله ، حالاً قل من يفهمها عنه أو يعبّر عنها عند استماعها ؛ لأنه لا يحتملها إلا من عرف معناه وأدرك مُستفاهه ، ومن لم تكن هذه هيئته عند استماعه فذلك كله عنده مردود .

وقال الجنيد رحمه الله : رأيت حكايات أبي يزيد رحمه الله ، على ما نعتته بنبي عنه : أنه قد غرق فيما وجد منها وذهب عن حقيقة الحق ، إذا لم يرد عليها ، وهى معانٍ غرقت على تارات من الترق ، كل واحد منها غير صاحبها .

وقال الجنيد رحمه الله : أما ما وصف من بدايات حاله فهو قوى مُحكم ، قد بلغ

منه الغاية ، وقد وصف أشياء من علم التوحيد صحيحة ، إلا أنها بدايات ، فيما يُطلب منها المرادون لذلك .

وهذه الكلمات التي أريد أن أذكرها ليست هي مما يكتبُ في المصنفات ؛ لأنها ليست من العلوم المبتثثة عند العلماء ، ولكن رأيت الناس قد أكثروا الخوض في معانيها : فواحد قد جعله حُجة لباطله ، وآخر قد اعتقد في قائلها الكفر ، والجميع قد غلطوا فيما ذهبوا إليه ، والله الموفق للصواب .

باب في ذكر حكاية حكيمة عن أبي يزيد البسطامي

رحمه الله تعالى

وقد شاع في كلام الناس أنه قال : ذلك ، ولا أدري : يصح منه ،
ذلك أم لا ؟

ذكر عن أبي يزيد أنه قال : رفعتي مرة فأقامني بين يديه ، وقال لي :
يا أبا يزيد ، إن خاقي يحبون أن يروك .

قلت : زبني بوجدانيتك ، وألبسني أنايتك ، وارفعني إلى أحديتك ، حتى
إذا رأي خَلْقَكَ قالوا : رأيته ، فتكون أنت ذلك ، ولا أكون أنا هنا .

فإن صح عنه ، ذلك فقد قال : الجنيد ، رحمه الله ، في كتاب تفسيره لكلام أبي
يزيد ، رحمه الله : هذا كلام من لم يُلبس حقائق وجد التفريد في كال حق
التوحيد ، فيكون مستغنياً بما ألبسه عن كون ما سأل .

وسؤاله لذلك يدل على أنه مقارب لما هناك ، وليس المقارب للكان بكان
فيه على الإمكان والاستكان .

وقوله : ألبسني وزبني وارفعني : يدل على حقيقة ما وجده بما هذا مقداره
ومكانه ، ولم يتل الخطوة إلا بقدر ما استبان .

قلت : فهذا الذي فسر الجنيد ، رحمه الله ، فقد وصف حاله فيما قال : وبين
مكانه فيما أشار إليه أبو يزيد ، رحمه الله .

فأما ما يجد المتعمق والمعايد مقالاً بالطمع على من يقول مثل ذلك فلم يبين .
وإلى ذلك المعنى والمقصد وبالله التوفيق .

وقوله : رفعتي مرة ، فأقامني بين يديه ، يعني أشهدني ذلك وأحضر قلبي لذلك ؛
لأن الخلق كلهم بين يدي الله تعالى ، لا يذهب عليه منهم نفس ولا خاطر ، ولكن

يتفاضلون في حضورهم لذلك ومشاهدتهم ، ويتفاوتون في صفاتهم من كدورة ما تَحْجُبُ بينهم وبين ذلك من الأشغال القاطعة والخواطر المانعة .
 ١٩٤ وقد روى في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يدخل في الصلاة يقول : وقفتُ بين يدي الملك الجبار .

وأما قوله : قال لي ، وقلتُ له ، فإنه يشير بذلك ، إلى مناجاة الأسرار وصفاء الذكر عند مشاهدة القلب لمراقبة الملك الجبار في آناء الليل والنهار .

فَقَسْ عَلَى مَا بَيَّنْتُ لَكَ ، فَإِنَّ الْجَمِيمَ يَشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا ، واعلم أن العبد إذا تيقن بقُرب سيده منه ، ويكون حاضراً بقلبه مراقباً لخواطره ؛ فكل خاطر يخطر بقلبه فكان الحق يخاطبه بذلك ، وكل شيء يتذكر بصره فكانه يخاطب الله تعالى به ؛ إذ الخواطر وحركات الأسرار وما يقع في القلوب ، تبدو من الله وانهائه إلى الله .

فهذا على هذا المعنى ، والله أعلم بالصواب .
 وقد قال القائل :

مَثَلْتُهُ النَّيَّ فَظَلَّ نَدِييَ فَتَنَّمْتُ فَاقْدًا لِلنِّعَمِ
 مَثَلْتُهُ حَتَّى كَأَنِّي أَنَا جِبْرِ بَيْرِي وَسِيرِي الْمَكْتُومِ

وقال آخر :

قَالَ لِي حِينَ رَمْتُهُ كُلُّهُ ذَا قَدْ عَلِمْتُهُ
 لَوْ بَكَى طَوْلَ عَمْرٍو بِدَمٍ مَا رَحِمْتُهُ

يريد مناجاة الأسرار ، ومثل ذلك كثير في الشعر وغيره .
 وأما قوله : زَيْتِي بوحداثيتك ، وألبسني أنايتك ، وارفئني إلى أحديتك :
 يريد بذلك الزيادة والانتقال من حاله إلى نهاية أحوال المتحققين بتجريد التوحيد والفردين لله بمحققة التفريد .

١٩٥ وقد ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما روى عنه : سبق المفردون قيل : يا رسول الله ، ومن المفردون ؟ قال : الحامدون الله في السراء والضراء .
وأما قوله : ألبسني أنا نيتك حتى إذا رأي خلقك قالوا : رأيناك ، فتكون أنت ذاك ، ولا أكون أنا هناك : فهذا وأشباه ذلك تصف فناءه ، وفناءه عن فناءه ، وقيام الحق عن نفسه بالوحدانية ، ولا خلق قبل ، ولا كون كان .

١٩٦ وكل ذلك مستخرج من قوله صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : « ما زال عبيدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنتُ عَيْنَهُ التي يبصر بها ، وسمعه الذي يسمع به ، ولسانه الذي ينطق به ، ويده التي يبطش بها ، كما جاء في الحديث » .

وقد قال القائل في وجده بمخلوق مثله ، وقد وصف وجده بمحبوبه حتى قال :
أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا فَإِذَا أَبْصَرْتَنِي أَبْصَرْتَنَا
نَحْنُ رُوحَانِ مَعًا فِي جَسَدٍ أَلْبَسَ اللَّهُ عَلَيْنَا الْبَدَنَ
فإذا كان مخلوقٌ يمدُّ بمخلوق ، حتى يقول مثل ذلك ، فما ظنك بما وراء ذلك ؟
وبلغني عن بعض الحكماء أنه قال : لا يبلغ المتحابان حقيقة المحبة حتى يقول الواحد للآخر : يا أنا .

وشرح ذلك بطول إن استقصيتُ ، وفيما ذكرتُ كفاية . والله التوفيق .

باب آخر في تفسير حكاية ذكرت عن

أبي يزيد رحمه الله

قال الشيخ رحمه الله : قلت : وقد حكي أيضاً عنه أنه قال : أول ما صيرتُ إلى وحدانيته ، نصيرتُ طيراً جسمه من الأحذية ، وجناحه من الديمومية ؛ فلم أزلُ أطيّرُ في هواء الكيفية عشر سنين ، حتى صرتُ إلى هواء مثل ذلك مائة ألف مرة ، فلم أزلُ أطيّرُ إلى أن صرتُ في ميدان الأزلية ، فرأيت فيها شجرة الأحذية .

ثم وصّفَ أرضها وأصلها وفرعها وأغصانها وثمارها ، ثم قال : فنظرتُ فعلمتُ أن هذا كله خدعة .

قال الجنيد ، رحمه الله : أما قوله : أول ما صرتُ إلى وحدانيته : فذاك أول لحظة إلى التوحيد ، فقد وصف بما لاحظ من ذلك ، ووصف النهاية في حال بلوغه ، والمستقر في تنهاى رُسوخه .

وهذا كله طريقٌ من طريق الطلوعين بالبلوغ إلى حقيقة علم التوحيد بشواهد معانيها ، منظوراً إليها ، متوهاً بأهلها فيها ، مُرسلين في حق ما لاحظوه مما شهدوه .

وليس لذلك إذا كان كذلك غاية كنهه يقوى عليه المطلوبُ به ، ولا رُبوبٌ في إرْماسٍ يصيرون إليه ، بل ذلك على شاهد التأيد فيه ، وإيثار التخليد فيما وجدوا منه .

وقال الجنيد ، رحمه الله : وأما قول أبي يزيد ألف ألف مرة فلا معنى له ؛ لأن نعتَه أَجْلٌ وأَعْظَمُ مما وصفه وقاله ، وإنما نَعَتَ من ذلك على حسب ما أَمْكَنَهُ ،

ثم وصف ما هناك ، وليس هذا ، بَمَدُّ ، الحقيقة المطلوبة ، ولا الغاية المستوعبة ، وإنما هذا بعضُ الطريق .

فهذا ما فسرهُ الجنيد ، رحمه الله ، وفيه بُلغة وكفاية لمن يفهم والله الموفق للصواب .

قال الشيخ رحمه الله : غير أن الجنيد قد تكلم على حال أبي يزيد ، رحمه الله ، فيما شطح به وما ينطق بذلك عن وجده .

فأما ما يجدُ التَّحَنُّتَ مطمئناً فيما قال أبو يزيد فلم يذكره ؛ وهو قوله صرْتُ طيراً ، ولم أزل أطيئُ ، فكيف ينهياً للمرء أن يصير طيراً ويطير ؟
والمنى ، فيما أشار إليه ، سمو الهمم وطيران القلوب ، وذلك موجود في لغة العرب : أن يقول القائل : كدُتْ أطيئُ من الفرح ، وقد طار قلبي وكاد يطيرُ عقلي .

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله : الزاهد سيار ، والعارف طيار ، يريد بذلك : أن العارف — في قصده إلى مطلوبه — أَسْرَعُ من الزاهد ، وهذا جائز .
وقد قال الله تعالى « وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمَانُهُ طَائِرُهُ فِي عُنُقِهِ » (١) .
روى عن سعيد بن جبير رحمه الله عليه في معنى تفسيره : ألحقنا به ما سبق له من السعادة والشقاوة .

وقال الشاعر :

رُبَّ يَوْمٍ كَأَنَّهُ يَوْمٌ بَانُوا مِنْ دَمْعِ الْفَرَاقِ يَوْمٌ مَطِيرُ
لَوْ تَرَانِي رَأَيْتَ يَوْمٌ تَوَلَّوْا جَسْداً وَاقِفاً وَقَلْباً يَطِيرُ
« وأما قوله » : وما يضيئ جناحيه وجسمه إلى الأحذية والديمومية . يريد

بذلك تَبَرُّيه من حوله وقوته في طيرانه ، يعنى في قصده إلى مطلوبه ، وأن يضيف فعله وحركته ، في قصده إلى الأحاد الدائم ، بلفظة مستغربة .

ومثل ذلك موجود في كلام الواجدين والمستهترين ، وإذا كان الغالب على سر الواجد وقلبه ذكُرُ من يمدُّ به ، يصفُ جميع أحواله بصفات محبوبه ، مثل مجنون بنى عاصر : كان إذا نظر إلى الوحش يقول : ليلي ! وإن نظر إلى الجبال يقول : ليلي ! وإن نظر إلى الناس يقول : ليلي ! حتى إذا قيل له : ما اسمك وما حالك ؟ يقول : ليلي . وفي ذلك قال :

أَمْرٌ عَلَى الدِّيارِ دِيَارِ لَيْلى أَقْبَلُ ذَا الْجِدَارِ وَذَا الْجِدَارِ
وَمَا حُبُّ الدِّيارِ شَفَقَنَ قَلْبِي وَلَكِنْ حُبٌّ مِنْ سَكَنِ الدِّيارِ

وقال غيره :

أَفْتَشُ سَرَى عَنْ هَوَاكُمْ فَلَا أَرَى سِوَايَ وَأَتَى عَنْكَ وَالسَّكَنُ أَكْبَرُ
فَإِنْ وَجَدْتُ أُنَى فِي الْوَجْدِ أَنَّهَا فَإِنْ عَبَّرْتُ عَنْيَ فَمَنْهَا تَعَبَّرُ

ومثل ذلك كثير ومستحسن من القائلين في معنى ما قالوا في وصف وجدهم بمخلوق وفي هوى باطل ، والإشارة في معنى المراد من ذكر ذلك تغنى عن العبارة وبالله التوفيق .

وأما معنى قوله : عشر سنين ، وألف ألف مرة ، وميدان الأزلية ، وهواه الكيفية : فذاك قد قال الجنيد رحمه الله : أنه وصف بعض الطريق .
فيما قال الجنيد رحمه الله : كفاية عن كلامنا وتكرارنا في هذا .

وأما قوله فنظرت فعملت أن ذلك كله خدعة ، معناه - والله أعلم - : أن الالتفات والاشتغال بالملاحظة إلى الكون والمملكة : خدعة عند وجود حقائق التفريد وتجرید التوحيد .

فمن أجل ذلك قال الجنيد رحمه الله : لون أبا يزيد ، رحمه الله ، على عظم
إشارته خرج من البداية والتوسط ! ولم أسمع له نطقاً يدل على المعنى الذي ينهى
عن الغاية ! وذلك ذكره للجسم ، والجناح والمهواء ، والميدان .

وقوله : فعلمت أن ذلك كله خدعة ؛ لأن عند أهل النهاية أن الالتفات إلى أى
شئ سوى الله خدعة ، فمن أنكر ذلك فقد قال سيد الأولين والآخرين ، صلى
الله عليه وسلم ، أصدق كلمة قالها العرب قولُ ليبيد :
ألا كلُّ شئٍ ما خلا الله باطلٌ^(١)

باب أيضاً في شرح كلام مُحكى عن أبي يزيد

رحمه الله تعالى

قال الشيخ رحمه الله : وقد ذُكر عن أبي يزيد أيضاً أنه قال : أشرفتُ على ميدان اللبسية ، فما زلتُ أطير فيه عشر سنين ، حتى صرت من ليس في ليس بليس ، ثم أشرفت على التضييع ، وهو ميدان التوحيد ، فلم أزل أطير بليس في التضييع ، حتى ضمت في الضياع ضياعاً ، وضمت فضمت عن التضييع بليس في ليس في ضياعه التضييع ، ثم أشرفت على التوحيد في غيبوبة الخلق عن العارف ، وغيبوبة العارف عن الخلق .

قال الجنيد ، رحمه الله : هذا كله وما جانشه داخلٌ في علم الشواهد على الغيبة من استدراك الشاهد ، وفيها معانٍ من الفناء بتفتيب الفناء عن الفناء .

ومعنى قوله : أشرفت على ميدان اللبسية ، حتى صرت من ليس في ليس بليس : فذاك أول النزول في حقيقة الفناء ، والذهاب عن كل ما يرى ولا يرى ، وفي أول وقوع الفناء انطلاس آثارها .

وقوله : ليس بليس ، هو ذهاب ذلك كله عنه وذهابه عن ذهابه ، ومعنى ، ليس بليس : أى ليس شيء يُحسُّ ولا يوجد ، قد طُمِسَ على الرسوم ، وقُطِعَتِ الأسماء ، وغابت المحاضر ، وُبلِغَتِ الأشياء عن المشاهدة ، فليس شيء يوجد ، ولا يحس بشيء يُفقد ، ولا اسم لشيء يُعهد ، ذهب ذلك كله بكل الذهاب عنه ، وهو الذى يسميه قوم الفناء ، ثم غاب الفناء في الفناء ، فضاء في فئاته ، فهو التضييع الذى كان في ليس به ، وبه في ليس .

وذلك حقيقة فقد كل شيء ، وقد النفس بعد ذلك ، وقد الفقد فى الفقد ،
والارتباس فى الانطلاس ، والذهاب عن الذهاب ، وهذا شيء ليس له أمد
ولا وقت يُعَمَد .

وقال الجنيد ، رحمه الله : ذِكْرُهُ لعشر سنين : هو وقته ، ولا معنى له ؛ لأن
الأوقات فى هذا الحال غائبة ، وإذا مضى الوقت وغاب بمعناه عن غَيْبٍ عنه ،
فمشر سنين ومائة وأكثر من ذلك كله ، فى معنى واحد .

قال الجنيد ، رحمه الله ، فيما بلفظي : ثم قال أبو يزيد ، رحمه الله : أشرفت على
التوحيد فى غيبوبة الخلق عن العارف ، وغيبوبة العارف عن الخلق : يقول : عند
إشراقى على التوحيد تحقق عندي غيبوبة الخلق كلهم عن الله تعالى ، وانفراد الله
عز وجل ، بكبريائه عن خلقته .

ثم قال الجنيد ، رحمه الله : هذه الألفاظ التى قال أبو يزيد ، رحمه الله : معروفة
فى إدخال المراد فيما أريد منها .

فهذا ما بلفظي عن الجنيد ، رحمه الله فى تفسير هذه الكلمات لأبى يزيد ، رحمه
الله : والذى فسر الجنيد ، رحمه الله أيضاً : مشكل إلا عند أهله ؛ فإنما بشكل
ذلك وأشباهه على من لم يتبحر فى العلم ، ولم ينظر فى الروايات ، وما دُونَ فى
الكتب عند العلماء ، فى وصف عظمة الله تعالى ، وكبريائه ؛ حتى يستدل
بذلك على ما لم يدون فى الكتب بما انفرد ، وخُصَّ به قلوب أوليائه
وخاصته وخالصته .

على أن الفهماء من العلماء بالله : يعلمون أن كل من شاهد زيادته فى حاله الذى
خص به من أحوال المنقطعين إلى الله ، تعالى ، فهو فى زيادة الحال مع الله ، عز وجل ،
فى كل نفس وطرفة عين من المزيد ، كأنه فى كل نفس فيما رُبط به من الحال ،

فهو في الانتقال في كل نفسٍ من حال إلى حال ، إلى ما لا نهاية له ، حتى يُبْلَغُ وطنه في مكانه إلى محله الذي هو مراد بذلك ، فكل حال هو منقول إليه ، فهو : فإن به عن الحال الذي انتقل منه .

وهذا معنى قوله : الفناء ، والفناء عن الفناء ، والذهاب ، والذهاب عن الذهاب ، وَضِعَتْ فَضِمْتٌ عن التضييع ضياعاً ، وإن كانت عباراته مختلفة ، فإن معانيه متفقة ، وحقايقه متسقة .

وبيان ذلك ، فيما رَوَى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه ، في قوله تعالى : « نَمُ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ : ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهًا قَالَتَا : أَتَيْنَا طَائِعِينَ » (١) .

قال : فقالت الملائكة : يارب ، فلولم تأتكن ، ما كنت صانعا بهما ؟

قال : كنت أسلط عليهما دابة من دوابي تبطلهما في لقمة .

قالت : يارب ، وأين تلك الدابة ؟

قال : في سرج من سروجي .

قالت : يارب ، وأين ذلك المرج ؟

قال : في غامض على .

ألا ترى أن في الدابة واللقمة ذهاب السموات والأرض ، وفي المرج ذهاب الذهاب ، وفي الذهاب تنبيه قلوب العارفين ؟ ! فما شاهد بقلبه ذلك ، فكيف يشهد نفسه ، والملائكة ، وجميع ما خلق الله تعالى ؟ .

ويقال : إن في بعض الكتب أن الله أوحى إلى جهنم : إن لم تأتمرى ما أمرك به لأحرقنك بنيرانى الكبرى .

فقيل لبعض العارفين : ما معنى قوله : لأحرقنك بنيرانى الكبرى ؟

قال : يطالع بذرة من حبه قدمة ، فيكون مثل جهنم فيها كتنور خباز في حريق الدنيا ، بل أقل من ذلك .

ومعنى قوله : ليس بليس في ليس : فإنه يشير إلى ليسيته فيما هو فيه ؛ إذ الأشياء كلها في معانيها ، ووجودها أشباح فيما لله تعالى ، فهي ، وإن كانت بالإيجاد مرسومة في حقائقها بالعدم والتلاشي ، مرسومة ، ولأهل الحقائق في مشاهدتها مراتب مقسومة ، « وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » (١) .

باب آخر في شرح ألفاظ حكيت عن أبي يزيد رحمه الله

وكان يكفره في ذلك ابن سالم بالبصرة

وَذِكْرُ مناظرة جرت بيني وبينه في معنى ذلك

قال الشيخ رحمه الله : سمعت ابن سالم يقول في مجلسه يوماً : فِرْعَوْنُ لم يقل ما قال أبو يزيد رحمه الله ، لأن فرعون قال : أنا ربكم الأعلى ، والرب يسمى به المخلوق ، فيقال : فلان رب دار ورب مال ، ورب بيت ، وقال أبو يزيد رحمه الله : سُبْحَانِي سُبْحَانِي . وَسُبُّوح ، وسبحان اسم من أسماء الله تعالى الذي لا يجوز أن يسمى به غير الله تعالى .

فقلت له : هذا الكلام قد صحح عندك عن أبي يزيد ، رحمه الله ، وصح عندك أن اعتقاده في ذلك : كان كاعتقاد فرعون في قوله : أنا ربكم الأعلى ؟ فقال ابن سالم : قد قال ذلك حتى بصح عندي : أنه أينس أراد بذلك ؟ يلزمه الكفر .

فقلت : إذا لم يتبين لك أن تشهد عليه بما اعتقد عند قوله ذلك فبطل أن تكفره ، لأنه يَحْتَمِلُ أن يكون لهذا الكلام مقدمات ، فيقول : يعقبه سبحانه سبحانه : يحكي عن الله تعالى بقول : سبحانه سبحانه ، لأننا لو سمعنا رجلاً يقول : لا إله إلا أنا فأعبدُون ، ما كان يخلج في قلوبنا شيء غير أن نعلم : أنه هو ذا يقرأ القرآن ، أو هو ذا يصف الله تعالى بما وصف به نفسه .

وكذلك لو سمعنا دائباً ، أبا يزيد ، رحمه الله أو غيره ، وهو يقول : سبحانه سبحانه : لم نشك بأنه يستبح الله تعالى ، ويصفه بما وصف به نفسه .

وإذا كان الأمر هكذا وعلى ما قلناه ، فتكفيرك لرجل مشهور بالزهد ، والعبادة ، والعلم ، والمعرفة : من أعظم المحالات .

وقد قصدتُ بسطامُ وسألت جماعة من أهل بيت أبي يزيد رحمه الله عن هذه الحكاية : فأنكروا ذلك وقالوا : لا نعرف شيئاً من ذلك ؛ ولولا أنه شاع في أفواه الناس ودونوه في الكتب ما اشتغلت بذكر ذلك .

وسمعت ابن سالم أيضاً ، وهو يحكي في مجلسه عن أبي يزيد رحمه الله ، أنه قال : ضربت خيمتي بإزاء العرش أو عند العرش وكان يقول هذه الكلمة كفرٌ ، ولا يقول مثل هذا إلا كافرٌ .

وكان يقول أيضاً : إن أبا يزيد ، رحمه الله ، اجتاز بمقبرة اليهود ، فقال : مذورون ، وممر بمقبرة المسلمين فقال : مفرورون .

ومع جلالة ابن سالم كان يُسرف في الطعن على أبي يزيد رحمه الله ، وكان يكفره من أجل أنه قال ذلك .

فقلت : له عفاك الله ! إن علماء نواحيننا يتبركون بترية أبي يزيد ، رحمه الله ، إلى يومنا هذا ، ويحكون عن المشايخ المتقدمين أنهم كانوا يزورونه وكانوا يتبركون بدعائه ، وهو عندهم من أجلة العبّاد والزهاد وأهل المعرفة بالله ، ويدكرون أنه فاق أهل عصره بالورع والاجتهاد ودوام الذكر لله تعالى ؛ حتى حكى عنه جماعة أنهم رأوه قد ذكر الله تعالى ، حتى بال الدم من خشية الله تعالى ودوام تعظيمه لله عز وجل .

وكيف يجوز أن نعتقد فيه الكفر بحكاية تحكى عنه ولم نعرف إرادته فيما قال ، ولا نطلع على حاله في الوقت الذي قال ؟ وهل يجوز لنا أن نحكم عليه فيما يبلغنا عنه إلا بعد أن يكون لنا حال مثل حاله ، ووقت مثل وقته ، ووجد مثل وجده ؟ أو ليس قد قال الله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ » (١)

فهذا كلام جرى بيني وبين ابن سالم في مجلسه في الحكايات التي حكاها عن أبي يزيد رحمه الله ، أو كلام هذا معناه أو قريب من معناه .

فأما آوله : ضربت خيمتي بإزاء العرش أو عند العرش : فإن صح عنه أنه قال ذلك : فهذا غير مجهول أن الخلق كلهم ، والكون ، وجميع ما خلق الله ، تعالى : تحت العرش ، وإزاء العرش .

ومعنى قوله : ضربت خيمتي بإزاء العرش ، يعني : وجهت خيمتي نحو مالك العرش ، ولا يوجد في العالم موضع قديم إلا وهو بإزاء العرش ، فلا سبيل للتعنت في هذا بالظن .

وأما قوله عند اجتيازه بمقبرة اليهود ، وقوله : معذورون أي : كأنهم معذورون ، فكأنه : لما نظر إلى ما سبق لهم من الله بالشقاوة واليهودية من غير فصل ، كان موجوداً في الأزل ، وأن الله تعالى جعل نصيبهم منه السخط عليهم ، فكيف يتنبأ لهم أن يكونوا مستعملين إلا بعمل أهل السخط ؟ فقال : كأنهم معذورون ، وهم غير معذرين ، من حيث مارسهم القلم ، ونطق به الكتاب ، وما وصفهم الله تعالى بقولهم :

«عَزِيزُ أَيْنُ اللَّهِ^(١)» و «نَحْنُ أبنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ^(٢)»

والله عدل في جميع ما حكم ، حكيم في جميع ما رسم « لا يُسألُ عما يفعلُ وهم يُسألون »^(٣)

وأما قوله لما مر بمقبرة المسلمين فقال : معذورون ، إن صح عنه ذلك ، كأنه لما نظر إلى التمازف بين عامة المسلمين في نظرهم إلى أعمالهم وطمعهم في النجاة باجتهادهم ، وقلة من تخلص من ذلك ، فستاهم : معذورين ؛ لأن أعمال الخلق كلها

لو جُمِلَتْ بِلِزَامِ نِقْمَةٍ مِمَّا أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْخَلْقِ : بَأَنَّ دَلَمَ عَلَيْهِ وَزَيْنَ قُلُوبِهِمْ
بِالْإِيمَانِ بِهِ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ لَبَطَلٍ وَاضْمَحَلٍّ ذَلِكَ .

وَلَيْسَ مِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ حَرَكَةٌ وَلَا نَفْسٌ إِلَّا وَبَذَّهَا مِنْ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَاتَّهَاوَهَا إِلَى
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

فَنَظَنُّ أَنْ أَحَدًا يَنْجُو إِلَّا بِفَضْلِ اللَّهِ وَسِعَةِ رَحْمَتِهِ : فَهُوَ مَغْرُورٌ هَالِكٌ .

أَلَا تَرَى سَيِّدَ الْأَنْبِيَاءِ : وَإِمَامَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : « لَيْسَ مِنَّا
أَحَدٌ يُنْجِيهِ عَمَلُهُ ، قُلُوبًا . وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ : وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ
مِنْهُ بِرَحْمَةٍ » .

فَالْتَمَنَتْ وَالْجَسَارَةُ بِالْظَنِّ وَالْوَقِيمَةُ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَيَمُنُّ تَكُونُ جَوَارِحُهُ مَضْبُوبَةٌ
مَقِيدَةٌ بِالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ، بِحِكَايَةِ أَوْ بِكَلَامٍ لَا يَحِيطُ بِهِ الْفَهْمُ فِي الْوَقْتِ : زَلَّةٌ مِنَ الْعَالَمِ ،
وَهَفْوَةٌ مِنَ الْحَكِيمِ ، وَخَطَأٌ بَيْنَ مِنَ الْعَاقِلِ ؛ لِأَنَّهُ رَجَا تَصَحُّفَ عَلَى الْحَكِيمِ ، لِأَنَّ
الْحِكْمَةَ رَجَا تَجَرُّي وَتَحْصُرَهَا مِنْ لَا يَقِفُ عَلَى مَعَانِيهَا ، وَلَا يَلْحَقُ فَهْمُهُ مَقَاصِدَ
الْمُتَكَلِّمِ بِهَا ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَجَرُّي عَلَى الْأَلْسِنَةِ بَعْدَ مَعْنَاهَا ، فَيَلْحَقُ الْحَكِيمُ عِنْدَ ذَلِكَ
نَقْصٌ عِنْدَ مَنْ لَا يَقِفُ عَلَى مَرَامِيهِ ، وَبُشْكُلٌ عَلَيْهِ مَعَانِيهِ ، وَلَمْ يُشْرِفْ عَلَى مَكَانِهِ ،
وَلَا يَسْأَلُ عَنْ بَيَانِهِ ؛ لِأَنَّ الْقَامِضَ مِنَ الْمَعْلُومِ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْقَامِضِ مِنَ الْفَهْمِ .

وَالْتَصْحِيفُ الَّذِي يَقَعُ فِي الْحِكْمَةِ يَقَعُ مِنْ وَجْهَيْنِ : فَوَجْهٌ مِنْهَا تَصْحِيفُ الْحُرُوفِ ،
وَذَلِكَ أَيْسَرُهُ ، وَالْوَجْهُ الثَّانِي تَصْحِيفُ الْمَعْنَى ، وَهُوَ : أَنْ يَتَكَلَّمَ الْحَكِيمُ بِكَلِمَةٍ ،
مِنْ حَيْثُ وَقْتُهُ وَحَالُهُ ، فَلَا يَكُونُ لِلْمَسْتَمِعِ لَذَلِكَ الْحَالُ ، وَالْوَقْتُ ، فَيَصْحَفُ مَعْنَاهُ ،
فَيَعْبَرُ عَنْهَا مِنْ حَيْثُ مَا يَلِيقُ بِحَالِهِ وَوَقْتِهِ وَمَقَامِهِ وَوَجَدَهُ فَيُغَاطِ فِي ذَلِكَ وَيَهَاكُ .

سَمِعْتُ أَبَا عَمْرٍو بْنَ عَلْوَانَ يَقُولُ : سَمِعْتُ الْجَنْفِيدَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، يَقُولُ : كُنْتُ
أَصْحَبُ هَذِهِ الطَّائِفَةِ ، وَأَنَا حَدَّثْتُ ، فَكُنْتُ أَسْمَعُ مِنْهُمْ كَلَامًا لَمْ أَفْهَمْ عَنْهُمْ
مَا يَقُولُونَ ، إِلَّا أَنْ قَامَ قَدْ سَلِمَ مِنَ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ ، فَبِذَلِكَ نَلَتْ مَائِلَتُ .

ومما يُقَوَّى هذا الذي ذكرتُ : أني كنت في مجلس ابن سالم بالبصرة بعد هذا الخوض الذي جرى بيني وبينه في كلام أبي يزيد ، رحمه الله ، فحكى يوماً عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله ، أنه قال : ذِكرُ الله تعالى باللسان : هَذْيَان ، وذِكرُ الله تعالى بالقلب : وسوسة ، فستل عن ذلك ، فقال : كأنه أراد بذلك : أن يكون قائماً بالذِّكْر لا بالذِّكْر .

ثم حكى في مجلس آخر عن سهل بن عبد الله رحمه الله أيضاً أنه قل : مَوَلَاي لا يدام وأما لا أنام ، فقلتُ لبعض أصحابه ممن كان يخصه : لولا أن الشيخ أَمِيلُ إلى سهل بن عبد الله ، رحمه الله ، منه إلى أبي يزيد ، رحمه الله ، لكان يُخَطِّطُه أيضاً فيما قد حَكِيَ عنه ، كما خطأ أبا يزيد ، رحمه الله ، وكفره بين يديك ، في الكلام الذي حكى عنه ؛ لأن في هذا الذي قد حكى عن سهل رحمه الله ، وهو إمامه ، وأفضلُ الناس عنده . يَجِدُ التَّعَمُّتَ مقابلاً ، إن قصد إلى ذلك ، والذي يعلم أن لهذا الذي حكاه عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله ، وجهاً غير ما يجد التَّعَمُّتَ فيه مطمئناً ، فكذلك يجوز أن يكون لكلام أبي يزيد ، رحمه الله الذي حكاه عنه وجهٌ غير الوجه الذي هو ذا يكفره به ويخطئه فيما قال ، فلم يكن له جواب عند ذلك أو كلام هذا قريب من معناه ، وبالله التوفيق .

ويقال : لولا ما خصَّ الله تعالى موسى عليه السلام بالعصمة والتأييد وما شملته من أوار النبوة والكلام والرسالة حتى وُفِّقَ وسُدِّدَ من الإنكار على الخُصْرِ مما كان يرى منه : من قتل النفس التي حرم الله تعالى ، وهي من أعظم الكبائر ! فإرضى أن يقول له :

« أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِمِثْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا » ^(١) ، حتى كان

ردَّ عليه :

« أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا »^(١) ، فيقول :

« إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا »^(٢)

بعد ما عاين منه قتل النفس التي حرم الله تعالى ، وأسر فيه بأقصاص ، فكان يحبُّ على موسى عليه السلام أن يطالبه بالقوَد ويهجره ، ولا يستحلُّ مجالسته ومصاحبته^(٣) ؛ غير أن عناية الله تعالى ، وتخصيصه وتسديده ، وتوفيقه الذي كان مصحوبهٌ حيز بينه وبين ذلك .

فكذلك دأبُ كل ولي وصديق إلى يوم القيامة ، ولا يجوز لواحد منهم أن يلحق درجةً من درجات النبوة ، والله الموفق للصواب .

وحكى عن أبي يزيد رحمه الله : أنه لم يستند قط إلى جدار إلا أن يكون جدارَ مسجدٍ أو رباط ، ويقال : إنه ما رآوه مُفطراً قط إلا أيامَ العيد ، حتى لحق بالله عز وجل ، ويكثر في مثل هذا عنه الأخبار .

(٢) الكهف : ٧٦

(١) الكهف : ٧٥

(٣) قد يجاب بأن لينة معه ، كان لأمر الله له بمصاحبته له وتعلمه منه بقوته

باب في ذكر كلام حكى عن الشبلى رحمه الله

وشرحه عن ذلك

قال الشيخ رحمه الله : سمعتُ أبا عبد الله بن جابان يقول : دخلتُ على الشبلى رحمه الله ، في سنة القحط ، فسَلَّمْتُ عليه ، فلما قُتُّ على أن أخرج من عنده ، فكان يقول لى ولن معى ، إلى أن خَرَجْنَا من الدار : مُرُّوا أنا معكم حيث ما كنتم ، أنتم في رعائى وفي كَلالَتى ، قلتُ : أراد بقوله ذلك : إن الله تعالى معكم حيث ما كنتم ، وهو برعائكم ويكالؤكم ، وأنتم في رعائته وكلالته .

والمعنى فى ذلك : أنه يرى نَفْسَهُ تَخَفًا فيما غلب على قلبه : من تجريد التوحيد ، وحقيقة التفريد ، والواجد إذا كان وَقْتُهُ كذلك ؛ فإذا قال : أنا ، يعبر عن وَجْده ويترجم عن الحال الذى قد استولى على سرِّه ، فإذا قال : أنا ، يشير بذلك إلى ما غلب عليه من حقية صفة مشاهدته قُرْبَ سَيِّده .

وسمعتُ الحضرى رحمه الله يَحْكِي عنه : أنه كان يقول : لو عرضتُ ذُلِّي على ذُلِّ اليهود والنصارى لكان ذُلِّي أَذْلًا من ذُلِّهم ، فإن قال القائل : أين تقع هذه الحكاية من ذلك ؟ فيقال له : الحكايتان صحيحتان ، والوقتَان مختلفان ؛ فوقتاً خُصَّ بصفاء المشاهدة ، فنطق عن وجْده وحقيقته بمحض الإخلاص وخالص التوحيد ، ووقتاً رُدُّ إلى صفته ، وعجزٍ بشريته ، وذُلِّ آدميته ، فنطق بما وجد من ذلك .

كما قال يحيى بن مُعَاذ الرازى رحمه الله : العارف إذا ذكر ربَّه افتخر ، وإذا ذكر نفسه افتقر واحتقر ، وهذا المعنى موجود فى العلم .

١٩٩ روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لى وَقْتُ لا يسعنى شىءٌ غير الله ، وأنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ولا فَتْر » .

ورَوَى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تفضلوني على يونس بن متى عليه السلام ، أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد » .
فسمكم بين الخبرين وتفاوت ما بين الوقتين ١٢ والله أعلم .

ومما يضاهي هذا الذي قلناه ما حُكي عنه ، يعنى عن الشبلي رحمه الله : أنه أخذ من يد إنسان كسرة خُبْز فأكلها ، ثم قال : إن نفسى هذه تطلب مِنى كسرة خبز ، ولو التفتت سيرى إلى العرش والكرسى لاحترق ، أو كما قال ، يريد بذلك الالتفات بسرّه إلى العرش والكرسى : أن يحيدَ له فى سرّه أثرًا فى الوجدانية والقدم ؛ لأن العرش والكرسى محدثان مخلوقان مما لم يكن فكان .

وحُكى عن الشبلي ، رحمه الله : أنه سئل عن أبى يزيد البسطامي رحمه الله وعرض عليه ما حُكى عنه : مما ذكرناه ، وغير ذلك ، فقال الشبلي ، رحمه الله : لو كان أبو يزيد ، رحمه الله : هاهنا لأسلم على يد بعض صبيانتنا ، وقال : لو أن أحداً يفهم ما أقول لشددتُ الزناير .

قلتُ : قد أشار إلى ما قال الجنيد ، رحمه الله : إن أبا يزيد ، رحمه الله : مع عظم حاله وعلوِّ إشارته : لم يخرج من حال البداية ، ولم أسمع منه كلمة تدل على الكمال والنهاية .

والمعنى فى ذلك : أن هؤلاء المخصوصين بهذا العلم : فسكانه قد أخذ عليهم أن كل واحد منهم يرى أن حاله أعلى الأحوال ، وذلك غيرة من الحق عليهم ، حتى لا يسكن بعضهم إلى بعض .

الأتى أن أبا يزيد ، رحمه الله : تسكلم بأشياء مجز عن فهم ذلك فهماء زمانه وأهل عصره .

ثم قال الجنيد ، رحمه الله : إنه لم يخرج من حد البداية ، ولم أسمع له لفظاً يدل على أنه وصل إلى النهاية .

ثم يقول الشبلى ، رحمه الله : لو كان أبو يزيد ، رحمه الله : عندنا لأسلم على يد
 بعض صبياننا ، بغير لاستفاد من المرادين الذين هم في وقتنا .
 وحكى عن بعض المشايخ أنه قال : وقفتُ على الشبلى عشرين سنة ما سمعتُ
 منه كلمة في التوحيد ، كان كلامه كله في الأحوال والمقامات .
 وهذا كله قليل في عِظم ما أشاروا إليه من الحقيقة ؛ لأن حقيقة التوحيد لا غاية
 لها ولا نهاية ، وكل واحد منهم قد غرق في بحر لا يوصفُ حدُّه ولا يُدركُ منتهاه :
 وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

باب فى معنى حكاية حكيث عن الشبلى رحمه الله

قال الشيخ ، رحمه الله : قال بعضهم : وقفت على الشبلى ، رحمه الله فسمعتة يقول : أمر الله تعالى الأرض أن تبتلحنى إن كان فى فضل منذ شهر أو شهرين لذكر جبريل وميكائيل ، عليهما السلام .

وسمعت الحصرى يقول : كان الشبلى ، رحمه الله يقول لى : إن مرّ بخاطرك ذكر جبريل وميكائيل عليهما السلام أشرّكت .

فرايت جماعة قد أنكروا هذا مع تخصيص جبريل وميكائيل عليهما السلام من الملائكة المقربين .

وفى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « رأيت جبريل ، عليه السلام ٢٠١ مثل المجلس البالى فسلمت به فضل علمه وخشيته على » ، أو كما قال .

فقالوا : إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضل على نفسه ، فكيف يجوز لقائل أن يقول مثل ذلك .

فأقول ، والله التوفيق : إن كلام الواجدين والمستهترين بذكر الله تعالى ، يكون مجملا وتفصيلا ، وإنما يجد للمتنت فرصة بالوقية والطن فى الكلام المجمل دون الفصل ؛ لأن الجمل ربما يكون له مقدمات لم تبلغ المستمع ، والفصل يكون مشروحا مُبيناً محترزا ، والمجمل لا يكون كذلك ، وهذا الكلام الذى حُكى عن الشبلى ، رحمه الله : كلام مجمل له مقدمات ، فإذا سمع الماقل مقدماته لم ينشع عليها ما قال الشبلى ، رحمه الله ، وإذا لم يسمع بالمقدمات التى قد تقدمت قبل هذا الكلام ، فأحرى أن ينشع عليه وينكر قلبه ذلك .

وبيان ما ذكرت فى حكاية حكاها أبو محمد النساج ، وهو الذى ذكر مقدمات هذه الحكاية بنائها ، حتى أوضح معناها وأزال الإنكار عنها ، وذلك أنه قال :

وقف رجل على الشبلى ، رحمه الله ، فسأله عن صورة جبريل عليه السلام فقال الشبلى ، رحمه الله : سمعت في الرواية : أن لجبريل عليه السلام سبعمائة لغة وسبعمائة جناح : منها جناحان ، إذا نشر واحداً غطى به المشرق ، وإذا نشر الآخر غطى به المغرب ، فأبشّ تسأل عن ملك تغيب الدنيا بين جناحيه رآه على صورته قد سد الأفق ؟ ثم قال الشبلى رحمه الله للرجل : نعم .

٢٠٢ وروى عن ابن عباس رضى الله عنه : أن صورة جبريل عليه السلام في قاعة الكرسى : مثل الزردة في الجوشن ، والكرسى وجبريل والعرش ، كل ذامع لللكوت الذى ظهر لأهل العلم مثل الرملة في أرض فلاة .

ثم قال : أيها السائل ، هذه علوم أظهرها ، فقل تحملها الأجساد ، أو تطبقها البنية ، أو يحويها العقول ، أو تحدّها الأبصار ، أو تنخرق في الأسماع ؟ يدل بها منه ، وعليه وإليه ، استأثر الحق بملك هوله غيب ، لا يسمع سواه ، لو كشف منه ذرة ما وقف على الأرض ديار ، ولا حملت الأشجار ، ولا جرت البحار ، ولا أظلم ليل ولا أشرق نهار ، ولكنه حكيم عليم ، أنهم لا يطيقون هذا .

ثم قال : أيها السائل : إنك سألتني عن جبريل عليه السلام وأحواله ، فأمر الله تعالى الأرض أن تبتلعني إن كان في فضل ، منذ شهر ولا شهرين لذكر جبريل وميكائيل عليهما السلام ، فإذا كان كلاماً يحتاج أن يكون له مثل هذه المقدمات التي ذكرنا ؛ حتى يتبين معناه ، فيقصد المتعمّت إلى آخر الكلام منها ، وينقلنا إلى من لا يفهم ذلك ، حتى يبسط لسانه بالوقيمة والظمن في أولياء الله تعالى وأهل خاصته ، فيكون ذلك من أكبر الكبائر وأعظم الإثم .

وبالله التوفيق .

باب آخر

في معنى أحوال كانوا ينكرون بها على الشبلي ، رحمه الله

قال الشيخ رحمه الله : وما ينكرون على الشبلي ، رحمه الله ، أيضا : أنه كان ربما يلبس ثياباً مُثَمَّنة ، ثم ينزعها ويضعها فوق النار .

وذكر عنه أنه أخذ قطعة عنبر فوضعها على النار ، فكان يبخر بها تحت ذنب حمار ، وأنه كان يقول : لو كانت الدنيا لقعة في فم طفل لرحمنا ذلك الطفل .

وقال بعضهم : دخلت عليه ، فرأيت بين يديه اللوز والشكر وهو يحرقهما بالنار وحكى عنه أيضاً أنه كان يقول : وددتُ أن لو كانت الدنيا لقعة ، والآخرة لقعة ، أجعلهما في في ، حتى أترك هذا الخلق بلا واسطة .

وحكى عنه أيضاً : أنه باع حقاراً بمال كثير ، فسا قام من موضعه حتى نثرها وفترقها على الناس ، وكان له عيال لم يدفع إليهم شيئاً من ذلك .

فقالوا : هذا وأشباه هذا مخالفة للعلم ، وقد نهى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ٢٠٣ عن إضاعة المال ، ومن إمامه في الذي كان يدفع إلى الناس ولم يترك لعياله ؟

فيقال : إمامه أبو بكر الصديق ، رضى الله عنه ! إنه خرج من جميع ما كان يملك ، فلما قال الرسول ، صلى الله عليه وسلم : ما خلقت لعيالك ؟ قال : الله ورسوله ، فلم ينكر عليه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ذلك .

وإضاعة المال أن يُنفقها في معصية الله تعالى ، فلو أنفق رجل دانقاً في معصية يكون ذلك من إضاعة المال ، ولو أنفق مائة ألف درهم في غير المعصية لم يكن ذلك من إضاعة المال .

وأما الذي كان يحرقه بالنار فلا أنه كان يشغل بقلبه عن الله تعالى .

وقد ذكر الله تعالى في قصة سليمان بن داود ، عليه السلام ، فقال : « وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْيَلْيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوَهَا عَلَيَّ قَطْفًا مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ^(١) » ، يقال : إنه كان له ثلاثمائة فرس عربيات لم يكن لأحد من الملوك مثاها قبله ولا بعده ، فكان يُعْرَضُ عليه ذلك ، فاشتغل قلبه لذلك ، حتى فاتته صلاة العصر عن وقتها ، فعند ذلك قال : « رُدُّوَهَا عَلَيَّ قَطْفًا مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ^(٢) » ، فعرب الجميع وضرب أعناقهم ، فشكر الله له ذلك ، وردَّ له الشمس إلى موضعها الذي تكون فيه وقت العصر ، حتى صلاحها كما جاء في الخبر ^(٣) .

٢٠٥ وقد روى أيضاً عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في هذا المعنى : أنه لما فاتته صلاة العصر يوم الخندق ، وجد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لذلك وجداً شديداً ، حتى قال : « شغلونا عن الصلاة الوسطى : صلاة العصر ، ملائكة الله قلوبهم ويوتهم ناراً » ، وكانوا قد آذوه قبل ذلك أذى كثيراً ، وضربوه ، وطردوه ، وشتموه ، وطرحوا عليه الكرش والدم ، ولم يدع ، صلى الله عليه وسلم ، ولم يزد على أن قال « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » فلما اشتغل قلبه بما فاتته من الصلاة عن وقتها ، دعا عليهم من شدة وجده بذلك .

وهذا آثم في معناه مما فعل سليمان عليه السلام .

فإن سأل سائل فقال : أينش المعنى في رد الشمس لسليمان إلى موضعها ولم تُردَّ للنبي صلى الله عليه وسلم ؟

(١) ص : ٣٠ - ٣٣

(٢) المطلوب شرعاً نفع الناس به لاهذا الإهلاك بدون فائدة ، وتلك حكاية لانهض دليلاً .

فيقال : لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، بحث بالحنيفية السمحة ، فسومح له بذلك ، لأن فرضاً منه عن الفرض ، لأن حفر الخندق كان من أمر الجهاد في سبيل الله ، فأما حبسه فرض الجهاد عن فرض الصلاة سومح له بذلك ، وسليان عليه السلام لم يحبسه عن فرض الصلاة فرض ولا تطوع ، فمن أجل ذلك لم يسامح له ، وإكرام نبينا ، صلى الله عليه وسلم بالمساحة لهم من رد الشمس لسليان عليه السلام ، ولوسامحه لم تُرد عليه الشمس .

وبعد فإن عند أهل الحقائق أن كل شيء شغلهم عن الله تعالى ، من الدنيا والآخرة ، فذاك هدوهم ، يطلبون الخلاص منه بجميع ما يمكنهم ، ولا ينبغي أن يكون فيهم فضل لسواه ، فهذا على هذا المعنى . وبالله التوفيق .

والذي قال : وددت أن الدنيا لقمة أجملها في فم يهودي فذاك من هوانها عنده وقد روى في هوان الدنيا عن النبي ، صلى الله عليه وسلم أكثر من ذلك .

وروى عنه ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « الدنيا ملحونة ملعون ما فيها » . ٢٠٦

وروى عنه ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « لو أن الدنيا تزن عند الله جناح » . ٢٠٧

بعضه ماسق كافرأ منها شربة من ماء . الحديث .

باب آخر في شرح كلام تكلم به الشبلي رحمه الله
وهو مما يشكل فهمه على قلوب العلماء والفقهاء ، وألفاظ جرت بينه
وبين الجنيد رحمه الله

قال الشيخ ، رحمه الله : حكى عن الشبلي ، رحمه الله أنه قال ، يوماً لأصحابه :
يا قوم أمرٌ إلى مالا وراء فلا أرى إلا وراء وأمرٌ يميناً وشمالاً إلى مالا وراء ، فلا أرى
إلا وراء ، ثم أرجع فأرى هذا كله في شعرة من خنصرى .
قال : فأشكل على جماعة من أصحابه ، إشارته فيما قل .

قال الشيخ أبونصر : إشارته فيما قال ، والله أعلم ، إلى الكون ، لأن الكرسي
والعرش محدث . . . ، وليس في الدنيا وراءه وراء ، ولا تحته تحت لا نهاية له ،
ولا يقدر أحد من الخلق أن يحده أو يصفه إلا بما وصفه الله تعالى به ، ولا يحيط بذلك
علم الخلق ، قد انفرد بعلم ذلك خالقه وصانعه .
ثم قال : أرجع فأرى هذا كله من شعرة من خنصرى ، يريد بذلك : أن قدرة
القادر في خلق هذا كله وفي خلق شعرة من خنصرى واحد .

وبحتمل وجهاً آخر وهو أن يقول : إن الكون وجميع ما خلق ، وإن كانت
مساافته بعيدة ، وطوله وعرضه عظيماً ، في كبرياء خالقه وعظمة صانعه كشعرة من
خنصرى بل أقل من ذلك .

وحكى عنه أنه قال : إن قلت كذا قاله ، وإن قلت كذا فقله ، وإنما أمتنى منه ذرة
كأنه يشير إلى قوله : « وَهُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا »^(١) وأنه حاضر لا يغيب ، وهو
بكل مكان لا يسمه مكان ، ولا يخلو منه مكان .

وقوله : إنما آتني منه ذرة ، يعنى الخلق محجوبون عنه بأسمائه وصفاته ، وما أعطاهم منه غير اسمه وذكره ؛ لأنهم لا يطيقون أكثر من ذلك .

وفى ذلك كان ينشد الشبلى رحمه الله ويقول :

فقلت : أليس قد قضا كتابي فقال : نعم ، فقلت فذاك حسبي
وله أيضاً :

أليس من السعادة أن دارى مجاورة لدارك فى البلاد ؟
وأنشد :

أظلت علينا منك يوماً غمامة
أضاءت لنا برقاً وأبلى ريشاً
فلا غيمها يملو فيأيس طامع
ولا غيتها يأنى فيروى عطاشاً

وقال الشبلى رحمه الله : كتبت الحديث والفقه ثلاثين سنة حتى أسفر الصبح ، فجئت إلى كل من كتبت عنه فقلت : أريد فقه الله تعالى ، فما كلنى أحد .

ومعنى قوله : حتى أسفر الصبح ، يعنى به حتى بدت أنوار الحقيقة ومنازلة مادعت إليه حقيقة الفقه والعلم والمعرفة .

ومعنى قوله : هات فقه الله تعالى ، يعنى التفقه فى علم الأحوال الذى بين العبد والله تعالى ، فى كل لحظة وطرفة عين .

قال : وقال الشبلى للجنييد رحمه الله : يا أبا القاسم ما تقول فيمن كان الله حسبه قولاً وحقيقة ؟ فقال له الجنييد ، رحمه الله : يا أبا بكر ، بينك وبين أكاثر الناس فى سؤالك هذا عشرة آلاف مقام ، أوله تحوُّ ما بدأت به .

والمعنى في ذلك : أن الجنيد رحمه الله ، كان متشرفاً على حاله بفضل علمه وتمسكته فأوراه موضع ما يخشى عليه من الدعوى فيما يقول ؛ لأن من كان الله حسبه قولاً وحقيقة يستغنى عن السؤال ، فسؤاله للجنيد : رحمه الله ، عن ذلك ينبيء عن أنه مقارب لما هناك .

وهكذا سمعت ابن علوان يقول : كان الجنيد ، رحمه الله ، يقول : قد أوقف الشبلى ، رحمه الله ، في مكانه ، فما بعد ، ولو بعد لقاء منه إمام .

وقال أبو عمرو : ربما كان يحىء الشبلى ، رحمه الله ، إلى الجنيد ، رحمه الله ، فيسأله مسألة ، فلا يجيبه ، ويقول : يا أبا بكر ، هوذا أشفق عليك وعلى ثباتك ؛ لأن هذا الاضطراب ، والانزعاج ، والحدة ، والطمش ، والاشطح : ليست هى من أحوال المتمكنين ، وهى منسوبة إلى أحوال أهل البدايات والإرادات .

وكذلك حكى عن الشبلى ، رحمه الله ، أنه قال : قال الجنيد يوماً : يا أبا بكر أين تقول ؟

فقلت : أنا أقول ، الله

فقال : مرّ ، سلمك الله

يعنى بذلك : إنك فى خطر عظيم ، فإن لم يسلمك الله فى قولك : الله ، من الالتفات إلى شىء سوى الله ، فما أحوأ حالك !!

وكان الشبلى ، رحمه الله ، يقول : ألف عام ماضية فى ألف عام واردة ، هوذا الوقت ، ولا تفرسكم الأشباح .

وكان يقول : أنتم أوقاتكم مقطوعة ، ووقتي ليس له طرفان !!!

وربما كان يشطح ويقول : أنا الوقت ، ووقتي عزيز ، وليس فى الوقت غيرى ، وأنا محق .

وكان ينشد هذين البيتين :

مَكِينٌ فِي مُعَامِلِهِ مَكِينٌ أَمِينٌ الْحَقِّ آمَنَهُ أَمِينٌ
تَمَازَزَ عِزُّهُ فَأَعْتَزَّ عِزًّا فَقَدَّ فَاتَ الْيَقِينُ مِنَ الْيَقِينِ

وربما كان يقول : نظرتُ في كلِّ عزٍّ فزاد عزِّي عليهم ، ورأيتُ عزمَ ذلك في عزِّي ، ثم كان يتلو في إثره : « مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا » (١) ثم يقول :

مَنْ اغْتَزَى بِذِي الْعِزِّ قَدَّوْ الْعِزِّ لَهُ عِزُّ

قال الشيخ ، رحمه الله : أما قوله : الوقت ، فإنه يشير إلى النفس الذي بين النَّفْسَيْنِ ، والخاطر الذي بين الخاطرين ، إذ كان بالله والله ، وهو الوقت ، وإذا فاتَ نفسٌ ، ولو في ألف سنة ، فقد فات ما لا يلحق ولا يدرك بالتأسف عليه .

يعنى : أن ألف عام ماضية ، وألف عام واردة ، وفيك الذي بين نفسك ، يجب أن لا تنفوتك ، والعزيز : من أعزه الله به ، فلا يلحقه أحدٌ في عزه ؛ وكذلك الذليل : من شغله الله عنه بغيره ، لا يلحقه أحدٌ في ذلّه .

وقوله : لا تفرنكم الأشباح . فكل شيء سوى الله تعالى : أشباح ، إن سكنت إليه فقد غرّك .

وقوله : أنا الحقُّ ، يعنى في قولى : أنا الوقت ، أنا الحق ؛ لأن قوله : أنا لا يشير بذلك إلى إياه .

وقوله : وقتي ليس له طرفان ؛ لأن في كل شيء مسامحة إلا في الوقت ؛ فإن الاشتغال بغير الله ، والسكون إلى جميع ما خلق الله تعالى : في الوقت ، ليس فيه مسامحة ولو في نفسٍ في ألف سنة .

وحكى عن الشبلي : أنه قال ، أيضاً : اللهم إن كنت تعلم أن في بقية لعبك فأحر قنى ببارك ، لا إله إلا أنت .

فهذا وما يُشبهه. ذلك : غلبات وجديرٌ عنه على حسب ما وجد في وقته ، ولا يكون ذلك على الدوام ؛ لأن ذلك : حال ، فيه الحال نازلة ، تنزل بالعبد في الحين ، ولا تلبث به على الدوام ، وذلك رفقٌ من الله ، عز وجل ، بأوليائه وخاصته ، ولو دام ذلك ابطلوا عن الحدود والحقوق ، وتعلموا عن الآداب والأخلاق ومعاشره خلقي .

٢٠٨ ألا ترى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : « يا رسول الله ، إنا إذا كنا عندك وسمعنا منك ترقى قلوبنا ، فإذا خرجنا من عندك نرجع إلى الاشتغال بالأهل والولد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو بقيتم على الحال الذي تكونون عندي لصاحبتكم الملائكة » كما جاء في الحديث .

وذكر عن الشبلي ، رحمه الله : أنه كان يقول : لو خطر ببالي أن الجحيم بغيرائها وسعيرها تحرق مني شعرة لكنت مُشركاً ، أو كما قال .

فكذلك نقول : نحن أيضاً : إن جهنم ليس إليها شيء من الإحراق ، لأنها مأمورة ، وإنما يوصل ألم الاحتراق إلى أهل النار بقدر ما قسم لهم ^(١) .

فأما ما حُكي عنه أيضاً أنه قال : أَيْشَ أَعْمَلُ بِلُغْطَى وَسَقَرٍ ؟ عندي : أن أَلْغَى وَسَقَرٍ فيها تسكن ، بمعنى في القطيعة والإعراض ؛ لأن من عرفه الله بالقطيعة فهو أشدَّ عذاباً من عذبه بلُغْطَى وَسَقَرٍ .

وذكر عنه : أنه سمع قارئاً يقرأ هذه الآية « أَخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ » ^(٢) فقال الشبلي : ليتني كنت واحداً منهم ، كأنه أشار إلى رد جوابه إليهم ، فقال : ليتني كنت ممن يُرَدُّ جوابي ، ولو في النار ، من شدة وجله ؛ لأنه لا يدري ما سبق له منه بالمادة والشقاوة والإعراض عنه أو بالإقبال عليه .

(١) هذا من أدق الأوصاف لجهنم ويبنى أن يفهم (٢) المؤمنون : ١٠٨

وذكر عنه ، أيضاً ، أنه قال في مجلسه : إن الله عباداً لو بزقوا على جهنم لأطفوها^(١) ،
فصعب ذلك على جماعة ممن كان يسمع ذلك .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : تقول جهنم يوم القيامة للمؤمن : ٢٠٩
جُزْ يا مؤمن ، فقد أطفأ نورُك لَهْجِي .

وفيما يحكى عن الشبلي ، رحمه الله : مثل هذا كثير لا ينهأ ذكره لكراهة
التطويل ، والعامل يستدل بالقليل على الكثير .

وبالله التوفيق

(١) قوله : لأطفأوها : أى . لأطفأوها

باب في ذكر أبي الحسين النورى ، رحمه الله

وما شهدوا عليه بالكفر عند الخليفة ،

وغير ذلك

قال أبو نصر : وفيما بلغنى أن أبا الحسين أحمد بن محمد النورى ، رحمه الله ، كان في أيام الموفق ، وكان ينكر عليه غلام الخليل ، فرفع إلى الموفق ، وهو يومئذ ، أمير المؤمنين ، أن ينفذ رجلا من الزنادقة دمه حلال ، فإن قتله أمير المؤمنين ، قدمه في عنق ، قال فبعث الخليفة في طلبه ، فحمل إليه ، فشهد عليه « غلام الخليل » : أنا سمعته يقول : أما أعشق الله وهو يشقنى ، فقال النورى ، رحمه الله : سمعت الله تعالى ذكره يقول : « يحبهم ويحبونه » ، وليس المشق بأكثر من المحبة ؛ غير أن العاشق ممنوع ، والمحب يتمتع بحبه . قال فبكى الموفق من رقة كلامه .

وشهدوا عليه أيضاً : أنه سمع أذان المؤذن فقال : طعنة وشم الموت ، وسمع نباح الكلاب فقال : لييك وحطديك .

- فقيل له في ذلك ، فقال : « أما المؤذن فأنا أغار عليه أن يذكر الله وهو غافل ، وبأخذ عابه الأجرة ، ولولا الأجرة ؛ القليل من سطام الدنيا ، التى يأخذها ، لما ذكر الله ؛ فلذلك قلت له : طعنة وشم الموت ! وقد قال الله جل ذكره : « وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا بُشِّعْ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَعْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ »^(١) » فالكلب ، وكل شئ يذكرون الله بلا رياء ولا سمعة ، ولا طلب للعوض ؛ فلذلك « قلت ماقلت » .

قال : وحمل النورى مرة أخرى إلى الخليفة وشهدوا عليه بأنه قال : « كنت البارحة في بيتي مع الله » فسل عن ذلك ؟ فقال : صدق ! وأنا الساعة مع الله ، وإذا

كنت فى البيت فأنا مع الله ، وإذا كنت فى برية فأنا مع الله ومن كان فى الدنيا مع الله فهو فى الآخرة مع الله ! أليس يقول الله جل ذكره : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ^(١) » .

قال : فلفظه الخليفة بيده وقال : تكلم بما شئت ! فتكلم النورى بكلام لم يسمعوا به قط ، فبكى الخليفة وبكوا جميعاً وقالوا : « هؤلاء أعرف بالله من غيرهم ! » .

وسمعت أبا عمرو بن علوان يقول : حمل إلى أبى الحسين النورى « ثلاثمائة دينار » فمن عقار بيع له فصدقه قنطرة الصرّة . وكان يرى واحداً واحداً منها إلى الماء ويقول : « حبيبى تريد أن تخدعنى منك بمثل هذا ۱۱۲ » .

فقال بعض الناس : بئس ما فعل ! لو أنفقها فى سبيل الخير كان خيراً له . فقلت إن علم أن تلك الدنانير كانت تشغله عن الله طرفة عين لكان الواجب عليه أن يرميها فى الماء بدفعة واحدة ؛ حتى يكون أمرع بخلاصه من فتنه كما أخبر الله جل ذكره عن سليمان عليه السلام حيث يقول : « فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ^(٢) » ، وقد ذكرت ذلك فى موضعه .

قال أبو نصر : « وأبو الحسين النورى من الواجدین ، ومن أهل الإشارات اللطيفة ، وله كلام مشكل وأشعار كثيرة وكان يعرف من بحر كبير .

ذكر عنه أنه قال : قرب القرب ، فى معنى ما أشرنا إليه نحن : « بعد البعد » هذا كلام معناه مفهوم عند أهله وهو قريب من قول القائل : « ذنوب المقربين حسنات الأبرار ^(٣) » ، وقول القائل : « إخلاص المریدین رياء العارفين » .

ولأبى الحسين النورى أبيات كتبها إلى أبى سعيد الخراز :

(١) ص : ٣٣

(٢) ق : ١٦

(٣) والمحفوظ : حسنات الأبرار سيئات المقربين

لعمرى ما استودعت سرى وسره سواء^(١) حذاراً أن تشيع السرائر
ولا لاحظته مقلتاى بنظرة ؛ قدشهد نجاونا العيون النواظر
ولكن جعلت الوم بينى وبينه رسولا : فأدى مانكن الضماير !

وفيه إشارات غريبة ومعان عجيبة يشير إلى سره الذى هو مخصوص به وينطق
عن وجده الذى لا يضيف ذلك إلى صفته ولا ينسبه إلى مكان ليس ذلك من نعمته .
وللنورى مثل ذلك كثير ، وفيما ذكرنا كفاية ؛ وبالله التوفيق !

(١) من معانى السواء : الغير

باب في ذكر أبي حمزة الصوفي ، رحمه الله

فأما أبو حمزة الصوفي : فكان من أجلة المشايخ ، وكان من أهل الإشارة والعبارة ، وله أيضاً كلام وأقفاظ مشككة ، سمعت أحمد بن علي الوجيبي يقول : سمعت أبا علي الروذباري ، رحمه الله يقول : أطلق على أبي حمزة أنه حلولي ؛ وذلك أنه كان إذا سمع صوتاً مثل هبوب الرياح ، وخرير الماء ، وصياح الطيور فكان يصيح ويقول : « لبيك ! » فرموه بالحلول ؛ لبعده فهمهم في معنى إشارته . وذلك أن أرباب القلوب ، ومن كان قلبه حاضراً بين يدي الله ، ويكون دائماً يذكر الله فيرى الأشياء كلها بالله ، والله ، ومن الله ، وإلى الله فإذا سمع كلامه فكان ذلك سمعه من الله ، ولا يكون ذلك الحال إلا لبعده مجموع على الله لا ينصرف منه جارية إلى سوى الله ؛ فعند ذلك يقع له حقائق الفهم عن الله في جميع ما يسمع وجميع ما يرى من الأشياء .

وبلغني عن أبي حمزة أنه دخل دار حارث المحاسبي ، وكان لحارث دار حسن وثياب نظاف ، وفي داره شاه مرغ . فصاح الشاه مرغياً ، فشقق أبو حمزة شهقة وقال : « لبيك بابيدي » قال : ففضب الحارث وعمد إلى سكبن ، فقال : « إن لم تتب من هذا الذي أنت فيه أذبحك » . قال : فقال له أبو حمزة : أنت إذا لم تحسن أن تسمع هذا الذي أنت فيه فلم لا تأكل النخالة بالرماد ؟ أيش بينك وبين أكل الطيبات والتوسع في الدار والثياب ، يريد بذلك : أن إنكارك على يشبه أحوال المريدين والمبتدئين ، وتوسعت على نفسك وبسطك في الدخول في السمات ، يشبه حال الأمياء والصدقيين « الذين لا يضرهم الدخول في السمات »

وبلغني عن أبي حمزة رحمه الله أنه دخل عليه رجل من أهل خراسان ، فسأله عن مسألة في الأمن ، فشطط أبو حمزة ، وقال : « أعرف رجلاً لو كان على يمينه

مسورة^(١) وعلى يساره سبع لم يبال على أيهما يتكىء . وكأنه أشار إلى نفسه بذلك ، وزعم أن الأمن لا يصح إلا لمن يكون بهذه الصفة .

قال : فقال له الخراساني : هذا شطح هات العلم . ثم قال : خذها يا بد بخت^(٢) أهرق من لو كان بالمغرب وهو يريد المشرق لم يتغير سره فيما بين ذلك ، ثم خرج ، قال : قال أبو حمزة : فبقيت أربعين ليلة لا آكل ولا أنام ؛ حتى يتبين لي علم ما قال ذلك الرجل ، فكانه أشار بأن الأمن لا يصح إلا لمن يكون حاله كذلك . فزاد في المعنى على ما قال أبو حمزة : فإن قال قائل : هذا دعوى من الجميع ، فيقال له : لم لا يجوز أن تعلم^(٣) أقوال المتقدمين ، ويوجد لما يذكر عنهم وجه . وقد قال الله جل ذكره : « وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ »^(٤) وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا أنعم الله على عبد نعمة ، أحب أن يرى أثرها عليه » وهذا من أعظم النعم — فيجوز أنهم قد تحدثوا بما أنعم الله عليهم . ومن قال غير ذلك فيحتاج إلى بيان ودليل .

باب ذكر جماعة المشايخ الذين رموهم بالكفر

ونصبوا العداوة معهم ورفعهم إلى السلطان قال أبو نصر : « فأما الذين نصبوا العداوة مع هؤلاء القوم ، واعتقدوا فيهم الباطل فعلى وجهين :

فمنهم قوم لم يفهموا معاني ما أشاروا إليه في كلامهم من غامض العلم وجليل الخطب ، ولم يكن لهم زاجر من العقل ولا واعظ من الدين أن يستبحنوا عن المعاني التي أشكلت عليهم ويسألوا ذلك عن أهلها ، وقاسوا ما يسمعون من ذلك بما علموا من العلوم الميثونة بين عوام الناس حتى هلكوا ، فمنهم من رجع عن ذلك وتاب وأناب ، ومنهم من مات على ذلك فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه .

ومنهم من علم مقاصدهم ومعانيهم فيما قالوا أو قد صحبهم برهة من الدهر فلم يصبر على حالهم ودعاه شيطانه وهواه إلى طلب الرياسة وجمع الدنيا وأكل أموال الناس بالباطل ، فجعل المعاداة والمنافة معهم ، والطمع والوقعة فيهم والسفاهة والإنكار عليهم ؛ سلمًا إلى جمع الدنيا وسبيلًا إلى قبول^(١) قلوب الجهلة من العامة ، فلا يبالي بمد ما أسرته أهواؤه ، واستحوذته شياطينه : أن يسفك الدماء ويأكل الحرام ، ويركب المآثم ، ويشهد بالزور ، ويكذب على الله وعلى رسوله ، ويبسط بالوقعة والطمع على أوليائه وأصفياه ؛ وينسبهم إلى الكفر والزندقة والبدعة والضلالة ، ويهيج على سفك دمائهم : الغاغة^(٢) ، والجهلة من العامة . فكم من ولي الله قد قتلوا من هؤلاء . وكل جمع في طاعة الله ورضاه قد فرقوه !! وما خاق الله على وجه الأرض قوما شرًا من هؤلاء .

ولو ذكرت قصص هؤلاء وما أعلم من اعتدائهم على هذه الطائفة قديمًا وحديثًا يطول^(٣) ... ولكن نذكر من ذلك طرفًا على الاختصار والإيجاز إن شاء الله .

(١) قبول : أي إقبال قلوب الجاهل إليه

(٢) الغاغة : النوغاء من الناس ، كما يستفاد من القاموس

(٣) الأولى أن يقال : لطال الكلام

فمنها ما وقع لدى النون المصرى ، رحمه الله ، حيث شهدوا عليه بالكفر والزندقه ورفضوه إلى السلطان حتى أُشخص وشيل وأجاب عما سئل وردّوه إلى موضعه عزيزاً^(١) مكرماً .

ذكر عن ابن الفرجى أنه قال : كنت مع ذى النون فى الزورق ، وإذا بزورق آخر فيه جماعة من الناس فقيل لدى النون : « هؤلاء هم ذا يمضون ليشهدوا عنك عند السلطان بالزندقة . فقال ذو النون : « اللهم إن كانوا كاذبين فخذم ! » ، قال : ابن الفرجى : فما استتم كلامه حتى انقلب الزورق وغرق القوم ، قال : فقلت لدى النون : أحسب أن القوم فسقوا فى عمامهم فما ذنب الملاح ؟ . قال : لم حمل الفساق ؟ ثم قال : إذا قام هؤلاء يوم القيامة ، شهداء الفرق ، خير لهم من أن يقوموا شهداء الزورا . قال : ثم انتفض انتفاضة ، وقال : « وعزتك وجلالك لا أدعو على خلقك أبداً » .

فصل آخر

وسمنون : كان يقال له : « سمنون الحب » ، وكان موصوفاً بحسن الوجه وحسن الكلام فى المحبة وعذوبة المنطق . بلغنى أن امرأة مالت إليه وهويته . فلما علم سمنون بذلك طردها من مجلسه ، قال : لجأت هذه المرأة إلى الجنيد ، رحمه الله ، فقالت : ما تقول فى رجل كان طريقى إلى الله ؟ فذهب الله وبقى الرجل ؟ ! .

فلم الجنيد أبش مرادها ، فلم يجبها وقال : « حسبنا الله ونعم الوكيل ! » ثم عرضت نفسها بالتزويج على سمنون فأبى ذلك عليها سمنون .

فعلت أن غلام الخليل هو مفكر على هؤلاء — وهو يعاديههم — فقصدت إليه وقالت . إن هؤلاء صوفية فلان وفلان وذكريتهم « يجتمعون معى كل ليلة على الحرام »

(١) الأولى : أن يقال : معززا ليناسب ما بعده

فشهد عليهم غلام الخليل بذلك وقال : « هؤلاء زنادقة ودمهم في عنقي » فبلغني أن
الاماطان أمر بضرب أعنانهم ؛ حتى كشف الله عنهم ذلك ونجاهم وخلصهم .

وأما أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز ، أنكر عليه جماعة من العلماء ونسبوه إلى
الكفر بأنفاظ وجدوها في كتاب صفته وهو : كتاب السر ، فلم يفهم ومعناه ؛
وهو قوله : « عبدٌ رجع إلى الله وتماق بالذكر ، وذكر في قرب الله وطامع ما أذن له
من التعظيم لله ونسى نفسه وما سوى الله . فلو قلت له : من أين أنت وأين تريد ؟
لم يكن له جواب غير قول « الله ! » .

وأشبه ذلك موجود في كتيبه وكلامه ، وقد شرحت ذلك في بابه .

فصل آخر

وأما عمرو بن عثمان المكي : كان عنده حروف فيه شيء من العلوم الخاصة . فوقع
في يد بعض تلامذته فأخذ الكتاب وهرب . فلما علم بذلك عمرو بن عثمان قال :
سوف يقطع يديه ورجليه ويضرب رقبته . يقال : إن الغلام الذي سرق منه ذلك
الكتاب ، كان « الحسين بن منصور الخلاج » وقد هلك في ذلك وفعل به ما قال
عمرو بن عثمان

فصل آخر

وأما سهل بن عبد الله مع علمه وشدة اجتهاده فقال : « التوبة فريضة على العبد
مع كل نفس » ، وكان في ناحية رجل ممن ينسب إلى العلم والعبادة فيميج عليه العامة
وكفره ونسبه إلى القبايح عند العامة حتى وثبوا عليه ؛ وكان ذلك سبب خروجه عن
تستر وانتقاله إلى البصرة رحمه الله .

فصل آخر

وكذلك أبو « عبد الله الحسين بن مكي الصبيحي » تكلم في شيء من علم الأسماء والصفات وعلم الحروف ، فكفره « أبو عبد الله الزبيرى » وهيج عليه العامة فقال : إن سهل بن عبد الله قال له : نحن فتحنا للناس جراب الخلتيت فلم يصبروا علينا ! فلمَ كلنهم أنت مما لا يعرفون ؟ فكان ذلك سبب خروجه من « البصرة » ومات بمدينة « شوشتر » وبها قبره .

بلغنى عن أبى عبد الله الصبيحي : أنه لم يخرج ثلاثين سنة من بيت من تحت الأرض من كثرة اجتهاده وتعبه ، وكان إذا تكلم بعلوم المعارف يدهش العالم ؛ فحسدوه على ذلك !!

فصل آخر

وأما « أبو العباس أحمد بن عطاء » مع جلالة وسعة معرفته وكثرة علمه وحسن أنفاظه رفع إلى السلطان ونسب إلى الكفر والزندقة فدعاه الوزير وهو « على بن عيسى » فزبره وجفا عليه في الكلام .

فقال له ابن عطاء : ارفق يارجل ، فنضب عليه كما بلغنى . فأمر حتى نزعوا خفه وصفموه به ؛ وكان ذلك سبب موته ! .

فصل آخر

وكذلك الجنيد مع كثرة علمه وتبحره وفهمه ومواظبته على الأوراد والعبادات وفضله على أهل زمانه : بالفهم ، والعلم ، والدين ؛ حتى يقال له : « طاروس العلماء » فكم من مرة قد طلب وأخذ وشهدوا عليه بالكفر والزندقة

وذكر ذلك بطول ! وإنما أردنا أن نذكر ذلك حتى لا يتمجب من أهل عصرنا من يبسط لسانه بالوقعة في هذه المعصاة فإن الشيء قديم : فأول من امتحن بذلك « عامر بن عبد قيس » من التابعين ، رفع إلى « عثمان بن عفان » أنه يقول : « إنه خير من إبراهيم » ، « وأنه يحرم ما أحل الله » حتى كتب « عثمان بن عفان » رضى الله عنه ، إلى « معاوية بن أبي سفيان » في ذلك ، وأشخص « عامر بن قيس » إلى « معاوية » على ظهر قتب . فلما سُئِلَ عن حاله ؟ وعرف محله ومكانه أكرمه ورده إلى موضعه ، وكذلك مَنْ بعده في كل وقت . مقصودون : بالأذى ، والطمع والوقعة ، والإنكار ، والشنة ، والسفاهة ؛ فليس هذا إلا كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاءً ، ثم الأمتل فلأمتل ٢١١ » وَيُتَسَلَّى الرجل على حسب دينه ؛ فإن كان في دينه صلابة فيكون بلاؤه أشد « أو كما قال ، والله أعلم .

فمن امتحن بشيء من ذلك فعليه بالصبر ؛ فإن الله مع الصابرين « والصبر مفتاح الفرج » وأنشد لعل ابن أبي طالب رضى الله عنه وكرم وجهه في الصبر :

ما أحسن الصبر في موطنه | والصبر في كل موطن حسن
حسبك من حسنة عواقبه ؛ عاقبة الصبر ما لها ثمن !

باب في ذكر « أبي بكر بن الحسن بن يازدانيار »

سمعت « أبا سعيد بن عبد الوهاب » يقول : كنت ببغداد وقت الذي ورد ابن يازدانيار فهجره المشايخ من أجل أنه رمام بالكفر والإنكار عليهم ، فأنكروا ذلك : فقال : « لم أقل شيئا من ذلك » حتى مشى الناس فيما بينهم ووقع بينهم الصلح .

قال أبو نصر : وكان « أبو بكر بن يازدانيار » ممن قد صحب المشايخ وسافر معهم وتسكلم وأجاب عن المسائل التكبيرية في علوم المعارف والأحوال والمقامات ، ففضى على ذلك برهة من الدهر ، فلما رجع إلى ناحيته وأسرته أهواؤه ومال إلى الرياسة وإلى جمع الناس عليه وانصراف الوجوه إليه واستحلى جمع الناس والسياسة ؛ فبسط لسانه في مشايخه بالوقعة ونسبهم إلى البدعة والضلالة وإلى الغلط والجهالة ونصب معهم العداوة والمناراة : من التمرد ، والمباهاة لخل به البلاء ، ونزع منه الحياء « وصار من المطرودين » وقد كان قبل ذلك من المدودين فبعد المعرفة أنكرهم ، ومن بعد المواصلة هجرهم ، فضيع الأمانة ، وحالف الخيانة ، وترك الحجة ، وركب اللجة . فما ترك في كنفاته سهما إلا رمام به ، ولا اعتدى إلى مكروه إلا قصد به ، حتى كتب إلى البلاد : يحذر منهم العباد ، وينسبهم إلى الكفر والبدع . كل ذلك اطلب الرياسة واتخاذ الجاه عند العامة . فلم يكتب من جميع ذلك إلا فرحة قليلة أعقبتها ترحة طويلة وبقي عليه التبعة والعار والشنار والنار والندامة والملامة إلى يوم القيامة .

وهؤلاء المشايخ السادة والأئمة القادة قد زاد الله بذلك في مناقبهم ورفع في مراتبهم ولم ينقصوا لمطعن الطاعنين وتعنت المتعنتين عند العقلاء والأدباء وعند

الفقهاء من العلماء ، بل زادوا بذلك عندهم محاسن وفضائل « فرفع الله بذلك أقدارهم وأخطارهم إلى الأبد » بلا زوال ولا أمد !

وهؤلاء المعتنتون مأثومون مذمومون خاسرون خاسئون موسومون بذلك إلى يوم الدين . لَقَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا وَخَسِرُوا خُسْرَانًا مُبِينًا — أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ :

وفي مثل ذلك يقول علي عبد الرحيم القناد [رحمه الله] يصف « ابن يزدانيار » ويذكر المشايخ الذين طعن عليهم ويقول : —

تسكلفت أمراً خلّ عنك احتماله فكيف تسامى والمعاناة ماله ؟
سموت بأحوال البطالة شامخاً تزلّ بمن كنه البطالة حاله !
فمنهم جنيد [قدس الله] روحه وأضحى نسيم القدس وهو طلاله !
فكيف مثلاً لست تعرف عينه ؟ فمالك أرض والجنيد هلاله !
وطعنك في النورى أعجب ما بدا لنا منك يا من يزدرية مقاله
تبخضت أشياخ التصوف عائباً فإنك لا رجاله
فكيف طمعت الآن في عيب مثاهم ؟

فأنت شئنا الجيش وهو جماله ؟
وسمنون والمصرى ذو الثوث بعده فراميهما بالنقص . خلّ ضلاله
إذا جعفر الخلالدى لم ترع حقه فكيف يرجى خير من ذى فعاله ؟
وكيف يرجى خير من سبّ ستيدا أشاد لنا ذكراً بطينا زواله !
فإن لسان الحق يبيديه معشر إذا نطقوا عنه تجلى جلاله
أسرم سرّاً فلا السرّ ظاهراً على مستقرّ السرّ يخفى مجاه

قد استشعروا كتم السرائر وامتطوا لموعده ججراً فسات ابتذاله
إذا نطقوا أعجزك مرمى رموزهم وإن صمتوا هيناه منك اتصاله
بياننا لكشف اللبس من كل ماكر إذا طاح في الدعوى وطاح انتحال

وبلغنى أن ابن بزديار وقف على الشبلى فقال : « يا أبا بكر ، أريد أن
أسألك مسأله ، وقد قصدتك لهذا » ؟

فقال الشبلى : لو كان بيننا صلة ما أردت أن تمنى ، ولكننا اثنان غيران .
قال : فلما بلغ الشبلى ما قد أعدت من العطن والإنكار عليهم والإطباق على
المشايع المتقدمين ، فكان بسميه نور الأرمنى ، وكان إذا جاء من ناحيته إنسان
يقول : أبش خبر ذلك نور الأرمنى .

وسمعت الوجهى يقول : سمعت أبا على الروذبارى يقول : رأيت ابن بزديار
يبتدأ فسالته مسأله فى العلم فأحسن الجواب .

ثم سأله مسأله فى اليقين فتعسف فيها ولم يحسن جوابه . فقلت له : رد
الجواب ؟ — رحمك الله — فقال : « لا أجيبك حتى تغضى دينك » وكان يعلم
أن أبا على ربما يستدين .

قال أبو على : فقلت لأصحابنا : يا أصحابنا ، لا تظنوا أن هذا فraise ؛ لأن
هذا عادة .

قال : فحجل من الجماعة وانقطع .

وسمعت الحسين بن عبد الله الفارسى يقول : سمعت أبا بكر الفارسى يقول :
دخلت على ابن بزديار فحضرت مجلسه ، فلما فرغ نادى فقال : ما تقول فى هؤلاء
المراقبين ؟ [يعنى الجنيد والنورى والشبلى] قال : فقلت أرباب التوحيد . قال :
فغضب من كلامى ، وقام ، وقال لى بعض من كان يسمع كلامنا : يا رجل ،

إتق الله . قم واخرج من هاهنا ومن هذا البلد أيضاً ، ولا تقم الليلة .. فإنك إن
أفت الليلة هاهنا نالك مكروه ، ويكون دمك في عنقك وهذه أمانة بيني وبينك
قال : فقامت وخرجت . . أو كما قال

وإنما ذكرت هذه الحكاية ؛ حتى يعلم الناظر في هذا الكتاب أن
هؤلاء الذين يطعنون على هذه العصابة لا يكون منهم أحد يرجع إلى دين
وأمانة ، وكلهم يكونون مستحلين منساختين من الدين . أعاذنا الله وإياكم
من ذلك .

باب في ذكر محمد بن موسى الفرغاني
وبيان ما ذكر عنه من الكلام الذي ظاهره مستشنع
وباطنه صحيح مستقيم

قد نظرت في كلام الواسطي أكثره فوجدت كلاما فصيحاً وأصولاً صحيحة ؛
إلا أن عامة ما تكلم به استقاء من منابع العراقيين ، ووجدت كثيراً من كلامه
مدوناً في دواوين العراقيين ، وفي كلامه مدخل التمتع^(١) بالعلم والإيمان ؛ غير أنني
وجدت مغزاه ومقصده مقصداً صحيحاً ، ومراميه سرامي موجودة في الأصول ونادراً
في الفصول ، مثل ما ذكرنا لغيره من المشايخ المتقدمين .

وبلغني أنه سكن مَرَّزَ ، وذكر أنه لم يجد بخراسان قوماً أوسع فهماً منهم
لإدراك علمه والاستنباط لمعاني ألفاظه وفضوله ، وإشارات تكثر إن ذكرنا ذلك ؛
غير أن الحكم من العلم يدل قليله على كثيره ، ويستنبط جليله من يسيره
وبالله التوفيق .

ذكر عن محمد بن موسى المعروف بالواسطي أنه قال : « من ذكر افتري ،
ومن صبر اجترى ، ومن شكر انبرى » .

وقد حكى هذا الكلام بعينه لابن عطاء ، إلا أن المشهور المستفاض المدون
في الكتب للواسطي .

وهذا الكلام ظاهره مستشنع ، ولأهل التمتع فيه مقال ، إلا أن إشارته
فيما نطق به صحيحة .

أما قوله : « من ذكر افتري » يحتمل وجوها :

وجه منها : يحتمل أنه أراد بذلك : أن من ظن أنه قد ذكر الله باستحقاق ذكره
فقد افتري ، وإن كان ذا كراً لله .

والوجه الثاني : يحتمل أن يقول : من ذكر الله بلسانه ولم يذكره بقلبه فكأنه قد افتري ؛ لأن الافتراء : هو الكذب ، والكذب : هو النفاق ، وهو أن تقول بلسانك بخلاف ما يكون في قلبك ، فإذا قلت : الله أكبر فقد ذكرت الله بلسانك ، فإن كان في قلبك شيء أكبر وأعظم من الله ، فكان ذكرك لله افتراء على الله ، فهذا معناه والله أعلم .

والوجه الثالث : يحتمل أنه أراد بذلك : أن من ظن أنه قد ذكر الله ، وهو ذا كر لله بالحقيقة ، فقد افتري ؛ حتى يعلم أن ذكر الله له قبل ذكره لله ، قال الله تعالى : « وَقَدْ كَرِهَ اللَّهُ أَكْبَرَ »^(١).

قال أهل الفهم : ذكر الله لكم في الأزل بالإيمان به والمعرفة ، والذكر له أكبر من ذكركم .

وقوله : « من صبر اجترى » يحتمل أيضا وجوها :

الوجه الأول : أن طوارق محنة وبلواه لا يطيق ذلك أحد من خلقه ؛ فن صبر في بلواه واحتمل ذلك ، فإنما يحمل بما حمل فيه ، قال الله عز وجل : « وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ »^(٢) ، فن صبر فليس له نسبة في صبره ، ومن ظن أنه صبر أو يقدر أن يصبر على ذرة من طوارق محنة فقد اجترى ، والاجترأ : الجسارة .

والوجه الثاني : أن الصبر على طوارق البلوى : داع يدعو صاحبه إلى الجسارة والدعوى ، وإلى استدعاء الحن والبسوى ، والمعجز والجزع عن عمل المسكاره : حادٍ يحدو صاحبه إلى الفاقة واللجأ ، وتوفيقه بين الخوف والرجاء .

كما قال يحيى بن معاذ الرازي : ذنب أتدلل به بين يديه أحب إلى من طاعة أدل بها عليه .

فهذا معنى قوله « من صبر اجترى » ومن قوله « ومن شكر انبرى » ؛
لأن الشكر جزاء النعمة .

ومن خطر بباله أنه شكر لأقل نعمة من نعمه ، ولو بذل في ذلك مهجته ،
وتلف بذلك روحه : فقد انبرى ، يعنى قد انفصل من درجة للتوجهين .

ووجه آخر ، وهو : أن كل عمل ينقطع وله غاية ونهاية إلا الشكر ؛ لأن
الشكر أيضا نعمة يجب عليها الشكر .

٢١٢ وفي الخبر : أن موسى عليه السلام قال : يا رب كيف أشكرك ، وشكرى لك
نعمة منك على ؟ ! يجب على فيها الشكر ؟ قال : فأوحى الله إليه : يا موسى ، الآن
قد شكرتني — فكأنه يريد بقوله « انبرى » يعنى : انفصل عن جميع الأشغال
بالشكر ؛ لأن الشكر نعمة ، والشكر على الشكر أيضا نعمة ، فلا ينقطع
ذلك أبدا !!!

وهذا القى ذكرت جوابا وبيانا : على معنى التفصيل . وأما جوابه على الجملة :
فإن جميع ما أضيف إلى المبدأ : من حركاته ، وخطراته ، وأفعاله ، وأحواله فليس
فاعله — في الحقيقة — غير الله ، فمن لم ينظر إلى قيام الله له ، حتى يذهب عن مشاهدة
قيامه بقيام الحق له في جميع حركاته وخطراته . فإن ذكر فقد افترى ، وإن صبر
فقد اجترى ، وإن شكر فقد انبرى ، وبالله التوفيق .

وإنما حملنى على الزيادة في الشرح ، حتى يعلم القاص والمستبحر عن هذا العلم
أن تحت كل كلمة من كلام هؤلاء الحكماء كنوزا لا يظفر بها إلا بصدق الطلب
ودوام النصب والسكد والتعب ، ولا ينبغي لأحد أن يقيس ما يسمع من هذا العلم
برأيه ويزين ذلك بعبارة ؛ فإنه يتيه ويزل ، ويهلك ويضل : « وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
كَيْدَ الْخَالِثِينَ » ^(١) .

ومما وجدوا في مجموع كلام «الواسطى» وأضافوا إليه كلاماً قد هلك به خلق من الناس؛ لأنهم لم يفهموا معناه ولم يعرفوا ما قصد به في مقاله، وهو الذى ذكر عنه وعن غيره من العراقيين، والله أعلم: أنه قال:

إياك أن تلاحظ حبیباً أو كلباً أو خيلاً وأنت تجدد إلى ملاحظة الحق سبيلاً، فقيل له: أفلا أصلى عليهم؟ فقال: صل عليهم بالأوتار ولا تجعل لها في قلبك مقداراً وكل من قلل هذا الفضل فقد أخطأ، ولا معنى لوصفه في الكتب وإفشائه وبثه بين الناس؛ لأن هذا كلام هلك به طائفتان من الناس: طائفة ظنت بأن قصد القائل فيما قال: هذا أراد بذلك وهذا نقصاً في اعتقاد القلب في معنى تعظيم الأنبياء عليهم السلام وحرمتهم وما خصهم الله به من الشرف والفضيلة إذ يقول سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم: «والذى نفس محمد بيده لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان ٢١٣ أكون أحب إليه من نفسه وما له» وفي خبر آخر «لا يؤمن عبد» أو كما قال.

وطائفة جهات معناها وما فهمت فبسطة لسانها على الجمهور بأنهم لم يعطوا الأنبياء عليهم السلام، حقهم من التعظيم والتفضيل، الذى خصهم الله بذلك.

وبلغنى أن بناحية الجبل خلقاً من العامة افتتنوا بذلك حتى يقولون: إن هؤلاء محمد يون وهؤلاء ليس محمديين، وذلك أن رجلاً ممن كان يقص على الناس طمعا في كثرة حطام الدنيا ممن قد أشهر نفسه بمدواة الصوفية كان يقول له: «أبو سعيد البسطامى» وقع إليهم فقال لهم في قصصه الذى كان يقص عليهم: إن الصوفية لا يقولون: «محمد» صلى الله عليه وسلم، وذكر لهم هذا الكلام الذى ذكرت من كلام «الواسطى» وغير ذلك حتى هجمهم^(١) بذلك على صوفية نواحهم ومنتزكيها وصاحبها، وظن من سمع منه ذلك من العامة أنه يريد بذلك نصحهم وكان قصده في ذلك المدواة والبغضاء والتنفير من الصوفية؛ لأنهم كانوا قد طردوه من بلاد كثيرة احتساباً منهم من كثرة ما كان يكذب على الله،

عز وجل ، وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكثرة استحلالاته ، وقلة مبالاته .
وكان يستر قبائحه وفضائحه بالتسائر وكثرة الروايات والحكايات ، ودقة البيان ،
وفصاحة اللسان ، وادعائه مذهب أهل الحديث ، ومحبة أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم .

٢١٤ وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أخوف ما أخاف عليكم
مناقى علم اللسان »

وقد ذكرت بعض ما وقع بهذه العصابة من المعاندين والمتعنتين من وقت
القابعين إلى يومنا هذا من أمثال هؤلاء فلا يفرم ذلك .
« وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْفَاسِقِينَ » ^(١) ، وهو يتولى الصالحين ولا يضيع
أجر الحسين .

باب في بيان ما قال الواسطي

أما قول القائل : إياك أن تلاحظ حبيباً ، أو كلباً ، أو خليلاً ، وأنت تجدد إلى ملاحظة الحق سيلاً ، كأنه يشير بذلك إلى التفريد وتجريد التوحيد ، وأن تعطى الواحدانية حقها بترك المساكنة إلى ما سواه ؛ لأن الخلق كلهم — وإن كانوا في درجاتهم متفاوتين ، وفي دينهم متفاضلين — فإن الله قدساوى بينهم في أشياء كثيرة ، وذلك أن الجميع مخلوقون ، مقدورون ، مأمورون ، مهنوعون ، محتاجون ، محكومون ، عاجزون ، فاترون ، مبتلون ، مقهورون ، بما أرادهم الحق كيف شاء ، وأتى شاء ، وحيث شاء ! ليس لأحدهم عنده يد ، وليس لأحدهم نفس منهم بهم وإيهم .

ألا ترى أن سيد الأنبياء ، وإمام الأصفياء ، وحبيب المرتضى ، ورسوله المصطفى ، يقول له ، جل ذكره : « قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا »^(١) . ويقول : « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ »^(٢) . ثم قال : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ؟ وَمَنْ يَنْفَلِتْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَبَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ »^(٣) . وقال : « وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا »^(٤) .

وأشبه ذلك كثيرة ، لأن الله عز وجل ، لم يكن له شريك في الملك ، وخلق كل شيء فقدره تقديراً .

(٢) القصص : ٥٦

(٤) الإسراء : ٨٦

(١) الأعراف : ١٨٨

(٣) آل عمران : ١٤٤

ثم وصف الله الأصنام ، فقال : « وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ ، شَيْئًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا » ^(١) . وقال : « أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ؟ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟ » ^(٢) .

والأنبياء ، عليهم السلام ، وغير الأنبياء : كلهم في مراتبهم ومواقفهم ومقاماتهم التي جعلت لهم ووصفوا بها .

فن لاحظ الخلق فيرى تخصيصهم وتفضيلهم وتشريفهم . ومن لاحظ سلطات عظيمة للوحدانية ، وبوادي سلطان الربوبية ، وقدم الأحدية والفردانية ، بغيوبته عن الخلق ، وغيوبته الخلق عنه ، فأين هو والخلق ، وكيف يجد السبيل إلى ملاحظة الخلق ؟

ذلك معنى قوله : إياك أن تلاحظ حبيبا ، أو كليما ، أو خليلا إن وجدت إلى ملاحظة الحق سبيلا ، يعني المشاهدة ، والمحاضرة ، والرؤية أتم من الملاحظة .

٢١٥ وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : « اعبد الله كأنك تراه » .

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : « رآته القلوب بمقائق الإيمان » .

٢١٦ وقد روى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « ليس منا أحد ينجبه عمله . فقيل له : ولا أنت يا رسول الله ؟ فقال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه » .

وقد قال ذلك ، لأنه لم يلاحظ نفسه عند ملاحظة الحق ، وقال في وقت آخر : ٢١٧ « أنا أول من تنشق عنه الأرض والأنبياء تحت لوأى . والجنة حرام على كل أحد حتى أدخلها » ؛ لأنه لاحظ نعم الله عليه ومنته لديه .

قال الله عز وجل : « وَأَمَّا رِزْقُمَا رَبِّكَ فَحَدِّثْ » (١) .

وكذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما مات النبي صلى الله عليه وسلم اضطرب قلوب المسلمين ، وخشوا على ذهاب الإسلام بموت النبي صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر وقال : « ألا من كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ! » .

ألا ترى أنه لم يلاحظ موت النبي صلى الله عليه وسلم ، عند ملاحظته للحق في نصرة الدين وتمسكين المسلمين .

وكذلك عائشة رضي الله عنها عند نزول برائتها من مقالة أهل الأناك ؟ ألا ترى كيف واجهت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت : بحمد الله لا بحمدك ، وكان شرفها وفضلها وفخرها برسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أنها لم تلاحظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عند ملاحظة الحق في نزول القرآن ببرائتها ، ولم يزد لها ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رفعةً ومحبةً ودرجةً وفضيلةً . فقس على هذا المعنى ، جميع ما تسمع من نحو ذلك في هذا الباب .

وأما قوله : صل عليهم بالأوتار ، ولا تجعل لها في قلبك مقداراً : ايس كما ظن المتعنت : أنه لا تجعل للأَنْبياء عليهم السلام في قلبك مقداراً ، ولكن يريد بذلك أي لا تجعل لك صلاتك عليهم عندك مقداراً ، أي لا تستكثر ذلك ؛ فإنهم يستحقون أكثر من ذلك .

لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى على مرة واحدة صلى الله ٢١٨ عليه عشرأ » .

يقول : وإن كثرت الصلاة عليهم فلا تجعل لها في قلبك مقداراً باستكثرارك لها : لأن صلوات الله عليك إذا صليت على رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، أكثر من صلاتك عليه .

ومن قال : إنه أراد بقوله : لا تجمل لها في قلبك مقداراً ، يعنى الأنبياء عليهم السلام يعنى به عند مقدار عظمة الله تعالى ، وكبريائه ؛ لأنه لا يجوز أن يأخذ مقدار شيء ، من جميع ما خلق الله : من الملائكة ، والأنبياء ، والجنّة ، والنار ، والعرش ، والكرسى ، موضعاً من قلوب المؤمنين ، عند موضع مقدار عظمة الله تعالى ، وكبريائه ، وقدرته ، وسلطانه ، ووحدانيته

فهذا فى معنى التوحيد وحقيقة التفريد .

وأما من حيث العلم والشرع ، وما نذب الله إليه الخلق ودعاهم إلى تعظيم الرُّسل والإيمان بما جاءوا به ، وبما خص الله نبيّنا ، صلى الله عليه وسلم ، من جميع الرُّسل فقد ذكرتُ فى هذا المعنى أبواباً فى باب : مستنبطات أهل الصفوة فى تخصيص النبى صلى الله عليه وسلم ، من كتاب الله ، تعالى ، وأخبار رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وما فتح من ذلك على قلوب أولياء الله .

وأقربُ ما يقول أهل الصفوة فى الرسول ، صلى الله عليه وسلم : أنه عبدٌ واحدٌ لا يجوز لأحد أن يدركه فى جميع ما خص به .

سئل أبو يزيد البسطامى ، رحمه الله : هل يزيد أحدٌ على النبى صلى الله عليه وسلم ؟ [فقال : وهل يدركه أحدٌ] !

ثم قال أبو يزيد ، رحمه الله ، جميع ما يفهم الخلق وأدركوه من شرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما لم يفهمه ولم يدركه ، مثلاً ذلك : مثل قرينة زرقاء ملأى من الماء ، فأرُشح أدرك الخلق وفهموه من شرفه وفضله ، وما سوى ذلك فلم يفهمه أحدٌ ولم يدركه .

وأقربُ ما يصف به أهل الصفوة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : أنهم قالوا : لما وعد الله تعالى رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، بأن يعطيه جميع ما يسأله بقوله : يا محمد ، سل تعطه ، فلا يجوز أن يسأله شيئاً إلا أن يعطيه .

وكاز، من دعائه ، صلى الله عليه وسلم : « اللهم اجعل من فوقى نوراً ، ومن
تحتى نوراً ، وعن يمينى نوراً وعن شمالى نوراً ، ومن ورائى نوراً ، ومن قدامى نوراً
ومن خلفى نوراً ، اللهم اجعل فى قلبى نوراً ، وفى بصرى نوراً ، وفى سمى نوراً ،
وفى لحمى نوراً ، وفى عظمى نوراً » كما جاء فى الحديث .

قالوا : الدليل على أن الله تعالى ، أعطاه ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : والله ٢٢٠
إنى لأراكم خلف ظهرى كما أراكم قدامى :

وكل فضيلة وشرف خص بذلك أحد من أمة محمد ، صل الله عليه وسلم ، فذلك
شرف رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وفضله ، فلا ينبغى لأحد أن يقول
مالا يعلم .

قال بعض الحكماء : إذا ألف القلب الإعراض عن الله تعالى ، أورثه الوقعة
فى أواياه الله ، تعالى .

وللستبحث عن هذا العلم يجد فى كتب هؤلاء وفى كلامهم مثل ذلك كثيراً ؟
ولأنما بينت هاتين السكمتين ، وفسرت على الاختصار حتى يقاس بذلك على
ما لم تذكره . وبالله التوفيق ؟

باب في ذكر من غلط من المترجمين بالتصوف

ومن أين يقع الغلط ، وكيف وجوه ذلك

قال الشيخ ، رحمه الله : سمعت أحمد بن علي الكرخي يقول : سمعت أبا علي الروذباري ، رحمه الله ، يقول : قد بلغنا في هذا الأمر إلى مكان مثل حد السيف ؛ فإن قلنا : كذا ففي النار وإن قلنا : كذا ففي النار .

يعنى : إن غلطنا فيما نحن فيه بدقيقة فنصير من أهل النار ، لأن الغلط في كل شيء أهون من الغلط في التصوف وفي علمه ، لأنها : مقامات ، وأحوال ، وإرادات ومراتب ، وإشارات ؛ فنخطئ في ذلك إلى ما ليس له فقد اجتأ على الله فيكون الله خصمه ، فإن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه بما شا كيف شاء .

وكل من ترسم برسوم هذه المصايب أو أشار إلى نفسه بأن له قدماً في هذه القصة ، أو توهم أنه متمسك ببعض آداب هذه الطائفة ، ولم يُحسِّم أساسه على ثلاثة أشياء فهو مخدوع ، ولو مشى في الهواء ونطق بالحكمة ، أو وقع له قبول عند الخاصة أو العامة .

وهذه الثلاثة أشياء :

أولها : اجتناب جميع المحارم : كبيرها وصغيرها .

والثاني : أداء جميع الفرائض : عسيرها ويسيرها .

والثالث : ترك الدنيا على [أهل] الدنيا : قليلها وكثيرها إلا ما لا بد

للؤمن منها .

٢٢٠ وهو ما روى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : أربعة في الدنيا ،

ولست هي من الدنيا : كثرة تسد بها جوعتك ، وثوب توارى عورتك ، وبيت

تسكن فيها ، وزوجة سالحة تسكن إليها .

فأما سوى ذلك : من الجمع ، والتمع ، والإمساك ، وحب التكاثر ، والمباهاة ،
 فجميع ذلك : حجاب قاطع يقطع العبد عن الله عز وجل .
 فكل من ادعى حالا من أحوال أهل الخصوص ، أو توهم أنه سلك منزلا
 منازل أهل الصفة ، ولم يبين أساسه على هذه الثلاثة فإنه إلى الضلالت أقرب
 منه إلى الإصابة في جميع ما يشير إليه أو يدعيه أو يرسم برسمه ، والعالم مُقرٌّ
 والجاهل مدَّعٍ .

باب في ذكر الفرقة الذين غلطوا

وطبقانهم ، وتفاوتهم في الغلط

قال الشيخ رحمه الله : ثم إني نظرتُ إلى الفرق الذين غلطوا ، فوجدتهم على ثلاث طبقات :

طبقة منهم : غلطوا في الأصول من قلة إحكامهم لأصول الشريعة ، وضمف دعائمهم في الصدق والإخلاص ، وقلة معرفتهم بذلك ، كما قال بعض المشايخ ، حيث يقول : إنما حرموا الوصول لتضييع الأصول .

وطبقة ثانية : منهم غلطوا في الفروع ، وهي : الأداب ، والأخلاق ، والمقامات ، والأحوال ، والأفعال ، والأقوال ؛ فكان ذلك من قلة معرفتهم بالأصول ، ومتابعهم لحظوظ النفوس ومزاج الطبع ؛ لأنهم لم يدنوا من بروضهم ، وبجرعهم المرات ، ويوقهم على المنهج الذي يؤديهم إلى مطلوبهم .

فشلهم في ذلك : كمثل من يدخل بيتاً مظلماً بلا سراج ، فالقدي يفسده أكثر مما يصلحه ، وكما ظن أنه قد ظفر بجوهر نفيس فلم يجد معه إلا خزفاً خسيماً ، لأنه لم يتبع أهل البصيرة الذين يميزون بين الأشباه ، والأشكال ، والأضداد ، والأجناس فعند ذلك يقع لهم الغلط ، ويكثر منهم الهفوة والشطط ، فهم متحيرون ، ومتفرون بين منهزم ومفتون ، ومتجبر ومحزون ومفت بالظنون ، ومختر بالجنون ، ومتلبس بالجهون ، ومكمد بالشجون ، ومُدَّع ومفتون ومتمن للمنون ، فسبحان من قسم لهم بذلك وهو العالم بدائهم ودوائهم ، وسقمهم وشفائهم .

والطبقة الثالثة : كان غلطهم فيما غلطوا فيه : زلة وهفوة ، لا علة وجفوة ، فإذا تبين ذلك عادوا إلى مكارم الأخلاق ، ومعالي الأمور ، فسَدُّوا الخلل ، ولمَّأُوا الشَّعْثَ ، وتركوا العناد ، وأذعنوا للحق ، وأقروا بالعجز فعادوا إلى الأحوال الرضية

والأعمال السنية ، والدرجات الرفيعة ، فلم تنقص مراتبهم هفوتهم ، ولم تغلظ الوقت عليهم جهوتهم ، ولم تتزج بالكدورة صفوتهم .
وكل طبقة من هذه الطبقات الثلاث على أحوال شتى : من التفاوت ، والإرادات ، والمقاصد ، والنيات .
وقد قل القائل :

مَنْ تَحَلَّى بِغَيْرِ مَا هُوَ فِيهِ فَضَحَتْهُ لِسَانُ مَا يَدَّعِيهِ

وقد ذهب عليه ماروى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : ليس الإيمان ٢٢٢
بالتحلى ولا بالتمنى ، ولكن هو ما قرى القلب وصدقته الأعمال « كما روى
في الحديث » :

فمن غلط في الأصول فلا يسلم من الضلالة ، ولا يرجى لهائه دواء ، إلا أن يشاء
الله ذلك ، والغلط في الفروع أقل آفة ، وإن كانت بعيدة من الإصابة .

باب في ذكر من غلط في الفروع التي لم تؤدّم إلى الضلالة

ونبتدى في ذكر الطائعات الذين غلطوا في الفقر والغنى

قال الشيخ رحمه الله : ثم إن طائفة من المتوسمين بالعوفية ، تكلموا في تشریف الغنى على الفقر ، وكانت إشارتهم في ذلك : إلى الغنى بالله ، لا إلى الغنى بالأعراض الدنية من الدنيا ، [فغلطت طائفة] ، فطلب الأوليات ؛ وتماقت بالاحتجاجات والاختراعات : من الآيات والروايات : أن تجعل الغنى بأعراض الدنيا حالا محمودة أو مأمراً من مقامات طلاب الآخرة ، فتاهت في ذلك وغلطت ؛ لأن الذي تكلم في الفقر والغنى ، وعد الغنى حالا من أحوال المنقطعين إلى الله تعالى : أشار إلى الغنى بالله ، لا إلى الغنى بأعراض الدنيا التي لا تَزِنُ عند الله جناح بعوضة .

وطبقة أخرى : تسكمت في حقائق الفقر والافتقار إلى الله تعالى ، ما يقارنها : من الصبر ، والشكر ، والرضا ، والتفويض ، والسكون ، والطمأنينة ، عند العدم . فضلت طائفة أخرى ونوهت أن النقص المحتاج الذي يعدم الصبر والرضا : لا فضيلة له ولا ثواب له على فقره ؛ والفقر المضطر المعدم الرضا والصبر : له فضل على الغنى الذي يكون غناه بالدنيا .

وخلفت النفس محتاجة ، وليس من صفات البشرية : الطمأنينة والسكون عند عدم القوام والقوى ، والفقر تسكره النفس ولا يلائمه الطبع والهوى ، لأنه من [الحقوق والغنى تحبه النفس ويلائمه الطبع والهوى ، لأنه من] الحظوظ .

وقد وعد الله تعالى الغنى على الحسنة الواحدة ، إذا عملها ، عشر أمثالها : لقوله عز وجل : « مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا » ^(١) ، والحسنة

من الفقير كائنة في كل نفس ، لصبره على مرارة الفقر ؛ وليس ثواب الصبر نهاية معدودة .

لقوله عز وجل : « إِنَّمَا يُؤَتَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » (١)

والفقر في ذاته محمود ، فإن صحبته علة فالعلة فيه مذمومة .

لقول النبي صلى الله عليه وسلم : الفقر أزبَن على المؤمنين من العذار الجيد على خد الفرس .

ولم يشترط مع الفقر غير الفقر شيئاً .

والغنى بالدنيا في ذاته مذموم ، فإن صحبته خصلة محمودة من أعمال البر فهي المحمودة لا نفس الغنى .

لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس الغنى عن كثرة العرض ، » ولم يشترط مع الغنى شيئاً غير الغنى .

فشتان بين خصلة محمودة في ذاتها لا يقع اسم المذمة عليها إلا بعلة نادرة من أعمال الخير .

وطبقة أخرى : زعمت أن الفقر والغنى حالان ، ليس للعبد أن يتبعهما ، بل يجب عليه أن يعبرهما ولا يقف معهما ، وهذا عند أهل الحقائق والمعارف ، وأحكام الحقيقة عند النهايات ، فظفت طائفة أخرى أن الذي قال ذلك فقد ساوى بين الفقر والغنى وقالوا : لا فرق بين الفقر والغنى في معنى الحال .

فقل لهم : قد رأيناكم كارهين للفقر ، وما رأيناكم كارهين للغنى ؛ فإن كانا حالين مستويين ، فأن استوائكم في المساكنة ، إليهما ، والاحتراز منهما ، والمعانقة لهما ؟ فقد تبين غلطهم في ذلك .

وغلطت طائفة أخرى في الفقر فتوهمت أن المراد من حال الفقر العدم والفقر فقط ، فاشتغلت بذلك ولم تَشمُ بهمتها إلى آداب الفقر ، وخفي عليها أن رؤية الفقر في الفقر حجاب الفقير عن حقيقة الفقر .

وليس للفقير الصادق في حال الفقر خصلة أقل من الإعدام ، والفقر ، والصبر ، والرضا ، والتفويض ، في معانيها : أنتم من الفقر الذي لم يكن مقروناً بهذه الخصال ، ورؤية الفقر والمساكنة إلى الفقر والإعجاب به عادة في الحال وحجاب في المكان .

والله أعلم بالصواب ، وبالله التوفيق .

باب في ذكر من غلط في التوسع ، وترك التوسع من الدنيا بالتقشف والتقلل ، ومن غلط في الاكتساب وترك الاكتساب

قال الشيخ ، رحمه الله : لا يصح الدخول في الساعات إلا لنبي أو صديق ، معناه : لأنهم يكونون في الأشياء لغيرهم ، ويقومون في الأسباب بحقوقها لا بمحظوظها ؛ لأنهم يعرفون الإذن . : إذا أذن الله لهم بالإففاق أنفقوا ، وإذا أذن لهم بالإمساك أمسكوا .

فمن لم يعرف الإذن ، ولم يكن من أهل الكمال والنهايات ، غلط عند دخوله في الساعات بالفرور والتأويلات .

ومن زعم أنه لا يسكن إلى ذلك فيقال له : من لا يسكن إلى ما في يديه من أسباب الدنيا ينبغي أن لا يمسك ولا يطلب ، ويكون القليل والكثير عند سواء ، فمن لم يكن القليل أثر عنده من الكثير ، ولا يكون الواحد أثر عنده من الاثنين ، ولا يخلو سيره من الطلب لمفقود من أسباب الدنيا والإمساك لموجودها : فهو من طلاب الدنيا والمربطين باكتسابها بمحظها لا بحقها .

فمن توهم أن له حالاً غير ذلك فهو في غلط .

وطبقة أخرى : تطلقوا بالتقشف والتقلل ، واعتادوا الدون من اللباس والقليل من القوت ، وظنوا أن كل من رفق بنفسه ، أو تناول شيئاً من المباحات ، أو أكل شيئاً من الطيبات : أن ذلك علة وسقوط من المنزلة ، وكل حال غير الحال الذي هم عليه عندهم زلة ؛ وقد غلطوا في ذلك ، لأن العلة كائنة في التقلل والتقشف ؛ كما أن العلة كائنة في الترفع والترفع ، والتقلل والتقشف بالمادة ، والتكلف معلول ؛ إلا أن يكون العبد مراداً بذلك وقتاً من الأوقات ، أو يكون تأديباً له ، أو رياضة لنفسه ، فإذا شاهد آفاتهما ، واستحل ملاحظة الخلق له بذلك ، ولم يعمل في الانقلاع عنها بجهده يكون هالكا ولا يرجى خيره أبداً .

وطبقة أخرى من المتنسكين : تعلقوا بأخذ القوت من الكسب ، وركنوا إلى اكتسابهم ، وأنكروا على من لم يكنسب مثلهم وتوهموا وغلطوا أن الحال لا يصح إلا بتصفية الغذاء ، وتصفية الغذاء والقوت - عندهم - لا تصح إلا بالاكتساب .

٢٢٥

واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : أحل ما يأكل المؤمن كسب يده . وقد غلطوا في ذلك ؛ لأن الكسب رخصة وإباحة لمن لم يطق حال التوكل ، لأن التوكل حال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ، مأموراً بالتوكل والثقة بالمضمون من الرزق ؛ وكذلك الخلق كلهم مأمورون بالتوكل على الله ، عز وجل ، والثقة بما وعدهم الله تعالى ، والسكون عند عدم الرزق حتى يسوق الله ، عز وجل ، إليهم أرزاقهم ، فمن ضعف عن ذلك ولم يطق فقد سن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الكسب المباح بشروطه حتى لا يهلك .

وشروط الكسب : أن لا يرثن إلى كسبه ، ولا يرى رزقه من كسبه ، ولا يكون في كسبه مغتنماً ، بل ينوى بذلك معاونة المسلمين ، ولا يشغله كسبه عن أول أوقات الصلاة المفروضة ، ويتعلم العلم حتى لا يأكل الحرام ، فتق ما ترك خصلة من هذه الخصال فقد صار كسبه معلولاً بمعاة ، وإن كان له إخوان ممن لم يكتسبوا ويعلم أنهم محتاجون ، فيجب عليه أن يتقدم بما فضل من قوته .

فمن لم يرق بهذه الشروط فأخشى عليه الخلط في إجابته وتعلقه باكتسابه .

وطبقة أخرى : طعنوا على المكتسبين ، وجلسوا معتمدين على حالهم ، متشرفين إلى من يفتقد ؛ وعندهم أن هذا هو الحال ، وقد غلطوا في ذلك ؛ لأن الجلوس عن المكاسب ينبغي أن يكون من قوة اليقين والصبر ، فمن ضعف يقينه وغلب عليه طبعه وطعمه يؤمر بالدخول في الطلب ، والطلب مباح ، وترك الطلب بقوة الإيمان أتم وأفضل .

باب في ذكر طبقات الذين فتروا في الإرادات ، وغلطوا

في المجاهدات ، وسكنوا إلى الراحة

قال الشيخ ، رحمه الله : ثم إن طبقة من الصوفية غلطت في العبادات ، والمجاهدات ، ورياضات النفوس ، والمكابدات ؛ فلم تحكم في ذلك أسامها ، ولم تضع لأشياء في مواضعها ؛ فانهزمت ونكصت على أعقابها القهقري ؛ وذلك أنهم حين سمعوا بمجاهدات المتقدمين ، وما أنشأ الله بذلك أعلامهم في خلقه ، بالثناء الجليل ، والقبول عند الناس ، وإظهار الكرامات ، فطمعت نفوسهم وتمنوا ، فتكاثروا شيئاً من ذلك ، فما طالت المدة ولم يصلوا إلى مرادهم كسلوا ، فإذا دعاهم داعي العلم إلى المجاهدة والعبادة ورياضة النفس ، فلا يقام لذلك عندهم وزن .

ولو جذبهم الحق جذبة إلى خدمته ، وأرادهم بالمدائمة على طاعته ، وأدركهم بلطفه وعنايته ؛ لازدادت رغباتهم ، وقويت نياتهم ، ودامت على ما كانت عليه نياتهم ، فلما لم يكونوا مرادين بذلك ، انضعف دعائهم ، وفساد قصدهم ؛ توهموا أن ذلك فتور .

وقد غلطوا في ذلك ؛ لأن الفتور ما يقروح به قلوب المجتهدين وقتاً دون وقت ثم تعود إلى الحال .

فأما ما وقع فيه هؤلاء فهو الكسل والتواني والأمانى الكاذبة .

قال : وسمعت أحمد بن علي الكرخي يقول : سمعت أبا علي الروذباري ، رحمه الله يقول : البداية : هي كالنهاية ، والنهاية فهي كالبداية ، فمن ترك شيئاً في نهايته مما كان يعمل في بدايته ، فهو مخدوع .

وطبقة أخرى : ساحت ، وسافرت ، واقيت المشايخ ، وجلست وتصدرت ، وتطاوات على أبناء جنسها ، بأنها قد لقيت ما لم يلق قرناؤها ، ونظرت إلى ما لم ينظر إليه جلساؤها ، وعدت نفسها من المستقلين .

وقد غلطت في ذلك ؛ لأن السفر سمي سفراً لأنه يسفر عن أخلاق الرجال ، وإنما يسافرون حتى يشاهدوا من أنفسهم خُلُقاً مذموماً فيعملوا في تبديلها ، ويعرفوا أيضاً من أنفسهم من الخبيات ما لم يعرفوا ذلك في حضرم ومعارفهم .

ولقاء المشايخ يحتاج إلى الأدب ، والحرمة ، والإرادة ، وأن ينسى جميع ما يعلم ، ويقبل من الشيخ ما يؤصيه به ويُشير عليه ، ويطلب نفسه بحق الشيخ ، ولا يقتضي لنفسه من الشيخ إقبالا عليه ولا رفقا ، ويحفظ قلبه ، ويغتم نظره إليه ، ويخاف أن تكون محبته ولقياء للشيخ حُجّة عليه .

فمن ساح أو سافر ، أو لقي شيخاً من المشايخ على غير ما ذكرت ، وتوهم أنه من المسافرين ، أو ممن قد سحبت المشايخ : فهو في غلط عظيم .

وطبقة أخرى : أنفقوا الأموال والأموال ، وبذلوا ، وتوهموا أن المراد البذل والإفناق ، والتخلق بالسخاوة والبذل والسماحة .

وقد غلطوا في ذلك ؛ لأن سراد القوم وقصودهم ، فيما أنفقوا وبذلوا : لم يكن إظهار السخاوة ، ولا الاشتهار بالسماحة ، ولكن رأوا أن التعلق بالأسباب مع المسبب : علة في المسكان ، وحجاب قاطع عن الحقيقة ؛ فكان إنفاقهم وبذلهم وخروجهم من الأملاك : فراراً من العلة وقطعاً للعلاقة ، فمن بذل شيئاً من طريق السماحة والسخاوة ، وظن أن طريقه طريق القوم فهو في غلط .

وقوم آخرون أنبسطوا في المباحات ، ولم يتكلفوا المراعاة للأوقات ، وقالوا : ليس لنا معلوم أبش ، ما وجدنا أكلنا ونمنا ، فذلك وقتنا !

وقد غلطوا في ذلك ، لأن الوقت إذا فات لا يدرك ، وليس الوقت ما يكون معموراً بالإرفق ، إنه الوقت ما يكون معموراً بدوام الفكر ، ومربوطاً بالإخلاص والشكر ، والرضا والصبر ؛ والنفوس والهوى والشيطان : أعداء يطلبون فرصة الظفر بالمبد ، فإذا غفل العبد عنهم طرفة عين فلا يرجى خيره ولا يؤمن هلاكه .

فمن توهم أنه وصل إلى حال قد أمن من ذلك فهو في غلط .

باب في ذكر طبقات الذين غلطوا في ترك الطعام

والعزلة والانفراد وغير ذلك

قال الشيخ ، رحمه الله : ثم إن جماعة من المريدين والمبتدئين سمعوا علم مخالفة النفوس ، فتوهّموا : أن النفس إذا انكسرت بترك الطعام يُؤمّنُ شرّها وبوائقها وعوائقها ، فتركوا عاداتهم من الطعام والشراب ، ولم يستعملوا الأدب في ترك الطعام ، ولم يستبحثوا عن الأستاذين آدابها ، فعمدوا إلى ترك الطعام ، وواصلوا الليالي والأيام وظنّوا أن ذلك حالٌ

وقد غلطوا في ذلك ؛ لأن المريّد ينبغي أن يكون له مؤدّبٌ يوقفه على ما يحتاج إليه حتى لا يتولد من إرادته بلاء وفتنة لا يقدر أن يتلافها ولا يتخلص من فسادها والنفس لا يؤمن شرّها ، ولا يذهب عنها ما جُبلت عليه من الشر ، وهي الأمانة بالسوء ، فمن ظن أن النفس إذا انكسرت بالجوع بقلة المأطعم فقد زال عنها شرّها وآفات بشريتها ، حتى يأمنها صاحبها ، فقد غلط .

وسمعت ابن سالم يقول : كانوا إذا أرادوا أن يتقلّوا ينقصون من طعامهم في كل جمعة مثل أذن السيّور .

وسمعت يقول : كان سهل بن عبد الله - رحمه الله - يأمر أصحابه أن يأكلوا اللحم في كل جمعة مرة حتى لا يضعفوا عن العبادة .

واقدر رأيت جماعة حملوا على أنفسهم في مثل هذه الأشياء : من التقليل ، وأكل الحشيش ، وترك شرب الماء ، حتى فاتتهم القريضة ، لأنهم لم يأتوا بها على سيّئتها ، ولم يتأدّبوا بآداب من سلك هذا المسلك من المتقدمين .

وطائفة اعترزت ودخلت كهوف الجبال ، وظنّوا أنهم بذلك يهربون من الخلق ، أو يأمنون في الجبال والقفلات من شر نفوسهم ، أو يوصلهم الله ، تعالى ،

بالانفراد والخلوة إلى مأوئل إليه أولياءه من الأحوال الشريفة ولا يوصلهم إلى ذلك بين الناس .

وقد غلطوا في ذلك ؛ لأن الأئمة من المشايخ الذين قلّ مطعمهم ، ودامت خلوتهم وانفرادهم ، واختاروا العزلة : إنما أحدهم على ذلك ودعاهم إليه ، داعي العلم وقوة الحال ، فورد على قلوبهم ما أذهلهم وشغلهم عن المعارف والأوطان ، وأخذهم عن الطعام والشراب وجذبهم الحق إليه جذبة أغناهم بها عن سواه^(١)

فمن لم يكن مصحوبه قوة الحال وغلبة الوارد ، ثم يتكلف ويحمل على نفسه ما لا تطيقه ، يظلم نفسه : فيدخل على نفسه الضرر ، ولا يُدرك ما فاتته ، ويفوته ما معه ، فمن فعل شيئاً من ذلك بتكافئه ، ويتوهم أنه قد وصل إلى شيء من مراتب المخصوصين : فهو في غلط .

قال : ورأيت جماعة من الأحداث كانوا يُقلّون الطعام ، ويسهرون الليل ويذكرون الله ، تعالى ، على الدوام ، حتى كان أحدهم ربما يُفشى عليه ، وكان يحتاج بعد ذلك إلى أن يُدارى ، ويُرتقى به أياماً ، حتى يقدر أن يصلي الفريضة .
وجاعةٌ جُبوا أنفسهم ، وظنوا أنهم إذا قطعوا ذلك صلوا من آفات الشهوة النفسانية .

وقد غلطوا في ذلك ؛ لأن الآفات تبدو من الباطن ، فإذا قُطعت الآلة ، والعلّة موجودة في الباطن لم ينفع ذلك ، بل يضر وتزداد الآفة ، فمن ظن أن الآفة في الآلة الظاهرة ويتخلص بقطع ذلك من شرها ، فهو في غلط .

وقومٌ هاموا على وجوههم ودخلوا البراري والبوادي ، بلا زاد ولا ماء ، ولا آلة الطريق ، ونوهموا أنهم إذا فعلوا ذلك نالوا ما نال الصادقون من حقيقة التوكل

(١) ومن ذلك قوله ، صلى الله عليه وسلم : « لست كأحدكم ؛ أبيت عند ربي يطعني ويسقيني » .

وقد غلطوا في ذلك ؛ لأن القوم الذين كان هذا دأبهم كانت لهم بدايات ، وتأديبوا بأداب ، وراضوا أنفسهم قبل ذلك بالمجاهدات ، وكانوا مستقلين بأحوالهم : لم يبالوا بالقلّة ولم يستوحشوا من الوحدة ، فكم من مؤتة ماتوا وكم من مرارة ذاقوا ؟ حتى استوت أحوالهم في الخراب والعمران ، والسهل والجبل ، والجماعة والوحدة ، والامز والذل ، والجوع والشبع ، والحياة والموت .

فمن فعل شيئاً من ذلك وتوهم أنه قد نطق بشيء من أحوال المتوكلين فهو في غلط .

وجاعةٌ تسكفوا لبس الصوف ، واتخذوا المرقعات المعمولة ، وحملوا الركا^(١) ، ولبسوا المصبوغات ، وتعلموا الإشارات ، وظنّوا أنهم إذا فعلوا ذلك ، أنهم من الصوفية .

وقد غلطوا في ذلك ، لأن التحلي والتلبس والتشبه ، لا يورث لصاحبه غير الحمسة والندامة ، والعتب والملامة ، والشنار والنار في يوم القيامة .

فمن ظن أو توهم أنه يصل إلى أحوال أهل الحقائق بالتلبس والتشبه بهم فهو في غلط .

وجاعة أخرى جمعوا علوم القوم ، وعرفوا إشاراتهم ، وحفظوا حكاياتهم ، وتسكفوا ألفاظاً صحيحة وعبارات نصيحة ، وظنّوا أنهم ، إذا فعلوا ذلك فقد صاروا منهم ، ووصلوا إلى شيء من أحوالهم ، وقد غلطوا في ذلك .

وجاعة أخرى أحرزوا قوتهم وسكنت نفوسهم بنفقة مملوكة ، ودرهم موضوعة ثم عمدوا بعد ذلك إلى أورادهم : من الصوم ، والصلاة ، وقيام الليل ، والورع ، ولباس الخشن ، والبكاء ، والخشية ، وظنّوا أن هذا هو الحال المقصود الذي لا يكون بعده حال

(١) بكسر الراء : جمع ركوة ؛ ما يجعل تحت المصرة فيجمع فيه عصير العنب ونحوه

وقد غلطوا في ذلك ، وما أظن أن أحداً من أشار إلى علم التصوف يُذكر عنه أنه لم يخرج في بدايته من المعلوم ، ولم يأسر أصحابه في أول الأمر بقطع العلائق ، وأن يحملوا قوتهم في الغيب ، فمن كان منهم : ورجع إلى سبب معلوم ، أو ادّخار قوت فإن ذلك لم يكن من أجل نفسه ، واسكن لمن حوّل من أصحابه وعياله ، ولمن يرد عليه من إخوانه .

فمن أشار إلى التصوف ، وادّعى حاله ، وعدّ نفسه منهم ، ولم يكن أصله كذلك على ما ذكرت : فهو في غلط .

قال الشيخ رحمه الله : وجاعة ظنوا أن التصوف : هو السماع والرقص ، واتخاذ الدعوات ، وطلب الإرفاق^(١) ، والتكلف للاجتماعات على الطعام ، وعند سماع القصائد والتواجد والرقص ، ومعرفة صياغة الألحان بالأصوات الطيبة ، والنفثات الشجية ، والاختراع من الأشعار الغزلية ، مما يشبه أحوال القوم ، على نحو ما رأوا من بعض الصادقين ، أو بلّغهم ذلك عن المتحققين .

وقد غلطوا في ذلك ، لأن كل قلب ملوث بحُب الدنيا ، وكل نفس معتادة بالباطلة والنفلة ، فجماعه ، ووجوده ، معلول ، وحركته وقيامه تكلف .

فمن ظن أنه بصير بتكلفه وحيله وتمنيه ، من المتحققين ، في وقت السماع ، والحركة ، والوجود ، وغير ذلك : فقد غلط في ذلك

باب ذكر من غلط في الأصول ، وأداه ذلك إلى الضلالة

ونبتلى بذكر القوم الذين غلطوا في الحرية والعبودية

قال الشيخ رحمه الله : تكلم قوم من المتقدمين ، في معنى الحرية والعبودية ، على معنى : أن العبد لا ينبغي له أن يكون في الأحوال ، والمقامات التي بينه وبين الله ، تعالى ، كالأحرار ، لأن من عادة الأحرار : طلب الأجرة ، وانتظار العوض على ما يعملون من الأعمال ، وليس عادة العبيد كذلك ؛ لأن العبد لا ينتظر من مولاه أجرة ولا عوضاً على ما يأمره به مولاه ، فمضى طمع في شيء من ذلك ، فقد ترك سمة العبيد ؛ لأن العبيد إن أعطاهم مولاهم [عطية] ، على ما أمرهم به ، واستعملهم فيه : كان ذلك من تفضل مولاهم عليهم ، لا باستحقاقهم .

وليس عادة الأحرار كذلك .

وقد صنف شيخ من المشايخ كتاباً في مقامات الأحرار والعبيد في هذا المعنى . فظنت الفرقة الضالة أن اسم الحرية أتم من اسم العبودية ، للتمارف بين الخلق : أن الأحرار أعلى مرتبة ، وأسمى درجة في أحوال الدنيا من العبيد ، فقامت على ذلك ، فضلت ، وتوهمت : أن العبد ، ما دام بينه وبين الله تعالى تمبداً : فهو مسمى باسم العبودية ، فإذا وصل إلى الله فقد صار حراً ، وإذا صار حراً سقطت عنه العبودية .

وإنما ضلت هذه الفرقة ، لقلة فهمها وعلمها ، ونضيبها لأصول الدين .

خفيت على هذه الفرقة الضالة أن العبد لا يكون في الحقيقة عبداً ، حتى يكون قلبه حراً من جميع ما سوى الله ، عز وجل ، فمعد ذلك يصكون في الحقيقة عبداً لله .

وما سمي الله تعالى المؤمنين باسم أحسن من اسم العبد إذ يقول : « وَهَبْ أَدُّ

الرَّحْمَنُ»^(١) «نَبِيٌّ عَبْدِي»^(٢) ؛ لأنه اسم سَمِيَ به ملائكته ، فقال : «عِبَادُ مُكْرَمُونَ»^(٣) .

نَمَّ سَمِيَ به أنبياءه ورُسُلُه عليهم السلام فقال : «وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا»^(٤) ، «وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا»^(٥) ، وقول : «نِعْمَ الْعَبْدُ»^(٦) ، وقال لحبيبه وصفيّه صلى الله عليه وسلم : «وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ»^(٧) .

٢٢٤ فكان صلى الله عليه وسلم يصلّى حتى ورمّت قدماه ، فقيل له : يا رسول الله ، اليس قد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : «أفلا أكون عبداً شكوراً» .

٢٢٥ ورُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «خُيِّرْتُ بَيْنَ أَنْ أَكُونَ نَبِيًّا مَلِكًا وَنَبِيًّا عَبْدًا ؛ فَأَشَارَ إِلَى جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : تَوَاضَعُ ، فَقُلْتُ : بَلْ نَبِيًّا عَبْدًا» .

فلو كان بين الخلق والله تعالى درجةً أَعْلَى من درجة العبودية لم يَفُتْ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله جلّ وعلا كان يُعْطِيهِ ذَلِكَ . وبالله التوفيق .

(١) الفرقان : ٦٣ (٢) الحجر : ٤٩ (٣) الأنبياء : ٢٦ (٤) ص : ٤٥
(٥) ص : ٤١ (٦) ص : ٣٠ (٧) الحجر : ٩٩

باب في ذكر من غلط من أهل العراق في الإخلاص

قال الشيخ رحمه الله : وزعت الفرقة الضالة من أهل العراق [وغيره] :
أن الإخلاص لا يصح للعبد ، حتى يخرج عن رؤية الخلق ، ولا يوافقهم في جميع
ما يريد أن يعمل ، كان ذلك حقاً أو باطلاً .

وإنما ضلت هذه الفرقة لأن جماعة من أهل الفهم والعرفة تكلموا في حقيقة
الإخلاص : أن لا يَصْفُو لهم ذلك حتى لا يبقى على العبد بقية من رؤية الخلق
والكون وكل شيء غير الله تعالى ، فظنت هذه الفرقة وطعت أن ذلك يصح لهم
بالدعوى ، والتقليد ، والتكلف قبل سلوك مظاهرها ، والتأدب بآدابها ،
والابتداء ببدايتها ، حتى يؤديه ذلك إلى نهايتها حالا بعد حال ، ومقاماً بعد
مقام ، فأدام الدعوى ، والطمع الكاذب ، إلى قلة المبالاة ، وترك الأدب ،
ومجاوزة الحدود ؛ فأسرم الشيطان ، وغلبتهم النفس والهوى ، بما خيل إليهم :
أنهم ، برسم المخلصين ، في الإخلاص ، وهم في عين الضلالة والانتقاص ،
وأنتى لهم من ذلك الخلاص ؟

وقد خفيت عليهم - لشقاوتهم - أن العبد المطلوب بدرجة الإخلاص هو : العبد
المهذب المؤدب ، الذي هجر السيئات ، وجرّد الطاعات ، وعمل في الإرادات ،
ونازل الأحوال والمقامات ، حتى أداه ذلك إلى صفاء الإخلاص ١١١

فأما من هو أسير هواه ، ورهين نفسه وشيطانه ، وهو في « ضلّاتٍ بقضها
فوق بعضٍ إذا أخرج يده لم يكذب يراها »^(١) .

فهمو محبوب عن حال أهل البدايات ، فكيف يصلُ إلى ما بعد ذلك ؟
 فنل هؤلاء : كئل من سمع بالجوهرة النفيسة : أنها تكون صافية مدورة ،
 فوقع في يده خرزة من الزجاج فُعجبته تلك ؛ لأنها مدورة صافية ، فلما احتاج
 إليها حملها إلى من يعرف الجواهر ، فقال له : هي زجاجة لا قيمة لها ، فلم يدعه
 الجهل والطمع [الكاذب] أن يرى بها من قلة معرفته بالزجاج والجوهر .
 فمؤلاء كل يوم في ضلالتهم يخسرون ، وفي طغيانهم يعمهون .
 أعاذنا الله وإياكم .

باب في ذكر من غلط في النبوة والولاية

قال الشيخ رحمه الله : ثم خلت فرقة أخرى في تفضيل الولاية على النبوة ، ووقع غلطهم في قصة موسى والخضر عليهما السلام ، وتفسكرهم في ذلك برأيهم .
إذ يقول جل وعز : « عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا »^(١) .

ثم قال لموسى عليه السلام ، مع تخصيصه بالكلام والرسالة وما كتب الله له :
« فِي الْأَنْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةٌ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ »^(٢) ، يقول له الخضر عليه السلام : « إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا »^(٣) .

فيقول له موسى عليه السلام : « لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ، وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا »^(٤) إلى آخر القصة .

فظننت هذه الطائفة الضالة ، أن ذلك نقص في نبوة موسى عليه السلام ، وزيادة للخضر عليه السلام على موسى في الفضيلة ، فأدّاهم ذلك إلى أن فضلوا الأولياء على الأنبياء عليهم السلام .

وقد ذهب عنهم أن الله ، جل وعز ، يخص من يشاء بما يشاء . كيف يشاء ، كما خص آدم عليه السلام بسجود الملائكة له . وخص نوح عليه السلام بالسفينة . وصالح عليه السلام بالناقة . وإبراهيم عليه السلام بأن جعلت عليه النار برداً وسلاماً . وخص موسى عليه السلام بامصا . وخص عيسى عليه السلام

(٢) الأعراف : ١٤٥

(٤) الكهف : ٧٣

(١) الكهف : ٦٥

(٣) الكهف : ٦٧

بإحياء الموتى . وخصّ نبينا صلى الله عليه وسلم بانشقاق القمر ، ونبع الماء بين أصابعه .

فأما غير الأنبياء عليهم السلام :

فقد ذكر الله تعالى مَرِيَمَ حيث يقول : « وَهَرَمَى إِلَيْكَ بِحِذِّعِ النَّخْلَةِ نَسَاطِطُ عَيْنِكَ رُطْبًا جَنِيًّا » (١) ، ولم تكن مَرِيَمُ نَبِيَّةً ، ولم يكن ذلك لغيرها من الأنبياء عليهم السلام ، ولا يجوز لقائل [أن يقول] : إنها تزيد بالفضل على الأنبياء عليهم السلام .

وآصف بن برخياء : كان عنده علمٌ من الكتاب حتى أتى بعرش بلقيس قبل أن يرتد [إليه] طَرْفُهُ ، فكيف يجوز أن تقول : إنه أنمٌ من سليمان عليه السلام مع ما آتاه الله تعالى من النبوة والفهم والملك ؟
وقد سمعتَ بقصة المذمّد ، وكان قد خُصَّ بمعرفة المياه ، لم يخصّ بذلك غيره من الطيور وغيرها : من الجنّ والإنس .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَفَرَضْتُكُمْ زَيْدًا ، وَأَفَرَضْتُكُمْ أَبِي » ، وأغلهُكم بالحلال والحرام مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ « رضى الله عنهم .

وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشرة من الصحابة بالجنة ليس هؤلاء فيهم ، ونحن نعلم أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه أفضلُ منهم .
ومثل ذلك كثير

وكل ولى من الأولياء يقال ما ينل من الكرامة بحسن اتباعه لنبيه صلى الله عليه وسلم ، فكيف يجوز أن يفضل التابع على المتبوع ، والمقتدى على المقتدى به ؟ وإنما يعطى الأولياء رشاشة مما يعطى الأنبياء عليهم السلام .

والذي قال : إن الأنبياء عليهم السلام يُوحى إليهم بواسطة ، والأولياء يتلقون من الله بلا واسطة ، فيقال لهم : غلظتم في ذلك ؛ لأن الأنبياء عليهم السلام ، هذا حالهم على الدوام ، يعنى الإلهام ، والمناجاة ، والتأقّف من الله عز وجل ، بلا واسطة ، والأولياء وفقاً دون وقت .

وللأنبياء عليهم السلام الرسالة ، والنبوة ، ووحىٌ ينزل جبريل عليه السلام ، وليس للأولياء ذلك .

ولو بدّت ذرّة على الخضر عليه السلام من أنوار موسى عليه السلام ، ونخصيصة بالكلام ، لا متحقّ الخضر عليه السلام ، ولكن حجب الحقّ عن ذلك تهذيباً وزيادة لموسى عليه السلام ، فافهم ذلك إن شاء الله تعالى .

والولاية والصدقية منوّرة بأنوار النبوة ، فلا تلحق النبوة أبداً ، فكيف تفضّل عليها ؟

باب في ذكر الفرقة التي غلطت في الإباحة والحظر

والردّ عليهم

قال الشيخ رحمه الله : ثمّ زعمت الفرقة الضالة ، في الحظر والإباحة ، أن الأشياء في الأصل مُباحة ، وإنما وقع الحظر للتعدّي ، فإذا لم يقع التعدّي تكون الأشياء على أصلها من الإباحة ، وتأولوا قول الله عزّ وجلّ :

﴿ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَّكُمْ وَلَآئِنَّمِ لَكُمْ ﴾ (١)

فقالوا : هذا على الجملة غير مفصل ، فأدّاهم ذلك بجهلهم ، إلى أن طمعت نفوسهم بأن المحظور المنوع منه المسلمون : مباح لهم ، إذا لم يتمدّدوا في تناوله .

وإنما غلطوا في ذلك بدقيقة خَفِيَتْ عليهم ، من جهلهم بالأصول ، وقلة حظهم من علم الشريعة ، ومتابعتهم شهوات النفوس في ذلك ؛ لأنهم سمعوا بمكارم الأخلاق ، وحُسن عشرة ، ومؤاخاة ، كانت بين جماعة من المشايخ المتقدمين ، تجرى بينهم أحوال : من رفع الحُشمة والبسط ، بعضهم مع بعض ، حتى كان أحدهم يمرّ إلى دار أخيه ، ويمدّ يده فيأكل من طعامه ، ويأخذ من كسبه حاجته ، ويفتقد أحوال أخيه وهو غائب كما يفقد نفسه .

وهذا ، كما حُكي عن فتح الموصول : أنه مرّ إلى دار بعض إخوانه ، فقال لجاريته : أخرجي لي كيس أخى ، فأخرجته إليه ، فأخذ منه حاجته ، فلما رجع أخوه إلى البيت أخبرته الجارية ، فقال : إن كنت صادقة فانت حُسرة لوجه الله تعالى .

وكما ذكر الحسن البصري رحمه الله ، أنه كان يأكل من رهوس زنايل أخيه من إخوانه وهو غائب ، فسئل عن ذلك قال : يا أُلْكَعُ ، وهل كان الناس قَبْلَنَا إلا مثل هذا ؟ كان أحدهم يمرُّ إلى بيت أخيه ، فيأخذ من طعامه ، ويأخذ من دراهمه ، يريد بذلك إدخال السرور على أخيه ، ويعلم أن ذلك أحبُّ إليه من حُمُر النَّعَمِ .

وكذلك جماعة ، كانوا يقولون ليس بين هذه الطائفة مؤاسة ، إنما استنَّ مذهبهم على المؤاسة .

كما قال إبراهيم بن شَيْبَانَ : كُنَّا لَا نَصْحَبُ مَنْ يَقُولُ : نَفْسِي ؛ وَمِثْلُ ذَلِكَ كَثِيرٌ .

فظنَّت هذه الطائفة الضالَّة بالإباحة ، لأن ذلك كان منهم على حال ، جاز لهم تَرْكُ الحدود ، أو أن يجاوزوا حدَّ متابعة الأُسر والنهي ؛ فوقعوا من جَهْلِهِمْ في التَّيِّه ، وتاهوا ، وطلبوا ما مالت إليه نفوسهم : من اتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ ، وتناول الحظوظات ؛ تأويلاً ، وحَيْلًا ، وكذبًا ، وتمويهًا .

والذي زعم أن الأشياء في الأصل مباحةٌ ، فهلاً قال : إن الأشياء في الأصل محظورة ، وإنما وقعت إباحتها بالأُسر والنهي ، في التوسعة والرُّخص ، حتى لا يقع في الغلط ، مَمَّا أن الحلال : ما حله الله تعالى ، والحرام : ما حرَّمه الله تعالى .

وإيس أحد من المؤمنين مستعبدًا باستعمال الشرائع المتقدمة ، ولا باستعمال ما كان عليه الأوتار ، بل المؤمنون : مستعبدون بالانتماء لما أمرهم الله تعالى به ، والابتغاء عما نهاهم الله عنه ، واجتناب ما اشتبه عليهم .

نقول النبي ، صلى الله عليه وسلم : « الحلال بيِّنٌ والحرام بيِّنٌ وبينهما أمورٌ ٢٢٧ مشتهباتٌ ، وحرامُ الله حَيٌّ ، فمن وقع حول الحَيِّ يوشك أن يقع فيه » .

وليس قول من زعم أن الأشياء في الأصل على الإباحة ، بأولى من قول من يقول : إن الأشياء في الأصل محظورة ، وإذا استملك لا يبيع ذلك لأحد إلا بحجة .

وليس هذا من قياس النجاسة والطهارة ؛ لأن الأشياء عند الفقهاء وجماعة من أهل العلم في الأصل طاهرة ، حتى يقوم الدليل على نجاستها ، والفرق بين هذا وبين ذلك : أن النجاسات والطهارات تدخل في العبادات والحظر ، والإباحة تقع على الأملاك ، وما وقع عليه الملك لا يبيع ذلك لأحد إلا بدليل وحجة .
وبالله التوفيق .

باب في ذكر غلط الحلوية ، وأقاولهم

على ما بلغنى ، فلم أعرف منهم أحداً

ولم يصح عندي شيء غير البلاغ

قال الشيخ ، رحمه الله : بلغنى أن جماعة من الحلوية ، زعموا أن الحق ، تعالى ذكره : اصطفى أجساماً حل فيها ، بمعاني الربوبية ، وأزال عنها معاني البشرية . فإن صح عن أحد [أنه] قال هذه المقالة ، وظن أن التوحيد أبدى له صفحته بما أشار إليه ، فقد غلط في ذلك ، وذهب عليه أن الشيء في الشيء مجانس للشيء الذي حل فيه ، والله ، تعالى ، بائن من الأشياء ، والأشياء بائنة منه بصفاتهما ، والذي أظهر في الأشياء : فذلك آثار صنعته ودليل ربوبيته ؛ لأن المصنوع يدل على صانعه ، والمؤلف يدل على مؤلفه .

وإنما ضلت الحلوية ، إن صح عنهم ذلك ؛ لأنهم لم يميزوا بين القدرة التي هي صفة مقادر ، وبين الشواهد التي تدل على قدرة القادر وصنعة الصانع ، فتاهت عند ذلك .

فبلغنى أن منهم من قال بالأنوار :

ومنهم : من قال بالنظر إلى الشواهد المستحسنات نظراً مجهول .

ومنهم : من قال : حال في المستحسنات وغير المستحسنات .

ومنهم : من قال : حال في المستحسنات فقط .

ومنهم : من قال : على الدوام .

ومنهم : من قال : وقتاً دون وقت فيما بلغنى .

فن صح عنه شيء من هذه المقالات : فهو ضال بإجماع الأمة ، كافر ، يلزمه

الكفر فيما أشار إليه

والأجسام التي اصطفاه الله تعالى أجسام أوليائه وأصفياه : اصطفاه بطاعته
 وخدمته ، وزينها بهدايته ، وبين فضلها على خلقه
 والله ، تعالى ، موصوف بما وصف به نفسه ؛ كما وصف به نفسه « ليس كمثل
 شيء هو السميع البصير » .

والذي غلط في الحلول ، غلط لأنه لم يحسن أن يميز بين أوصاف الحق وبين
 أوصاف الخلق ؛ لأن الله ، تعالى ، لا يحل في القلوب ، وإنما يحل في القلوب الإيمان
 به ، والتصديق له ، والتوحيد والمعرفة ، وهذه أوصاف مصنوعاته ، من جهة صنع
 الله بهم ، لا هو بذاته أو بصفاته ، يحل فيهم .
 تعالى الله عز وجل ، عن ذلك علواً كبيراً ؟ .

باب في ذكر من غلط في فناء البشرية

قال الشيخ ، رحمه الله : أما القوم الذين غلطوا في فناء البشرية : سمعوا كلام المتحققين في الفناء ، فظنوا أنه فناء البشرية ، فوقعوا في الوسوسة : فمنهم من ترك الطعام والشراب ، وتوهم أن البشرية ، هي القالب ، والجنسة إذا ضعفت زالت بشريتها فيجوز أن يكون موصوفا بصفات الإلهية .

ولم تحسن هذه الفرقة الجاهلة الضالة ، أن تفرق بين البشرية وبين أخلاق البشرية لأن البشرية لا تزول عن البشر ، كما أن لون السواد لا يزول عن الأسود ، ولا لون البياض عن الأبيض ؛ وأخلاق البشرية تبدل وتغير بما يرد عليها من سلطان أنوار الحقائق ، وصفات البشرية ليست هي عين البشرية .

والذي أشار إلى الفناء : أراد به فناء رؤيا الأعمال والطاعات ببقاء رؤيا العبد لقيام الحق للعبد بذلك .

وكذلك فناء الجهل بالعلم ، وفناء الغفلة بالذكر ، والذي طبع في فناء البشرية : فناء البشرية طبع في ذلك ، وفناء البشرية بالبشرية صفة من صفات البشرية . والذي يتوهم أنه ذهاب النفس وزوال التلوين عن العبد وقتاً دون وقت ، وذهاب البشرية فقد غلط وجهل عن وصف البشرية ؛ لأن التغيير والتلوين من صفة البشرية ، فإذا زال عنها التغيير والتلوين : فقد تغير الآن عن صفتها وتلون عن معناها ؛ لأنها إذا لم تتغير ولم تتلون فقد تغير وتلون عن صفتها .

والله أعلم .

باب ذكر من غلط في الرؤية بالقلوب

قال الشيخ ، رحمه الله : بلغني عن جماعة من أهل الشام ، أنهم يدعون الرؤية بالقلوب في دار الدنيا ، كالرؤية بالعيان في دار الآخرة ، ولم أر أحدا منهم ، ولا بلغني عن إنسان ، أنه رأى منهم رجلا له محصولٌ

ولكن رأيت لأبي سعيد الخزاز ، رحمه الله ، كتاباً كتبه إلى أهل دمشق يقول فيه : بلغني أن بناحيكم جماعة قالوا : كذا وكذا ، وذكر قولاً قريباً من هذا القول ، وبشبه أن في زمانه قوم غلطوا في ذلك وضلوا وتاهوا

والذي قال أهل الحق والإصابة في هذا المعنى ، وأشاروا إلى رؤية القلوب : إنما أشاروا إلى التصديق والمشاهدة بالإيمان ، وحقيقة اليقين .

كما روى في حديث حارثة حيث يقول : « كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزاً »
كما جاء في الحديث بطوله ، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم : « عَبْدٌ نَوَّرَ اللَّهُ ، تَعَالَى ، قَلْبَهُ » أو كما قال ، كما جاء في الرواية .

والذي تاه وتوسوس في هذا المعنى قوم من أصحاب الصُّبْيَانِ من أهل البصرة ، كما بلغني ، وقد رأيت جماعة منهم وذلك : أنهم حملوا على أنفسهم في المجاهدة والسم ، وترك الطعام والشراب والافراد والخلوة ، وكثرة التوكل ، وصحبهم الإحجاب مع ذلك بما هم فيه ، فاصطادهم إبليس لعنه الله ، فخُيِّلَ إليهم : كأنه على عرش أو سرير وله أنوارٌ تتشمش : ففهم من ألقى إلى بعض الأستاذين الذين يعرفون مكاييد العدو ، فمفهوم ذلك ودلوم وردوم إلى الاستقامة .

كما حكي عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله : أن بعض تلامذته قال له يوماً : يا أستاذ ، أما في كل ليلة أرى الله بعين رأسي ، فعلم سهل رحمه الله ، أن ذلك من كيد العدو ، فقال له يا حبيبي : إذا رأيتُ الليلة فإزقْ عليه ، قال : فلما رآه من

ليته بزق عليه ، قال : فطار عرشه . وأغلقت أنواره ، وتخلص من ذلك الرجل ، ولم ير شيئاً بعد ذلك .

ومن لم يقع إلى الأستاذين ، فيدفع ذلك ، ويتكلم بالهوس ، وينسلخ عن دينه بالظنون الكاذبة إلى آخر عمره .

وبلغنى أيضاً أن جماعة هربوا من عبد الواحد بن زيد ، حيث كان يأمرهم بالمجاهدة والمبادة وأكل الحلال والزهد في الدنيا .

وبلغنى أن عبد الواحد ، رحمه الله ، رأى واحداً منهم بعد مدة ، فسأله عن خبره وخبر أصحابه ، فقال : يا أستاذ ، نحن كل ليلة ندخل الجنة ، ونأكل من ثمارها . قال : فقال له : خذوني الليلة معكم . قال : فأخرجوه معهم إلى الصحراء ، فلما جئهم الليل فإذا بقوم عليهم ثياب خضر ، وإذا بساتين وفواكه ، قال : فنظر عبد الواحد إلى أرجل هؤلاء الذين عليهم الثياب الخضر ، فإذا هو مثل حوافر الدواب ، فلم أنهم شياطين ، فلما أرادوا أن يتفرقوا قال لهم : إلى أين تذهبون ؟ أليس إدريس النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لما دخل الجنة لم يخرج منها ؟ قال : فلما أصبحوا فإذا هم على مزابيل بين روث الدواب وبر الحمار ، فتابوا ورجعوا إلى صحبة عبد الواحد بن زيد ، رحمه الله !

وينبغي أن يعلم العبد أن كل شيء رآته العيون ، في دار الدنيا : من الأنوار ، أن ذلك مخلوقٌ ليس بينه وبين الله ، تعالى ، شبهٌ وليس ذلك صفة من صفاته ، بل جميع ذلك خلقٌ مخلوقٌ .

ورؤية القلوب ، بمشاهدة الإيمان وحقيقة اليقين والتصديق حقٌ .

لقول النبي ، صلى الله عليه وسلم « أعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه براك » .

والذي قال من التابعين : لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً ، أشار إلى حقيقة
يقينه وصفاء وقته ، وتكلم بذلك من غليات وجده ، وليس الخبر كالمعاينة في جميع
المعاني في الدنيا والآخرة .

وقد قيل في قول الله ، تعالى ، : « مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى »^(١) بمعنى لم تكذب
بینه ما رآه بقلبه ، ولم يكذب فؤاده ما رآه بعينه .
وهذا خصوصاً للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، ليس لأحد غيره .

باب ذكر من غلط في الصفاء والطهارة

قال الشيخ رحمه الله : وطائفة أدعت الصفا والطهارة على الكمال والدوام ، وأن ذلك لا يزول عنهم ، وزعموا أن العبد يصفو من جميع الكدورات والمَلَل ، بمعنى البينونة منها .

وقد غلطوا في ذلك ؛ لأن العبد لا يصفو على الدوام من جميع الملل ، وإن وقعت له الطهارة وقتاً فلا يخلو من الملل ، وإنما تصفوه وقتاً دون وقت على مقدار أما كهم ، فيذكر الله بنعت الصفاء ، ثم يبقى عليه الذكر مع جريان أدكار الأشياء عليه .

والطهارة تكون لقلب العبد : من الغلّ والحسد ، والشرك والتهم ، فأما الصفاء الذي لا يحمل العلة ، والطهارة من جميع أوصاف البشرية ، على الدوام بلا تلوين ولا تغيير : ليس ذلك من صفات الخلق ؛ لأن الله تعالى هو الذي لا تلحقه الملل ، ولا تقع عليه الأغيار ، وخلق مُراداً بالابتلاء ، أي يخلو من الملل والأغيار وحكمُ العبد ، إذا كان ذلك كذلك : أن يتوب إلى الله ، تعالى ، ويستغفر الله ، تعالى ، في كل وقت .

لقول الله عز وجل : « وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » ^(١) ، كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إنه ليَمَانُ على قلمي فأستغفرُ الله في اليوم مائة مرة) .

باب ذكر من غلط في الأنوار

قال الشيخ ، رحمه الله : وطائفة غلطت في الأنوار ، وزعمت أنها ترى أنواراً ، و [بعضهم] بصف قلوبهم بأن فيه أنواراً ، ويظن [أن] ذلك من الأنوار التي وصف الله تعالى بها نفسه ، وهذه الطائفة تصف ذلك النور بصفة أنوار الشمس والقمر ، وتزعم : أن ذلك من أنوار المعرفة والتوحيد والمظلة ، وتزعم أنها ليست بمخلوقة . وقد غلط هؤلاء في ذلك غلطاً عظيماً ؛ لأن الأنوار كلها مخلوقة : نور العرش ، ونور الكرسي ، ونور الشمس ، والقمر والكواكب ، وليس لله نور موصوف محدود ، والذي وصف الله تعالى به نفسه فليس ذلك بمُدْرَك ولا محدود ، ولا يحيط به علم الخلق ؛ وكل نور تحيط به المعلوم والفهوم : فهو مخلوق ، وأنوار الله ، تعالى ، كلها هدايات الخلق ، وأنوار المصنوعات دلائل وعبرة ؛ ليستدلوا بها على معرفة التوحيد ، يُهْتَدَى بها في ظلمات البر والبحر .

ومعنى أنوار القلوب : معرفة الفرقان والبيان من الله عز وجل ، وذلك قوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا » .^(١)
قالوا في التفسير : نوراً يوضع في القلب حتى يفرق به بين الحق والباطل .
هذا معرفة الأنوار كما ذكرته في الوقت .

باب ذكر من غلط في عين الجمع

قال الشيخ، رحمه الله : وجماعة غلطوا في عين الجمع ، فلم يضيفوا إلى المطلق ما أضاف الله تعالى إليهم ، ولم يصفوا أنفسهم بالحركة فيما تحركوا فيه ، وظنوا أن ذلك منهم احترازاً ؛ حتى لا يكون مع الله شيء سوى الله ، عز وجل ، فأدام ذلك إلى الخروج من الملة ، وترك حدود الشريعة ؛ لقولهم : لأنهم يجبرون على حركاتهم ، حتى أسقطوا اللائمة عن أنفسهم عند مجاوزة الحدود ومخالفة الانبعاث .

ومنهم من أخرجه ذلك إلى الجسارة على التعمد والبطالة وطعمته نفسه على أنه معذور فيما هو عليه مجبور .

وإنما غلط هؤلاء لقلة معرفتهم بالأصول والفروع ، فلم يفرقوا بين الأصل والفرع ، ولم يعرفوا الجمع والتفرقة ، فأضافوا إلى الأصل ما هو مضاف إلى الفرع ، وأضافوا إلى الجمع ما هو مضاف إلى التفرقة ، فلم يحسنوا وضع الأشياء في مواضعها ، فهلكوا .

وقد سئل سهل بن عبد الله ، رحمه الله ، عن ذلك ، كما بلغني ، فقيل له : ما تقول في رجل يقول : أنا مثل الباب لا أتحرك إلا أنت يحركوني ؟ قال سهل بن عبد الله : هذا لا يقوله إلا أحد رَجُلَيْن : إما رجل صديق ، أو رجل زنديق .

والمنع فيما قال سهل ، رحمه الله : الصديق يرى قوام الأشياء بالله ، ويرى كل شيء من الله تعالى ، ويرجع في كل شيء إلى الله ، عز وجل ، مع معرفة ما يحتاج إليه : من الأصول والفروع ، والحقوق والحظوظ ، والمعرفة بين الحق والباطل ،

ومتابعة الأمر والنهي ، وحسن الطاعات ، والقيام بشرط الأدب ، وسلوك المنهج على حد الاستقامة .

وأما معنى قول الزنديق بهذه المقالة ، فإنما يقول ذلك ، حتى لا يزجره شيء من ركوب المعاصي ، أنه أداه جهله إلى الجسارة والاعتداء بإضافة أفعاله وجميع حركاته إلى الله تعالى ؛ حتى أزال اللائمة عن نفسه في ركوب المآثم بفؤاية الشيطان وتسويله ، وتأويل الباطل .

أعاذنا الله وإياكم من ذلك !

باب في ذكر من من غلط في الأنس والبسط وترك الخشية

قال الشيخ ، رحمه الله : وطبعة أشاروا إلى القرب والأنس ، وتوهموا أن بينهم وبين الله ، عز وجل ، حال من القرب والدنو ، فأحشهم ، عند ذلك للتوهم ، الرجوع والاتفات إلى الآداب التي كانوا براعونها ، والحدود التي كانوا يحفظونها قبل ذلك ، فانبسطوا إلى ما كانوا محتشمين ، وأنسوا بأشياء كانوا عنها مستوحشين من قبل ذلك ، وتوهموا أن ذلك قريبهم ودنوم .

وقد غلطوا في ذلك وهلكوا ، لأن الآداب والأحوال والمقامات : خلَّع من الله تعالى : على عباده وكرامة لهم ، وهم مستوجبون الزيادة ، إذا صدقوا في قصودهم ، فتي ما تركهم وخلاهم عن توفيقه وعنايته بهم ، حتى جاوزوا الحدود ، وخالفوا ما أمروا به : قد نكصوا على أعقابهم ، وسلبوا الخليل التي أكرموا بها من الطاعات ، وقد طردوا من الباب ، وصارت سمته سم الطرودين ، وهم عندهم أنهم من المقبولين ، وكلا توهموا أن الذي هم عليه قرب ودنو ، ازدادوا بذلك من الله سخفاً وبعداً .

وهذا كما حكى [عن] ذي النون رحمه الله ، أنه قال : ينبغي للعارف أن لا يطنى نور معرفته نور ورعه ، ولا يستفقد باطناً من العلم ينقض عليه ظاهراً من الحكم ، ولا تحمله كثرة الكرامة من الله تعالى على هتك أسرار محارم الله تعالى .

كما كان يقول بعض الحكماء : اللهم لا تشغلني بك عنك ، واشغلني بطلبك ، بعد ما كنت لي من غير طلب .

فهذا على المعنى ، والله أعلم بالصواب .

باب في ذكر من غلط في فنائهم عن أوصافهم

قال الشيخ ، رحمه الله : وقد غلطت جماعة من البخداديين في قولهم : إنهم عند فنائهم عن أوصافهم ، دخلوا في أوصاف الحق ، وقد أضافوا أنفسهم ، بجهلهم ، إلى معنى يؤدبهم ذلك إلى الحلول ، أو إلى مقالة النصارى في المسيح ، عليه السلام .
وقد زعم أنه سمع [عن] بعض المتقدمين ، أو وجد في كلامه : أنه قال في معنى الفناء عن الأوصاف والدخول في أوصاف الحق .

فالغنى الصحيح من ذلك : أن الإرادة للعبد ، وهى من عند الله : عطية ، ومعنى خروج العبد من أوصافه والدخول في أوصاف الحق : خروجه من إرادته ودخوله في إرادة الحق وبمعنى أن يعلم أن الإرادات : [هى عطية من الله تعالى ، وبمشيئة شاء وبفعله جعل له ما بعطية ذلك قطعه عن رؤية نفسه حتى ينقطع بكليته] إلى الله تعالى : وذلك منزل من منازل أهل التوحيد .

وأما الذين غلطوا في هذا المعنى ، إنما غلطوا بدقيقة خفيت عليهم ، حتى ظنوا : أن أوصاف الحق هى الحق ، وهذا كله كفر ، لأن الله تعالى ، لا يحل في القلوب ، ولكن يحل في القلوب الإيمانُ به ، والتوحيدُ له ، والتعظيمُ لذكره ، بمعنى التحقيق والتصديق .

ولا فرق في ذلك بين الخاص والعام ، غير أن للخاصة معنى يتفردون به ، وهو مفارقتهم دواعي الهوى ، وإفناء حظوظهم من الدار وما فيها ، وخلص أسرارهم بمن آمنوا به .

وسائر العوام مجبورون عن هذه الحقائق بانقيادهم للهوى ومطاوعتهم للنفوس .
فهذا هو الفرق بين الخاص والعام في هذا المعنى .
وبالله التوفيق .

باب في ذكر من غلط في فقد الحسوس^(١)

قال : وزعمت طائفة من أهل العراق أنهم يفقدون حسهم عند المواجه ، حتى لا يحسوا بشيء ، ويخرجوا عن أوصاف الحسوسين ، وقد غلطوا في ذلك ، لأن فقد الحس لا يملئه صاحبه إلا بالحس ، لأن الحس صفة بشرية ، وإن غلب عليه بادي من الواردات التي ترد على الأسرار وتقهرها بسلطانها ، فيطمئن ويمتتحق ، ويكون مثل ذلك كمثل الكواكب : إذا طلع عليها سلطان أنوار الشمس ، تطمس أنوار الكواكب ، وهي ممسحة في أماكنها .

فكذلك الحس لا يزول ولا يفقد على البشر الحى ، ولكن ربما يغيب العبد عن حسه بحسه عند المواجه الحادة عن الأذكار القوية .

كما حكى جعفر الخليلي فيما قرأت عليه عن الجنيد ، رحمه الله : أنه قال : سألت سرى السقطي ، رحمه الله : عن المواجه الحادة ، عند الأذكار القوية ، مما يقوى على العبد ، فقال : نعم يضرب وجهه بالسيف ولا يحس ، وإنما يعنى بقوله ، والله أعلم : لا يحس ، يعنى لا يجد الماء ، وهو بالحس لا يجد الماء كما أنه بالحس كان يجد الماء .

وما دام في العبد روح ، وهو حى : لا يزول عنه الحس ، لأن الحس مقرون بالحياة والروح .
وبالله التوفيق .

باب في ذكر من غلط في الروح

قال الشيخ رحمه الله : نَمَّ جماعة غلطوا في الأرواح ، وهم طبقات شتى ، كلهم تاهوا وغلطوا ؛ لأنهم تفكروا في كيفية ما رفع الله عنه الكيفية ونزّاهه عن إحاطة العلم في أن يصفه أحدٌ إلا بما وصفه الله به .

وقومٌ قالوا : الروح نور من نور الله ، فتوهّموا أنه نورٌ ذاته فهلكوا .
وقوم قالوا : حياة من حياة الله تعالى .

وقوم قالوا : الأرواح مخلوقة ، وروح القدس من ذات الله تعالى .

وقوم قالوا : أرواح العامة مخلوقة ، وأرواح الخاصة ليست بمخلوقة .

وقوم قالوا : الأرواح قديمة ، إنها لا تموت ، ولا تعذب ، ولا تُنبئ .

وقوم قالوا : الأرواح تتناسخ من جسم إلى جسم .

وقوم قالوا : للكافر روح واحد ، وللمؤمن ثلاثة أرواح ، وللأنبياء والصدّيقين خمسة أرواح .

وقوم قالوا : الروح خلقٌ من النور .

وقوم قالوا : الروح روحانية خلقت من الملكوت ، فإذا صفت رُجعت إلى الملكوت .

وقال قوم : الروح روحان : روح لاهوتية ، وروح ناسوتية .

وهؤلاء كلهم قد غلطوا فيما ذهبوا إليه ، وضلّوا ضلالاً مُبيناً ، وجعلوا ما يلزمهم في ذلك من الخطأ ، وذلك من تمثّلهم وتفكّرهم بأرائهم فيما منع الله تعالى قلوب العباد من التفكّر فيه بقوله تعالى :

« وَبَسَّأَ لَوْلَاكَ عَنِ الرُّوحِ قُلُوبُ الرُّوحِ مِنْ أَمْرِ رَبِّي » (١).

والذي عليه أهل الحق والإصابة عندي ، والله أعلم : أن الأرواح كلها مخلوقة ، وهي أمر من أمر الله تعالى ، ليس بينها وبين الله تعالى سبب ولا نسبة غير أنها من ملكه وطوعه وفي قبضته ، غير متناسخة ، ولا تخرج من جسم فتدخل في غيره ، وتذوق الموت كما يذوق البدن ، وتتعمق بنفعه للبدن ، وتعذب بعذاب البدن ، وتحشر في البدن الذي تخرج منه .

وخلق الله تعالى روح آدم عليه السلام من الملائكة ، وجسمه من التراب . ولكل فرقة من هؤلاء الذين ذكرت لهم في غلطهم احتجاجات ، ولأهل الحق والإصابة رد عليهم ، وبيان واضح لغلطهم .

وقد اختصرت ذكر ذلك لسكراهية التطويل ، وفيما ذكرت كفاية وبلغت لمن عقل من المسترشدين والراغبين في هذا العلم ، إن شاء الله تعالى .

نَمَّ الْكِتَابَ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ مَا زَهَرَ كَوْكَبٌ ، وَمَا أَظْلَمَ غَيْبٌ ،
وَمَا وَضَحَ فَجْرٌ ، وَمَا غَبَرَ دَفَرٌ ، وَمَا عَرَضَ فِكْرٌ ، وَمَا ذَكَرَ ذَاكِرٌ ،
وَمَا سَارَ سَائِرٌ ، وَمَا هَطَلَ هَاطِلٌ ، وَمَا أَفَلَ آفَلٌ ، وَمَا نَطَقَ قَائِلٌ ، وَمَا امْتَدَّ
الظِّلُّ ، وَمَا دَرَّ الدَّوَابِلُ ، وَمَا عُرِفَ الْكَلَامُ ، وَمَا بَقِيَ الْأَنَامُ ، وَمَا حَسُنَ
الْإِسْلَامُ ، وَمَا عَمَسَ الدِّينُجُورُ ، وَمَا اخْتَلَفَ الظَّلَامُ وَالنُّورُ ، وَمَا قُلِقَ
الْإِصْبَاحُ ، وَمَا هَبَّتِ الرِّيَاحُ ، وَمَا سَبَحَتِ الْأَمْلاكُ ، وَمَا جَرَتْ الْأَفْلاكُ ،
وَمَا زَالَ قَيْءٌ ، وَمَا بَقِيَ حَيٌّ ، وَمَا عُدَّ عَدَدٌ ، وَمَا بَقِيَ الْأَبَدُ ، وَمَا نَطَقَ
لِسَانٌ ، وَصَدَقَ عِيَانٌ ، وَمَا دَرَّ الْقَطَرُ ، وَمَا امْتَدَّ الدَّهْرُ ، وَمَا اضْطَرَبَتْ
الْأَمْوَاجُ ، وَمَا أَضَاءَ السَّرَاجُ ، وَمَا تَلَأَلَّتِ الْأَنْوَاءُ ، وَمَا اِعْلَنَتْ الظُّلُمَاءُ ،
صَلَاةٌ دَائِمَةٌ عَلَى الْأَبَدِ ، مُتَّصِلَةٌ بِلَا نِهَايَةَ وَلَا أَمَدٍ .

فَرَعَتْهُ فِي عَاشِرِ رَجَبٍ الْآخِرِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتَمَانِينَ وَسِتِّمِائَةٍ .

تخریج احادیث
کتاب التَّغ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رقم
الصفحة مسلسل

العلماء ورتبة الأنبياء : ١ ٢٢

قال الحافظ العراقي : أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه ،
وابن حبان في صحيحه ، من حديث أبي الدرداء ، ورواه الإمام
أحمد عنه ، والحاكم عن صفوان المرادي .
وقال الحافظ بن حجر : له طرق تشهد بأن له أصلاً ،
وحسنه حمزة الكفائي .

٢ ٢٢ حديث جبريل عليه السلام ، عن الإسلام والإيمان والإحسان ،
في الصحيحين ، وأبي داود ، وابن ماجه عن أبي هريرة . .
وفي مسند الإمام أحمد ، والبخاري عن ابن عباس ، ومسلم ، وأصحاب
السنن عن عمر ، والبخاري عن أنس .

٣ ٢٣ الناس سواء كأستنان المشط :

أخرجه الديلمي عن سهل بن سعد ، وله عن أنس : الناس
مستوون كأستنان المشط ، ليس لأحد على أحد فضل إلا بقوى الله .

٤ ٢٥ من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار :

رواه الشيخان عن علي ، والبخاري عن مسعدة مرفوعاً وهو من
المتواتر ، ورواه عنه صلى الله عليه وسلم أكثر من تسعين صحابياً ،
منهم العشرة المبشرة بالجنة .

رقم
الصفحة مسلسل

٢٥ • نضر الله وجه امرئ سمع مني حديثاً قبله :

رواه أصحاب السنن من حديث ابن مسعود وغيره ، ورواه أحمد وابن ماجه ، من حديث أنس ، وابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود ، إلا أنه قال : رحم الله امرأ .

وقال الترمذى : حسن صحيح ، وبمعناه عن زيد بن ثابت ، رواه أصحاب السنن ، وابن جبير بن مطعم ، رواه الإمام أحمد ، وابن ماجه ، والطبرانى من الكبير ، ولأحمد طريق عن صالح ابن كيسان عن الزهرى بسند حسن ، وقد ذكره السيوطى في الأحاديث المتواترة .

٢٧ ٦ من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين :

رواه الإمام أحمد ، والشيخان ، وابن ماجه من حديث معاوية ، والترمذى عن ابن عباس وصححه ، والبزار ، والطبرانى في الكبير عن ابن مسعود بسند لا بأس به ، وفي الحلية عنه بسند حسن : من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، ويلهمه رشده .

٢٩ ٧ أهدى عدوك نفسك التى بين جنبيك :

« أعدى أعدائك نفسك التى بين جنبيك » :

رواه البيهقى في الزهد عن ابن عباس بإسناد ضعيف ، وله شاهد من حديث أنس .

٣٠ ٨ حديث الحارث بن مالك : فما حقيقة إيمانك ؟ فقال : عزفت نفسي عن الدنيا .

رواه البزار بسند ضعيف عن أنس ، والطبراني في الكبير .
من حديث الحارث بن مالك ، وسنده ضعيف أيضا .

٣١ ٩ أدبني ربي فأحسن تأديبي .

رواه العسكري عن علي ، وابن السمعاني عن ابن مسعود ،
وفي الدرر أن الفضل بن ناصر صححه ، وفي الآلية المنشورة للحافظ
ابن حجر: معناه صحيح ، لكن لم يأت عن طريق صحيح .

٣٤ ١٠ رب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره وإن البراء منهم:
هكذا أورده المصنف ، لكن رواه مسلم وغيره بلفظ « رب
أشعث أغبر مدفوع إلى الأبواب لو أقسم على الله لأبره » .

٣٤ ١١ استفت قلبك وإن أفنوك وأفتوك :

هكذا رواه الإمام أحمد في المسند ، ورواه البخاري في تاريخه ،
والدارمي في سننه ، والطبراني وحسنه النووي في رياض الصالحين ،
بلفظ « استفت نفسك وإن أفنك المفتون » .

٣٤ ١٢ يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب :
رواه البخاري ، ومسلم .

٣٨ ١٣ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا :

عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : إني أرى ملائكة ، وأسمع ملائكة تسمعون أطت السماء
وحق لها أن تثط ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك واضع جبهته
(٣٦ - الم)

رقم
الصفحة مسلسل

ساجد لله ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، ولما تلذذتم بالنساء على الفراش ، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله ، والله لوددت أني شجرة تعضد ، والله لوددت أني شجرة تعضد . مدرج في الحديث من كلام أبي ذر ، ورواه البخاري باختصار ، والحاكم وصححه ، والترمذي إلا أنه قال : ما فيها موضع أربع أصابع ، وأوله عند أحمد ، والشيخان من حديث أنس ، وفي أفراد البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها ، ورواه الحاكم والطبراني من حديث أبي الدرداء ، وصححه الحاكم ، وأقره الذهبي .

٣٨ ١٤ اختصاص حذيفة بعلم أسماء المنافقين

في الصحيحين عن أبي الدرداء ، ومسلم عن حذيفة ، وفي صحيح البخاري عن زيد بن وهب

٣٨ ١٥ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، علفي رسول صلى الله عليه وسلم سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك أحدا غيري

في الحلية لأبي نعيم وعن ابن عباس قال : كنا نتحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم عهد إلى علي سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك أحدا غيره ، في الحلية لأبي نعيم . عن ابن عباس قال : كنا نتحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم عهد إلى علي سبعين عهدا لم يمهده إلى غيره

٤٠ ١٦ لبس الصوف دأب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

كانت الأنبياء يستحبون أن يلبسوا الصوف ، رواه الحاكم موقوفا على عبد الله بن مسعود وقال : صحيح على شرطهما

رقم
الصفحة
سلسل

عن أبي بكر رضي الله عنه أنه كان يقول : أى أرض تظلمنى وأى
سما تظلمنى إذا قلت فى كتاب الله عز وجل برأى ؟ رواه أبو عبيد
القاسم بن سلام عن إبراهيم التيمي ولم يدرك إبراهيم التيمي الصديق
رضي الله عنه وصح بمناه عن عمر رضي الله عنه ، رواه ابن جرير
عن أنس .

٤٨ ١٧

من كلام الصديق رضي الله عنه . سبحان من لم يخلق طريقا
إلى معرفته إلا بالسجدة عن معرفته ، تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا
فى الله فإنكم لن تقدروا قدره . رواه أبو نعيم عن ابن عباس .
وروى الطبراني فى الأوسط والبيهقى فى الشعب نحوه عن ابن عمر .
وروى أحمد والطبراني وأبو نعيم نحوه عن عبد الله بن
سلام وأسانيدها ضيفة لكن اجتماعها يكسب السند قوة والمعنى صحيح
وفى صحيح مسلم . عن عائشة عنه صلى الله عليه وسلم لا أحصى ثناء
عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك

٥٧ ١٨

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ويده كتابان . أخرجه الترمذى
من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقال : حسن صحيح غريب
وأخرجه الطبراني فى الكبير عن ابن عمر وفيه عبد الوهاب بن مجاهد
ضعيف .

٦٠ ١٩

وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون

٦٣ ٢٠

قال ابن عباس : ليعرفوني ، نقله الحافظ بن كثير فى التفسير عن

ابن جريج عنه . راجع الطبرى

رقم
الصفحة مسلسل

- ٦٥ ٢١ الأزواح جنود مجندة
البخارى عن عائشة والإمام أحمد ومسلم وأبو ذر عن أبي هريرة
والطبراني، عن ابن مسعود
- ٦٦ ٢٢ خير الذكر، الخفي
الإمام أحمد وابن حبان وأبو عوانة في صحيحيهما، والبيهقي في
الشعب عن سعد ابن أبي وقاص وصححه السيوطي. وفيه محمد بن
عبد الرحمن أبي ليثة، قال الحافظ الهيثمي: ابن عبد الرحمن وثقه ابن
حبان وضعفه معين وبقية رجاله رجال الصحيح
- ٧٠ ٢٣ ملاك دينكم الورع. خير دينكم الورع. أبو الشيخ في الثواب بسند
حسن قاله السيوطي والبخاري والطبراني في الأوسط عن حذيفة مرفوعا
فضل العلم خير من فضل العبادة وخير دينكم الورع. وسنده حسن
والطبراني عن ابن مرفوعا «أفضل العبادة الفقه وأفضل الدين الورع»
وفي إسناده محمد بن أبي يعلى قاله المنذرى
- ٧٠ ٢٤ الإنم ما حاك في الصدر. البر حسن الخلق. والإنم ما حاك في
صدرك، الإمام أحمد ومسلم والترمذي عن النواس بن سميان والبخاري
في الأدب المفرد، والإمام أحمد نحوه عن أبي ثعلبة والإمام أحمد عن
وابصة بسند حسن.
- ٧١ ٢٥ استفت قلبك مكرر
- ٧٣ ٢٦ لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة
ماء، من حديث سهل بن سعد رواه الترمذي وقال: حسن صحيح
وابن ماجه مثله. وعند أحمد في الزهد عن أبي الدرداء موقوفا

رقم الصفحة	رقم مسلسل	
٧٤	٢٧	الفقر أزين بالعبد المؤمن من العذار الجيد على خد الفرس ، الطبراني عن شداد بن أوس : رلا يصح سنده ، والمعروف أنه من كلام عبد الرحمن ابن زياد بن أنعم كما رواه ابن عدى فى الكامل
٧٧	٢٨	ذكرى كما وضع النشار عليه إن أنت إلى آخره عن وهب من أخبار بنى إسرائيل ولا تصح نسبته إلى النبى صلى الله عليه وسلم أعبد الله كأنك تراه حديث جبريل فى الصحيحين الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، عن عمر وأبى هريرة وأحمد عن ابن عباس والبخارى عن أنس رضى الله عنهم
٨٢	٢٩	أعبد الله كأنك تراه وعد نفسك فى الموتى وإياك ودعوات المظلوم ، الطبراني عن أبى الدرداء وحسن السيوطى سنده وضعفه المنذرى وقال الحافظ الميثمى : الرجل الذى من النفع لا أعرفه « أعبد الله ولا تشرى به شيئاً واعمل كأنك تراه واعد نفسك فى الموتى » رواه الطبراني والبيهقى عن معاذ . قال الحافظ العراقى : رجاله ثقات وفيه انقطاع « أعبد الله كأنك تراه . فإن لم تكن تراه فإنه يراك واحسب نفسك فى الموتى واتق دعوة المظلوم » فى الحلية عن زيد بن أرقم .
٨٨	٣٠	فإذا أحببته كنت سمعه إلى آخره ، وهو حديث قدسى رواه البخارى عن أبى هريرة وأحمد عن عائشة والطبراني فى الكبير عن أبى أمامة وابن السنى عن ميمون ، وقد أخطأ من زعم أن البخارى انفرد بروايته لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لا اعتدلا
٩١		ليس بمحدث ، وهو من كلام بعض السلف . قال السيوطى أخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد عن ثابت البناتى من قوله وقال : كأننا سواء

رقم
الصفحة
رقم
السجل

٩٤ ٣٢ ألا هل مشتاق إلى الجنة؟ هي ورب الكعبة ربحانة نهز ونهر مطرد وزوجة حساء

٩٤ ٣٣ أسألك لغة النظر إلى وجهك

النسائي والحاكم عن عمارة وسنده صحيح وأوله ، اللهم بعلك الغيب وقدرتك على الخلق أحبنى ما علت الحياة خبرا لي

٩٤ ٣٤ من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الطيريات

ابن حبان بسند ضعيف ، عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه وفي معناه : من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا أن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة . الحاكم ، عن أبي هريرة والترمذي وحسنه

٩٤ ٣٥ اشتاق الجنة إلى ثلاثة

إن الجنة تشاق إلى ثلاثة ، على ، وعمار ، وسلمان . الترمذي عن أنس ، ورواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أبي ربيعة الأيادي وقد حسن الترمذي حديثه ، قاله الحافظ الميمني

١٠٠ ٣٦ اعبد الله كأنك تراه (تقدم)

١٠٢ ٣٧ سلوا الله تعالى العفو والعافية واليقين في الدنيا والآخرة

الإمام أحمد والترمذي عن أبي بكر قال المنذرى : رواه الترمذي من رواية عبد الله بن محمد بن عبيد وقال : حسن غريب ، ورواه النسائي من طرق ، أحد أسانيدنا صحيح ، قال المناوى : ورمز السيوطي بحسنه

١٠٢ ٣٨ رحم الله أخى عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى فى الهواء :

قال الحافظ العراقى : هذا حديث منكر لا يعرف هكذا .
والمروى ما رواه ابن أبى الدنيا فى كتابه اليقين من قول بكر بن
عبد الله المزنى : قال : فقد الحواريون نبهم ، فقيل لهم : توجه نحو
البحر ، فانطلقوا يطلبونه ، فلما انتهوا إلى البحر إذا هو أقبل يمشى
على الماء ، فذكروا حديثنا على الماء . وروى أبو منصور الديلمى
فى مسند الفروس بسند ضعيف من حديث معاذ بن جبل : لو عرفتم
الله حق معرفته لمشيتم على البحور ، ولزالت بدعائكم الجبال .

١٠٢ ٣٩ الخلق يمشون على ما يموتون عليه :

مسلم ، وابن ماجه عن جابر .

١٠٢ ٤٠ ليس الخبر كالمينة :

أحمد ، والطبرانى ، والحاكم ، وابن حبان عن ابن عباس ،
وأورده الضياء فى المختارة ، والطبرانى فى الأوسط عن أنس .
وقال الحافظ بن حجر فى اللآلئ المنثورة : فإن قيل هو مطول
بما قاله ابن عدى فى الكامل من أن هشبا لم يسمع هذا الحديث
من أبى بشر فدلسه ، قلت : قال ابن حبان فى صحيحه : لم ينفرد
به هشيم ، فقد رواه أبو عوانه عن أبى بشر أيضاً : إذ يح
ولا تجزىء عن أحد بذلك ، قاله صلى الله عليه وسلم لأبى بردة ، رواه
الشيخان ، وله طرق أخرى ذكرتها فى المختبر فى تخریج أحاديث

رقم
الصفة مسلسل

المنهاج والمختصر ، ورمز السيوطي لحسنه ، وهو كما قال أعلى ،
فقد قال الهيثمي: رجاله ثقات ، رواه الخطيب عن أبي هريرة .

١٠٥ ٤١ القرآن حبل الله المتين :

الترمذي عن الحارث الأعور عن علي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

١٠٥ ٤٢ قول عبد الله بن مسعود : من أراد العلم فليثور القرآن :

الطبراني بأسانيد ورجال أحدهما رجال الصحيح ، قاله الحافظ
الهيثمي .

١١٧ ٤٣ الشرك أخفى من ديب النمل على الصفا في الليلة الظلماء وأدناه أن
تحب على شيء من الجور أو تبغض على شيء من العدل :

الحاكم عن عائشة رضي الله عنها ، وتعبه الذهبي بأن فيه
عبد الأعلى بن أعين ، وفي مسند الإمام أحمد : اتقوا هذا الشرك
فإنه أخفى من ديب النمل ، رواه أبي على رجل من بني كاهل عن
أبي موسى .

وقال الحافظ المنذرى : ورواته إلى أبي على محتج في الصحيح ،
وأبو على وثقه ابن حبان ، ولم أر أحداً جرحه ، ورواه أبو يعلى
بنحوه من حديث حذيفة ، ورواه أبو يعلى ، وابن عسدي ،
وابن حبان عن أبي بكر ، ورواه الحكيم عن ابن عباس بسند ضعيف .

١١٨ ٤٤ الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة :

الإمام أحمد عن عائشة رضى الله عنها ، ورواه الترمذى وابن أبى حاتم من حديث مالك بن مقول بنحوه ، وابن ماجه ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد ، وقال الحافظ العراقى : منقطع بين عائشة رضى الله عنها وعبد الرحمن بن سعد بن وهب ، والترمذى ، عن عبد الرحمن بن سعد عن أبى حازم عن أبى هريرة .

١٢٢ ٤٥ قول الملائكة : سبحانك ربنا ما عبدناك حق عبادتك :

عن سلمان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يوضع الميزان يوم القيامة ، فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعه ، فتقول الملائكة : يا رب لمن وزن هذا ؟ فيقول الله : لمن شئت من خلقي ، فيقولون : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك » رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم (راجع فى المستدرک) .

١٣٢ ٤٦ قوله صلى الله عليه وسلم فى الوصال : (لست كأحدكم) إني لست كهينتكم :

رواه مالك ، والشيخان ، والترمذى عن أنس .

١٣٢ ٤٧ إذبح ولا تجزىء عن أحد بعدك :

قاله صلى الله عليه وسلم لأبى بردة بن نبار ، رواه الشيخان من حديث البراء بن عازب .

رقم
الصفحة مسلسل

٤٨ ١٣٣ كان صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن :

الإمام أحمد ، ومسلم ، وأبو داود عن عائشة رضی الله عنها .

٤٩ ١٣٣ إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق :

رواه مالك في الموطأ ، بلاغا عن النبي صلى الله عليه وسلم ،
ورواه أحمد عن أبي هريرة بسند رجاله رجال الصحيح ، كما
ذكره الحافظ الهيثمي بلفظ (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)
ورواه البخاري في الأدب المفرد ، والحاكم ، والبيهقي ، وروى
الطبراني في الأوسط عن جابر نحوه ، وفي سنده عمر بن إبراهيم
القرشي ، وهو ضعيف .

٥٠ ١٣٤ أدبني ربّي فأحسن تأديبي :

تقدم ب - ٩ .

٥١ ١٣٤ أنا أعلمكم بالله وأخشاكم لله :

البخاري عن أنس (والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له) .
والشيخان عن عائشة (والله إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية) .

٥٢ ١٣٤ خير صلى الله عليه وسلم بين أن يكون ملكا نبيا أو عبدا نبيا ،
فاختار أن يكون عبدا نبيا :

الطبراني عن ابن عباس بسند حسن ، والبيهقي في الزهد ،
وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة .

١٣٤ ٥٣ عرضت على الدنيا فأيتها

كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز عرضت «أى الدنيا» على
نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها ، الحديث رواه ابن أبى
الدنيا هكذا مرسلًا ، ورواه أحمد والطبرانى متصلًا عن أبى بويهبة
فى أثناء حديث فيه

١٣٤ ٥٤ إني قد أعطيت خزان الدنيا والخلد ثم الجنة . الحديث وسنده صحيح

ولأحمد وللترمذى من حديث أبى أمامة (عرض على ربى
ليجعل لى بطحاء مكة ذهبًا) وقال : حديث حسن

١٣٤ ٥٥ لو كان لى أحد ذهبًا لأفقتة فى سبيل الله

رواه الشيخان عن أبى ذر ، عنه صلى الله عليه وسلم ، ورواه
ابن ماجه (مختصر)

١٣٤ ٥٦ إنه صلى الله عليه وسلم لم يدخر شيئًا لقد

عن أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئًا لقد
ألا وإني لا أكر دينارًا ولا درهما ولا أخبأ رزقًا لقد ، رواه أبو الشيخ
ابن حبان فى كتاب الثواب ، وأنه صلى الله عليه وسلم ، إنما ادخر
مرة قوت سنة نبياله ولن يرد عليه من الوفود

ادخاره صلى الله عليه وسلم قوت السنة ، أخرجه الشيخان من
حديث عمر : كان يعزأ نفقة أهله سنة

رقم
الصفحة مسلسل

١٣٤ ٥٧

أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن له قيصان ولم ينخل له طعام
وأنه خرج صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز بُرّة قط
اختياراً لا اضطراراً لأنه لو سأل الله تعالى أن يجعل له الجبال ذهباً
ولم يحاسب عليها لقفل .

لم يكن له قيصان ، روى الطبراني في الصغير والأوسط عن
أبي الدرداء رضى الله عنه قال لم ينخل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الدقيق ولم يكن له إلا قيص واحد ، ورواه البزار وروى الشيخان عن
أبي هريرة رضى الله عنه ، وعن عبد الرحمن بن عوف خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع هو ولا أهله من خبز الشعير ،
رواه البزار بإسناد حسن ، وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، خرج
رسول الله ، صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير ،
رواه البخاري والترمذي ، وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال :
ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منخلًا من حين ابتعثه الله
حتى قبضه الله فقبل كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول قال كنا
نطحنه وننفعه فيطير ما طار وما بقي ثربناه ، رواه البخاري ، وعن
الحسن قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواسي الناس بنفسه
حتى جعل يرفع إزاره بالأدم ، وما جمع بين غداء وعشاء ثلاثة أيام
حتى لحق بالله . رواه ابن أبي الدنيا في « كتاب الجوع » مرسلًا

١٣٥ ٥٨ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لبلال :

(أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا)

١٣٥ عن بلال المؤذن قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم وعندي صبرة من تمر فقال : ما هذا ؟ فقلت : ادخرناه لثناثنا ، قال عليه الصلاة والسلام : أما تخاف أن ترى له بخاراً في جهنم ؟ (أنفق بلال ولا نخش من ذي العرش إقلالا) .

قال الهيثمي : إسناده حسن ، ورواه البزار عن بلال ورواه الطبراني في الكبير والقضاعي في سنده عن ابن مسعود قال الهيثمي : رواه بإسنادين أحدهما حسن ، وفي الآخر معاذ بن الربيع وفيه كلام ، وبقية رجاله ثقات ورواه أيضاً عن أبي هريرة ، وفيه مبارك بن فضالة وبقية رجاله رجال الصحيح اه ، وذكره النجم عن أبي هريرة والبزار عن عائشة وأطلق الحافظ العراقي أن الحديث ضعيف في جميع طرقه لكن قل تلميذه الحافظ ابن حجر من رواية البزار إسناده حديث حسن ووضعت بريرة بين يديه صلى الله عليه وسلم طعاماً فأكل منه فردته إليه الليلة الثانية

١٣٥ ٥٩ وعن أنس بن مالك . قل : أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثلاثة طوائر ، فأطعم خادمه طائراً فلما كان من الغد أتت أتت به فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم أنهك أن ترفعي شيئاً لقد ؟ فإن الله يأتي برزق كل غد .

رقم
الصفحة مسلسل

١٣٥ قال الحافظ الميثمي : ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير هلال
ابن المولى ، وهو ثقة .

١٣٥ ٦٠ أنه صلى الله عليه وسلم لم يحب طعاماً قط ، ولا خير بين أمرين
إلا اختار أيسرهما ، إنه لم يحب طعاماً قط ، متفق عليه من حديث
أبي هريرة ، ولا خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ، مالك والشيخان
وأبو داود عن عائشة .

١٣٥ ٦١ وكان من تواضعه صلى الله عليه وسلم لبس الصوف ، ويتعمل
المخصوف ، ويركب الحمار ، ويحلب الشاة ، ويخصف نعله ، ويرقع
ثوبه ، وكان لا يأنف أن يركب الحمار ، ويردف خلفه .

ومن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل
خشناً ، ولبس خشناً ، لبس الصوف ، واحتذى المخصوف ، رواه
ابن ماجه ، والحاكم *

ومن أبي موسى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يركب الحمار ، ويلبس الصوف ، ويعتقل الشاة ، ويأبى سراعاة
الضيغ ، رواه الطبرانى ، ورجاله رجال الصحيح . قاله
الحافظ الميثمي .

قيل لعائشة ماذا كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في
بيته ؟ قالت : كان بشراً من البشر . ينزل ثوبه ، ويحلب شاته ،

ويخدم نفسه ، رواه أبو نعيم في الحلية . كان يعمل عمل البيت ،
وأكثر ما يعمل الخياطة - الجامع .

وروى أبو الشيخ عن عائشة : ينصف النمل ، ويرقع الثوب .

كان يركب الحمار موكفاً عليه قطيفة ، وكان مع ذلك يستردف
متفق عليه من حديث أسامة بن زيد .

وكان يكره الفنى ، ولا يخشى من الفقر ، وكان يمر به وبأزواجه
الشهر والشهران فلا يوقد في بيته نار للخبز ، وأنه كان طعامهم الأسودين
التمر والماء . ٦٢ ١٣٥

وعن أبي أمامة رضى الله عنه : عرض على ربي ليجعل لى بطحاء
مكة ذهباً قلت : لا يارب ، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً أو قال
ثلاثاً أو نحو هذا ؛ فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت
شكرتك وحمدتك . ثم قال : الترمذى هذا حديث حسن .

وكان يمر به الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار . الشيخان عن
عائشة ، وأبو يعلى ، عن أبي هريرة .

اللهم أحيى مسكيناً . ٦٣ ١٣٥

الترمذى ، وابن ماجه ، عن أبي سعيد الخدرى والحاكم وقال : صحيح
الإسناد ، ورواه الطبرانى بسند رجاله ثقات عن عبادة بن الصامت ،
وقال الحافظ بن حجر : وادعى ابن الجوزى ، وابن تيمية أنه موضوع

رقم
الصفحة مسلسل

وليس كما قالوا هـ ومعنى الحديث دلالة الأمة على طلب التواضع ،
وأن لا يكون من الجبابة .

اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا ، يوماً بيوم . ٦٤ ١٣٦
رواه الشيخان ، والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة .

٦٥ ١٣٦ وكان أبو سعيد الخدري رضى الله عنه يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم . كما روى عنه . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقل البعير ، ويطلق الناضح ، ويقم البيت ، وينصف النعل ، ويرقع الثوب ، ويحلب الشاة ، ويأكل مع الخادم ، ويطحن معها إذا أجمت . وكان لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله ؛ فكان يصفح الفنى والفقير ويسلم مبتدئاً ، وكان لا يرد من دعاه ، ولا يحقر ما دعى إليه ولو إلى حشف التمر ، وكان لين الخلق . كريم الطبع . جميل المعاشرة . طلق الوجه . بساماً من غير ضحك . محزوناً من غير عبوس . متواضعاً من غير مذلة . جواداً من غير سرف . رقيق القلب . دائم الإطراق . رحياً بكل مسلم . لم يتجشأ قط من شبع . ولا مد يده إلى طمع . قال الحافظ العراقي : أخرج أبو الحسن الضحاك في الشئانل حديث أبي سعيد الطويل الذى قال فيه : متواضع من غير مذلة وإسناده ضعيف .

وهذا الحديث جمع فيه محاسن من محاسنه صلى الله عليه وسلم
التي لا تحصى وهى من ضمن أوصافه وسجاياه المشهورة منثورة فى كتب
السنة الصحيحة :

- ١٣٦ ٦٦ يلبس الصوف ويقل البعير :
البرار من حديث أبي موسى .
- ١٣٦ ٦٧ يطف الناضح ويقم البيت :
للبخاري من حديث عائشة : كان يكون في مهنة أهله ،
وفي مسند الإمام أحمد : ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته ،
ورجاله رجال للصحيح .
- ١٣٦ ٦٨ وبأكل مع الخادم ويطحن معها إذا أعيت :
أبو بكر بن الصالح في الشائل من حديث أبي سعيد ،
وروى مسلم من حديث أبي اليسر : أطعموم مما تأكلون ،
والبسوم مما تلبسون .
- وحدث أبي هريرة : إذا أتى أحدكم خادمه بطعام فليجلسه
ولياً كل معه ، فإن لم يفعل فليناول له لقمة ، متفق عليه .
- ١٣٦ ٦٩ وكان لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله :
الطبراني في الأوسط .
- ١٣٦ ٧٠ وكان يصافح الغني والفقير :
أبو داود من حديث أبي ذر : وكان إذا لقي أحداً من أصحابه
بدأه بالمصافحة ، ثم أخذ بيده فشابهه ، ثم قبض عليه .
- ١٣٦ ٧١ وكان يسلم مبتدئاً :
في الشائل عن هند بن أبي هالة : كان من خلقه أن يبدأ
من لقيه بالسلام .

رقم رقم
الصفحة مسائل

١٣٦ ٧٢ وكان لا يرد من دعاء ولا يحقر ما دعى إليه :

روى الإمام أحمد وابن حبان والترمذى عن أنس لو أهدى إلى
كرراع لقبلت ولو رغبت إليه لأجبت

١٣٦ ٧٣ وكان لبن الخلق كريم الطعم جميل المعاشرة طلق الوجه :

الترمذى فى الشائل من حديث على بن أبى طالب كان دائم
البشر كامل الخلق لبن الجانب .

١٣٦ ٧٤ وكان بساماً من غير ضحك :

الترمذى من حديث عبد الله بن الحارث : ما كان ضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مبتسماً ، وقال : صحيح غريب ،
وله فى الشائل من حديث هند بن أبى هالة .

١٣٦ ٧٥ محزوناً من غير عبوس :

الشيخان عن عائشة (إنما ضحكك التيسم) أبو الحسن فى الضحك
فى الشائل من حديث أبى سعيد الخدرى فى صفته صلى الله عليه وسلم

١٣٦ ٧٦ وكان متواضعا من غير مذلة :

كان يجلس مع أصحابه مختلطاً بهم كان أحدهم يعانى الغريب
فلا يدرى أيهم هو أبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة وأبى ذر

١٣٦ ٧٧ وكان جواداً من غير سرف :

. لأنه لا ينفق إلا فى طاعة الله عز وجل .

١٣٦ ٧٨ وكان رقيق القلب :

أقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم .

١٣٦ ٧٩ وكان دائم الإطراق :

أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير : لأصحاب السنن من حديث أسامة بن شريك .

١٣٦ ٨٠ وكان رحياً بكل مسلم : حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم :

١٣٦ ٨١ لم يتجشأ قط من شبع :

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، فقال : كف عنا جشاءك فإن فإن أكثرهم شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة .

رواه الترمذى وابن ماجه والبيهقى من رواية يحيى البكاء عنه ، وقال الترمذى : حديث حسن ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أهل الشيع في الدنيا هم أهل الجوع غدا في الآخرة ، رواه الطبرانى بإسناد حسن ، ورواه البزار عن أبى جعفر رضى الله عنه بإسنادين رواه أحدهما ثقات .

١٣٦ ٨٢ ولا مد يده إلى طمع ، بل كان يعطى عطاء من لا يخشى الفقر :

وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود من الريح المرسلة في الصحيحين عن ابن عباس كان أجود الناس بالخبر ، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان ، وفيه : فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخبر من الريح المرسلة .

ووهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبلين من النعم لرجل واحد ، فرجع ذلك الرجل إلى قبيلته فقال : إن محمداً صلى الله

رقم رقم
المنحة مسلسل

عليه وسلم يعلو عله من لا يجتني القتر : الإمام أحمد ، وسلم
عن أنس .

٨٣ ١٣٦ ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كاحتا ولا غثا ولا متنا
بالأسواق ولا يجري بالبيعة البيعة ، ولكن يتفرق ويصنع :
رواه القزويني عن عائشة وصحة .

٨٤ ١٣٧ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل على الأرض :
عن ابن عباس رضي الله عنهما .

٨٥ ١٣٧ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس على الأرض ، ويحب
دعوة للمرك على خبز الشعير :
رواه الطبراني .

٨٦ ١٣٧ وليس له يد :
رواه الحاكم وصحة عن أنس وابن ماجه .

٨٧ ١٣٧ وأكل خشنا وليس خشنا :
وفيه يوسف بن أبي كعب عن نوح بن ذكوان .

٨٨ ١٣٧ ويجالس للمساكين ، ويجالس على الله عليه وسلم للقراء كعبه ،
كما أمره ربه بترك وتبلي .

وروى أبو داود من حديث أبي سعيد : يجالس للقراء ليدل
بنفسه فيهم : وابن ماجه من حديث خباب : كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يجلس متنا .

دلم
الطبراني

١٣٧ ٨٩ وروى في الأسواق وهذا ثابت في الكتاب ، وحديث أبي هريرة
في دخوله السوق وحده السريويل :
رواه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى .

١٣٧ ٩٠ وكان صلى الله عليه وسلم إذا دخل السوق قال : « اللهم إني أسألك
من خير هذه السوق وخير ما فيها » الحديث :
الطبراني والحاكم عن بربرة ، وسنده صحيح .

١٣٧ ٩١ وروى عنه :
وكان إذا عرس وعليه ليل تومد يمينه ، وإذا عرس يوطئ ليل
وضع رأسه على كفه اليمى وأقام ساعده :
الإمام أحمد وابن حبان والحاكم عن أبي قتادة - صحيح .

١٣٧ ٩٢ وروى من نفسه :
وحديث عكاشة بن محسن ثابت في الصحيح .

١٣٧ ٩٣ ولم يَرَّ ضاحكا ملء فيه :
وقد تقدم أن ضحك صلى الله عليه وسلم كان التبس ،
وفيه حديث عائشة رضي الله عنها : ما رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم مستجما ضاحكا حتى أرى لهواته إنما كان يتبس .

١٣٧ ٩٤ ولم يأكل وحده قط :
حديث أنس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل وحده
الخرائطى في مكارم الأخلاق بسند ضعيف .

رقم
الصفحة مسلسل

١٣٧ ٩٥ ولا يضرب عبده قط :

متفق عليه من حديث عائشة .

ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادماً ولا امرأة قط ،
أبو داود عن عائشة

١٣٧ ٩٦ ولا ضرب أحداً بيده إلا في سبيل الله عز وجل :

متفق عليه من حديث عائشة .

ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده ، ولا
امرأة ، ولا خادماً إلا أن يجاهد في الله عز وجل وما نيل منه شيء
قط فينتقم من صاحبه إلا إن انتهك شيء من محارم الله فينتقم الله
عز وجل .

١٣٧ ٩٧ وكان لا يجلس متربماً ولا يأكل متكئاً ويقول : آكل كما يأكل العبد ،

وأجلس كما يجلس العبد .

كان لا يأكل متكئاً ، الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو

آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد .

ابن سعد وأبو يعلى ، وابن حبان والحاكم في التاريخ عن عائشة
رضي الله عنها .

١٣٧ ٩٨ وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه شد الحجر على بطنه من الجوع ولو

سأل ربه أن يجعل له أماً قبيس ذهباً لأجابه :

متفق عليه من حديث جابر ، وروى الترمذى من حديث أبى
طلحة شكونا إلى النبى صلى الله عليه وسلم الجوع ورفونا ثيابنا عن
حجر حجر إلى بطوننا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجر بن

١٣٧ ٩٩ وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى أبى الهيثم بن التيهان
مالك والترمذى ومسلم عن أبى هريرة

١٣٧ ١٠٠ ودعاء رجل وخمسة معه فلم يدخل السادس إلا بإذنه :
عن أبى مسعود رضى الله عنه ، أخرجه الشيخان والترمذى

١٣٧ ١٠١ لبس صلى الله عليه وسلم مندبلا له علم ثم رمى به :
متفق عليه ، فى حديث عائشة .

١٣٧ ١٠٢ وسئل عن الصلاة فى ثوب واحد فقال : أو كلكم يجدون بين ؟
مالك ، والشيخان ، والترمذى ، وأبو داود عن أبى هريرة .

١٣٧ ١٠٣ إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد :
الحاكم ، من حديث جرير ، وقال : صحيح على شرط الشيخين .

١٣٧ ١٠٤ لا تفضلونى على يونس بن متى :

لا يبنى لعبد أن يقول : أما خير من يونس بن متى ، للشيخين ،
وأبى داود عن ابن عباس ، ونقله الشيخان عن أبى هريرة ، وهو فى
الصحيح عن عبد الله بن جعفر عن عبد الله بن مسعود وذلك قبل أن
يعلم أنه أفضل الخلق وقد ثبت ذلك عنه .

رقم
الصفحة مسلسل

١٢٧ ١٠٥ أنا سيد ولد آدم يوم القيامة :

مسلم ، وأبو داود عن أبي هريرة ، وأحمد ، والترمذي وابن ماجه ،
عن أبي سعيد ، سيادة ولا غير .

١٢٧ ١٠٦ أنى لأعلى أقواماً إلخ .. :

الشيخان ، والإمام أحمد ، والنسائي عن سعد .

١٣٨ ١٠٧ أول من يدخل الجنة فقراء الأنصار ، الأشعة رؤوسهم الدنة ثيابهم :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه
وسلم ، رواه أحمد والبخاري ، ورواهما ثقاة ، وابن حبان في
صحيحه وفيه الفقراء المهاجرون ، عن ثوبان ، رواه الطبراني في
الصحيح ، وفي الترمذي وابن ماجه نحوه ، والحاكم وقال : صحيح
الإسناد .

١٣٨ ١٠٨ مالى وللدنيا :

رواه أحمد وابن حبان في صحيحه ، والبيهقي عن عباس ،
والترمذي عن عبد الله بن مسعود ، وقال : حسن صحيح وابن ماجه .

١٣٨ ١٠٩ ليكن بلغة أحدكم كزاد الراكب :

رواه أبو يعلى والطبراني عن حباب بإسناد جيد ، والبيهقي في
الشعب عنه ، وروى الحاكم وابن حبان في صحيحه نحوه من حديث
سلمان ، ورواه ابن ماجه ورواه ثقاة احتج بهم الشيخان إلا جعفر

ابن سليمان احتج به مسلم وحده ، وعن عائشة رضى الله عنها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أردت اللّٰهوق بى فليكنك من الدنيا كزاد الراكب ، رواه الترمذى والحاكم .

١٣٨ ١١٠ يدخل قهراء أمتى الجنة قبل أغنيائهم بنصف وخمسمائة عام :
الترمذى ، وابن حبان فى صحيحه ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

١٣٨ ١١١ أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل :
رواه الترمذى ، وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن سعد بن أبى وقاص ، والإمام أحمد والنسائى ، وابن ماجه والدارمى من حديث عاصم ومالك وآخرين ؟ وابن حبان والحاكم وصححه ، والطبرانى من حديث فاطمة والحاكم عن أبى سعيد .

١٣٨ ١١٢ قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : إني أحبك :
رواه الطبرانى عن كعب بن عجرة ، وقال الحافظ المنذرى : قال شيخنا الحافظ أبو الحسن : إسناده جيد وعن عبد الله بن مفضل رضى الله عنه قال : جاء رجل فقال : يا رسول الله إني أحبك ، قال : والله إني لأحبك ، ثلاث مرات فقال : إن كنت تحبني فأعد للفقر تحفظاً فإن الفقر أسرع إلى من يحبني من السيل إلى منتهاه ، أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .

رقم
الصفحة مسلسل

١٣٨ ١١٣ حبيب إلى من دنياكم ثلاث :

رواه الإمام أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي عن أنس من غير
لفظ «ثلاث» ، وسنده حسن ، قال الحافظ العراقي : بسند جيد
وضعه العقيلي .

١٣٨ ١١٤ أنتم أعلم بدنياكم :

مسلم عن أنس وعائشة .

١٣٨ ١١٥ لم يضع رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنة على لبنة إلى أن خرج من
الدنيا وكان يقول : عربشا كعريش أخى موسى :

ابن حبان في الثقات عن الحسن مرسلا ، مات رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ، وأبو نعيم في الحلية ، والطبراني
في الأوسط عن عائشة بمض حديث وإسناده ضعيف ، وأخرج المخلص
في فوائده ، وابن النجار عن أبي الهرداء : عربشا كعريش موسى
تمام ، وخشيبات والأمر أعجل من ذلك ، وأخرج الدارقطني في
الأفراد من حديث أبي الهرداء ، وقال : غريب أن شئ أن يكمل
المسجد فقال : لا عريش كعريش أخى موسى .

١٣٨ ١١٦ وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من الدنيا ودرعه مرهونة
على صاع من شعير :

البخارى ، ومسلم ، والترمذى ، عن عائشة

توفى ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين ، وعن البيهقي بثلاثين

صاعا من الشعير ، والترمذى والنسائى والبيهقى عن ابن عباس بمشرين
صاعا من طعام أخذه لأهله ، وسنده حسن ، ولم يترك ولا درهما ، مسلم
عن عائشة .

١٣٨ ١١٧ ولم يقم له ميزان :

١٣٨ ١١٨ ما ترك ديناراً ولا درهما ولا شاة ولا أجيراً :
مسلم ، عن عائشة .

١٣٨ ١١٩ لم يوجد في بيته أثاث

الشيخان عن عائشة رضى الله عنها ، كان فراشه أدما حشوه
ليف ، والشيخان عن عمر ، أنه كان ينام على سرير مرمول بشریط
حتى يؤثر في جنبه .

وقال : نحن مفاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة ، للمالك
والشيخان والترمذى وأبى داود عن ابن بكير ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة
والزبير ، وسعد ، وأبى هريرة ، وعائشة .

١٣٨ ١٢٠ وكان يقبل الهدية ، ولا يأكل الصدقة :

متفق عليه من حديث أبى هريرة ، والإمام أحمد ، والطبرانى
عن عائشة ، وأبى هريرة .

١٣٨ ١٢١ ما أوحى الله تعالى إلى أن أجمع للمال وأكون تاجراً :

ابن على من حديث ابن مسعود ، ولأبى نعيم ، والخطيب فى



الخارج ، واليه في الزهد من حديث الخارث بن سويد في
تجديد الحديث ، لا تجمعوا مالا نأكلون .

١٥٨ حديث عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن حق لم يقع
في كتابها .

الترمذي ، عن عائشة ، وقال : حسن صحيح .

١٥٩ ١٥٨ إن الله يحب مكارم الأخلاق ، ويكره مساها ، إن الله يحب معالي
الأموال ، ويهبط مساها .

الحاكم من حديث سهل بن سعد ، وابن ماجه ، وأبو نعيم ،
والطبراني عن سهل ، إن الله كريم يحب الكريم ، ويحب
معالي الأخلاق ، ويكره مساها ، ويهبط الطبراني عن الحسن
ابن علي رضي الله عنهما ، واليه في حديث سهل موصلا ،
ومن رواية طلحة بن عبيد الله ابن كريب مرسلا ، ورجاهما ثلاث
ذكره الحافظ العراقي .

١٦٠ ١٥٩ بحث لآل مكارم الأخلاق ، مكرر عن ١٥٩

١٦١ ١٦٠ كان معاوية الأحران دائم الفكرة .

الطبراني في الكبير عن الحسن بن علي سألت خالي هند بن
هالة ، وكان صدره أزيز كآزيز الرجل : عن مطرف من أبيه
أبو داود ، والنسائي ، وابن حزم ، وابن حبان ، وصدره أزيز
كآزيز الرحي ، ولهم : ولجوه أزيز كآزيز الرجل ، عن عبد الله
ابن الشخير أبو داود ، والترمذي في الشمائل ، والنسائي .

رقم
الصفحة
مكرر

١٣٩ ١٢٦ على حق تورمت قدماء :

الشيخان ، والقسائي ، والترمذي عن الفيرة بن شعبة ،
والشيخان عن عائشة ، حتى تنفطر قدماء : والجزار عن
أبي هريرة .

١٤٠ ١٢٧ كان يسل من حرمة ، ويصل من قطعه ، ويمنع من ظله :

البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص : ليس بفظ ،
ولا عيط ، ولا صخب في الأسواق ، ولا يجرى بالسبب السبب
ولكن يتروى بفتح .

١٤٠ ١٢٨ أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم من ترك مالا لورثته الخ :

الإمام أحمد ، والشيخان ، والقسائي ، وابن ماجه عن
أبي هريرة .

١٤٠ ١٢٩ اللهم إني بشر أعجب كما ينضب البشر :

الشيخان عن أبي هريرة ، وأحمد ، ومسلم ، جابر .

١٤٠ ١٣٠ حديث أنس خلت رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ :

الشيخان ، وأبو داود ، والترمذي .

١٤٠ ١٣١ غزو عن أهل مكة حين فتحها :

القسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه لما فتح رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكة . الحديث وفيه : فجاء فأخذ بمضادتي الباب ثم
قال : يا معشر قريش ما تقولون ؟ قالوا : نقول ابن أخ وابن عم

رقم
الصفحة مسلسل

رحيم كريم ثم أعاد عليهم القول فقالوا مثل ذلك ، فقال : إني أقول كما قال أخى يوسف : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لي ولكم وهو أرحم الراحمين : ولابن سعد من طريق الزهري عن بعض آل عمر بن الخطاب ، وأخرج نحوه حميد بن ريمونة في كتاب الأسوان عن طريق ابن أبي حنبل ، وأخرجه عبد الرازق في الجامع عن ابن عمر يا معشر قريش : ماترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

١٤١ ١٣٢ إني بشت بالحنفية السمحاء :

رواه أحمد بإسناد حسن عن عائشة ، وترجم البخاري « أحب الدين إلى الله الحنفية السمحة » والخطيب عن جابر : بشت بالحنفية السمحة .

١٤١ ١٣٣ وكان يحب الخلو البارد :

كان أحب الشراب إليه الخلو البارد . الإمام أحمد ، والترمذي ، والحاكم عن عائشة .

١٤١ ١٣٤ إنما أنسى لأسن :

مالك بلاغياً ، وهو من الأحاديث الأربعة في الموطأ التي لم يحددها ابن عبد البر موصولة ، ووصلها ابن الصلاح .

١٤٣ ١٣٥ حديث حارثة : لكل حق حقيقة ، يتقدم في حديث ٨

رقم
الصفحة ، رقم

١٤٣ ١٣٦ احفظ الله يحفظك . الترمذى عن ابن عباس :

والإنم ما حاك فى الصدر ، تقدم فى ٢٦

١٤٣ ١٣٧ الحلال بين والحرام :

الشيخان وأصحاب السنة عن النعمان بن بشير : الحلال بين ،
والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات :
الحلال بين ، والحرام بين ، فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك .
الطبرانى فى الأوسط عن عمر .

١٤٣ ١٣٨ لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام .

لا ضرر ولا ضرار . رواه مالك مرسل عن يحيى المازنى والإمام
أحمد ، وعبد الرزاق ، وابن ماجه عن ابن عباس .

١٤٧ ١٣٩ من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم :

أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس وضعفه .

١٤٨ ١٤٠ قال رجل : علمنى من غرائب العلم :

ابن السن وأبو نعيم فى كتاب الرياضة لهما ، وابن عبد البر من
حديث عبد الله بن مسعود مرسل وهو ضعيف جداً : أن رجلاً جاء
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : علمنى من غرائب العلم ،
فقال له : ما صنعت من رأس العلم . قال : وما رأس العلم . قال :
هل عرفت الرب تبارك وتعالى ؟ قال : نعم . قال : ما صنعت فى
حقه ؟ قال : ما شاء الله . قال صلى الله عليه وسلم : اذهب فأحكم
ما هنالك ثم تعال أعلمك من غرائب العلم

رقم
الصفحة مسلسل

- ١٤٩ ١٤١ إنما الأعمال بالنيات :
- الشيخان عن عمر ومالك في الموطأ برواية محمد بن الحسن .
- ١٥٤ ١٤٢ أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك :
- مسلم ، ومالك ، وأبو داود ، والنسائي ، والترمذي .
- ١٥٨ ١٤٣ أصدق كلمة قالتها العرب :
- الشيخان عن أبي هريرة وابن ماجه
- أعوذ برضاك من سخطك ، انظر ٩٩ .
- ١٥٩ ١٤٤ لو تعلمون ما أعلم ، مكرر ١٦ .
- أنا أعلمكم بالله ، مكرر ٥١ .
- ١٦٠ ١٤٥ اللهم اكفني كفالة الوليد ؟
- وجهت وجهي إليك علمها النبي صلى الله عليه وسلم لبعض
- أصحابه للشيخين من حديث البراء .
- اللهم امتعني بسمي وبصري : الترمذي ، والحاكم عن
- أبي هريرة .
- ١٦٠ ١٤٦ لا تنكفني إلى نفسي طرفة عين :
- الحاكم من حديث أنس قال صحیح على شرط الشيخين . وهو
- في اليوم والليلة ، وعلمه صلى الله عليه وسلم لابنته الزهراء رضي
- الله عنها .
- ١٦٠ ١٤٧ واكرباه عند موت النبي صلى الله عليه وسلم :
- عن أنس أن فاطمة رضي الله عنها قالت : واكرب أباه فقال صلى

الله عليه وسلم : ليس على أيك كرب بعد اليوم ، في الصحيح .

١٦١ ١٤٨ أنا سيد ولد آدم . تقدم في حديث ٧٣ .

١٦١ ١٤٩ أستغفروا الله وتوبوا إليه فإني أستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة .

وقال حذيفة : كنت ورب اللسان على أهلي فقلت يا رسول الله لقد خشيت أن يدخلني لسان النار ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : فأين أنت من الاستغفار ؟ فإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة وعزاه الحافظ العراقي للنسائي في اليوم واليلة واليهي .

ورواه الحاكم ، وقال صحيح على شرط الشيخين : ما أصبحت غداة قط إلا استغفرت الله فيها مائة مرة .

للطبراني عن أبي موسى . ما أصبحت غداة قط إلا استغفرت الله تعالى مائة مرة ؟ .

وعن أغرمزينة رضي الله عنه قال : قال رسول الله : إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله تعالى في اليوم والليل مائة مرة ، أخرجه مسلم وأبو داود . وفي رواية لمسلم : قولوا إلى ربكم ، فوالله إني لأتوب إلى الله ربي تبارك وتعالى في اليوم مائة مرة .

١٦١ ١٥٠ رحم الله أخى عيسى عليه السلام تقدم في حديث ٣٩

١٦١ ١٥١ لى مع الله وقت لا يسعني فيه معه شيء :

من رسالة القشيري لى وقت لا يسعني فيه غير ربي ، معناه صحيح ولكن السند لا يعرف .

- رقم الصفحة رقم مسلسل
- ١٦١ ١٥٢ ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن :
قال الحافظ العراقي : لم أر له أصلا .
- ١٦١ ١٥٣ إن لله أواني في أرض وهي القلوب :
إسناده جيد .
- ١٦١ ١٥٤ حديث عائشة : انتهت ليلة فلم أجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
في فراشه :
- البیهقي من طريق الملا عن عائشة ، وقال : هذا مرسل جيد
الملا ، لم يسمع من عائشة .
- ١٦٢ ١٥٥ أطيب ما أكل الرجل من كسب يده :
أطيب الكسب عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور :
- رواه أحمد والطبراني والحاكم عن رافع بن جريج والطبراني
عن ابن عمر .
- ١٦٢ ١٥٦ جبل رزق تحت ظل رمحي :
أحمد من حديث ابن عمر وسنده صحيح .
- ١٦٢ ١٥٧ لو توكلتم على الله حق توكله :
الإمام أحمد والترمذي والحاكم وصححه من حديث عمر
وابن ماجه : لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله .
- ١٦٣ ١٥٨ اعبد الله كأنك تراه :
تقدم ٣١ و ٣٧ .

١٦٣ ١٥٩ جيل ولى الله :

ما جيل ولى الله إلا على السخاء .
الذهبي عن عائشة مرفوعاً بسند صحيح .

١٦٤ ١٦٠ إن النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت ؟

١٦٤ ١٦١ حبك الشيء يسمى ويعصم :

قال الحافظ ابن حجر تبعاً للعراق وبكمب سكوت أبو داود عنه
فليس بموضوع ولا بشديد الضعف فهو حسن رواه أبو داود عن
أبي الدرداء مرفوعاً ، ورواه الإمام أحمد موقوفاً عنه والخراطي في
إعلال المسكوب عن ابن رزق وابن عساكر عن عبد الله ابن أنيس
وحسن السيوطي سنده : إذا رأيتم أهل السماء فسواهم العافية .

١٦٤ ١٦٢ حرام على قلب عليه زبانية من الدنيا أن يجد حلاوة الآخرة ؟
لولا الشاغلين .

١٦٤ ١٦٣ سائل العلماء ، وخالط الحكماء ، وجالس الكبراء :

جالسوا الكبراء ، وسألوا العلماء ، وخالطوا الحكماء .
الطبراني عن أبي جحيفة صحيح .

١٦٤ ١٦٤ المؤمن تمره حسنة وتسوؤه سيئة :

من سرته حسنة وسأته سيئة فهو مؤمن .

١٦٤ ١٦٥ الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله :

عن أبي هريرة : إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله
وما والاه وعالم أومتعلم . ابن ماجه والبيهقي والترمذي وقال : حديث حسن

رقم
الصفحة سلسل

١٦٥ ١٦٦ سأل النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عن شجرة لا تسقط ورقها :

في الصحيح عن ابن عمر .

١٦٦ ١٦٧ أصحابي كالنجوم :

رواه البيهقي ، وأسندوه الدليلى عن ابن عباس وأخرجه رزين

عن عمر .

١٦٧ ١٦٨ أرحم أمي بأمي أبو بكر :

رواه أحمد والترمذي عن أنس والطبراني عن جابر وابن عدى

عن ابن عمر بلفظ أرف أمي الخ ، والحقلي عن أبي سعيد .

١٦٧ ١٦٩ اقتدوا بالذين من بعدى أبي بكر وعمر :

الترمذي عن حذيفة وحسن سنده الإمام أحمد والترمذي وابن

ماجه وابن عبد عن أنس .

١٦٨ ١٧٠ لمو نادى مفاد من السماء أنه لن يلج الجنة إلا رجل واحد :

١٦٨ ١٧١ خطبة أبي بكر عن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم :

من المسند للإمام أحمد وعبد الرازق ، وفي الصحيح عن عائشة

وفيه عن ابن عباس وابن أبي شبة من حديث ابن عمر .

١٦٩ ١٧٢ ما تركت لأهلك يا أبا بكر :

الترمذي عن عمر ، وقال : حسن صحيح ، وأبو داود ، والترمذي

والحاكم ، وصححه من حديث ابن عمر .

١٦٩ ١٧٣ قوله صلى الله عليه وسلم يوم بدر :

اللهم إن تهلك هذه العصابة ، وقول أبي بكر : دع مناشدتك ربك

مسلم والترمذي عن ابن عباس عن عمر .

رقم
الصفحة مسلسل

- ١٧٠ ١٧٤ لو تعلمون ما أعلم : مكرر
- ١٧٠ ١٧٥ رأى أبي بكر في مقاتلة مانى الزكاة :
- مالك والشيخان وأصحاب السنن عن أبي هريرة
- ١٧٠ ١٧٦ جيش أسامة :
- البيهقي وابن عساكر عن أبي هريرة
- ١٧٠ ١٧٧ معروف ماني بطن زوجته :
- مالك عن عائشة
- ١٧١ ١٧٨ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله :
- الترمذي والطبراني من حديث أبي أمامة والترمذي من حديث
- أبي سعد والطبراني وأبو نعيم والبخاري بسند حسن عن أنس : إن الله
- عباداً يعرفون الناس بالقرسم
- ١٧١ ١٧٩ ما فاق أبو بكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة صلاة
- ولا صوم . ما فضلكم : قال الحافظ العراقي : لم أجده مرفوعاً
- وهو عند الحكيم الترمذي وأبي يعلى عن عائشة ، وقال في النوادر إنه من
- قول بكر بن عبد الله المزني ما فاق أبو بكر أصحاب .. الخ
- ١٧١ ١٨٠ يا بني آدم قوموا إلى ناركم التي أوقدتموها فأطفئوها :
- عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله ملكا ينادى
- عند كل صلاة : يا بني آدم قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على
- أنفسكم فأطفئوها .
- الطبراني في الأوسط والصغير وقال نور بن يحيى بن أزهري القرشي

رقم
الصفحة متسلسل

قال الحافظ الميمني : ولم أجسد من ذكره إلا أن روى عن أزهر بن
سمد السمان وروى عن يعقوب بن إسحاق المحرمي وبقية رجاله
رجال الصحيح .

١٧١ ١٨١ تقايؤه طعام الشبهة :

البخاري عن عائشة ، وأحمد عن ابن سيرين ، في الزهد

١٧١ ١٨٢ النار أولى بما نبت من حرام :

الترمذي وابن حبان من حديث كعب بن عجرة : كل لحم نبت
من سحت فالنار أولى به . البيهقي وأبو نعيم عن أبي بكر .

١٧١ ١٨٣ وددت أن أكون خضراء تأكلني العوالب :

وأخرج أحمد عن قتادة قال : بلغني أن أبا بكر قال : وددت أني
خضرة تأكلني العوالب .

١٧١ ١٨٤ ثلاثة آيات من كتاب الله اشتغلت بهن :

١٧٣ ١٨٥ يا سارية الجبل الجبل :

البيهقي في الدلائل واللائل في شرح السنن والزين القمولى
في فوائده وابن الأعرابي في كرامات الأولياء عن ابن عمر وهكذا
وذكره حرمله في جمعه حديث ابن وهب قال الحافظ ابن حجر : وهو
إسناد حسن والخطيب في رواة مالك وأبو نعيم في الدلائل عن عمرو
ابن الحارث .

١٧٣ ١٨٦ رأيت على عمر اثنتي عشرة رقعة :

عن أنس رضي الله عنه : رأيت عمر رضي الله عنه وهو يومئذ أمير
المؤمنين وقد رفع بين كتفيه برقاع ثلاث ليدبعضها على بعض . رواة مالك

- ١٨٣ ١٨٧ قول عمر : رحم الله امرأ أهدي إلى عيوي :
- ١٧٣ ١٨٨ الشيطان يفرق من ظل عمر :
- الشيخان عن سعد بن أبي وقاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما أتيك الشيطان سالكا فجا قط
إلا سلك فجا غير فجعك ، وأخرج الترمذي عن عائشة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من
عمر ، وأخرج أحمد عن طريق بريدة قال صلى الله عليه وسلم : إن
الشيطان ليفرق منك يا عمر ، وابن عساكر عن عائشة مرفوعا إن
الشيطان يفرق من عمر .
- ١٧٣ ١٨٩ قوله رضى الله تعالى عنه : من خاف الله تعالى لم يشف غيظه :
- ١٧٤ ١٩٠ ما ابتليت ببيلة إلا كان لله على فيها أربع نعم :
- ١٧٤ ١٩١ شكا إليه رجل الفقر فقال عندك بما شاء ليلتك :
- روى مسلم عن عبد الله بن عمر بن العاص نحوه من قول عبد الله بن عمر .
- ١٧٤ ١٩٢ عن علي : ما أحد أحب إلي أن ألقاه بصحيفته مثل هذا المسجى :
- عن البخارى عن ابن عباس والحاكم عن جابر رضى الله عنه .
- ١٧٤ ١٩٣ رآه علي وهو يعدو خلف بعير فقال : لقد أتممت الخلفاء بمدك
يا أمير المؤمنين :
- ١٧٤ ١٩٤ رأى جماعة جلوسا في المسجد فأمرهم بالكسب وقال لأخيه زيد بن
الخطاب يوم أحد : إن شئت نزعنا درعى هذه حتى تلبسه .
- ١٧٥ ١٩٥ وجدت العبادة في أربعة أشياء :

رقم
المفحة مسلسل

١٧٦ ١٩٦ عن عثمان : لولا أنى خشيت أن يكون فى الإسلام ثلثة أسدها بهذا

المال ما جمعته :

١٧٦ ١٩٧ جهز جيش العسرة واشترى بئر رومة للمسلمين ، وقال صلى الله عليه

وسلم ما ضر عثمان ما فعل بعد . الترمذى عن عبد الرحمن بن ضباب
والبخارى عن أبى عبد الرحمن السلى .

١٧٦ ١٩٨ بعث إلى أبى ذر كيساً فيه ألف درهم ودفعها إلى عبد الله وقال له :
أنت حر إن قبلها منك .

١٧٨ ١٩٩ ما تمنيت ولا تمنيت وما مسست ذكرى يمينى منذ بايعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم . ابن ماجه عن عثمان .

١٧٨ ٢٠٠ قتل والمصحف فى حجره - عبد الله بن الإمام أحمد وأبو يعلى عن مسلم
ابن سعيد مولى عثمان ورجاله ثقات . قتل والمصحف بين يديه .

١٧٨ ٢٠١ قال : وجدت الخير مجموعاً فى أربع :

١٧٨ ٢٠٢ قيل لعلى بما عرف ربك ؟ قال : بما عرفنى نفسه لا تشبهه صورة
ولا يدرك بالحواس .

١٧٨ ٢٠٣ خلق الأشياء لا من شيء كان معه ولا عن شيء احتذاء ولا عن
شيء امتثله .

١٨١ ٢٠٤ أحب حبيبك هونا ما :

أبو داود والترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة موقوفاً .

١٨١ ٢٠٥ يا صفراء ويا بيضاء غرى غرى :

الإمام أحمد عن أبى صالح السمان عن على رضى الله عنه : فرق

جميع ما فى بيت المال وهو يقول : يا صفراء ويا بيضاء غرى غرى ثم

أمر بنفضه وصلى فيه ركعتين . روى أحمد عن علي ورجاله وثقوا
إلا أن مجاهداً لم يسمع من علي خرجت فأتيت حائطاً فقال دلوا بشمره
قال فدليت حتى ملأت كفي ثم أتيت الماء فاسعيت يعني شربت ثم
أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأطعمته نصفه وأكلت نصفه وصدره
عند الترمذى أنه عمل إيهودى دلو بتمره .

١٨١ ٢٠٦ إن أردت أن تلقى صاحبك فرقع قيصك واخصف نطك :

١٨١ ٢٠٧ لولا على هلاك عمر : أخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب قال : كان
عمر يتعوذ من معضله ليس فيها أبو حسن .

١٨١ ٢٠٨ خطبة الحسن بعد قتل أمير المؤمنين :

٧٥٠ درهم فصلت من عطائه أراد أن يشتري بها خادماً لأم كلثوم

الطبراني في الأوسط عن أبي الطفيل .

١٨١ ٢٠٩ كان يتغير لونه وقت الصلاة رضى الله عنه :

١٨١ ٢١٠ مجالسته صلى الله عليه وسلم ومؤاكلته للمساكين :

البخارى من حديث أبى هريرة حديث مؤاكلته للمساكين .

البخارى من حديث أبى هريرة قال وأهل الصفة أضياف الإسلام

لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد إذا أهدى صدقة بعث بها

إليهم ولم يتناول منها وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها

وأشركهم فيها .

١٨٣ ٢١١ يا من عاتبنى فيه ربى :

١٨٣ ٢١٢ كان يجلس مع أهل الصفة . . الخ

في الحلية عن محمد بن سيرين قال : كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم إذا أمسى قسم ناساً من أهل الصفة على ناس من أصحابه فكان

رقم
الصفحة

الرجل يذهب بالرجل والرجل يذهب بالرجلين والرجل يذهب بالثلاثة حتى
ذكر عشرة فكان سعد بن عباد يرجع كل ليلة إلى أهله بثمانين
منهم يعيشهم .

١٨٣ ٢١٣ لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء إما إزار
ولما كساء قد ربطوا في أعناقهم منها ما يبلغ نصف الساق ومنها
ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته .

رواه البخاري عن أبي هريرة

١٨٤ ٢١٤ عن ابن بريدة قال : قال لي أبي : لو رأيتنا ونحن مع نبينا وقد أصابتنا
السماء حسب ريحنا بريح الضأن :

رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وقال : حديث صحيح وذلك
لأنه لباسهم كان الصوف وجاء نحوه من سلمان .

١٨٤ ٢١٥ أحرق بطوننا النمر :

الحاكم عن طلحة البصري وسنده صحيح وهو في مسند أحمد .

١٨٤ ٢١٦ وقف على جماعة من أهل الصفة وقد استقر بعضهم ببعض :

رواه الترمذي وأبو داود والبخاري عن أبي سعيد الخدري .

١٨٥ ٢١٧ طلحة يخيط طرف إزاره ، وهو أمير :

١٨٥ ٢١٨ أخفق خنقك فوعزتك إني لأحبك :

أبو نعيم في الحلية

١٨٥ ٢١٩ عمران بن حصين :

أحب ذلك إلى أحب إلى الله .

الحارث بن أبي أسامة عن طريق هشام عن الحسن عن عمر أن

- ١٨٥ ٢٢٠ سلمان الفارسي لما نزلت هذه الآية «وإن جهنم لموعدهم أجمعين» صاح
ثم خرج هاربا قال الحافظ العراقي : بحثت عنه فلم أجده .
- ١٨٥ ٢٢١ زار سلمان أبا الدرداء من الشام إلى العراق راحلا وعليه كساء غليظ .
- ١٨٦ ٢٢٢ أبو الدرداء أردت أجمع بين العبادة والتجارة :
- عن خيشمة عن أبي الدرداء رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح
قال الحافظ الهيثمي : ورواه أبو نعيم في الحلية عنه .
- ١٨٦ ٢٢٣ أبو ذر :
- وعن أبي شعبة قال : جاء رجل إلى أبي ذر فعرض عليه نفقة
قال أبو ذر : عندنا أغبر نخلها وحر تنقلنا ومحرة نخدمنا وفضل
عبادة عن كسوتنا إني لأخاف أن أحاسب على الفضل : رواه الطبراني
أبو شعبة البكري لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح . قاله الحافظ
الهيثمي ورواه أبو نعيم في الحلية .
- ١٨٦ ٢٢٤ دعي إلى وليمة فرج :
- ١٨٦ ٢٢٥ أبو عبيدة الحراج :
- ١٨٧ ٢٢٦ عبد الله بن مسعود :
- أبو نعيم في الحلية .
- ١٨٧ ٢٢٧ البراء بن مالك :
- ترجم البراء بالشعر ، رواه الطبراني عنه أنس ، ورجاله رجال الصحيح
والحاكم عن أنس على شرط الشيخين وأقره الذهبي فإنه كان يوم
شهدك الملك بسند أخرجه الحاكم وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه
وأقره الذهبي .

رقم
المنحة مسلسل

١٨٧ ٢٢٨ عبد الله بن عباس :

١٨٨ ٢٢٩ حديث الحارث بن مالك :

تقدم عدد ٨ .

١٨٨ ٢٣٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى رجلاً يجر لزاراً وجعل يضرب الأرض برجله وهو أمير على البحرين فقال له : قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله لا ينظر يوم القيامة إلى من جر لزاره بطراً قال : وكان أبو هريرة يستخلف على المدينة فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيشق السوق ويقول : طرقت للأمر ، حتى ينظر الناس إليه .

لمالك والشيخين بلفظ مسلم .

١٨٨ ٢٣١ قول أنس : إن أول من يرد الخوض يوم القيامة الذابلون الفاحلون ، أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين الشعث رؤوساً الدنس ثياباً .

الترمذي وابن ماجه والحاكم وقال : صحيح الإسناد البخاري عنه من ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم .

١٨٨ ٢٣٢ عن عبد الله بن عمر كنت شاباً أنام في المسجد وعن أبي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وسلم : لا تصحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي . رواه أبو داود والترمذي .

١٨٨ ٢٣٣ حذيفة بن اليمان :

أبو نعيم في الحلية .

- ١٨٩ ٢٣٤ عبد الله بن جحش
الطبراني في الكبير عن سعد بن أبي وقاص
- ١٨٩ ٢٣٥ صفوان بن محرز المازني
- ١٨٩ ٢٣٦ أبو فروة
- ١٨٩ ٢٣٧ أبو بكرة
- ١٨٩ ٢٣٨ عبد الله بن رواحة
- ١٨٩ ٢٣٩ تميم الداري
- ١٩٠ ٢٤٠ عدي بن حاتم
- ١٩٠ ٢٤١ كل غموم القلب صدوق اللسان ، قلنا : يا رسول الله أي الناس خير ؟
قال : كل مؤمن غموم القلب صدوق اللسان ، قلنا : يا رسول الله فن
على أثره ؟ قال : الذي بشأ الدنيا ويحب الآخرة .
- قال الحافظ العراقي : قلنا يا رسول الله وما غموم القلب ؟ قال :
النفى التقي إلخ ، أخرجه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر بسند صحيح
دون قوله يا رسول الله فن على أثره ، ورواه بهذه الزيادة الخرائطي في
مكارم الأخلاق
- ١٩٠ ٢٤٢ محمد بن كعب
- ١٩٠ ٢٤٣ زرارة بن أوفى
- عن بهز بن حكيم قال : قال زرارة بن أوفى رضى الله عنه ، في
مسجد بني بشر فقرأ المدثر فلما بلغ « فإذا نقر في الناقور » خرّ ميتاً ، رواه
الحاكم وقال : صحيح الإسناد

رقم رقم
المنفعة مائل

١٩٠ ٢٤٤ حديث حنظلة

مسلم والترمذى من حديث حنظلة بن الربيع كاتب رسول الله
صلى الله عليه وسلم

١٩١ ٢٤٥ اللجلاج

الطبراني بإسناده لا بأس به

١٩١ ٢٤٦ أبو جحيفة

١٩١ ٢٤٧ حكيم بن حزام

١٩١ ٢٤٧ اشترى أسامة فرساً إلى شهرين ...

رواه ابن أبي الدنيا في كتاب قصر الأمل ، وأبو نعيم في الحلية ،
والبيهقي في الشعب ، والطبراني في سند الشاميين عن أبي سعيد الخدري
رضي الله عنه قال : اشترى أسامة بن زبير وليدة بمائة دينار إلى شهر
فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا تعجبون ؟ أسامة
المشترى إلى شهر ؟ إن أسامة لطويل الأمل

١٩١ ٢٤٩ بلال وصهيب (أنظر إلى هذا الذي نور الله قلبه)

١٩١ ٢٥٠ عبد الله بن ربيعة ومصعب بن عمر

ما كان فيه مصعب بن عمر من الرفاهية بمكة ، الترمذى وأبو يعلى
عن علي رضي الله عنه .

١٩٢ ٢٥١ مؤاخاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف

ومعد بن الربيع ، في الصحيح عن أنس

١٩٢ ٢٥٢ ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة

البخارى عن أبي هريرة والبخارى ومسلم والنسائى من طرق عن
فضل بن غزوان وفي رواية لمسلم تسميه الأنصارى بأبى طلحة رضى
الله عنه

١٩٣ ٢٥٣ أهدى لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة
فقال : إن أخى كان أحوج إليه منى

ابن كثير ذكر في غزوة اليرموك أن عكرمة آثار أصحابه بالماء

وهو جريح

١٩٤ ٢٥٤ ما نبجل والده ولله أفضل من أدب حسن

الترمذى والحاكم عن عمرو بن سعيد بن العاص ، قال الترمذى :

حسن غريب مرسل ورواه الطبرانى عن ابن عمر بسند ضعيف

١٩٤ ٢٥٥ إن الله أدبى فأحسن تأديبى مكرر

٢٠١ ٢٥٦ إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقوضون وضوء

إلا بليت للتراب ، أخرج أبو داود في سننه عن ذى مخبر الحشقى في

حديث نومهم عن صلاة الصبح في الوادى ، قال فتوضأ النبي صلى

الله عليه وسلم وضوءاً لم يلبث منه التراب ثم أسر بلالا فأذن ، قال

الحافظ بن حجر إسناده صحيح .

٢٠٥ ٢٥٧ ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها

قال الحافظ العراقى : لم أجده مرفوعاً، وروى محمد بن نصر المروزى

رقم
الصفحة مسلسل

في كتاب الصلاة من رواية عثمان بن دهرش مرسلًا « لا يقبل الله من عبد عملاً حتى يشهد قلبه مع بدنه » ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بن كعب ولابن المبارك في الزهد مرفوعاً على عمار « لا يكتب للعبد من صلاته ما سها عنه » وعن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : القلوب أوعى و بعضها أوعى من بعض فإذا سألت الله عز وجل يا أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة فإن الله لا يستجيب لعبد دعاء من ظهر قلب ، قال الحافظ المنذرى : رواه أحمد بإسناد حسن ونحوه للحاكم عن أبي هريرة :

٢٠٨ ٢٥٩ لا يزال العبد في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه :

البخارى ومسلم عن أبي هريرة وعن أنس عنه صلى الله عليه وسلم : صلى الناس ورددوا ولم تزالوا في صلاة منذ انتظرونها . رواه البخارى

٢٠٨ ٢٦٠ الإمام ضامن :

الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن

رواه ابن حبان في صحيحه عن عائشة ، وأبو داود والترمذى ، وابن خزيمة ، عن أبي هريرة ، ورواه ابن حبان في صحيحه عن عائشة رواه أحمد من حديث أبي أمامة بإسناد حسن ، وابن ماجه والحاكم عن سهل بن سعد ، الإمام ضامن فإن أحسن لله ولهم وإن أساء فليس عليه ولا عليهم .

٢٠٨ ٢٦١ الصف الأول :

أخرج أحمد عن أبي أمامة : إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول ، رواه أحمد بإسناد لا بأس به ، وأحمد وابن خزيمة عن البرار ابن عازب بسند جيد ، والشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو علم الناس .

٢٠٨ ٢٦٢ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخف الناس صلاة في تمام . مالك والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي

٢١٠ ٢٦٣ ما ترصعت لأهلك يا أبا بكر مكرر ١١٧

٢١٢ ٢٦٤ ما أتاك من غير مسألة فخذ (مالك والشيخان عن عمر)

٢١٣ ٢٦٥ لا تعمل الصدقة لغنى ولا لذى يرمة سوى (الترمذي عن جابر بن جارية)

٢١٣ ٢٦٦ ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس

الإمام أحمد والشيخان والترمذي عن أبي هريرة

٢١٤ ٢٦٧ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : — قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : كل معروف صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك

بوجه طلق وأن تفرع من دلوك في إناء أخيك :

رواه أحمد والترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، وأخرجه

ابن أبي عاصم لسند أحسن منه .

٢١٦ ٢٦٨ الصوم لي وأنا أجزي به : حديث قدسي

الشيخان ، عن أبي هريرة ومالك وأبو داود والترمذي والنسائي

٢١٦ ٢٦٩ إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك ويدك : معناه من لم يدع

قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه :

رواه البخاري وأصحاب السنن عن أبي هريرة .

رقم
الصفحة مسلسل

- ٢١٧ ٢٧٠ إذا صام أحدكم فلا يرفث ولا يفسق فإن شتمه إنسان فليقل: إني صائم
الشيخان وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه .
- ٢١٧ ٢٧١ الصوم جنة : النسائي عن معاذ أبي عبيدة والبيهقي عن جابر ، الصيام
جنة ، أحمد والبخاري والنسائي عن أبي هريرة
- ٢١٨ ٢٧٢ أفضل الصيام صيام أخي داود :
أحب الصيام إلى الله صيام داود ، الشيخان وأصحاب السنن
- ٢٢٢ ٢٧٣ من مات ولم يحج :
الترمذي والبيهقي من رواية الحارث عن علي كرم الله وجهه ،
ورضى الله عنه ، والبيهقي عن ابن أمية ، رضى الله عنه
- ٢٢٦ ٢٧٤ لا تشد الرحال إلخ ..
للإمام أحمد وللشيخين ، وأبي داود والنسائي وابن ماجه عن
أبي هريرة والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد
- ٢٤٤ ٢٧٥ اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه .
أبو داود والترمذي وحسنه ، وابن ماجه من حديث ابن عباس
رضي الله عنهما .
- ٢٥٥ ٢٧٦ لو صدق السائل ما أفلح من رده
رواه الطبراني بسند ضعيف عن ابن ماجه مزفوعا .
- ٢٦٥ ٢٧٧ تقبيل أحد أولاده صلى الله عليه وسلم والأقرع ابن حابس موجود في
من لا يرحم لا يرحم :
- الإمام أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة ، والشيخان
عن حريز بن عبد الله ، وقال السيوطي : هذا حديث متواتر .

- ٢٧٤ ٢٧٨ كان صلى الله عليه وسلم إذا عمل عملاً أتقنه :
- ٢٧٩ ٢٧٩ زرعياً تزدد حباً :
- ٢٩٢ ٢٨٠ يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسةائة عام : مكرر ٧٨
- ٢٩٤ ٢٨١ تنام عيناي ولا ينام قلبي :
- إن عيني تنامان ولا ينام قلبي : الشيخان عن عائشة رضی الله عنها
- ٢٩٤ ٢٨٢ إنما أنسى لأسن : مكرر ١٨
- مالك في الحرفي وهو أحد الأحاديث الأربعة التي لم يجدها
- ابن عبد العزيز موصولة ووصلها ابن الصلاح .
- ٢٩٤ ٢٨٣ إني أظن عند ربى يطعننى ويسقينى : مكرر ٤٦
- ٢٩٨ ٢٨٤ اتقوا فحارة المؤمن : مكرر ١٢٣
- ٢٩٨ ٢٨٥ إنما الناس كالإبل الهائمة لا تكاد تجد فيها راحلة :
- الشيخان والترمذى ، وله في رواية : لا نجد فيها إلا راحلة
- ٢٣٨ ٢٨٦ ما بعث الله نبياً إلا حسن الصوت
- الترمذى في الشمائل عن قتادة ، وزاد قوله : وكان نبيكم حسن الصوت ، قال الحافظ العراقي : ورويناه متصلاً في الفيلايات من رواية قتادة عن أنس والصواب الأول ، وزواه ابن مروويه في التفسير من حديث علي بن أبي طالب وطرقه كلها ضعيفة .
- ٢٣٨ ٢٨٧ ما أذن الله بشيء كإذنه لنبي حسن الصوت يتفنى بالقرآن
- بجهر به :

الشيخان وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة

رقم
الصفحة

٢٨٨ ٣٣٨ لله أشد إذا للرجل حسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته:
أحمد وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه عن حديث فضالة
ابن عبيد والبيهقي .

٢٨٩ ٣٣٨ حسن صوت داود عليه السلام :
قال الحافظ العراقي: لم أجده أصلاً .
٢٩٠ ٣٣٨ لقد أعطى أبو موسى مزماراً من مزامير آل داود :
متفق عليه من حديث أبي موسى .

٢٩١ ٣٣٨ قرأ صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فمدّاً :
للشيخين وأبي داود عن أنس وعبيد الله بن مفضل .
٢٩٢ ٣٣٩ لو علمت أنك هو لحبته لك تحميراً
مسلم والنسائي عن ابن موسى .

٢٩٣ ٣٣٩ زينوا القرآن بأصواتكم :
أبو دواد والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من
حديث البزار .

٢٩٤ ٣٤٥ نحن الخالقات فلا نموت أبدا :
الترمذي عن علي قال : حديث غريب
والبيهقي وأبو نعيم عن أبي أوفى في صفة الجنة .

٢٩٥ ٣٤٥ من شرب الخمر في الدنيا :
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال :

من مات من أمتى وهو يشرب الخمر حرم الله عليه شربها في الجنة ، ومن مات من أمتى وهو يتحلى بالذهب حرم الله عليه لباسه في الجنة : رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات .

ومن ابن عمر : كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو يدمنها لم يتب منها ، لم يشربها في الآخرة : مالك وأحمد والشيخان والنسائي والترمذي وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة .

٣٤٥ ٢٩٦ غناء الجاريتين في بيت عائشة رضى الله عنها

في الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها

٣٤٦ ٢٩٧ قول أبي بكر :

كل امرئ مصبح في أهله ، وبلال : ألا ليت شعري الخ وعائشة ذهب الدين يعاش في أكنافهم : أخرجه الحافظ بن ناصر القمشقي في نفحات الأخبار في مسلسلات الأخبار .

٣٤٦ ٢٩٨ أنشد كعب بن يزيد على الله عليه وسلم : بانت سعاد .

وراه الطبراني ورجاله إلى ابن اسحاق ثقات قاله الحافظ الهيثمي .

٣٤٧ ٢٩٩ إن من الشعر لحكمة :

البخازي وأبي داود عن أبي وأبو داود عن ابن عباس .

٣٤٧ ٣٠٠ الحكمة خالة المؤمن :

الترمذي عن أبي هريرة بسند فيه إبراهيم بن الفضل ضعيف ،

ورواه القضاة في سننه عن زيد بن أسلم مرسل .

٣٤٧ ٣٠١ عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر في تجويزهما السباع :

رقم
الصفحة
رقم
السجل

عبد الله بن جعفر، ابن عبد البر في الاستيعاب وعبد العزيز بن عمر

ابن طاهر وابن حزم.

٣٤٨ ٣٠٢ نهى صلى الله عليه وسلم عن سماع الأوتار والمزامير والمعازف.

في صحيح البخاري سيتلوني من أمي أقوام يستحلون الخمر والخمر
والنظر والمعازف : رواء من حديث أبي مالك الأشعري .

٣٥٢ ٣٠٣ أقرأ عليك أنزل ؟

للشيخين والترمذي وأبي داود عن ابن مسعود .

٣٥٢ ٣٠٤ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ «والتين والزيتون» فأرأيت
أحسن من قراءته .

٣٥٢ ٢٠٥ لقد أوتي مزامراً من مزامير آل داود : مكرر ٢٩٠

٣٥٢ ٢٠٦ إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله مكرر ١٤

٣٥٢ ٣٠٧ مر على عصابة يستر بعضهم بعضاً من العري وقاريء يقرأ لهم .

أبو داود والترمذي والبخاري عن أبي سعيد ، وزاد البخاري : حتى
إن التي بود أنه كان كان سائك

وأن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ «فكيف إذا جئنا من كل أمة
بشهادة فصعق ، في الصحيحين عن ابن مسعود أنه قرأ صلى الله عليه
وسلم فلما انتهى إلى (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهادة . وجئنا
بك على هؤلاء شهداء) قال حسبك فإذا عيناه تذرفان بالدموع
وروى ابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب عن طريق من حديث
أبي حرب ابن أبي الأسود مرسل : أنه قرأ عنده (إن لدينا
أنكلاً وجحياً وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً) فصعق . وأنه قرأ (إن
تعذبهم فإنهم عبادك) فبكى .

عن عبد الله ابن عمرو رواه مسلم .

٣٥٣ ٣٠٨ وأنه كان إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر وإذا مر بآية عذاب دعا واستغفر

واستعاذ ، حديث حذيفة رضي الله عنه كان لا يمر بآية عذاب إلا تعوذ

ولا بآية رحمة إلا سأل ولا بآية تنزيه إلا سبح :

مسلم وليس في الحديث واستبشر .

٣٥٣ ٣٠٩ لاخير في قراءة ليس فيها تدبر :

روى رزين من قول سيدنا علي رضي الله عنه :

ألا لاخير في قراءة ليس فيها تدبر ولا عبادة ليس فيها تفقه .

٣٥٤ ٣١٠ زرار بن أوفى رضي الله عنه : أم بالناس ققرأ آية من القرآن فصعق

ومات : الحاكم عن بهز بن حكيم وصححه .

٣٥٦ ٣١١ وإن من الشعر لحكمة : مكرر ٢٩٩

٣٥٦ ٣١٢ القرآن كلام الله منه بدا وإليه يعود :

قال الحافظ السيوطي في اللآلئ المصنوعة : أخرج البخاري في

خلق أفعال العباد قال حدثنا الحاكم بن محمد الطبري كتبت عنه بمكة

قال حدثنا شعبان بن عتبة قال أدركت أصحاب النبي صلى الله عليه

وسلم فمن دونهم منذ سبعين سنة يقولون : الله الخالق وما سواه مخلوق ،

والقرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود . وقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم إنكم لا ترجعون إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه . يعني

القرآن . رواه الحاكم وصححه ورواه أبو داود .

٣٦٥ ٣١٣ هكذا كنا حتى قست القلوب :

رقم
الصفحة مسلسل

٣٧٣ ٣١٤ من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه .

أحمد وأبو يعلى والترمذى وابن ماجه عن أبي هريرة وأحمد
عن الحسين بن على والمسكرى عن على وبنده وأوضحه الشيخان في
تخريج الأربعين .

٣٧٧ ٣١٥ وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ (فكيف إذا جئنا من
كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) فصعق

٣٧٨ ٣١٦ إذا دخلتم على هؤلاء المذنبين .

أخرج البخارى في الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما :
لاندخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن
يصيبكم ما أصابهم ثم قنع رأسه حتى أجاز الوادى . وفي رواية للإمام
أحمد ، إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فبقا كوا خشية أن
يصيبكم ما أصابهم .

٣٩٥ ٣١٧ أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ما أعطى الأنبياء في المعجزات .

٣٩٥ ٣١٨ انشقاق القمر .

الشيخان والترمذى عن ابن مسعود وأنس والترمذى عن
جبير بن مطعم . والمراج عن مالك بن صمصة وأبي هريرة وأنس
وبريدة وشداد بن أوس وغيرهم ، وأخرجه أصحاب الصحاح والسنن
والمسانيد وهو متواتر ونفع الماء من بين أصابعه الموطأ والشيخان
والنسائى والترمذى عن أنس ، والشيخان عن جابر يوم الحديبية .

٣٩٦ ٣١٩ حديث جريج :

الشيخان عن أبي هريرة .

رقم
الصفحة مسلسل

٣٩٦ ٣٢٠ حديث الفار :

الشيخان وأبو داود عن ابن عمر .

٣٩٦ ٣٢١ وكلام البقرة والذئب :

الشيخان والترمذي عن أبي هريرة .

٣٩٦ ٣٢٢ إن في أمي مكلين :: مكرر ١٠

٣٩٦ ٣٢٣ ياسارية الجبل .

البيهقي في الدلائل واللالسكاني في شرح السنة وابن الأعرابي
من كرامات الأولياء عن ابن عمر وهكذا رواه حرمله في جمعه
لحديث ابن وهب وإسناده حسن قاله الحافظ ابن حجر وقد أفرد الحافظ
الحلي لطرقه ووثق رجال هذا الطريق وقال ذكره ابن عساكر
وابن ما كولا وغيرهم .

٣٩٦ ٣٢٤ كرامات سيدنا علي والسيدة فاطمة رضي الله عنهما .

٣٩٧ ٣٢٥ أسيد بن حضير وعباد بن بشر :

في الصحيح عن أنس وأخرجه الحاكم عنه .

٣٩٧ ٣٢٦ تسبيح الحصا لأبي الدرداء وسلمان :

أورده البيهقي في الدلائل عن طريق قيس بن أبي حازم قال :

كان أبو الدرداء وسلمان إذا كتب أحدهما إلى الآخر قال له مابه .

٣٩٧ ٣٢٧ العلاء بن الحضرمي وقطعه البحر :

عن أبي هريرة رضي الله عنه لما بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم العلاء بن الحضرمي إلى البحرين بنفسه قرأيت منه ثلاث خصال
لأدري أيهن أحب أنهن إلى ساحل البحر فقال سموا الله تقحموا
فسمينا وتقحمنا فما بل الماء أقدامنا .

رقم رقم
الصفحة مسلسل

- ٣٩٧ ٣٢٨ عبد الله بن عمر والسبع :
- ذكر السبكي في الطبقات أنه قال للأسد القدي منع الناس الطريق
تنح فبصبص بذنبه وذهب .
- ٣٩٧ ٣٢٩ رب أشعث أغبر مكرر (١١)
- ٤١٣ ٣٣٠ حديث حارثة : مكرر (٨)
- ٤٢٠ ٣٣١ يظن الناس أنهم قد خولطوا وما خولطوا ولكن خالط قلوبهم من
عظمة الله تعالى ما رهب لتقولهم .
- ٤٢١ ٣٣٢ لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يظن الناس أنه مجنون . في معناه ،
أكثرنا ذكر الله حتى يقولوا مجنون : رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان
في صحيحه والحاكم وقال : صحيح الإسناد .
- ٤٢٢ ٣٣٣ أعوذ بك من شر طوارئ الليل والنهار :
- رواه أحمد وأبو يعلى ولكن واحد منهما إسناده جيد يحتاج به ،
ورواه مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد مرسل ، ورواه النسائي من
حديث ابن مسعود .
- ٤٢٣ ٣٣٤ اللهم بك أصول وبك أحول :
- كان إذ أراد سفرأ قال : اللهم بك أصول وبك أحول وبك
أسير . الإمام أحمد والبخاري عن علي كرم الله وجهه — وقال الحافظ
البيهقي : رجاله ثقات .
- ٤٢٥ ٣٣٥ المحسدون مكرر (٣٠)
- ٤٢٦ ٣٣٦ قول سيدنا علي : وكيف نعبد من لم نر ؟ :
- ٤٢٦ ٣٣٧ أعبد الله كأنك تراه : مكرر (٣٠)

٤٢٩ ٣٣٨ أخبر نقله :

عن عبد الرزاق والطبراني وابن عدى ، وأبو نعيم في الحلية عن
أبي الدرداء .

٤٢٩ ٣٣٩ أشد الناس بلاء الأنبياء : مكرر (٧٩)

٤٣٩ ٣٤٠ ليس الإيمان بالتحلى ولا بالتمنى ولكن ما وقر في القلب :

ابن النجار ، والديلمي في مسند الفردوس ، وسنده ضعيف .

٤٥١ ٣٤١ إنه ليغان على قلبي :

عن أغر مزينه رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم والليلة مائة
مرة ، أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي ، وفي رواية لمسلم : توبوا
إلى ربكم فوالله إنى لأتوب إلى ربي تبارك وتعالى في اليوم مائة مرة .

٤٥٥ ٣٤٢ لو تعلمون ما أعلم : مكرر (١٦)

٤٥٦ ٣٤٣ علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين باباً من العلم : مكرر (١٨)

٤٦٢ ٣٤٤ كان صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يدخل في الصلاة قال : وقفت

بين يدي الملك الجبار :

٤٦٣ ٣٤٥ سبق المفردون :

الترمذى ، والحاكم عن أبي هريرة ، وقال الحاكم : على شرطهم
وأقره الذهبي والطبراني عن أبي الدرداء وسنده صحيح سيروا هذا حمدان
سبق المفردون ، قالوا : وما المفردون ، قال : الذاكرون الله والذاكرات
رواه مسلم عن أبي هريرة .

رقم
الصفحة مسلسل

- ٤٦٣ ٣٤٦ ما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل : مكرر (٣٢)
- ٤٦٧ ٣٤٧ أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل :
رواه الشيخان عن أبي هريرة ، وعن أحمد والترمذي عن أشعر
كلمة تكلمت ؟ العرب كلمة لبيد .
- ٤٧٥ ٣٤٨ ليس منا أحد ينجيه عمله ، قالوا ولا أنت يا رسول الله الخ ..
الشيخان عن عائشة مرفوعا : سدّدوا وقاربوا وأبشروا واعملوا
انه لن يدخل أحدكم الجنة عمله ، قالوا ولا أنت يا رسول الله قال :
ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته .
- ٤٧٨ ٣٤٩ لي وقت لا يسعني شيء غير الله برحمته مكرر (٩٨)
- ٤٧٨ ٣٥٠ أنا سيد ولد آدم ولا فخر : مكرر (٧٣)
- ٤٧٩ ٣٥١ ولا تفضّلوني : مكرر (٣٢)
- ٤٧٩ ٣٥٢ وأنا ابن امرأة تأكل القديد : مكرر (٧١)
- ٤٨١ ٣٥٣ رأيت جبريل عليه السلام مثل المجلس البالي :
مررت ليلة أسرى بي بالملأ الأعلى وجبريل كالمجلس البالي من
خشية الله تعالى .
- ٤٨٢ ٣٥٤ رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته قد سد الأفق :
رأى جبريل في حلة من زخرف قد ملأ ما بين السماء والأرض
للشيخين ، والترمذي عن عبد الله بن مسعود .
- ٤٨٣ ٣٥٥ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إضاعة المال : الإمام أحمد ، وخرج
أبو بكر من جميع ماله ، أما الله تعالى : رضى لكم ثلاثا وكره لكم

ثلاثاً ، قيل وقال : وكثرة السؤال وإضاعة المال ، الإمام أحمد ومسلم
عن أبي هريرة .

٤٨٤ ٣٥٦ رد الشمس لسليمان عليه السلام وردها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
رد الشمس لملي بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال السيوطي :
أخرجه ابن منده وابن شاهين عن أسماء بنت عيسى وابن مردويه
عن أبي هريرة وإسنادهما حسن . قال المجلوني : وكذا ردت لسليمان
ابن داود عليهما السلام على قول بعضهم وإن حبسها عن الغيب فقد وقع
ليوشع بن نون وقبلة لموسى بن عمران .

٤٨٤ ٣٥٧ شغلونا عن الصلاة الوسطى :
عن علي رضي الله عنه ، رواه الشيخان ، والترمذي ، والنسائي ،
وأبو داود .

٤٨٤ ٣٥٨ اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون :
ابن حبان والبيهقي في دلائل النبوة من حديث سهل بن سعد ،
وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود : إن كان صلى الله عليه
وسلم عن بني إذا قومه

٤٨٥ ٣٥٩ الدنيا ملعونة ملعون ما فيها : مكرر (١١٠)
٤٨٥ ٣٦٠ لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة : مكرر (٢٨)
٤٩٠ ٣٦١ « لو بقيتم » حديث حنظلة مكرر (١٩٧)
٤٩١ ٣٦٢ تقول جهنم يوم القيامة : جُزْ يا مؤمن فقد أطفأ نورك لمي :

الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن يعل بن منبه وعن جابر بن الله :

رقم
الصفحة مسلسل

لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم حتى إن النار ، أوقال : لهم ضجيجاً من بردهم ثم ينجي الذين اتقوا ويذر الظالمين ، رواه أحمد ورواته ثقات ، والبيهقي بإسناد حسن .

٥١٣ ٣٦٣ محمد الله لا يحمذك :

في الصحيح عن عائشة .

٥١٣ ٣٦٤ من صلى على الله واحدة صلى الله عليه عشرة :

رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة ، ورواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي والحاكم عن أنس : من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشر صلوات ، ورواه أحمد عن ابن عمر بلفظ : من صلى على صلاة صلى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة فليقل عند ذلك أو ليكثر ، ورواه النسائي بمعناه عن أبي طلحة .

٥١٤ ٣٦٥ سل تعط ، حديث الشفاعة :

في الصحيحين والسنن والمسند عن أنس وأبي بكر وأبي هريرة

وغيرهم ، وهو حديث متواتر .

٥١٥ ٣٦٦ اللهم اجعل من فوق نوراً :

الإمام أحمد والشيخان والنسائي عن ابن عباس والترمذي ومحمد

ابن نصر في الصلاة ، والطبراني والبيهقي في الدعوات عنه .

٥١٥ ٣٦٧ والله إني لأراكم خلف ظهري كما أراكم قدامي :

الشيخان عن أنس ، وعن أبي هريرة في صحيح البخاري ، والله

ما ينحني على ركوعكم ولا خشوعكم وإني لأراكم وراء ظهري .

٥١٦ ٣٦٩ أربعة في الدنيا وليست هي من الدنيا كسرة تسد بها جوعك وثوب
توارى عورتك وبيت تسكن فيه ؟ وزوجة صالحة تسكن إليها :
عن أبي عبيد قال عمر : يا رسول الله إنا لمستولون عن هذا يوم
القيامة ؟ قال : نعم إلا من ثلاث خرقة كست بها عورته أو كسرة
سد بها جوعته أو حجر يدخل فيه من الحر والقر ، رواه الإمام أحمد
ورواته ثقات ، وروى الترمذى والحاكم وصححا والبيهقى عن عثمان
ابن عفان نحوه .

٥١٩ ٣٧٠ ليس الإيمان بالتحلى ولا بالتمنى (والفقر أزين بالمؤمن من العذار
الجيد) مكرر (٢٩) .

٥٢٤ ٣٧١ أحل ما يأكل المؤمن من كسب يده :
٥٣٢ ٣٧٢ أفلا أكون عبداً شكورا : مكرر (٩١) .
٥٣٢ ٣٧٤ اختار أن يكون عبداً نبياً : مكرر (٥٢) .
٥٣٦ ٣٧٥ أفرضكم زيد وأفرؤكم أبى وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ،
رضى الله عنهم : مكرر (١١٣)

وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشرة من الصحابة
بالجنة ليس هؤلاء منهم ، عن سميد بن زيد رضى الله عنه سمع من
يسب عليا رضى الله عنه بحضرة بعض الأسماء فقال : ألا أرى
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يسبون عندكم ثم لا تنسكروا ولا
تغيروا ؟ سمعته صلى الله عليه وسلم يقول : وإني لأخفى أن أقول عنه ما لم
يقُل فيسألنى عنه غداً إذا لقيته ، أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة ،
وعثمان في الجنة ، وطلحة في الجنة وزيد في الجنة والزبير في الجنة ،

رقم
الصفحة مسلسل

وأبو عبده بن الجراح في الجنة ، وسكت عن العاشر ، قالوا : ومن هو العاشر ؟ فقال : سعيد بن زيد - يعني نفسه - ثم قال : والله لمشهد رجل منهم مع النبي صلى الله عليه وسلم يغير فيه وجهه خير من عمل أحدكم ولو عمر عمر نوح :
رواه أبو داود ، والترمذي .

٥٣٩ ٢٧٦ الحلال بين والحرام بين :

الشيخان وأصحاب السند عن النعمان بن بشير .

٥٤٦ ٢٧٧ ليس الخبز كالمأينة : مكرر (٤١) .

٥٤٥ اعبد الله كأنك تراه : مكرر (٣١) .

٥٤٧ إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله : مكرر (٢٩٣) .

فهارس الكتاب

١ - فهرس الأعلام

٢ - د الموضوعات

فهرس الأعلام

(١)

أبو بكر الصديق : ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٧ ،

٦٥ ، ٧١ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ،

١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ،

١٧٥ ، ١٨٢ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،

١٩٣ ، ٢١٠ ، ٣٤٦ ، ٥١٣ ،

أبو بكر الطوسي : ٧٥

أبو بكر الواسطي : ٥٩ ، ٦٠ ، ٧٩ ،

٨٠ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،

١٠١ ، ١١٣ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ،

١٥٣ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ،

١٦٩ ، ٢٨٤ ،

أبو بكر الوجيبي : ٧٤ ، ١٧٩ ، ٢٣٨ ،

أبو بكر الوراق : ٩١

أبو تراب النخشي : ٧٨ ، ٢٢٣ ، ٢٣٨ ،

٢٤٤ ، ٢٥٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ،

٢٨٦

أبو الحسن القناد : ٤٦ ، ٤٧ ، ٧٧ ،

٨٠ ، ٩٠ ، ١٠٢ ،

أبو الحسين أحمد بن محمد النوري : ٤٦

٥٨ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٨٥ ، ٨٧ ،

١٠٣ ، ٢٨١ ، ٣٦٣ ، ٤٠٣ ،

٤٣٠ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ،

٥٠٣ ، ٥٠٤ ،

إبراهيم بن آدم : ٢٠٢ ، ٢١٩ ، ٢٣٥ ،

٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٢٦٥ ، ٣٣٢ ،

إبراهيم بن شيان : ٢١٠ ، ٢٢٤ ،

٢٢٦ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ،

٢٤٣ ، ٢٥٣ ، ٢٣٦ ، ٤٠٥ ،

إبراهيم الحربي : ١٤٥

إبراهيم الخليل عليه السلام : ٩٨ ،

١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ٢٨٢ ،

٣٩٤

إبراهيم الخواص : ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ،

٨٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ،

٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،

٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٨ ، ٢٥٠ ،

٢٥١ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٢٧٨ ،

٢٨٢ ، ٢٩٨ ، ٣٢٠ ، ٤٠٤ ،

٤١٨ ، ٤٢٣ ، ٤٣٢ ، ٤٤٣ ،

٤٤٥

إبراهيم المارستاني : ٩٧ ، ٢٤٦ ،

إبراهيم بن المولد الرقي : ٤٧ ، ٢٣٣ ،

إبراهيم الآجري : ٨٢

إبراهيم بن مهاجر : ٤٥٥

أبو بكر الزقاق : ٧٤ ، ٧٨ ، ١٢٩ ،

٢٢١ ، ٢٤٠ ، ٢٥٠ ، ٢٦٣ ،

٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٣٦٣ ، ٣٦٨ ،

أبو الحارث الأولاسي : ١٥١

أبو العباس بن سريح : ١٤٥

أبو العباس أحمد بن عطاء البغدادي :

٨٢ ، ٧٨ ، ٥٩ ، ٥٦ ، ٥٥

١٢٤ ، ١٠٣ ، ٩٢ ، ٨٣

٢٨١ ، ١٩٦ ، ١٦٨ ، ١٣٨

٢٩٠ ، ٢٨٩ ، ٢٨٦ ، ٢٨٢

٤٠٣ ، ٣٢٤ ، ٣٠٠ ، ٢٩٧

٥٠٠ ، ٤٤٧ ، ٤٣٥

أبو سعيد أحمد بن عيسى الحراز : ٥٣

٩٤ ، ٩٠ ، ٨٧ ، ٧٠ ، ٥٦

١١٤ ، ١١٣ ، ١٠١ ، ١٠٠

٢٠٦ ، ٢٠٥ ، ١٢٠ ، ١١٥

٢٧٤ ، ٢٥٩ ، ٢٣٩ ، ٢٣٤

٢٨٨ ، ٢٨٥ ، ٢٨٢ ، ٢٧٥

٣١١ ، ٣٠٩ ، ٣٠٥ ، ٣٠٠

٣٢٦ ، ٣١٩ ، ٣١٥ ، ٣١٤

٣٨٠ ، ٣٦٣ ، ٣٦١ ، ٣٣٤

٤٣٧ ، ٤٣٦ ، ٤١١ ، ٤٠٥

٤٤٩ ، ٤٤٧ ، ٤٤٥ ، ٤٣٨

أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد الداراني

٨١ ، ٧٩ ، ٧١ ، ٦٦ ، ٥٩

١٤٦ ، ١٢٥ ، ٩٨ ، ٨٣

٢٦٩ ، ٢٤٨ ، ٢٤٥ ، ٢٤٠

٤٤٦ ، ٤١٥ ، ٣٥٤ ، ٣٤٢

أبو عبد الله بن أحمد بن يحيى الجلاء :

١٧٦ ، ٩٠ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٤٦

٢٤٠ ، ٢٣٨ ، ٢٣١ ، ٢٢٥

٤٥١ ، ٢٩٣ ، ٢٤٤

أبو علي الروذباري : ١٢٩ ، ٧٥

٢٣٩ ، ١٩٨ ، ١٧٩ ، ١٤٥

٢٤٥ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤٠

٢٧٤ ، ٢٦٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٠

٣٠٦ ، ٢٩٦ ، ٢٩٣ ، ٢٨٠

٣٢٠ ، ٣١٤ ، ٣٠٩ ، ٣٠٨

٣٧٢ ، ٣٥٩ ، ٣٤٣ ، ٣٤٠

٤٣١ ، ٤٢٣ ، ٤١٤ ، ٣٩١

٤٩٥ ، ٤٥١ ، ٤٣٦ ، ٤٣٥

٥٢٥ ، ٥٠٤

أبو القاسم الجنيد بن محمد : ٤٦ ، ٤٥

٥٨ ، ٥٧ ، ٥١ ، ٥٠ ، ٤٩

٧٦ ، ٧٥ ، ٧٣ ، ٦٧ ، ٦٦

٨٨ ، ٨٥ ، ٨٢ ، ٨٠ ، ٧٩

١٤٤ ، ١٢٨ ، ١٠٣ ، ٩٧

١٦١ ، ١٦٠ ، ١٥١ ، ١٤٥

١٧٢ ، ١٦٤ ، ١٦٣ ، ١٦٢

٢٠٤ ، ١٩٨ ، ١٧٩ ، ١٧٨

٢٣٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٠

٢٤٠ ، ٢٣٩ ، ٢٣٧ ، ٢٣٥

٢٤٨ ، ٢٤٦ ، ٢٤٤ ، ٢٤٠

٢٦١ ، ٢٥٩ ، ٢٥٧ ، ٢٤٩

٢٧٣ ، ٢٧٢ ، ٢٦٨ ، ٢٦٣

٢٧٩ ، ٢٧٧ ، ٢٧٥ ، ٢٧٤

٢٨٥ ، ٢٨٣ ، ٢٨٢ ، ٢٨٠

٢٨٩ ، ٢٨٨ ، ٢٨٧ ، ٢٨٦

٢٩٥ ، ٢٩٣ ، ٢٩١ ، ٢٩٠

أبو يعقوب النهرجوري : ١٠٢٠٧٩ ،
٢٧١ ، ٢٥٦ ، ١٠٣

أبو يعقوب يوسف بن حمدان السوسي :
٢٥٢ ، ٨٨ ، ٨٥ ، ٦٨

(ب)

بصر بن الحارث الحافي : ٧٠ ، ٢١٤ ،
٢٧٢ ، ٢٦٤ ، ٢٥٩ ، ٢٤٤
٢٧٧ ، ٢٧٣

بكر بن عبد الله المزني : ١٧١ ، ٣٩٧ ،
بكران الدينوري : ٢٨١
بلال : ١٩١ ، ٣٤٦

بنان : ٢٥٤ ، ٢٦٤ ،
بندار بن الحسين : ٣٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٤٩
بندار الدينوري : ١٤٥

(ت)

تميم الهادي : ١٨٩

(ث)

ثابت البناني : ١٨٥ ، ٣٩٧
ثعلب : ١٤٥
ثعلبة بن أبي مالك : ١٨٨
الثوري : ٢٧١

٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ،
٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣١٠ ،
٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٨ ،
٣٢١ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ،
٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٤٣ ، ٣٥٤ ،
٣٥٨ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ،
٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ،
٣٨٢ ، ٣٩٠ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ،
٤٠٧ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ،
٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥ ،
٤٢٧ ، ٤٣٢ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ،
٤٣٦ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٦ ،
٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥٩ ، ٤٦١ ،
٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ،
٤٦٩ ، ٤٧٥ ، ٤٧٩ ، ٤٨٦ ،
٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٩٨ ، ٥٠٠ ،
٥٠٣ ، ٥٠٤

أبو محمد الجريري : ٤٥ ، ٧٥ ، ٩٤ ،
١٦٠ ، ٢٣٨ ، ٢٤٨ ، ٢٧٣ ،
٢٨١ ، ٣٠٠ ، ٣٠٥ ، ٤١٤ ،
٤٢٩ ، ٤٤٤

أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي :
٥٧ ، ١٢٨ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ،
٢٢٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٤٩ ،
٢٦٧ ، ٢٨٠ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ،
٢٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٢٣ ،
٤٥٩ ، ٤٦١ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ،
٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٦ ، ٤٧٩ ،
٤٨٠ ، ٥١٤

(ج)

جبريل : ٥٤ ، ١١٤ ، ١٤٣ ،
٤٨٢ ، ٤٨١ ، ١٦٣

جيلة : ٣٤٣

جريج : ٣٩١

جعفر الخلدی : ١٩٨ ، ٢٢٤ ، ٢٣٩ ،

٢٤٣ ، ٢٤٩ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣ ،

٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ،

٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ،

٣٠٩ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ،

٣٣٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٨ ، ٣٧٣ ،

٣٨٠ ، ٤٠٠ ، ٤٠٤ ، ٤٠٧ ،

٥٠٣

جعفر الطیالی : ٤٣٥

جعفر المبرقع : ٣٥٩

(ح)

الحارث الحاسبي : ٢٤٠ ، ٢٤٦ ، ٢٨٨ ،

٢٨٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٤٩٥ ،

حارثة الأنصاری : ١٤٣ ، ١٨٨ ،

حبيب بن مسلمة : ١٨٦

حبيب العجمی : ٤١٣

حذيفة بن اليمان : ١٨٨ ، ١٨٩ ، ٤٥٦ ،

الحراس بن عميرة : ١٨٥

الحسن بن علی : ٤٥ ، ٨٢ ، ٨٧ ، ١٨١ ،
٣٥٨

الحسن بن أبي الحسن البصري : ١٩٤ ،
٢٣٥ ، ٣٩٧ ،

الحسن بن علی بن حيوية الدامغانی :
٦٤ ، ٨٢ ، ٩٨ ،

حسن القزاز : ٢٢٣ ، ٢٦٨ ، ٣٢٥ ،
٣٩٢

الحسين بن أبي أحمد الرازي : ٣٩١

الحسين بن عبد الله الرازي : ٢٨٧

الحسين بن عبد الله الفارسي : ٥٠٤

حسين بن جبريل المرندي : ٣٠٩

حسين بن الصري : ٢٦٣

الحسين بن منصور الحلاج : ١٥١ ،
٣٠٤ ، ٣٧٨ ،

الحصري : ٤٨ ، ١٩٨ ، ٢٨٩ ، ٣٤٣ ،
٤٨١

حكيم بن حزام : ١٩١

حمزة بن عبد الله العلوي : ٣٩٨

حنظلة الكاتب : ١٩٠

(خ)

الخضر : ١٧٩ ، ٢٢٤ ، ٣٣٢ ،

خير النساج : ٢٥٦ ، ٤١٨ ، ٤٤٨ ،

(د)

الدراج : ٢٥٨، ٢٧٧

اللق : ٢٤٠، ٢٣٦، ٢٣٠، ٢٢٩

٢٩٥، ٢٨١، ٢٧٧، ٢٧٣

٣٥٩، ٣٥٨، ٣٤١

داود : ٢٥٢، ٢٣٨، ٢١٨، ١٥٥

دلف بن جحدر الشبل : ٤٧، ٥٠

٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٧، ٧١

٧٣، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨٩

٩٢، ٩٧، ٩٨، ١٢٤، ١٢٧

١٢٨، ١٤٥، ١٥٦، ١٦٢

١٦٣، ١٦٤، ٢٠٠، ٢١٠

٢٢٠، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٣

٢٥١، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٧٥

٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٥

٢٨٧، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٤

٢٩٦، ٢٩٩، ٣٠٥، ٣٢٢

٣٣٠، ٣٤٢، ٣٥٤، ٣٥٥

٣٦٤، ٣٧١، ٣٧٩، ٣٨٢

٤١٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٣٠، ٤٣٢

٤٣٣، ٤٣٧، ٤٤٠، ٤٤١

٤٤٢، ٤٤٣، ٤٧٨، ٤٧٩

٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣

٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩

٤٩٠، ٤٩١، ٥٠٤

(ذ)

ذو النون للصري : ٤٥، ٤٩، ٦١

٦٨، ٧٧، ٧٨، ٨٠، ٨٨، ٩٢

٩٧، ١٤٥، ١٥١، ١٦٦

٢٣٤، ٢٣٦، ٢٤٦، ٢٦١

٢٧١، ٢٧٢، ٢٨٨، ٢٨٩

٣٠٠، ٣٠٧، ٣١٨، ٣٢٨

٣٣٥، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٦١

٣٦٢، ٤٠٥، ٤١٣، ٤١٥

٤٤٠، ٤٤٥، ٤٤٩، ٤٩٨

٥٠٣

(ر)

رابعة العدوية : ٣٩٨

رويم بن أحمد بن يزيد البغدادي : ٤٥

٥١، ٦٨، ٧٣، ٧٥، ٧٨

١٠٣، ٢١٧، ٢١٨، ٢٤٥

٢٥٠، ٢٨٦، ٢٩٩، ٣٣٤

٣٦١، ٣٩٨

(ز)

زرارة بن أوفى : ١٩٠، ٣٥٤

زريق : ٣٥٩

زكريا : ٧٧

الزقاق : ٢٦٢، ٢٧٣، ٢٩٥

زهرى: ١٢٩

زياد بن حدير: ١٨٥

زيد بن الخطاب: ١٦٠، ١٦٧، ١٧٥

زينب: ١٦٠

(س)

السرى السقطى: ٧٢، ٢٣٩، ٢٤٠

٢٤٢، ٢٤٤، ٢٥٦، ٢٦٢

٢٦٩، ٣١٠، ٣٣٢، ٣٢٤، ٣٥٤

٣٧٣، ٣٨١، ٣٨٢، ٤٠٢

٤٢٧

سعد بن الربيع: ١٩٢

سعد بن معاذ: ١٨٣

السجد: ٥١

سعيد بن جبير: ٤٦٥

سعيد بن المسيب: ١٨٩، ١٩٤، ٣٩٧

سفيان الثوري: ٢٦٧، ٤٢٥

سليمان: ١٥٥، ١٥٦

سلمان الفارسي: ١٨٥، ٣٩٦

سليمان بن داود: ٤٨٤، ٤٨٥

سمنون: ٢٥، ٨٦، ١٥١، ٢٨٩

٣٢١، ٤٩٨، ٥٠٣

السندی: ٤٠١

سهل بن عبد الله التستري: ٦٨، ٧١

٧٥، ٧٨، ٧٩، ٨٦، ٩٠، ٩٦

٩٨، ١٠٧، ١٠٨، ١١٧

١١٨، ١٢٥، ١٤٦، ١٦٤

١٧٦، ١٧٧، ١٩٥، ١٩٩

٢٠٠، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢١٧

٢١٨، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٥

٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٥٨

٢٦٢، ٢٦٥، ٢٧١، ٢٧٢

٢٧٦، ٢٨٥، ٢٩٠، ٢٩٩

٢٠٣، ٣٠٧، ٣٢٣، ٣٦٥

٣٦٦، ٣٧٦، ٣٨١، ٣٩٠

٣٩١، ٣٩٤، ٤٠٠، ٤٠٢

٤٠٤، ٤٠٦، ٤٢٨، ٤٣٠

٤٣٤، ٤٧٦، ٤٩٩

(ش)

الشافى: ٢٤٨

شان بن أم مكتوم: ١٨٢

شاه الكرماني: ١٢٧، ٣١٠

(ص)

صالح المري: ٣٥٤، ٣٩٧

الصيحي: ٢٦٢

صفوان بن محرز الزاقي: ١٨٩

صلة بن أوشيم: ٣٩٧

صبيب: ١٩١

(ط)

طلحة الصائدي البصري : ٤٠٦

طلحة بن عبيد الله : ١٨٤

الطيالى : ٣٦١

طيفور بن عيسى : ٤٠٠

(ع)

عاصم بن عبد القيس : ٨٤ ، ١٠٢ ،

٣٩٧ ، ٥٠١

عائشة : ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٦١ ، ٣٣٢

٣٤٥ ، ٣٤٦

عبد الرحمن الفارسي : ٦٢

عبد الرحمن بن عوف : ١٩٢

عبد الرحمن بن أحمد : ٤٠٠

عبد الله بن جعثنى : ١٨٩

عبد الله بن جعفر : ٣٤٦

عبد الله بن رواحة : ١٨٩

عبد الله بن ربيعة : ١٩١ ، ١٩٢

عبد الله الرباطي : ٤٠٤

عبد الله بن الحسين : ٣١٩

عبد الله بن طاهر الأبهري : ٢٨٧

عبد الله بن عباس : ١٤٣ ، ١٨٨ ، ٤٧٠

عبد الله بن طلحة : ١٨٥

عبد الله بن عمر : ١٠٠ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ،

٣٤٧ ، ٣٩٧

عبد الله بن المبارك : ٢٥٩

عبد الله للروزي : ٢٣٦

عبد الله بن مسعود : ١٠٥ ، ١٨٧

عبد الواحد بن زيد : ٤٥ ، ٣٩٨

عتاب بن بشير : ٣٩٧

عتبة الغلام : ٣٤٧

عثمان بن عفان : ١٦٧ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،

١٧٨ ، ١٨٢ ، ١٩٣ ، ٥٠١

عدي بن حاتم : ١٩٠

عطاء السلي : ٣٩٨

عزير : ٤٧٤

العلاء بن الحضري : ٣٩٧

علي بن أبي طالب : ١٦٧ ، ١٧٤ ، ١٧٩ ،

١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٩٣ ،

٣٩٦ ، ٤٢٦ ، ٤٥٦ ، ٤٥٨

علي بن عبد الرحيم القناد : ٤٥ ، ٤٧

علي أبو تراب : ٤٠٧

علي أبو الحسين علي بن هذ القريش

الفارسي : ٣٠١

علي بن سهل الأصفهاني : ٢١٣ ، ٣١٠

علي بن للوق : ٣٦٢

عمران بن الحسين : ١٨٧

القناد : ٤٦ ، ٤٧ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٩٠ ،
٤٣٥ ، ٥٠٣

قيس بن عمر الحمصي : ٣٦١

(ك)

الكتاني : ٤١٤

كحيل بن زياد : ١٤٦ ، ١٨٠

كردي الصوفي الأرموي : ٢٧١ ، ٣١٦

كعب الأخبار : ١٨٧ ، ١٨٨

كلثوم القساني : ١٩٥

(ل)

اللعاج : ١٩٠ - ١٩١

(م)

مالك بن دينار : ٦٧ ، ٣٩٨

مالك بن طوق : ٣٥٨

محمد : ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٨ ،

١٨٤ ، ٣٣٠ ، ٤٤٤ ، ٥١٥

محمد بن إسماعيل : ٢٥٠

محمد بن أحمد بن حمدون الفراء : ٦٢

محمد بن داود : ١٦٠

محمد بن سيرين : ١٩٤

محمد بن علي القصاب : ٤٥ ، ٢٦٤

عمر بن عبد العزيز : ٩٦ ، ١٧٧

عمر بن الخطاب : ١٦٥ ، ١٦٧ ،

١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨١ ،

١٨٢ ، ١٩٣ ، ٢١٢ ، ٢٢١ ،

٢٤٥ ، ٣٩٦ ، ٤٢٥ ، ٤٥٦

عمر اللطفي : ٢٣٢

عمر بن الحر : ٣٣٠

عمرو عثان السبكي : ٤٥ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،

١٠٣ ، ١٠٢ ، ١٦٣ ، ٢٩٢ ،

٢٩٥ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣١١ ،

٣٧٥ ، ٣٨٢ ، ٤١٢ ، ٤١٥ ،

٤٢٤ ، ٤٢٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ،

٤٤١ ، ٤٩٩

عمرو بن هند : ١٨٠

عيسى القصار الدينوري : ٢٠٠ ، ٢٥٠

٢٦٩

(ف)

فاطمة : ٢٩٦

فتح الموصلي : ٢٤٤ ، ٢٦٥

فتح بن شخرف : ٢٠٠

فرقد السخني : ٣٩٨

فرعون : ٤٧٢

(ق)

قشير : ١٩٠

موسى : ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٧٩ ، ٢٤٦

٣٥٢ ، ٤٥٥ ، ٥٠٨

عشاد الدينورى : ٢٥٤ ، ٢٧١ ، ٣٠٥

٣٦٦

ميكائيل : ٤٨١

(ن)

نساخ : ٣٢٢

نصر بن يحامى : ٧٥

النورى : ٤٦ ، ٦٣ ، ٥٨ ، ٦٨ ، ٢٧٩

٢٨٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٤

٣١١ ، ٤٣١ ، ٤٣٥ ، ٤٣٩

٤٤٦ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤

(هـ)

هذيل : ١٩١

هرم بن حبان : ٣٩٧

هود : ٣٥٣

(و)

الواسطى : ٥٩ ، ٦٠ ، ٩٠ ، ٩٩

١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١١٣

١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٥٣ ، ١٦٠

١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ٢٨٤

٢٨٧ ، ٣٠٠ ، ٤٢٥ ، ٤٢٨

٤٣٤ ، ٤٣٩ ، ٤٤١ ، ٤٤٣

٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧

٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٥٠٦ ، ٥٠٩

٥١١

محمد بن على السكتانى : ١٦٧ ، ٤٢٨

محمد بن كعب : ١٩٠

محمد بن الفضل السمرقندى : ٥٨

محمد بن مسروق البغدady : ٣٧٠

محمد بن منصور : ٢١١ ، ٢٤٢

محمد بن معبد البانياسى : ٢٧١

محمد بن موسى الفرافى : ١٦٤ ، ٥٠٦

٥٠٧ ، ٥٠٩

محمد بن واسع : ٦٧ ، ٢٩٨ ، ٤٣٤

محمد بن يعقوب الفرجى : ٣٥٩ ، ٤٣٠

محمد بن يوسف : ٤٠١

مجاهد : ٤٢١ ، ٤٥٥

مروان بن الحكم : ١٨٨

مسلم بن يسار : ٣٩٧

مصعب بن احمد : ٢٦٤

للزبن الكبير : ٢٥٠ ، ٢٩٣

مصعب بن عمر : ١٩١ ، ١٩٢

مطرف بن عبد الله بن الشخيرى : ٩٦

١٦٨ ، ٢١٠ ، ٣٩٧

للظفر الفريسيى : ٢٥٣

معاذ بن جبل : ١٦٧ ، ١٨٥ ، ٣٣٨

معاوية بن أبى سفيان : ٥٠١

مورق : ٤٥٥

موسى بن عيسى : ١٤٤ ، ١٤٥

٢٣٩ ، ٢٣١ ، ٢٢٣ ، ٢١١

٢٢٩ ، ٢٠٣ ، ٢٦٨ ، ٢٦٤

٢٦٥ ، ٢٤٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٣

٥٠٧ ، ٢٧٨

يوسف بن الحسين الرازي : ٢٩ ، ٥٠ ،

٢٧٦ ، ٢٦٣ ، ٢٣٦ ، ١٥١ ، ١٤٠

٣٠٤ ، ٢٩٨ ، ٢٩١ ، ٢٨٨

٣٢٥ ، ٣١٨ ، ٣١١ ، ٣٠٩ ، ٣٠٨

٢٤٠ ، ٢٦١ ، ٢٣٤ ، ٢٢٩

يوسف الصايغ : ٢٦٢

يوسف زنديق : ٢٦٣

يونس بن متى : ٢٧٩

وهيب بن الورد : ١٢٥

الوجي : ٢٤٨ ، ٢٥٦ ، ٢٦٤

٢٨٦ ، ٢٧٤ ، ٢٧٣ ، ٢٦٧

٥٠٤ ، ٢٦١ ، ٢٥٩ ، ٢٢٠

(٢)

يحيى الأصطخري : ٢٨٢

يحيى بن الرضا العلوي : ٢٥٤

يحيى بن معاذ الرازي : ٥٨ ، ٦١

٢٦٧ ، ٢٤٩ ، ١٧٦ ، ٧٣

٢٩٦ ، ٢٧٩ ، ٢٦٩

فهرس الموضوعات

الصحيفة

الموضوع

- لجنة نشر الأصول الصوفية
مكانة كتاب « الملح » من التصوف
التعريف بصاحب « الملح »
مقدمة للمؤلف
باب البيان عن علم التصوف ومذهب الصوفية ومنزلتهم من أولى العلم القائمين
بالقسط
باب في نعت طبقات أصحاب الحديث ورسمهم في النقل ومعرفة الحديث
وتخصيصهم بعلمه
باب ذكر طبقات الفقهاء وتخصيصهم بما رسموا به من أنواع العلوم
باب ذكر الصوفية وطبقاتهم وما رسموا به من العلم والعمل وما خصوا به
من الفضائل وحسن التماثل
باب تخصيص الصوفية بالمعاني التي قد رسموا بها من الآداب والأحوال
والعلوم التي تفرّدوا بها من جملة العلماء
باب في تخصيص الصوفية من طبقات أهل العلم في معان آخر من العلم
باب الرد على من زعم أن الصوفية قوم جهلة وليس لعلم التصوف دلالة من
الكتاب والأثر .
باب في ذكر اعتراض الصوفية على للتفقه وبيان الفقه في الدين ووجهه
ذلك بالحجة .
باب ذكر جواز التخصيص في علوم الدين وتخصيص كل علم بأهله والرد
على من أنكر علماً برأيه ولم يدفع ذلك إلى أهله وإلى من يكون
ذلك من شأنه
باب الكشف عن اسم الصوفية ولم سموا بهذا الاسم ولم نسبوا إلى هذه
القبلة

الصحفة

للوضوع

- باب الرد على من قال : لم نسمع بذكر الصوفية في القديم وهو اسم محدث ٤٢
باب إثبات علم الباطن والبيان عن صحة ذلك بالحجة ٤٣
باب التصوف ما هو ونعته وماهيته ؟ ٤٥
باب صفة الصوفية ومن هم ؟ ٤٥
باب التوحيد وصفة الموحد وحقيقته وكلامهم في معنى ذلك ٤٩
باب ما قالوا في المعرفة وصفة العارف وحقيقة ذلك ببيانها ٥٦
باب في صفة العارف وما قالوا فيه ٦١
باب في قول القائل : بهم عرفت الله ؟ والفرق بين المؤمن والعارف ٦٣

كتاب الأحوال والمقامات

- باب في اللقامات وحقائقها ٦٥
باب في معنى الأحوال ٦٦
باب مقام التوبة ٦٨
باب مقام الورع ٧٠
باب مقام الزهد ٧٢
باب مقام الفقر وصفة الفقراء ٧٤
باب مقام الصبر ٧٦
باب مقام التوكل ٧٨
باب مقام الرضا وصفة أهله ٨٠
باب مراقبة الأحوال وحقائقها وصفة أهلها ٨٢
باب حال القرب ٨٤
باب حال المحبة ٨٦
باب حال الخوف ٨٩
باب الرجاء ٩١
فصل في معنى الخوف والرجاء ٩٢
باب حال الشوق ٩٤

الموضوع	الصفحة
باب حال الأنس	٩٦
باب حال الطمأنينة	٩٨
باب حال الشاهدة	١٠٠
باب حال اليقين	١٠٢

كتاب أهل الصفوة في الفهم والاتباع لكتاب الله عز وجل

باب الواقعة لكتاب الله تعالى	١٠٥
باب في تخصيص الدعوة ووجه الاسطفاء	١٠٨
باب ذكر تفاوت المستمعين في خطاب الله تعالى ودرجاتهم في قبول الخطاب	١١١
باب في شرح استنباط القاء السمع والحضور بالتدبر عند التلاوة وفهم الخطاب بما خوطب به العبد	١١٤
باب وصف أرباب القلوب في فهم القرآن	١١٦
باب ذكر السابقين والتقربين والأبرار من طريق الفهم والاستنباط	١١٩
باب بيان التشديد في القرآن ووجوه ذلك	١٢٢
باب ما قيل في فهم الحروف والأسماء	١٢٤
باب في وصف من أصاب في الاستنباط والإشارة والفهم في القرآن ووصف من غلط وأخطأ في ذلك	١٢٦

كتاب الأسوة والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم

باب وصف أهل الصفوة في الفهم والواقعة والاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم	١٣٠
باب ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخلاقه وأفعاله وأحواله التي اختارها الله تعالى له	١٣٤
باب بيان ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرخص والتوسيع على الأمة فيما أباح الله تعالى لهم ووجه ذلك في حال الخصوص والعموم	

الصحيفة

للوضوع

- ١٤١ في الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم
باب ما ذكر عن الشايخ في اتباعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٤٤ وتخصيصهم في ذلك

كتاب المستنبطات

- باب مذهب أهل الصفوة في المستنبطات الصحيحة في فهم القرآن والحديث
١٤٧ وغير ذلك وشرحها
» في كيفية الاختلاف في مستنبطات أهل الحقيقة في معاني علومهم
وأحوالهم
١٥٠ » في مستنبطات أهل الصفوة في تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وشرفه
وفضله على إخوانه عليهم السلام من كتاب الله عز وجل من طريق
القهم
١٥٣ » في مستنبطاتهم في خصوصية النبي صلى الله عليه وسلم وفضله على إخوانه
عليهم السلام من الأخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٥٨ » في مستنبطاتهم في معاني أخبار مروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من طريق الاستنباط والقهم
١٦٢

كتاب الصحابة رضوان الله عليهم

- » في ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعانيهم رضي
الله عنهم
١٦٦ » ذكر أبي بكر الصديق رضي الله عنه وتخصيصه من بين أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالأحوال التي تعلق بها أهل الصفوة من هذه
الأمّة وتخلق بذلك واقتدى به
١٦٨ » في ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه
١٧٣ » في ذكر عثمان رضي الله عنه
١٧٦ » في ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه
١٧٩

الصحيفة

للوضوع

١٨٣

باب صفة أهل الصفة رضوان الله عليهم أجمعين

١٨٥

» في ذكر سائر الصحابة في هذا المعنى

كتاب آداب المتصوفة

١٩٤

باب في ذكر الآداب

١٩٧

» آدابهم في الوضوء والطهيرات

٢٠٣

» في ذكر آدابهم في الصلاة

٢٠٧

فصل آخر في آداب الصلاة

١١٠

باب ذكر آدابهم في الزكوات والصدقات

٢١٦

» في ذكر الصوم وآدابهم فيه

٢٢٢

» ذكر آدابهم في الحج

٢٣١

» في ذكر آداب الفقراء بعضهم مع بعض وأحكامهم في الحضر والسفر

٢٣٤

» ذكر آدابهم في الصعبة

٢٣٨

» ذكر آدابهم عند مجارة العلم

٢٤٢

» ذكر آدابهم في وقت الطعام والاجتماعات والضيافات

٢٤٦

» في ذكر آدابهم في وقت السماع والوجود

٢٤٨

» في ذكر آدابهم في اللباس

٢٥٠

» في ذكر آدابهم في أسفارهم

٢٥٣

» في ذكر آدابهم في بذل الجاه والسؤال والحركة من أجل الأسعاب

٢٥٦

» في ذكر آدابهم إذا فتح عليهم شيء من الدنيا

٢٥٩

» في ذكر آداب من اشتغل بالكسب والتصرف في الأسباب

٢٦٢

» في آداب الأخذ والعطاء وإدخال الرفق على الفقراء

٢٦٤

» في آداب المتأهلين ومن له ولد

٢٦٧

» في ذكر آدابهم في الجلوس والمجالسة

٢٦٩

» في ذكر آدابهم في الجوع

٢٧١

» في ذكر آداب المرضى في مرضهم

الصحيفة

الموضوع

- ٢٧٣ باب في آداب المشايخ ورقمهم بالأصحاب وعظمهم عليهم
 » في ذكر آداب المريدين والمبتدئين
 ٢٧٥
 » في ذكر آداب من يتفرد ويختار الخلوة
 ٢٧٧
 » في ذكر آدابهم في الصداقة والمودة
 ٢٧٩
 » في ذكر آدابهم عند الموت
 ٢٨٠
 ٢٨٣ كتاب المسائل واختلاف أقاويلهم في الأجوبة

كتاب المكاتبات والصدور والأشعار والدعوات والرسائل

- ٣٠٥ باب في مكاتبات بعضهم إلى بعض
 ٣١٣ » في صدور الكتب والرسائل
 ٣١٨ » في أشعارهم في معاني أحوالهم وإشاراتهم
 ٣٢٨ » الدعوات التي كان يدعو بها المشايخ التقدمون من أهل الصفة
 ٣٣٤ » في وصاياهم التي أوصى بها بعض لبعض

كتاب السماع

- ٣٣٨ » في حسن الصوت والسماع وتخاوت المستمعين
 ٣٤٢ » في السماع واختلاف أقاويلهم في معناه
 » في وصف سماع العامة وإياحة ذلك لهم إذا سمعوا ذكر الترغيب
 ٣٤٤ والترهيب بالأصوات الطيبة ويحشمهم ذلك على طلب الآخرة
 ٣٤٩ » في وصف سماع الخاصة وتفاضلهم في ذلك
 ٣٥٢ » في ذكر طبقات المستمعين
 ٣٥٦ » ذكر من اختار سماع القصائد والآيات من الشعر
 ٣٥٨ » في وصف سماع المريدين والمبتدئين
 ٣٦١ » في وصف المشايخ في السماع وهم المتوسطون العارفون

الموضوع	الصفحة
باب في وصف خواص الخواص وأهل الكمال في السماع	٣٦٥
» في سماع الله كر والمواعظ والحكمة وغير ذلك	٣٦٨
» آخر في السماع	٣٧٠
» فيمن كره السماع والذي كره الحضور في الموضع التي يقرأون فيها القرآن بالألحان ويقولون القصائد ويتواجدون ويرقصون	٣٧٢

كتاب الوجد

» في ذكر اختلافهم في ماهية الوجد	٣٧٥
» في صفات الواجدين	٣٧٧
» في ذكر نواجد المشايخ الصادقين	٣٧٩
» في قوة سلطان الوجد وهيجانه وغلباهه	٣٨١
» في الواجد السالكين والواجد المتحرك أيها أتم	٣٨٣
» جامع مختصر من كتاب «الوجد» الذي ألفه أبو سعيد بن الأعرابي	٣٨٥

كتاب إثبات الآيات والكرامات

» في معاني الآيات والكرامات وذكر من كان له شيء من ذلك	٣٩٠
» في حجة من أنكر كون ذلك من أهل الظاهر والحجة عليهم في جواز ذلك للأولياء والفرق بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام	٣٩٣
» في الأدلة على إثبات الكرامات للأولياء وعلة قول من قال : لا يكون ذلك لا يكون إلا للأنبياء عليهم السلام	٣٩٦
» في ذكر مقامات أهل الخصوص في الكرامات وذكر من ظهر له شيء من الكرامات فكره ذلك وخشى الفتنة	٤٠٠
» في ذكر من كان له شيء من هذه الكرامات فأظهرها لأصحابه لصدقه وطهارته وسلامة قلبه وصحته	٤٠٤
» في ذكر الخصوص وأحوالهم التي لا تتعد من الكرامات وهي في	

الصفحة

الموضوع

٤٠٦

معانيها أتم والطف من الكرامات

كتاب البيان عن المشكلات

٤٠٩

باب في شرح الألفاظ المشكلة الجارية في كلام الصوفية

٤١١

» بيان هذه الألفاظ

كتاب تفسير الشطحيات والكلمات التي ظاهرها مستشنع

وباطنها صحيح مستقيم

٤٥٣

» في معنى الشطح والرد على من أنكر ذلك برأيه

» تفسير العلوم وبيان ما يشكل على فهم العلماء من علوم الخاصة

٤٥٥

وتصحيح ذلك بالحجة

» في كلمات شطحيات تحكى عن أبي يزيد قد فر الجنييد

٤٥٩

طرفاً منه

٤٦١

» ذكر حكاية حكيت عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله تعالى

٤٦٤

» آخر في تفسير حكاية ذكرت عن أبي يزيد رحمه الله

٤٦٨

» أيضاً في شرح كلام حكى عن أبي يزيد رحمه الله تعالى

» آخر في شرح ألفاظ حكيت عن أبي يزيد رحمه الله وكان يكفره في

ذلك ابن سالم بالبصرة وذكر مناظرة جرت بينه وبينه في معنى

٤٧٢

ذلك

٤٧٨

» في ذكر كلام حكى عن الشبلي رحمه الله وشرحه عن ذلك

٤٨١

» في معنى حكاية حكيت عن الشبلي رحمه الله

٤٨٣

» آخر في معنى أحوال كانوا يشكرون على الشبلي رحمه الله

» آخر في شرح كلام تكلم به الشبلي رحمه الله وهو مما يشكل فهمه على

٤٨٦

قلوب العلماء والفقهاء وألفاظ جرت بينه وبين الجنييد رحمه الله

الموضوع	الصفحة
باب في ذكر أبي الحسين النوري رحمه الله	٤٩٢
» في ذكر أبي حمزة الصوفي	٤٩٥
» ذكر جماعة المشايخ الذين رموم بالكفر	٤٩٧
» في ذكر أبي بكر طي بن الحسن	٥٠٢
» في ذكر محمد بن موسى الفرغانى	٥٠٦
» في بيان ما قال الواسطى	٥١١
» في ذكر من غلط من الترسمين بالنصوف ومن أين يقع الغلط وكيفية وجوه ذلك	٥١٦
» في ذكر الفرقة الذين غلطوا وطبقاتهم وتفاوتهم في الغلط	٥١٨
» في ذكر من غلط في الفروع التي لم تؤدم إلى الضلالة ونبتدىء في ذكر الطوائف الذين غلطوا في الفقر والنق	٥٢٠
» في ذكر من غلط في التوسع وترك التوسع من الدنيا بالتشغف والتقل ومن غلط في الاكتساب وترك الاكتساب	٥٢٣
» في ذكر طبقات الذين قترؤا في الإرادات وغلطوا في المجاهدات وسكنوا إلى الراحة	٥٢٥
» في ذكر طبقات الذين غلطوا في ترك الطعام والعزلة والانفراد وغير ذلك	٥٢٧
» ذكر من من غلط في الأصول وأداء ذلك إلى الضلالة ونبتدىء بذلك القوم الذين غلطوا في الحرية والعبودية	٥٣١
» في ذكر من غلط من أهل العراق في الإخلاص	٥٣٣
» في ذكر من غلط في النبوة والولاية	٥٣٥
» في ذكر الفرقة التي غلطت في الإباحة والحظر والرد عليهم	٥٣٨
» في ذكر غلط الحلولية وآقاويلهم على ما يلقى فلم أعرف منهم أحداً ولم يصح عندي شيء غير البلاغ	٥٤١
» في ذكر من غلط في فناء البشرية	٥٤٣
» ذكر من غلط في الرؤية بالقلوب	٥٤٤

الصحيفة	الموضوع
٥٤٧	باب ذكر من غلط في الصفاء والطهارة
٥٤٨	» ذكر من غلط في الأنوار
٥٤٩	» ذكر من غلط في عين الجمع
٥٥١	» في ذكر من غلط في الأنس والبسط والخشية
٥٥٢	» في ذكر من غلط في فتاأهم عن أوصافهم
٥٥٣	» في ذكر من غلط في فقد الحس
٥٥٤	» في ذكر من غلط في الروح
٥٥٧	تخريج أحاديث كتاب «المع»